موسوعة العلامة

الإمام مجدد العصر

محمد ناصر الدين الألباني

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى ١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠م

رقم الإيداع بدار الكتب صنعاء (١٧٦) ٢٠١٠م

التنسيق والإخراج بمركز البراء لفن الطباعة
773634103 712331058

مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة

المركز الرئيس: اليمن – صنعاء

ت: ٧٣٣٧٠٢٧٩٢-٠٠٩٦٧

ص. ب: صنعاء (٤١٧٣)

البريد الإلكتروني: Shady_noaman@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز النعمان للبحوث والدراسات
الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة

موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر

محمد ناصر الدين الألباني

«موسوعة تحتوي على أكثر من
(٥٠) عملاً ودراسة حول العلامة الألباني وتراثه الخالد»

العمل الأول

سلسلة جامع تراث العلامة الألباني في العقيدة

«تحتوي على ما يقارب ألفي مسألة

وفائدة عقدية مستخرجة من تراث العلامة الألباني بعناية»

(٦)

(اليوم الآخر - القضاء والقدر)

صَنَعَهُ

شادي بن محمد بن سالم آل نعمان

كتـاب اليـوم الآخـــر

[١٤٤٨] باب حكم من أنكر اليوم الآخر

سؤال: بخصوص في مثل هذه المجالس أحياناً يتطرق البعض في بعض الأسئلة عن الدنيا والجنة والنار؟ من الجالسين أو من عامة الناس البعض منهم ينكرون الآخرة، وينكرون الجنة، يعني يقولون: أنه إذا مات الميت خلاص راح، مات كالكلب، فمثل هذا الرجل أو هذا القائل يعني ما الحكم في ذلك؟

الشيخ: هذا ليس مسلماً ولا يهودياً ولا نصرانياً، واليهود والنصارى خير منه، يعني هذا زنديق ملحد، لا يؤمن بالله ولا برسوله، وفي القرآن الكريم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾(يس:٧٨، ٧٩).

" الهدى والنور" (/ ٩/ ٢٣: ٤٢: ٠٠)

جماع أبواب القيامة الصغرى

(الموت)

(تمني الموت)

[١٤٤٩] باب جواز تمني الموت تديناً، وأن من علامات الساعة تمني الرجل الموت للبلاء والمحن

[قال رسول الله ﷺ]:

- «لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني مكانه ما به حب لقاء الله عز وجل» .

[قال الإمام]:

ومعنى الحديث أنه لا يتمنى الموت تديناً وتقرباً إلى الله وحبّاً في لقائه وإنما لما نزل به من البلاء والمحن في أمور دنياه . ففيه إشارة إلى جواز تمني الموت تديناً . ولا ينافيه قوله ﷺ: " لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ... " لأنه خاص بما إذا كان التمني لأمر دنيوي كما هو ظاهر.

قال الحافظ: " ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف.

قال النووي: لا كراهة في ذلك بل فعله خلائق من السلف منهم عمر ابن الخطاب و... " .

"الصحيحة"(٢/ ١٢١).

(جماع أبواب

تلقين المحتضر وحكم تلقين الميت بعد موته)

[١٤٥٠] باب تلقين المحتضر شهادة التوحيد

[قال رسول الله ﷺ]:

- «أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله، قبل أن يحال بينكم وبينها ولقنوها موتاكم» .

[قال الإمام]:

فيه مشروعية تلقين المحتضر شهادة التوحيد، رجاء أن يقولها فيفلح .

والمراد بـ (موتاكم) من حضره الموت؛ لأنه لا يزال في دار التكليف، ومن الممكن أن يستفيد من تلقينه فيتذكر الشهادة ويقولها، فيكون من أهل الجنة .

و أما تلقينه بعد الموت، فمع أنه بدعة لم ترد في السنة فلا فائدة منه لأنه خرج من دار التكليف إلى دار الجزاء، ولأنه غير قابل للتذكر، ﴿لتنذر من كان حيّاً﴾.

وصورة التلقين أن يؤمر بالشهادة، وما يذكر في بعض الكتب أنها تذكر عنده ولا يؤمر بها خلاف سنه النبي ﷺ...

"الصحيحة"(١/ ٢/ ٨٣٦-٨٣٨).

[١٤٥١] باب هل يزاد في تلقين الميت على شهادة أن لا إله إلا الله؟

سؤال: الميت يلقن بشهادة ألا إله إلا الله، فهل يزاد على ذلك أن محمداً رسول الله، وهل ورد حديث صحيح في هذا؟

الشيخ: لا، الوارد ما تعرفونه: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» يعني: هنا التلقين

بِأُسّ الإسلام الذي يدخل تحته الإيمان بمحمد رسول الله بالأركان الإيمانية كلها وو..إلخ، فليس الموضع الآن موضع تعليم، وإنما هو موضع تلقين وتذكير بِأُسِّ الإسلام ألا وهو التوحيد، ويكفي -بلاش ما يمكن أن نسميه فلسفة وكثرة كلام- نقول: الرسول قال هكذا: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» بينما في مثل حديث: «أمرت أن أقاتل حتى يشهدوا لا إله إلا الله قال: وأن محمداً رسول الله» فإذاً: نقف عِنْدَ ما علمنا الرسول عليه السلام ولا نزيد على شهادة لا إله إلا الله شيئاً آخر.

"الهدى والنور" (٢٩٩/ ٢٠: ٤٣: ٠٠)

[١٤٥٢] باب أهمية تلقين المحتضر الشهادة وبدعية قراءة يس عنده وجواز حضور المسلم موت الكافر لدعوته

[قال الإمام]:

- فإذا حضره [أي المريض] الموت، فعلى من عنده أمور:

أ - أن يلقنوه الشهادة، لقوله ﷺ:«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»، «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة يوما من الدهر، وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه» وكان يقول: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وفي حديث آخر: «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة».أخرجها مسلم في صحيحه.

ب، ج - أن يدعوا له، ولا يقولوا في حضوره إلا خيراً، لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا حضرتم المريض أو الميت، فقولوا خيرا، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون» أخرجه مسلم والبيهقي (٣/ ٣٨٤) وغيرهما .

- وليس التلقين ذكر الشهادة بحضرة الميت وتسميعها إياه، بل هو أمره بأن يقولها خلافاً لما يظن البعض، والدليل حديث أنس رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ عاد رجلاً من الأنصار، فقال: يا خال ! قل: لا إله إلا الله، فقال: أخال أم عم؟ فقال: بل خال، فقال: فخير لي أن أقول: لا إله إلا الله؟ فقال النبي ﷺ: نعم». أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٥٢، ١٥٤، ٢٦٨) بإسناد صحيح على شرط مسلم .

- وأما قراءة سورة (يس) عنده، وتو جيهه نحو القبلة فلم يصح فيه حديث، بل كره سعيد بن المسيب توجيهه إليها، وقال: " أليس الميت امرأ مسلماً !؟ "وعن زرعة بن عبد الرحمن أنه شهد سعيد بن المسيب في مرضه وعنده أبو سلمة بن عبد الرحمن فغشي على سعيد، فأمر أبو سلمة أن يحول فراشه إلى الكعبة . فأفاق، فقال: حولتم فراشي !؟ فقالوا نعم، فنظر إلى أبي سلمة فقال: أراه بعلمك؟ فقال: أنا أمرتهم!فأمر سعيد أن يعاد فراشه.أخرجه ابن أبي شيبة في " المصنف " (٤/ ٧٦) بسند صحيح عن زرعة .

- ولا بأس في أن يحضر المسلم وفاة الكافر ليعرض الإسلام عليه، رجاء أن يسلم، لحديث أنس رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال له:أطع أبا القاسم ﷺ فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»، (فلما مات، قال: صلوا على صاحبكم) " .أخرجه البخاري والحاكم والبيهقي وأحمد (٣/ ١٧٥،٢٢٧، ٢٦٠،٢٨٠) والزيادة له في رواية.

"أحكام الجنائز"(ص١٩-٢١).

[١٤٥٣] باب حكم تلقين الميت الشهادة بعد موته

سؤال: فضيلة الشيخ حفظكم الله! ما حكم تلقين الميت للشهادة بعد قبره؟

الشيخ: هذا التلقين الذي يفعل في بعض البلاد الإسلامية عمدته حديث لا يصح بوجه من الوجوه، وكم دَفَنَ النبي ﷺ من أصحابه من الشهداء وغيرهم ولم ينقل عنه ولا في حديث واحد من فعله عليه السلام ولو كان حديثاً ضعيفاً أنه بعد أن دفن الميت أخذ عليه السلام يلقنه هذا التلقين: إذا جاءاك فسألاك من ربك فقل: ربي الله إلى آخره، هذا لم يرد من فعله عليه السلام مطلقاً وإنما جاء في حديث من حديث أبي أمامة أو ثوبان الآن أنا أشك في معجم الطبراني الكبير وفي إسناده ضعف مذكور في محله.

فهذا التلقين لا يجوز اتخاذه سنةً؛ لأن عمل الرسول عليه السلام لم يكن عليه...ومن عجب أن التلقين المشروع لا يأخذ اهتمامهم كما يهتمون بهذا التلقين غير المشروع، أعني بالتقلين المشروع: ما جاء به الحديث الصحيح من غير ما طريق واحد ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله» لقنوا موتاكم، أي: الذين حضرهم الموت وأشرفوا على الموت وهم لا يزالون في قيد الحياة؛ لأن هذا التلقين قد ينفعهم؛ لأن الرسول عليه السلام ثبت عنه أنه قال: «إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر»(١).

فإذا كان فضل الله عز وجل واسعاً إلى درجة أنه يقبل توبة عباده أو عبده قبل أن تصل الروح إلى الحلقوم فحينئذٍ يؤمل ويرجى أن المحتضر إذا قيل له: قل: لا إله إلا الله، أن يستجيب لهذا القول ولهذا الأمر فيكون آخر قوله شهادة أن لا إله إلا

(١) "صحيح الجامع" (رقم ١٩٠٣).

الله، ويكون ذلك بشرى له بحسن خاتمته، فهذا التلقين هو المشروع،.. «لقنوا موتاكم » أي: الذين حضرهم الموت لا إله إلا الله، أما تلقين الميت الذي وضع في قبره فلا يفيده شيئاً؛ لأنه انتهى أجله إن صالحاً فصالح وإن طالحاً فطالح ولا يفيده هذا التلقين المبتدع، بل أنا أقول: هذا التلقين يشبه نوعاً من التلقين معروف بين الناس في هذا الزمان وهم الطلبة في المدارس، إذا أحدهم لقن جاره في أثناء الامتحان قد يكون سبباً لسقوطه؛ لأنه تلقن ما لا ينبغي أن يتلقنه؛ لأنه هذا الذي كان قد لقنه كان ينبغي عليه أن يصل إليه بجهده وتعبه ونصبه، أما أن يستفيد من جهود غيره فسوف لا يستفيد، كذلك هذا الميت الذي دفن في قبره فتلقينه لا يفيده شيئاً مطلقاً.

«من مات وكان آخر ما قال:لا إله إلا الله» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

بهذه المناسبة تلقين المحتضر: هناك بعض العلماء يقولون، وفي زعمي قولهم هذا يشبه الفلسفة التي لا أصل لها في الشرع بل ولا في العقل، يقولون: لا ينبغي للملقن لمن حضره الموت أن يقول له: قل لا إله إلا الله، وإنما هو يذكر الله ويقول: لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله تسميعاً للمحتضر لعله يتنبه من غفلته في تلك الساعة الخطيرة ويقول: لا إله إلا الله، لماذا يقول هذا البعض، أنه لا ينبغي أن يأمره بلا إله إلا الله؟ خشية أن يرفض الأمر فيكون عاقبة أمره الموت على كفر والعياذ بالله، هكذا زعموا.

لكني أقول: قد جاء في السنة الصحيحة ما يبين أن قوله عليه السلام: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله» إنما يعني أمر المحتضر بأن يقول: لا إله إلا الله، جاء هذا في صحيح البخاري حينما مرض غلام من اليهود كان يخدم النبي ﷺ، فعاده النبي ﷺ فوجده في حضرة الموت، فقال له عليه الصلاة والسلام: «قل: لا إله إلا الله»

هذا هو التلقين.

وبهذا ينبغي أن نأخذ فائدة وهي: أن أقوال النبي ﷺ يجب تفسيرها بأفعاله عليه الصلاة والسلام فالسنة القولية تبين بالسنة الفعلية، «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» قيل كما سمعتم آنفاً أنه يقول في حضرة المحتضر: لا إله إلا الله، ولا يخاطبه بقوله: قل: لا إله إلا الله، فجاءت السنة الفعلية مبينة أن المقصود من: «لقنوا موتاكم » هو أن يؤمر بأن يقول: لا إله إلا الله، هذا ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام حينما عاد هذا الغلام اليهودي الذي كان يخدم النبي ﷺ وهو يهودي ابن يهودي، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام هو من أكرم الناس خلقاً ولو كان هذا الغلام يهودياً فقد عاده، ولكنه عليه الصلاة والسلام يهتبل كل فرصة ليبلغ الناس العلم والدين فاغتنمها فرصة وقال له: «»يا غلام! قل: لا إله إلا الله» وعلى رأس الغلام والده اليهودي فنظر الغلام إلى أبيه كأنه يقول له ما رأيك.. هاأنت تسمع محمداً عليه الصلاة والسلام يقول لي: قل: لا إله إلا الله، فالخبيث وهذا شأن الكفار كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾(البقرة:١٤٦) هو يعرف أن دعوة الرسول حق ولكن كما قال أيضاً في الآية الأخرى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾(النمل:١٤) لما رأى اليهودي ابنه في طريق الموت وأنه لا حياة له بعد ذلك قال له: أطع أبا القاسم، أبا القاسم يقول لابن اليهودي، قل: لا إله إلا الله، واليهودي الوالد يكفر بلا إله إلا الله، ولكن لما رأى ولده أنه في طريق الموت ولا نجاة له إذا مات يهودياً قال له: أطع أبا القاسم، أما هو فلا يزال عاصياً لأبي القاسم عناداً وكفراً وضلالاً.

الشاهد، قال الغلام: أشهد أن لا إله إلا الله، وخرجت روحه، فقال عليه الصلاة والسلام: «الحمد لله الذي نجاه بي من النار» فهذا هو التلقين المشروع أن يقال للمحتضر: قل: لا إله إلا الله، أما تلقينه وهو في قبره فلا يفيده شيئاً سواء عند

دفنه أو بعد دفنه وهو ميت لا حراك له ولا يسمع ما يلقن ولو سمع لما استجاب؛ لأنه خرج بما حصله في الدنيا من إيمان وعمل صالح، أو كفر وعمل طالح.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يوفقنا لفهم الإسلام فهماً صحيحاً وأن يرزقنا العلم الصالح، إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.

"رحلة النور"(٨أ/ ٠٠:٤٤:٠٣) و(٨ب/ ٠٠:٠٠:٠٠)

[١٤٥٤] باب التلقين بعد الموت من محدثات الأمور

[ذكر الآلوسي في "الآيات البينات" عن ابن الهمام أنه قال: وأما التلقين من بعد الموت وهو في القبر: فقيل: يفعل.. ونسب لأهل السنة والجماعة وخلافه إلى المعتزلة وقيل: لا يؤمر به ولا ينهى عنه.

فعلق الألباني قائلاً]:

هذا مردود؛ لأن التلقين تذكير ليس أمراً دنيوياً أو عادياً حتى يصح فيه ما ذكره، وإنما هو أمر تعبدي محض، فإما أن يكون مشروعاً فيؤمر به حينئذ ولو أمر استحباب، وإما أن يكون غير مشروع فينهى عنه؛ لأنه يكون والحالة هذه من محدثات الأمور، وهي منهي عنها . فتنبه.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص٨٢).

[١٤٥٥] باب منه

[قال الإمام]:

التلقين بعد الدفن.. لم يرد فيه حديث تقوم به حجة.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص٨٥).

[١٤٥٦] باب منه

[نقل الآلوسي في "الآيات البينات " عن ابن حجر الهيتمي رد قول العز ابن عبد السلام أن التلقين بعد الدفن بدعة، فعلق الألباني قائلاً]:

قلت: بل قوله [أي قول العز] هو الصواب لأن التلقين مع ضعف حديثه مخالف لهديه ص؛ فإنه ثبت أنه كان إذا دفن الميت وقف على قبره يدعو له بالتثبيت ويستغفر له ويأمر الحاضرين بذلك، فما خالفه فهو بدعة دون شك، وقد جزم بذلك الإمام الصنعاني وقد فصلت هذا بعض الشيء في " أحكام الجنائز " (ص ١٥٥ - ١٥٦) فراجعه إن شئت .

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص٨٩).

(مبشرات حسن الخاتمة)

[١٤٥٧] باب علامات حسن الخاتمة

[قال الإمام]:

إن الشارع الحكيم قد جعل علامات بينات يستدل بها على حسن الخاتمة - كتبها الله تعالى لنا بفضله ومَنِّه - فأيما امرئ مات بإحداها كانت بشارة له ، ويا لها من بشارة .

الأولى : نطقه بالشهادة عند الموت وفيه أحاديث .

١ - " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ".أخرجه الحاكم وغيره بسند حسن عن معاذ .

٢ - عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال : " رأى عمر طلحة بن عبيد الله ثقيلاً ،فقال : مالك يا أبا فلان ؟ لعلك ساءتك امرأة عمك يا أبا فلان ؟ قال : لا — [وأثنى على أبي بكر] إلا أني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات ، سمعته يقول : إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه ، ونَفَّس الله عنه كربته ، قال : فقال عمر : إني لأعلم ما هي ! قال : وما هي؟ قال : تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت : لا إله الله ؟ قال طلحة : صدقت ، هي والله هي " . أخرجه الإمام أحمد (رقم ١٣٨٤) وإسناده صحيح ، وابن حبان بنحوه ، والحاكم (١ / ٣٥٠ ،

٣٥١) والزيادة له ، وقال " صحيح على شرطهما " ووافقه الذهبي .

الثانية : الموت برشح الجبين،لحديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه : " أنه كان بخراسان ، فعاد أخًا له وهو مريض ، فوجده بالموت ، وإذا هو بعرق جبينه، فقال :الله أكبر ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : موت المؤمن بعرق الجبين " .

أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٧،٣٦٠) والسياق له ، والنسائي (١/ ٢٥٩) والترمذي (٢/ ١٢٨) وحسنه ، وابن ماجه (١/ ٤٤٣-٤٤٤) وابن حبان(٧٣٠) والحاكم(١/ ٧٦١) والطيالسي (٨٠٨) وقال الحاكم : " صحيح عل شرط مسلم " ووافقه الذهبي ! وفيه نظر لا مجال لذكره هنا ، لا سيما وأن أحد إسنادي النسائي صحيح على شرط البخاري .

وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه . رواه الطبراني في " الاوسط " و " الكبير " ورجاله ثقات رجال الصحيح ، كما في " المجمع " (٢/ ٣٢٥) .

الثالثة : الموت ليلة الجمعة أو نهارها ، لقوله صلى الله عليه وسلم:" ما من مسلم يموت يوم الجمعة ،أي ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر ".

أخرجه أحمد (٦٥٨٢-٦٦٤٦)من طريقين عن عبد الله بن عمرو ، والترمذي من أحد الوجهين ، وله شواهد عن أنس وجابر بن عبد الله ، وغيرهما ، فالحديث بمجموع طرقه حسن أو صحيح.

الرابعة : الاستشهاد في ساحة القتال ، قال الله تعالى :[ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله ،

ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله وفضل ، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين}](آل عمران : ١٦٩) .

وفي ذلك أحاديث :

١ - " للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر،ويحلى حلية الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه ".

أخرجه الترمذي (٣/ ١٧) وصححه ،وابن ماجه (٢/ ١٨٤) وأحمد (١٣١) وإسناده صحيح، ثم أخرجه (٤/ ٢٠٠) من حديث عبادة بن الصامت ومن حديث قيس الجذامي (٤/ ٢٠٠) وإسنادهما صحيح أيضا .

٢- عن رجل من أصحاب النبي ﷺ : " أن رجلا قال : يا رسول الله ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة" .

رواه النسائي (١/ ٢٨٩) وعنه القاسم السرقسطي في " الحديث " (٢/ ١٦٥/ ١) وسنده صحيح .

(**تنبيه**): ترجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصا من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم : " من سأل الله الشهادة بصدق ، بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه ".

أخرجه مسلم (٢/ ٤٩) والبيهقي (٩/ ١٦٩) عن أبي هريرة .وله في "المستدرك " (٢/ ٧٧) شواهد .

الخامسة : الموت غازيًا في سبيل الله ، وفيه حديثان :

١ - " ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا : يارسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، قال : إن شهداء أمتي إذًا لقليل ، قالوا : فمن هم يارسول الله ؟ قال : من قتل في سبيل الله فهو شهيد ، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ، ومن مات في البطن(١) فهو شهيد ، والغريق شهيد " .

أخرجه مسلم (٦/ ٥١) وأحمد (٢/ ٥٢٢) عن أبي هريرة . وفي الباب عن عمر عند الحاكم (٢/ ١٠٩) والبيهقي .

٢- " من فصل (أي خرج) في سبيل الله فمات أو قتل فهو شهيد ، أو وَقَصَه فرسه أو بعيره ، أو لدغته هامة ، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة " .

أخرجه أبو داود (١/ ٣٩١) والحاكم (٢/ ٧٨) والبيهقي (٩/ ١٦٦) من حديث أبي مالك الاشعري ، وصححه الحاكم ، وإنما هو حسن فقط .

السادسة : الموت بالطاعون ، وفيه أحاديث :

١-عن حفصة بنت سيرين : قال لي أنس بن مالك : بم مات يحيى بن أبي عمرة ؟ قلت : بالطاعون، فقال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الطاعون شهادة لكل مسلم " . أخرجه البخاري (١٠ / ١٥٦ - ١٥٧) والطيالسي (٢١١٣) وأحمد (٣/ ١٥٠، ٢٠٢ ، ٢٢٣ ، ٢٥٨ - ٢٦٥) .

---

(١) أي بداء البطن وهو الاستسقاء وانتفاخ البطن . وقيل : هو الإسهال ، وقيل : الذي يشتكي بطنه.[منه].

٢- عن عائشة أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون ؟ فأخبرها نبي الله صلى الله عليه وسلم: "أنه كان عذابًا يبعثه الله على من يشاء ، فجعله الله رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون ، فيمكث في بلده صابرًا يعلم أنه لن يصيبه إلا ماكتب الله له، إلا كان له مثل أجر الشهيد .

أخرجه البخاري(١٠/ ١٥٧-١٥٨)والبيهقي (٣/ ٣٧٦) وأحمد (٦/ ٦٤،١٤٥،٢٥٢).

٣- " يأتي الشهداء والمتوفون بالطاعون ، فيقول أصحاب الطاعون : نحن شهداء ، فيقال : انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهداء تسيل دما ريح المسك ، فهم شهداء ، فيجدونهم كذلك " .

أخرجه الامام أحمد (٤ / ١٨٥) والطبراني في " الكبير " (مجموع ٦ / ٥٥ / ٢) بسند حسن كما قال الحافظ (١٠ / ١٥٩) عن عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه .

وله شاهد من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أخرجه النسائي (٢/ ٦٣) وأحمد (٤/ ١٢٨، ١٢٩) والطبراني وحسنه الحافظ أيضا ، وهو حسن في الشواهد .

السابعة : الموت بداء البطن ، وفيه حديثان :

١- "...ومن مات في البطن فهو شهيد ".رواه مسلم وغيره .

٢-عن عبد الله بن يسار قال : " كنت جالسًا وسليمان بن صرد وخالد بن عرفطة ، فذ كروا رجلا توفي،مات ببطنه ، فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته فقال أحمد هما للاخر : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من يقتله بطنه

فلن يعذب في قبره " ؟ فقال الآخر : بلى وفي رواية " صدقت " .

أخرجه النسائي (١ / ٢٨٩) والترمذي (٢ / ١٦٠) وحسنه ، وابن حبان في صحيحه (رقم ٧٢٨ - موارد) والطيالسي (١٢٨٨) وأحمد (٤ / ٢٦٢) وسنده صحيح .

الثامنة والتاسعة : الموت بالغرق والهدم ، لقوله صلى الله عليه وسلم : " الشهداء خمسة : المطعون ، والمبطون ، وصاحب الهدم ، والشهيد في سبيل الله". أخرجه البخاري (٦ / ٣٣ - ٣٤) ومسلم (٦ / ٥١) والترمذي (٢ / ١٥٩) وأحمد (٢ / ٣٢٥ ، ٥٣٣) من حديث أبي هريرة .

العاشرة : موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، لحديث عبادة بن الصامت : " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد عبد الله بن رواحة قال : فما تحوز[1] له عن فراشه ، فقال : أتدري مَن شهداء أمتي؟ قالوا : قتل المسلم شهادة ، قال : إن شهداء أمتي إذًا لقليل ! قتل المسلم شهادة ، والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء[2] شهادة ، (يجرها ولدها بسرره[3] إلى الجنة)" .

أخرجه أحمد (٤ / ٢٠١ - ٥ / ٣٢٣) والدارمي (٢ / ٢٠٨) والطيالسي (٥٨٢) وإسناده صحيح .

وله في " المسند " (٤ / ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٨) طرق أخرى .

وفي الباب عن صفوان بن إمية عند الدارمي والنسائي(١/ ٢٨٩) وأحمد

---

(١) ' بالحاء المهملة والواو المشددة ، أي : تنحى .[منه]

(٢) هي التي تموت ، وفي بطنها ولد . انظر كلام " النهاية " في التعليق الاتي قريبا .[منه]

(٣) السرة ما يبقى بعد القطع مما تقطعه القابلة ، والسرر ما تقطعه ، وهو السر بالضم أيضا .[منه]

(٦/ ٤٦٥)-٤٦٦) .

وعن عقبه بن عامر ، عند النسائي (٢ / ٦٢ - ٦٣) .

وعن راشد بن حبيش عند أحمد (٣ / ٢٨٩) ، ورجاله ثقات ، وقال المنذري في " الترغيب " (٢ / ٢٠١) : " إسناده حسن" وفيه الزيادة وهي في حديث عبادة عند الطيالسي وأحمد .

الحادية عشر ، والثانية عشر:الموت بالحرق، وذات الجنب[١] وفيه أحاديث ، أشهرها عن جابر بن عتيك مرفوعًا : " الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله : المطعون شهيد ، والغرق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، والحرق شهيد ، والذي يموت تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع[٢] شهيدة " .

أخرجه مالك (١/ ٢٣٢-٢٣٣) وأبو داود (٢/ ٢٦) والنسائي (١/ ٢٦١) وابن ماجه (٢/ ١٨٥ - ١٨٦) وابن حبان في صحيحه (١٦١٦- موارد) والحاكم (١/ ٣٥٢) وأحمد (٥/ ٤٤٦) وقال الحاكم : " صحيح الإسناد "! ووافقه الذهبي! ولست أشك في صحة متنه ، لأن له شواهد كثيرة ، تقدم أكثرها وروي الطبراني من حديث ربيع الأنصاري مرفوعا به نحوه دون ذكر الهدم . قال المنذري وتبعه الهيثمي (٥/ ٣٠٠) : " ورواته محتج بهم في الصحيح " .

---

(١) هي ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن للأضلاع .[منه]

(٢) في " النهاية " : " أي تموت وفي بطنها ولد ، وقيل التي تموت بكرًا ، والجمع بالضم بمعنى المجموع ، كذخر بمعنى المذخور ، وكسر الكسائي الجيم ، والمعنى أنها ماتت مع شئ مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة " قلت : والمراد هنا الحمل قطعا بدليل الحديث المتقدم في " العاشرة " بلفظ " يقتلها ولدها جمعاء " .[منه]

وروى أحمد (٤/ ١٥ ٧) من حديث عقبة بن عامر مرفوعا بلفظ : " الميت من ذات الجنب شهيد " .

وسنده حسن في الشواهد ،وقا جاءت هذه الجملد في بعض طرق حديث أبي هريرة المتقدم في " الخامسة " أخرجه أحمد (٢/ ٤٤١- ٤٤٢) وفيه محمد بن اسحاق وهو مدلس وقد عنعنه .

الثالثة عشر :الموت بداء السل لقوله ﷺ: «القتل في سبيل الله شهادة، والنفساء شهادة، والحرق[1] شهادة والغرق شهادة، والسل شهادة، والبطن شهادة». قال في "مجمع الزوائد " (٢/ ٣١٧ -٣٠١) :"رواه الطبراني في الأوسط، وفيه مندل بن علي، وفيه كلام كثير وقد وثق ".فقد زاد فيه أحمد في رواية له: "والسل " .

ورجاله موثقون، وحسنه المنذري كما سبق، وله شاهد آخر في"المجمع".

الرابعة عشر: الموت في سبيل الدفاع عن المال المراد غصبه،وفيه أحاديث:

١ - "من قتل دون ماله ، [وفي رواية : من أريد ماله بغير حق فقاتل ، فقتلٍ] فهو شهيد" . أخرجه البخاري (٥/ ٩٣) ومسلم (١/ ٨٧) وأبو داود (٢/ ٢٨٥) والنسائي (٢/ ١٧٣) والترمذي (٢/ ٣١٥) وصححه وابن ماجه (٢/ ١٢٣) وأحمد (٦٨١٦ ، ٦٨٢٣ ، ٦٨٢٩) كلهم بالرواية الثانية إلا البخاري ومسلم فبالأولى ، وهي رواية للنسائي والترمذي وأحمد (٦٨٢٢) عن عبد الله بن عمرو .

---

(١)بفتحتين ، وكذا (الغرق) ، كما في " حاشية المسند " (ق ٣٠١ / ١) مكتبة شيخ الاسلام في المدينة.

وفي الباب عن سعيد بن زيد ، ويأتي في الخامسة عشرة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قاتله،قال:أرأيت إن قتلني،قال :فأنت شهيد ، قال: أرأيت إن قتلته ؟ قال : هو في النار».

أخرجه مسلم (١/ ٨٧)،وأخرجه النسائي (٢/ ١٧٣)وأحمد (١/ ٣٣٩-٣٦٠)من طريق أخرى عنه.

عن مخارق رضي الله عنه: " جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : «الرجل يأتي فيريد مالي؟ قال : ذكره بالله ،قال فإن لم يذكر؟ قال : فاستعن عليه السلطان، قال: فإن نأى السلطان عني [وعجل علي] ؟ قال : قاتل دون مالك حتى تكون من شهداء الآخرة ، أو تمنع مالك».

أخرجه النسائي وأحمد (٥/ ٢٩٥،٢٩٤،٢٩٤)والزيادة له وسنده صحيح على شرط مسلم .

الخامسة عشر،والسادسة عشر: الموت في سبيل الدفاع عن الدين والنفس، وفيه حديثان :

١- " من قتل دون ماله فهو شهيد ،ومن قتل دون أهله فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد " .

أخرجه أبو داود (٢ / ٢٧٥) والنسائي والترمذي (٢ / ٣١٦) وصححه ، وأحمد (١٦٥٢) ١٦٥٣) عن سعيد بن زيد ، وسنده صحيح .

٢- " من قتل دون مظلمته فهو شهيد "[1].

أخرجه النسائي (٢ / ١٧٣ - ١٧٤) من حديث سويد بن مقرن ، وأحمد (٢٧٨٠) من حديث ابن عباس ، وإسناده صحيح إن سلم من الانقطاع بين سعد بن إبراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف وابن عباس ، لكن أحد الطريقين يقوى الأخرى، وفي الأولى من لم يوثقه غير ابن حبان .

السابعة عشرة : الموت مرابطًا في سبيل الله ، ونذكر فيه حديثين :

"رباط يومٍ وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله ، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان ".

رواه مسلم (٦/ ٥١) والنسائي (٢/ ٦٢) والترمذي (٣/ ١٨) والحاكم (٢/ ٨٠) وأحمد (٥/ ٤٤٠، ٤٤١) من حديث سلمان الفارسي ، ورواه الطبراني وزاد :" وبعث يوم القيامة شهيدا ".لكن في سنده من لم يعرفهم الهيثمي في " مجمعه " (٥/ ٢٩٠)، وسكت عليه المنذري في" ترغيبه " (٢/ ١٥٠) .

" كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله ، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ، ويأمن فتنة القبر " .

أخرجه أبو داود (١/ ٣٩١) والترمذي (٣/) وصححه ، والحاكم (٢/ ١٤٤) وأحمد (٦/ ٢٠) من حديث فضالة بن عبيد ، وقال الحاكم : " صحيح على شرط الشيخين" !

الثامنة عشر: الموت على عملٍ صالحٍ لقوله ﷺ: «من قال : لا إله إلا الله

---

(١) قلت : وهذا بإطلاقه يشمل الانواع الاربعة المذكورة في الحديث الاول وغيرها .[منه]

ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ، ومن صام يوما ابتغاء وجه الله خُتِمَ له بها دخل الجنة ، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله خُتم له بها دخل الجنة».

أخرجه أحمد (٥/ ٣٩١) عن حذيفة قال :" أسندتُ :النبي ﷺ وإلى صدري فقال " فذكره .

وإسناده صحيح ، وقال المنذري (٢/ ٦١)" لا بأس به".

"أحكام الجنائز"(ص٤٨-٥٩) بتصرف.

[١٤٥٨] باب من المبشرات بحسن الخاتمة

[قال رسول الله ﷺ]:

«من ختم له بإطعام مسكين محتسبا على الله عز وجل دخل الجنة، من ختم له بصوم يوم محتسبا على الله عز وجل دخل الجنة، من ختم له بقول لا إله إلا الله محتسبا على الله عز وجل دخل الجنة» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٤/ ٢٠٠).

[١٤٥٩] باب هل بياض جلد الميت
أو ابتسامه أو شم رائحة طيبة منه من علامات حسن الخاتمة؟

مداخلة: هل من علامات حسن الخاتمة رؤية المغسل بياض جلد الميت، أو يرى أنه يبتسم، وكذا بالنسبة لما نسمعه عن المجاهدين في أفغانستان بعد موت أحدهم من شم رائحة المسك؟

الشيخ: أما ما ذكر قبل رائحة المسك فلا يوجد شيء يستلزم أن يكون ذلك من البشائر، أما رائحة المسك فككرامة يمكن أن يكون ذلك، ولكن القضية تحتاج إلى تَرَوِّي وتَبَصُّر في رواية هذه القصص التي تنقل عن بعض المجاهدين من فوحان رائحة المسك بالنسبة لبعضهم فقد تناقضت الأقوال في هذه المسألة فبعضهم أنكرها أشد الإنكار، وبعضهم أقرها مؤكدًا بصحتها، ومنهم الشيخ عبد الله عزام رحمه الله أكد ذلك في غير ما حديث له، بل لعلكم اطلعتم على رسالة له في ذلك، ثم أشيع عنه لما قتل رحمه الله أيضًا أنه شموا منه الرائحة الطيبة، فأنا أقول: هذا ممكن لأن ربنا عز وجل يكرم بعض عباده بما يشاء، أما هل هذا وقع أو لا فأنا لست شاهدًا ولست مصدقًا ولا مكذبًا.

"رحلة النور"(٢٩ب/ ٠٠:٣٨:٣٦)

جماع أبواب

الكلام على انتفاع الميت بعمل غيره من عدمه

[١٤٦٠] باب ما ينتفع به الميت بعد موته

[قال الإمام]:

ينتفع الميت من عمل غيره بأمور:

أولاً: دعاء المسلم له، إذا توفرت فيه شروط القبول، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(سورة الحشر:١٠).

وأما الأحاديث فهي كثيرة جداً ومنها قوله ﷺ: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل» أخرجه مسلم (٨/ ٨٦،٨٧) والسياق له، وأبو داود (١/ ٢٤٠) وأحمد (٦/ ٤٥٢) من حديث أبي الدرداء بل، إن صلاة الجنازة جلها شاهد لذلك، لأن غالبها دعاء للميت واستغفار له ...

ثانياً: قضاء ولي الميت صوم النذر عنه، وفيه أحاديث:

الأول: عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:«من مات وعليه صيام،صام عنه وليه».أخرجه البخاري (٤/ ١٥٦) ومسلم (٣/ ١٥٥) وأبو داود (١/ ٣٧٦)، ومن طريقه البيهقي (٦/ ٢٧٩) والطحاوي في "مشكل الآثار" (٣/ ١٤١،١٤٠) وأحمد (٦/ ٦٩) .

الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنه: " أن امرأة ركبت البحر فنذرت إن الله تبارك وتعالى أنجاها أن تصوم شهرا، فأنجاها الله عز وجل، فلم تصم حتى ماتت، فجاءت قرابة لها [إما أختها أو ابنتها] إلى النبي ﷺ، فذكرت ذلك له،فقال:

[أرأيتك لو كان عليها دين كنت تقضينه؟قالت: نعم . قال:فدين الله أحق أن يقضى]، [فـ] اقض [عن أمك]) . أخرجه أبو داود (٢/ ٨١) والنسائي (٢/ ١٤٣) والطحاوي (٣/ ١٤٠) والبيهقي (٤/ ٢٥٥،٢٥٦،١٠/ ٨٥) والطيالسي (٢٦٣٠) وأحمد (٣٤٢٠،٣٢٢٤،٣١٣٧،١٩٧٠،١٨٦١) والسياق مع الزيادة الثانية له، وإسناده صحيح على شرط الشيخين، والزيادة الأولى لأبي داود والبيهقي .

وأخرجه البخاري (٤/ ١٥٨-١٥٩) ومسلم (٣/ ١٥٦) والترمذي (٢/ ٤٢-٤٣) وصححه،وابن ماجه (١/ ٥٣٥) بنحوه، وفيه عندهم جميعاً الزيادة الثانية، وعند مسلم الأخيرة .

الثالث: عنه أيضا: "أن سعد بن عبادة رضي الله عنه استفتى رسول الله ﷺ فقال:إن أمي ماتت وعليها نذر؟ فقال: اقضه عنها ".أخرجه البخاري (٥/ ٤٠٠، ٤٩٤) ومسلم (٦/ ٧٦) وأبو داود (٢/ ٨١) والنسائي (٢/ ١٤٤،١٣٠) والترمذي (٢/ ٣٧٥) وصححه البيهقي (٤/ ٢٥٦،٦/ ٢٧٨،١٠/ ٨٥) والطيالسي (٢٧١٧) وأحمد (٣٠٤٩،١٨٩٣، ٦/ ٤٧)

ثالثاً:قضاء الدين عنه من أي شخص ولياً كان أو غيره، وفيه أحاديث كثيرة...

رابعاً: ما يفعله الولد الصالح من الأعمال الصالحة، فإن لوالديه مثل أجره، دون أن ينقص من أجره شيء، لأن الولد من سعيهما وكسبهما، والله عز وجل يقول: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾، وقال رسول الله ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه».أخرجه أبو داود (٢/ ١٠٨) والنسائي (٢/ ٢١١) والترمذي (٢/ ٢٨٧) وحسنه، والدارمي(٢/ ٢٤٧) وابن ماجه(٢/ ٢-٤٣٠) والحاكم (٢/ ٤٦) والطيالسي(١٥٨٠)وأحمد (٦/ ٢٠٢،٢٠١،١٩٣،١٧٣،١٦٢،١٢٧،١٢٦،٤١)

وقال الحاكم: " صحيح على شرط الشيخين "، ووافقه الذهبي، وهو خطأ من وجوه لا يتسع المجال لبيانها، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو.

رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد (٢/ ٢١٤،٢٠٤،١٧٩) بسند حسن .

ويؤيد ما دلت عليه الآية والحديث، أحاديث خاصة وردت في انتفاع الوالد بعمل ولده الصالح كالصدقة والصيام والعتق ونحوه، وهي هذه:

الأول: عن عائشة رضي الله عنها:" أن رجلا قال:إن أمي افتلتت(١) نفسها [ولم توص]، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها [ولي أجر]؟ قال: نعم، [فتصدق عنها] " أخرجه البخاري (٣/ ١٩٨،٥/ ٣٩٩-٤٠٠) ومسلم (٣/ ٨١،٥/ ٧٣) ومالك في (الموطأ) (٢/ ٢٢٨) وأبو داود (٢/ ١٥) والنسائي (٢/ ١٢٩) وابن ماجه (٢/ ١٦٠) والبيهقي (٤/ ٦٢،٦/ ٢٧٧-٢٧٨) وأحمد (٦/ ٥١) .

والسياق للبخاري في إحدى روايتيه، والزيادة الأخيرة له في الرواية الأخرى،وابن ماجه، وله الزيادة الثانية،ولمسلم الأولى .

الثاني: عن ابن عباس رضي الله عنه:" أن سعد بن عبادة-أخا بني ساعدة- توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت، وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشيء عنها؟ قال:نعم،قال: فإني أشهدك أن حائط المخراف(٢) صدقة عليها" .أخرجه البخاري (٥/ ٣٠٧،٣٠١،٢٩٧) وأبو داود (٢/ ١٥) والنسائي (٢/ ١٣٠) والترمذي (٢/ ٢٥) والبيهقي (٦/ ٢٧٨) وأحمد

(١) بضم المثناة وكسر اللام، أي سلبت، على ما لم يسم فاعله، أي ماتت فجأة .[منه]
(٢) أي المثمر، سمي بذلك لما يخرف منه أي يجي من الثمرة. [منه]

(٣٠٨٠-٣٥٠٤-٣٥٠٨) والسياق له.

الثالث: عن أبي هريرة رضي الله عنه: " أن رجلا قال للنبي ﷺ: إن أبي مات وترك مالاً ولم يوص فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: نعم " . أخرجه مسلم (٥/ ٧٣) والنسائي (٢/ ١٢٩) وابن ماجه (٢/ ١٦٠) والبيهقي (٦/ ٢٧٨) وأحمد (٢/ ٣٧١) .

الرابع: عن عبد الله بن عمرو: «أن العاص بن وائل السهمي أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة، فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة، وأراد ابنه عمرو أن يعتق عنه الخمسين الباقية، قال: حتى أسأل رسول الله ﷺ ، فأتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أبي أوصى أن يعتق عنه مائة رقبة، وإن هشاماً أعتق عنه خمسين، وبقيت عليه خمسون، أفأعتق عنه؟فقال رسول الله ﷺ:«إنه لو كان مسلما فأعتقتم أو تصدقتم عنه، أو حججتم عنه بلغه ذلك،(وفي رواية): فلو كان أقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك». أخرجه أبو داود في آخر"الوصايا"(٢/ ١٥) والبيهقي (٦/ ٢٧٩) والسياق له، وأحمد(رقم ٦٧٠٤) والرواية الأخرى له، وإسنادهم حسن.

قال الشوكاني في "نيل الأوطار" (٤/ ٧٩): "وأحاديث الباب تدل على أن الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتهما بدون وصية منهما، ويصل إليهما ثوابها، فيخصص بهذه الأحاديث عموم قوله تعالى ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾. ولكن ليس في أحاديث الباب إلا لحوق الصدقة من الولد، وقد ثبت أن ولد الإنسان من سعيه فلا حاجة إلى دعوى التخصيص، وأما من غير الولد فالظاهر من العموميات القرآنية أنه لا يصل ثوابه إلى الميت، فيوقف عليها، حتى يأتي دليل يقتضي تخصيصها".

قلت: وهذا هو الحق الذي تقتضيه القواعد العلمية، أن الآية على عمومها وأن ثواب الصدقة وغيرها يصل من الولد إلى الوالد لأنه من سعيه بخلاف غير الولد، لكن قد نقل النووي وغيره الإجماع على أن الصدقة تقع عن الميت ويصله ثوابها، هكذا قالوا (الميت) فأطلقوه ولم يقيدوه بالوالد، فإن صح هذا الإجماع كان مخصصًا للعمومات التي أشار إليها الشوكاني فيها يتعلق بالصدقة، ويظل ما عداها داخلا في العموم كالصيام وقراءة القرآن ونحوهما من العبادات، ولكنني في شك كبير من صحة الإجماع المذكور، وذلك لأمرين: الأول: أن الإجماع بالمعنى الأصولي لا يمكن تحققه في غير المسائل التي علمت من الدين بالضرورة، كما حقق ذلك العلماء الفحول، كابن حزم في "أصول الأحكام" والشوكاني في "إرشاد الفحول" والأستاذ عبد الوهاب خلاف في كتابه "أصول الفقه" وغيرهم، وقد أشار إلى ذلك الإمام أحمد في كلمته المشهورة في الرد على من ادعى الإجماع - ورواها عنه ابنه عبد الله بن أحمد في "المسائل" .

الثاني: أنني سبرت كثيرا من المسائل التي نقلوا الإجماع فيها، فوجدت الخلاف فيها معروفاً! بل رأيت مذهب الجمهور على خلاف دعوى الإجماع فيها، ولو شئت أن أورد الأمثلة على ذلك لطال الكلام وخرجنا به عما نحن بصدده . فحسبنا الآن أن نذكر بمثال واحد، وهو نقل النووي الإجماع على أن صلاة الجنازة لا تكره في الأوقات المكروهة ! مع أن الخلاف فيها قديم معروف، وأكثر أهل العلم على خلاف الإجماع المزعوم، كما سبق تحقيقه في المسألة (٨٧)، ويأتي لك مثال آخر قريب إن شاء الله تعالى.

وذهب بعضهم إلى قياس غير الوالد على الوالد، وهو قياس باطل من وجوه:

الأول: أنه مخالف العموميات القرآنية كقوله تعالى ﴿ومن تزكى فإنما يتزكي لنفسه﴾ وغيرها من الآيات التي علقت الفلاح ودخول الجنة بالأعمال الصالحة، ولا شك أن الوالد يزكي نفسه بتربيته لولده وقيامه عليه فكان له أجره بخلاف غيره.

الثاني: أنه قياس مع الفارق إذا تذكرت أن الشرع جعل الولد من كسب الوالد كما سبق في حديث عائشة فليس هو كسبا لغيره، والله عز وجل يقول: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ ويقول: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾. وقد قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله عز وحل: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾: " أي كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه . ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته، ولا حثهم عليه، ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء " وقال العز بن عبد السلام في "الفتاوى" (٢٤/ ٢ - عام ١٦٩٢): "ومن فعل طاعة الله تعالى، ثم أهدى ثوابها إلى حي أو ميت، لم ينتقل ثوابها إليه، إذ ﴿ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾، فإن شرع في الطاعة ناوياً أن يقع عن الميت لم يقع عنه، إلا فيما استثناه الشرع كالصدقة والصوم والحج".

وما ذكره ابن كثير عن الشافعي رحمه الله تعالى هو قول أكثر العلماء وجماعة من، الحنفية كما نقله الزبيدي في "شرح الإحياء" (١٠/ ٣٦٩) .

قلت: ومما سبق تعلم بطلان الإجماع الذي ذكره ابن قدامة في "المغني" (٢/ ٥٦٩) على وصول ثواب القراءة إلى الموتى، وكيف لا يكون باطلاً، وفي مقدمة المخالفين الإمام الشافعي رحمه الله تعالى . وهذا مثال آخر من أمثلة ما ادعى فيه الإجماع وهو غير صحيح، وقد سبق التنبيه على هذا قريباً.

الثالث: أن هذا القياس لو كان صحيحاً، لكان من مقتضاه استحباب إهداء الثواب إلى الموتى ولو كان كذلك لفعله السلف، لأنهم أحرص على الثواب منا بلا ريب، ولم يفعلوا ذلك كما سبق في كلام ابن كثير، فدل هذا على أن القياس المذكور غير صحيح، وهو المراد .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في " الاختيارات العلمية " (ص ٥٤): "ولم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعاً أو صاموا تطوعاً أو حجوا تطوعا، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك إلى أموات المسلمين، فلا ينبغي العدول عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل" .

وللشيخ رحمه الله تعالى قول آخر في المسألة، خالف فيه ما ذكره آنفا عن السلف، فذهب إلى أن الميت ينتفع بجميع العبادات من غيره ! . وتبنى هذا القول وانتصر له ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه "الروح" بما لا ينهض من القياس الذي سبق بيان بطلانه قريباً، وذلك على خلاف ما عهدناه منه رحمه الله من ترك التوسع في القياس في الأمور التعبدية المحضة لاسيما ما كان عنه على خلاف ما جرى عليه السلف الصالح رضي الله عنهم وقد أورد خلاصة كلامه العلامة السيد محمد رشيد رضا في "تفسير المنار" (٨/ ٢٥٤ - ٢٧٠) ثم رد عليه ردًّا قويًّا، فليراجعه من شاء أن يتوسع في المسألة ..

وقد استغل هذا القول كثير من المبتدعة، واتخذوه ذريعة في محاربة السنة، واحتجوا بالشيخ وتلميذه على أنصار السنة وأتباعها، وجهل أولئك المبتدعة أو تجاهلوا أن أنصار السنة، لا يقلدون في دين الله تعالى رجلا بعينة كما يفعل أولئك! ولا يؤثرون على الحق الذي تبين لهم قول أحد من العلماء مهما كان اعتقادهم حسناً في علمه وصلاحه، وأنهم إنما ينظرون إلى القول لا إلى القائل، وإلى الدليل، وليس إلى التقليد، جاعلين نصب أعينهم قول إمام دار الهجرة "ما منا من أحد إلا رد ورد عليه إلا صاحب هذا القبر" ! وقال: "كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر".

وإذا كان من المسلَّم به عند أهل العلم أن لكل عقيدة أو رأى يتبناه في هذه الحياة أثرًا في سلوكه إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فإن من المسلَّم به أيضًا، أن الأثر يدل على المؤثر، وأن أحدهما مرتبط بالآخر، خيرًا أو شرًّا كما ذكرنا، وعلى هذا فلسنا نشك أن لهذا القول أثراً سيئاً في من يحمله أو يتبناه، من ذلك مثلاً أن صاحبه يتكل في تحصيل الثواب والدرجات العاليات على غيره، لعلمه أن الناس يهدون الحسنات مئات المرات في اليوم الواحد إلى جميع المسلمين الأحياء منهم والأموات، وهو واحد منهم، فلماذا لا يستغني حينئذ بعمل غيره عن سعيه وكسبه . ! ألست ترى مثلاً أن بعض المشايخ الذين يعيشون على كسب بعض تلامذتهم، لا يسعون بأنفسهم ليحصلوا على قوت يومهم بعرق جبينهم وكد يمينهم ! وما السبب في ذلك إلا أنهم استغنوا عن ذلك بكسب غيرهم ! فاعتمدوا عليه وتركوا العمل، هذا أمر مشاهد في الماديات، معقول في المعنويات كما هو الشأن في هذه المسألة . وليت أن ذلك وقف عندها، ولم يتعدها إلى ما هو أخطر منها، فهناك قول بجواز الحج عن الغير ولو كان غير معذور كأكثر الأغنياء التاركين للواجبات فهذا القول يحملهم على التساهل في الحج والتقاعس عنه، لأنه يتعلل به ويقول في

باطنه: يحجون عني بعد موتي ! بل إن ثمة ما هو أضر من ذلك، وهو القول بوجوب إسقاط الصلاة عن الميت التارك لها ! فإنه من العوامل الكبيرة على ترك بعض المسلمين للصلاة، لأنه يتعلل بأن الناس يسقطونها عنه بعد وفاته ! إلى غير ذلك من الأقوال التي لا يخفى سوء أثرها علي المجتمع، فمن الواجب على العالم الذي يريد الإصلاح أن ينبذ هذه الأقوال لمخالفتها نصوص الشريعة ومقاصدها الحسنة .

وقابل أثر هذه الأقوال بأثر قول الواقفين عند النصوص لا يخرجون عنها بتأويل أو قياس تجد الفرق كالشمس؛ فإن من لم يأخذ بمثل الأقوال المشار إليها لا يعقل أن يتكل على غيره في العمل والثواب، لأنه يرى أنه لا ينجيه إلا عمله، ولا ثواب له إلا ما سعى إليه هو بنفسه، بل المفروض فيه أن يسعى ما أمكنه إلى أن يخلف من بعده أثرًا حسنا يأتيه أجره، وهو وحيد في قبره، بدل تلك الحسنات الموهومة، وهذا من الأسباب الكثيرة في تقدم السلف وتأخرنا، ونصر الله إياهم، وخذلانه إيانا، نسأل الله تعالى أن يهدينا كما هداهم، وينصرنا كما نصرهم .

خامساً: ما خلَّفه من بعده من آثار صالحة وصدقات جارية، لقوله تبارك وتعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، وفيه أحاديث:

الأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله[1] إلا من ثلاثة [أشياء]،إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو

(١) أي فائدة عمله وتجديد ثوابه، قال الخطابى في "المعالم": "فيه دليل على أن الصوم والصلاة وما دخل في معناهما من عمل الأبدان لا تجري فيها النيابة وقد يستدل به من يذهب إلى أن من حج عن ميت فإن الحج في الحقيقة للحاج دون المحجوج عنه، وإنما يلحقه الدعاء، ويكون له الأجر في المال الذي أعطى إن كان حج عنه بمال " .[منه]

ولد صالح[1] يدعو له». أخرجه مسلم (٥/ ٧٣) والسياق له والبخاري في (الأدب المفــرد) (ص ٨) وأبــو داود (٢/ ١٥) والنــسائي (٢/ ١٢٩) والطحــاوي في (المشكل) (١/ ٨٥) والبيهقي(٦/ ٢٧٨) وأحمد (٢/ ٣٧٢)، والزيادة لأبي داود والبيهقي .

الثاني: عن أبي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «خير ما يخلف الرجل من بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده» أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٦) وابن حبان في "صحيحة " (رقم ٨٤،٨٥) والطبراني في "المعجم الصغير" (ص٧٩) وابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١/ ١٥) وإسناده صحيح كما قال المنذري في "الترغيب" (١/ ٥٨)

الثالث: عن أبي هريرة أيضا قال: قال رسول الله ﷺ: «إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علماً علمه ونشره، وولداً صالحاً تركه، ومصحفاً ورثه، أو مسجداً بناه،أو بيتاً لابن السبيل بناه، أو نهراً أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته» أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٦) بإسناد حسن، ورواه ابن خزيمة في "صحيحة" أيضا والبيهقي كما قال المنذري .

الرابع: عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا عند رسول الله ﷺ في صــدر النهــار، فجــاءه أقــوام حفــاة عــراة مجتــابي الــنمار أو العبــاء، متقلــدي

---

(١) قيد بالصالح لأن الأجر لا يحصل من غيره، وأما الوزر فلا يلحق بالوالد من سيئة ولده إذا كان نيته في تحصيل الخير، وإنما ذكر الدعاء له تحريضاً على الدعاء لأبيه، لا لأنه قيد، لأن الاجر يحصل للوالد من ولده الصالح، كلما عمل عملاً صالحاً، سواء أدعا لأبيه أم لا، كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثواب سواء أدعا له من أكلَها أم لم يدع، وكذلك الأم . كذا في " مبارق الأزهار في شرح مشارق الأنوار " لا بن الملك.[منه]

السيوف،[وليس عليهم أزر ولا شئ غيرها] عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر، فتمعر (وفي رواية: فتغير – ومعناهما واحد) وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل،ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وصلى [الظهر، ثم صعد منبراً صغيراً]، ثم خطب [فحمد الله وأثنى عليه] فقال: [أما بعد فإن الله أنزل في كتابه]: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة،وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾، والآية التي في (الحشر): ﴿ويا أيها الذين آمنوا]اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله، إن الله خبير بما تعملون . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون . لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة،أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ تصدقوا قبل أن يحال بينكم وبين الصدقة]، تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، [من شعيره]، من صاع تمره، حتى قال: [ولا يحقرن أحدكم شيئا من الصدقة]،ولو بشق تمرة،[فأبطؤوا حتى بان في وجهه الغضب]،قال:فجاء رجل من الأنصار بصرة [من ورق (وفي رواية: من ذهب)] كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت [فناولها رسول الله ﷺ وهو على منبره] [فقال: يا رسول الله هذه في سبيل الله]،[فقبضها رسول الله ﷺ]، [قام أبو بكر فأعطى،ثم قام عمر فأعطى،ثم قام المهاجرون والأنصار فأعطوا]، ثم تتابع الناس [في الصدقات]، [فمن ذي دينار، ومن ذي درهم، ومن ذي، ومن ذي] حتى رأيت كومين من طعام وثياب،حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ص: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، و[مثل] أجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ، ومن سن سنة في الاسلام سيئة كان عليه وزرها و[مثل] وزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص

من أوزارهم شئ، [ثم تلى هذه الآية: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾، [قال: فقسمه بينهم]» .أخرجه مسلم (٣/ ٨٨، ٨٩ / ٦١، ٦٢) والنسائي (١/ ٣٥٥، ٣٥٦) والدارمي (١/ ١٢٦، ١٢٧) والطحاوي في "المشكل" (١/ ٩٣، ٩٧) والبيهقي (٤/ ١٧٥، ١٧٦) والطيالسي (٦٧٠) وأحمد (٤/ ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢) وابن أبي حاتم أيضا في " تفسيره "، كما في ابن كثير (٣/ ٥٦٥) والزيادة التي قبل الأخيرة له، وإسنادها صحيح، وللترمذي (٣/ ٣٧٧) وصححه وابن ماجه (١/ ٩٠) الجملتان اللتان قبل الزيادة المشار إليها مع الزيادتين فيهما .

وأما الزيادة الأولى فهي للبيهقي،وما بعدها إلى الرابعة له ولمسلم، والخامسة حتى الثامنة للبيهقي، وعند الطيالسي الخامسة، والتاسعة للدارمي وأحمد، ولمسلم نحوها وكذا الطيالسي وأحمد أيضاً، والعاشرة والثانية عشر والخامسة عشر والتاسعة عشر للبيهقي، والحادية عشر والسابعة عشر للطحاوي وأحمد، والرابعة عشر للطيالسي، والسادسة عشر والسابعة عشر لمسلم والترمذي وأحمد وغيرهم . والرواية الثانية للنسائي والبيهقي: والثالثة للطحاوي وأحمد.

"أحكام الجنائز"(ص٢١٣-٢٢٦).

[١٤٦١] باب هل ينتفع الميت بعمل غيره؟

[قال رسول الله ﷺ]:

- «أما أبوك فلو كان أقر بالتوحيد، فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك» .

[قال الإمام]:

أخرجه الإمام أحمد (٢/ ١٨٢) حدثنا هشيم أخبرنا حجاج حدثنا عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

" أن العاص بن وائل نذر في الجاهلية أن ينحر مائة بدنة، وأن هشام ابن العاص نحر حصته خمسين بدنة، وأن عمراً سأل النبي ﷺ عن ذلك؟ فقال " فذكره .

والحديث دليل واضح على أن الصدقة والصوم تلحق الوالد ومثله الوالدة بعد موتهما إذا كانا مسلمين ويصل إليهما ثوابها، بدون وصية منهما . ولما كان الولد من سعي الوالدين، فهو داخل في عموم قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ فلا داعي إلى تخصيص هذا العموم بالحديث وما ورد في معناه في الباب، مما أورده المجد ابن تيمية في " المنتقى " كما فعل البعض .

واعلم أن كل الأحاديث التي ساقها في الباب هي خاصة بالأب أو الأم من الولد، فالاستدلال بها على وصول ثواب القرب إلى جميع الموتى كما ترجم لها المجد ابن تيمية بقوله " باب وصول ثواب القرب المهداة إلى الموتى " غير صحيح لأن الدعوى أعم من الدليل، ولم يأت دليل يدل دلالة عامة على انتفاع عموم الموتى من عموم أعمال الخير التي تهدى إليهم من الأحياء، اللهم إلا في أمور خاصة ذكرها الشوكاني في " نيل الأوطار " (٤/ ٧٨ - ٨٠)، ثم الكاتب في كتابه " أحكام الجنائز وبدعها " ..، من ذلك الدعاء للموتى فإنه ينفعهم إذا استجابه الله تبارك وتعالى . فاحفظ هذا تنج من الإفراط والتفريط في هذه المسألة، **وخلاصة ذلك أن للولد أن يتصدق ويصوم ويحج ويعتمر ويقرأ القرآن عن والديه لأنه من سعيهما، وليس له ذلك عن غيرهما إلا ما خصه الدليل مما سبقت الإشارة إليه** . والله أعلم.

"الصحيحة"(١/ ٢/ ٨٧٣-٨٧٤).

[١٤٦٢] باب منه

[روي عن النبي ﷺ أنه قال[:

«أعتقوا عنه، يعتق الله بكل عضومنه، عضوا منه من النار» .

(ضعيف).

[قال الإمام]:

هذا وقد يستدل بالحديث من يقول بوصول ثواب العمل إلى غير عامله إذا وهبه له، وهو خلاف قوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ وما في معناه من الأحاديث ولو صح هذا الحديث لكان من جملة المخصصات للآية، وقد حقق الإمام الشوكاني القول في هذا الموضوع وذكر ما وقف عليه من المخصصات المشار إليها، فراجعه في " نيل الأوطار " (٣/ ٣٣٣ - ٣٣٦)، مع فصل " ما ينتفع به الميت " من كتابي " أحكام الجنائز " (ص ١٦٨ - ١٧٨) .

"الضعيفة"(٢/ ٣٠٧، ٣٠٩).

[١٤٦٣] باب منه

[سئل الشيخ عن مسألة انتفاع الميت بعمل غيره، فأجاب]:

-أنا تعرضت لهذه المسألة في أحكام الجنائز بشيء من التفصيل تعرفه، ثم لخصته في جزء نحو ربع من الأصل، بالنسبة للوالدين فكل ما يفعله الولد يستفيد منه الوالدان على اعتبار أنهما السبب في هذا الخير كما قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى، أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى ﴾ وقد جاء في الحديث الصحيح: «أطيب الكسب كسب الرجل من عمل يده، وإن أولادكم من كسبكم»

[من خلال] الوصف النبوي نخرج بالنتيجة السابقة الذكر وهي: أن كل الأعمال الصالحة التي تصدر من الولد فهي تصل إلى الوالد أما سائر الناس فلا ...، الأعمال الصالحة (ليس) ينتفع بها إلا صاحبها مع شرط القبول، وإلا من كان سبباً لهذا العمل الصالح بمعنى ما ذكره الرسول عليه السلام في الحديث الصحيح: «إذا مات الإنسان» وفي روايات أخرى: «ابن آدم، انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية،أو علم ينتفع به،أو ولد صالح يدعوا له» الشاهد من الحديث هي الفقرة الوسطى: «أو علم ينتفع به» فرجل مثلاً توفي وخلف من بعده تلامذة ينشرون العلم فما دام هؤلاء التلامذة ينشرون هذا العلم فأجر هذا النشر يصل إلى هذا العالم المتوفى في قبره لأنه كان سبب لهذا العلم، أو مثلاً ألف كتاباً والناس ينتفعون منه بعد وفاته لأن هذا من آثاره، وقد قال تعالى: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ فهذه هي القاعدة: الأبوان يصل إليهما أجر عمل الولد

مداخلة: هل يشترط في هذا القصد؟

الشيخ: لا يشترط،ولكن هنا شيء من التفصيل؛ في شيء يصل كما يقال اليوم أوتوماتيكياً لكن الأفضل إذا أراد الولد أن ينفع والده أو والديه وهما في قبريهما أن يخصهما بالنية؛ أن يقول مثلاً: هذه الصدقة عن أبي، هذه الحجة، هذه العمرة عن والدي أو والدتي، لكن لو لم يفعل ذلك وصلهما ...

" الهدى والنور" (٨٣ / ١٩: ٤٤: ٠٠)

[١٤٦٤] باب هل ينفع الميت صيام غيره عنه مطلقاً؟

[قال الإمام]:

قوله [أي: صاحب فقه السنة] في مذهب الشافعية المختار: أنه يستحب لولي

الميت أن يصوم عنه: " واستدلوا بما رواه أحمد والشيخان عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» زاد البزار لفظ: «إن شاء» وقال في التعليق:" سندها حسن "

قلت: كلا بل هذه الزيادة ضعيفة منكرة فإن مدارها على ابن لهيعة وهو ضعيف وقد تفرد بها كما قال الحافظ في " الفتح " وقال في " التلخيص ": " وهي ضعيفة لأنها من طريق ابن لهيعة "

والمؤلف كأنه تبع في تحسينها صديق خان في " الروضة " وهو تبع الهيثمي في " المجمع " وهو خطأ أو تساهل منهم جميعاً.

ثم إن هذا الحديث حمله الحنابلة على صوم النذر فهو الذي يصومه الولي عنه، وأما صوم الفرض فلا يصومه أحد عن أحد وهو مذهب راوية الحديث عائشة، وكذا ابن عباس راوي الحديث الآتي بعده، وقد ذكرت أقوالهما في ذلك في " أحكام الجنائز " في المبحث (١٠٦)، وهو الذي تقتضيه أصول الشريعة وحكمتها، وقد انتصر لهذا ابن القيم في " تهذيب السنن " وكذا في " إعلام الموقعين " ونقلت كلامه منه في الكتاب المشار إليه وهو نفيس فليراجع.

[ثم قال الإمام]:

قوله [**أي صاحب " فقه السنة"**]: " وروى أحمد وأصحاب السنن عن ابن عباس: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن أمي ماتت وعليها صيام شهر أفأقضيه عنها؟ . . قال: نعم . . "

قلت: هذا يوهم أنه لم يخرجه من هو أرقي في الصحة من المذكورين وليس كذلك فقد أخرجه الشيخان في " الصوم " عن ابن عباس وفي رواية لهما: " ماتت

وعليها صوم نذر ".

فهذا الحديث إذن وارد في صوم النذر فلا يجوز الاستدلال به على صوم الفرض كما فعل المؤلف وبعبارة أخرى الحديث دليل للحنابلة لا للشافعية فتنبه.

"تمام المنة"(ص٤٢٥-٤٢٦).

[١٤٦٥] باب هل ينتفع الأموات بدعوة الأحياء وصدقاتهم؟

-[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية:"وفي دعاء الأحياء وصدقاتهم منفعة للأموات"]:

نقل الشارح [أي: أبن أبي العز]رحمه الله تعالى اتفاق أهل السنة على ذلك، ثم ساق الأدلة من الكتاب والسنة عليه، ولكنه فيما يتعلق بالصدقة لم يذكر إلا ما يدل على انتفاع الوالد بصدقة ولده، وهذا أخص من الدعوى كما لا يخفى. وقد شرحت هذا ونظرت في الاتفاق المذكور في أحكام الجنائز " (ص ١٧٣) فراجعه.

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٩٩-١٠٠).

[١٤٦٦] باب هل ينتفع الميت بصدقة الحي؟

[قال الإمام:]

ليس في السنة – فضلاً عن القرآن – دليل يدل على انتفاع كل ميت بصدقة الحي، وإنما فيها انتفاع الوالد بصدقة الولد، وذلك لأنه من سعى الوالد، ولا يصح إلحاق غيره به كما حققته في " أحكام الجنائز" (ص١٧٣ – ١٧٨).

"التعليق على إصلاح المساجد"(ص ٢١٨).

[١٤٦٧] باب الميت ينتفع بقضاء الدين عنه ولو من غير ولده، بخلاف التصدق عنه

[ذكر الإمام بعض ما يجب على الحاضرين فعله بعد موت الميت فأورد أمورًا ثم قال]:

أن يبادر بعضهم لقضاء دينه من ماله، ولو أتى عليه كله، فإن لم يكن له مال فعلى الدولة أن تؤدي عنه إن كان جهد في قضائه، فإن لم تفعل، وتطوع بذلك بعضهم جاز، وفي ذلك أحاديث:

الأول: عن سعد بن الأطول رضي الله عنه:" أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لي النبي ﷺ: «إن أخاك محبوس بدينه (فاذهب) فاقض عنه (فذهبت فقضيت عنه،ثم جئت) قلت:يا رسول الله، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بينة، قال: «أعطها فإنها محقة، (وفي رواية:صادقة)». أخرجه ابن ماجه (٢/ ٨٢) وأحمد (٤/ ١٣٦، ٥/ ٧) والبيهقي (١٠/ ١٤٢) وأحد إسناديه صحيح، والآخر مثل إسناد ابن ماجه، وصححه البوصيري في " الزوائد " ! وسياق الحديث والرواية الثانية للبيهقي وهي والزيادات لأحمد في رواية .

الثاني: عن سمرة بن جندب . " أن النبي ﷺ صلى على جنازة (وفي رواية: صلى الصبح) فلما انصرف قال: «أههنا من آل فلان أحد»؟ (فقال رجل: هو ذا)، قال: فقام رجل يجر إزاره من مؤخر الناس (ثلاثا لا يجيبه أحد)، (فقال له النبي ﷺ: ما منعك في المرتين الأولين أن تكون أجبتني؟) أما إني لم أفوه باسمك إلا لخير، إن فلاناً - لرجل منهم - مأسور بدينه (عن الجنة، فإن شئتم فافدوه، وإن

شئتم فأسلموه إلى عذاب الله)، فلو رأيت أهله ومن يتحرون أمره قاموا فقضوا عنه، (حتى ما أحد يطلبه بشيء) "[1] أخرجه أبو داود (٢/ ٨٤) والنسائي (٢/ ٢٣٣) والحاكم (٢/ ٢٥،٢٦) والبيهقي (٦/ ٤/ ٧٦) والطيالسي في مسنده (رقم ٨٩١،٨٩٢) وكذا أحمد (٥/ ١١، ٢٠،١٣) بعضهم عن الشعبي عن سمرة، وبعضهم أدخل بينهما سمعان بن مشنج، وعلى الوجه الثاني صحيح فقط.

والرواية الأخرى للمسندين، والزيادة الأولى والثانية للحاكم، وكذا الثالثة والخامسة، وللبيهقي الثانية، ولأحمد الثالثة والرابعة، وللطيالسي الخامسة، وله ولأحمد وأبي داود السادسة .

الثالث: عن جابر بن عبد الله قال:

"مات رجل، فغسلناه وكفناه وحنطناه، ووضعناه لرسول الله ﷺ حيث توضع الجنائز، عند مقام جبريل، ثم آذنا رسول الله ﷺ بالصلاة عليه، فجاء معنا،(فتخطى) خطى، ثم قال: لعل على صاحبكم ديناً؟» قالوا: نعم ديناران، فتخلف، (قال: صلوا على صاحبكم)، فقال له رجل منا يقال له أبو قتادة:يا رسول الله هما علي، فجعل رسول الله ﷺ يقول: «هما عليك وفي مالك، والميت منهما بريء»؟ فقال: نعم، فصلى عليه، فجعل رسول الله ﷺ إذا لقي أبا قتادة يقول: (وفي رواية ثم لقيه من الغد فقال:) ما صنعت الديناران؟ (قال: يا رسول الله إنما مات أمس) حتى كان آخر ذلك (وفي الرواية الأخرى: ثم لقيه من الغد فقال: ما

(١) وله شاهد من حديث ابن عباس، رواه الطبراني في "المعجم الكبير" (ق ١٥٦/ ٥) بسند ضعيف.[منه]

فعل الديناران؟) قال: قد قضيتهما يا رسول الله، قال: «الآن حين بردت عليه جلده"[1].أخرجه الحاكم(٢/ ٥٨) والسياق له والبيهقي(٦/ ٧٤-٧٥) والطيالسي (١٦٧٣) وأحمد (٣/ ٣٣٠) بإسناد حسن كما قال الهيثمي (٣/ ٣٩) وأما الحاكم فقال: " صحيح الإسناد " ! ووافقه الذهبي !

والرواية الأخرى مع الزيادات عندهم جميعا إلا الحاكم، إلا الزيادة الثانية فهي للطيالسي وحده...

[تنبيه]:

[١]- **أفادت هذه الأحاديث أن الميت ينتفع بقضاء الدين عنه، ولو كان من غير ولده، وأن القضاء يرفع العذاب عنه، فهي من جملة المخصصات لعموم قوله تبارك وتعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾** ولقوله ﷺ: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ...»الحديث رواه مسلم والبخاري في الأدب المفرد وأحمد، **ولكن القضاء عنه شيء والتصدق عنه شيء آخر**؛ فإنه أخص من التصدق، وإلا فالأحاديث التي وردت في التصدق عنه، إنما موردها في صدقة الولد عن الوالدين، وهو من كسبهما بنص الحديث، فلا يحوز قياس الغريب عليهما؛ لأنه قياس مع الفارق كما هو ظاهر، ولا قياس الصدقة على القضاء؛ لأنها أعم منه كما ذكرنا.

"**أحكام الجنائز**"(ص٢٥-٢٨).

(١) أي بسبب رفع العذاب عنه بعد وفاء دينه .[منه].

[١٤٦٨] باب هل تصل صدقة الفاسق لأبيه المتوفي؟

سؤال: دعاء الولد الغير صالح ونفقته عن أبيه المتوفى؟

الشيخ: غير صالح.

مداخلة: وتصدقه عن أبيه المتوفى، هل يصل لوالده؟

الشيخ: إذا كانت الصدقة لوجه الله عز وجل فالله يقول: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾(الزلزلة:٧، ٨).

وقولك: أن الولد غير صالح، فهل كونه غير صالح ثم يريد أن يتصدق، فالصدقة أمر صالح أو ليس بصالح؟

مداخلة: صالح.

الشيخ: صالح، فقولك: أنه غير صالح، يعني ماذا تعني؟

مداخلة: يعني: ما يصلي.

الشيخ: ما يصلي، طيب، فاسق مش كافر يعني؟

مداخلة: لا مش كافر.

الشيخ: الحمد لله،الجواب سبق في الآية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه﴾(الزلزلة:٧)، ومن تصدق عن أبيه ويبتغي من وراء ذلك مرضات ربه وصلة أبيه ولو بعد وفاته، هذا بلا شك يصدق عليه قوله عليه السلام: «أطيب الكسب كسب الرجل من عمل يده، وإن أولادكم من كسبكم»، كما لو فعل الرجل نفسه هذا الرجل الصالح لو تصدق على مسكين ماذا نقول؟ هل تقبل صدقته؟ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه﴾(الزلزلة:٧)..، هذه الصورة العادية، يعني في ناس نعرفهم لا يصلون فعلاً لكنهم يتصدقون، هاه، هذا يتصدق للفقراء والمساكين لكنه لا يصلي مثلاً ولا يحج، فنحن ما نقول: إن صدقته مقبولة مطلقاً أو مردودة مطلقاً، وإنما نقول: ماذا قصد بالصدقة؟ فإن كان قصد بها وجه الله عز وجل فهي بلا شك حسنة، والله عز وجل يقبل الحسنات، أما إن قصد بذلك غير وجه الله عز وجل، حتى من الصالح، لا تقبل منه، وهذه حقائق معروفة شرعاً، نعم. تفضل.

"الهدى والنور" (٧٢٩/ ٤٧: ٣٥: ٠٠)

[١٤٦٩] باب هل ينتفع الميت بثواب الصدقة أو قراءة القرآن عنه؟

سؤال: «..إذا تُصُدِّق عن الميت على من يقرأ القرآن أو غيرهم؛ينفعه ذلك باتفاق المسلمين، وكذلك من قرأ القرآن محتسباً وأهداه إلى الميت نفعه ذلك، والله أعلم» ما رأيك يا شيخنا في هذه العبارة؟

الشيخ: من قال هيك؟

مداخلة: هذه في الفتاوى الجزء الأربع والعشرين[1].

الشيخ: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية؟

مداخلة: أي نعم فتاوى ابن تيمية.

الشيخ: ابن تيمية له فتويان.

مداخلة: نعم.

---

(١) "مجموع فتاوى ابن تيمية" (٢٤/ ص ٣٠٠).

الشيخ: واحد يقول فيها وهو الصواب: إنه هذا لم يكن من عمل السلف.

مداخلة: نعم.

الشيخ: والأخرى: كما قرأت،..وهذا المقروء غير سليم ولا صحيح، لأن الله يقول: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾(النجم:٣٩)، وهذا نص قرآني معصوم،وعام شامل، فلا يخرج منه إلا ما جاء الدليل القاطع باستثنائه منه،ولم يأت الدليل إلا في مواطن معدودة ومحصورة، وأنا كنت تعرضت لهذه المسألة بشيء من التفصيل، والبيان في كتابي أحكام الجنائز وبدعها، فإذا ما كنت رجعت إليه فارجع إليه ليتبين لك إن شاء الله الأمر.

مداخلة: إن شاء الله. يا شيخنا؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: الموضع الثاني،هو في الفتاوى لابن تيمية كذلك؟

الشيخ: الموضع الثاني وهو؟

مداخلة: الذي ذكرته أنت يا شيخنا الآخر.

الشيخ: لا ما أذكر إن كان في نفس هذه الفتاوى أو في كتبه الأخرى.

مداخلة: نعم.

الشيخ: ولعل المرجع تبعي الذي دللتك عليه يعينك على هذا.

مداخلة: إن شاء الله تعالى يا شيخنا.

الشيخ: إن شاء الله.

" الهدى والنور"(/ ٢٠٢/ ٤٠: ٥٤: ٠٠).

[١٤٧٠] باب هل يصل ثواب قراءة القرآن للميت؟

سؤال: يا شيخ هل يجوز إيصال الثواب بقراءة القرآن؟ ..، لقد استدل البعض بتعليقكم على شرح العقيدة الطحاوية في هذا الموضوع؛ بأنكم ترون جوازه...

الشيخ: .. أنا ما أقول يا أخي بالجواز مطلقاً، أنا أقول: بأن كسب الولد.. كما قال عليه السلام: «أطيب الكسب كسب الرجل من عمل يده، وإن أولادكم من كسبكم» وقال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(يس:١٢).

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «إذا مات الإنسان» وفي رواية: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» فهذا الولد الصالح فعله الصالح ينفع والديه؛ لأنه أثر من آثار الوالدين، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(يس:١٢)، ولا أقول بأن القراءة هذه تفيد غير الوالدين أو أي يعني: فعل صالح يفيد غير الوالدين، ولعلكم تذكرون أن بعض العلماء المتقدمين يقولون: بأن صدقة المتصدق عن بعض المسلمين تصلهم هذه الصدقة ولو كانوا غير الوالدين، نحن في هذا الموقف نحدد الوصول للوالدين، فصدقة الولد تصل إلى الوالدين، وكل عمل صالح كعتق الرقاب والعبادات بصورة عامة تصل إلى الوالدين لما ذكرنا آنفاً من عموم الأدلة.

أما أن ينتفع من هذه المبرات أو هذه العبادات غير الوالدين ومنها تلاوة قرآن نحن ما نقول بهذا العموم؛ ولذلك فينبغي إعادة النظر في ذالك الكلام حتى لا ينسب إلينا ما لا نقول به، نحن نقول فقط بهذا التحديد الضيق.

"الهدى والنور"(٣٦٦/ ٠٠:٠٤:٥٦ طريق الإسلام)

[١٤٧١] باب هل يصل ثواب قراءة القرآن إلى الميت

سؤال: قراءة القرآن تصل إلى الميت؟

الشيخ:إذا كان الذي يقرأ القرآن هو ولد للمتوفى سواء كان أباً أو أماً فهذه القراءة تنفع، أما من سوى الأولاد فلا تنفع قراءتهم غير الأبوين كما ذكرت آنفاً، فالزوجة إذاً طلعت خارج، لكن بلا شك أنتِ كزوجة مصابة بوفاة زوجك فباستطاعك أنك تدعي له أنه إن كان محسناً فربنا عز وجل يزيد في حسناته، وإن كان مسيئاً فربنا يتجاوز عن سيئاته، دائماً تذكريه بالخير وتدعي له بالخير، أما أنك تقرأي وتهدي ثواب القراءة للزوج خلاص انقطع عمله كما ذكرت في الحديث السابق وتمام هذا الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: «إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

" الهدى والنور" (/ ٢٩٠/ ١٠: ٥٣: ٠٠).

[١٤٧٢] باب هل يجزى حج الأولاد أو الورثة عن أبيهم المتوفي؟

سؤال: رجل كان مستطيعاً الحج ولم يحج ومات، أيحج عنه الورثة أو أبناؤه مثلاً؟

الشيخ: إذا كان وجب عليه الحج فإن استطاع الحج ولم يفعل فلا يستطيع أحد أن يحج عنه، وهذا فيه أثر صحيح عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: «لا يحج أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد» رواه الإمام مالك في الموطأ بالسند الصحيح.

بدأت بهذا الأثر الصحيح لصراحته في الموضوع وهو مأخوذ من نصوص من الكتاب والسنة، من ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا

سَعَى﴾(النجم:٣٩) فإنسان أمر بأداء فريضة ما.. فريضة الحج أو الصيام أو الصلاة أو ما شابه ذلك، وكان مستطيعاً لكل ذلك ثم لم يفعل فمعنى ذلك أنه لم يتزك بالقيام بهذه الفرائض، والله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾(فاطر:١٨) فحينئذٍ من يزكيه بعد أن جاءه اليقين؟! وانتقل إلى رحمة رب العالمين أو إلى عذابه الأليم حسب ما يشاء الله عز وجل أن يعامله به.

من الذي يزكيه؟ ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾(النجم:٣٩) ولذلك قال ذلك الصحابي الجليل: "لا يحج أحد عن أحد، ولا يصوم أحد عن أحد" أي: هذا في الفرائض؛ ولذلك فرجل مات ولم يؤد فريضة الحج التي كانت فرضت عليه فلا يستطيع أحد أولاده أن يحج بدلاً عنه فضلاً عما جاء في السؤال مما هو أعم مما قلت، أي: لا يستطيع أن يحج أحد من أفراد ذريته، فهذا قد يكون في الذرية أخ، وقد يكون في الذرية زوجة وإلى آخره، فإذا كان الولد لا يستطيع أن يحج عن أبيه فمن باب أولى أن لا يستطيع من هو أبعد عن هذا الأب من ابنه.

وهنا قد يرد في البال كيف يقال: «لا يصوم أحد عن أحد» ورسول الله ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه»؟ إذاً: هذا كأنه يعارض ذاك الذي قلته آنفاً.

الجواب: الحديث إنما يراد به من مات وعليه صيام نذر وليس صيام فريضة، أي: هو نذر على نفسه نذراً ما كان الله عز وجل فرضه عليه إلا بفرضه هو بهذا الصيام على نفسه.. هذا الذي لولي الميت أن يصوم عنه؟ من أين أخذنا هذا القيد؟ هنا مسألة تتعلق بقاعدة فقهية أصولية وهي: الراوي أدرى بمرويه من غيره، الراوي – أي: في الحديث – أدرى بمرويه من غيره.. هذه القاعدة معشر طلاب العلم! إذا فهمتموها ورسخت في أذهانكم ساعدتكم على فهم بعض المسائل الخلافية بين العلماء فهماً صحيحاً.

الراوي للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل والراوي عن صحابي رسول الله ﷺ وهكذا وأنت نازل إلى إن يصنف هذا الحديث من الراوي الأول هو الصحابي، ثم التابعي، ثم تابع التابعي، ثم أتباع هذا التابعي وهكذا إلى أن يصنف، هذه القاعدة تشمل كل هذه الأصناف: الراوي أدرى بمرويه من غيره.

فهنا نبدأ بالراوي الأول: هذا الحديث رواه صحابيان جليلان أحدهما عائشة رضي الله تعالى عنها، والآخر عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما.. هذان الراويان حملا الحديث على صوم النذر، إذاً: الراوي أدرى بمرويه من غيره، ولا أريد أن أطيل أيضاً في الإجابة.

لكن أيضاً أريد أن أضرب مثلاً لراوٍ نازل ليس صاحبي تابعي.. فأنتم ولا شك تسمعون حديثاً تجدون عامة علماء العلم اليوم بعيدين عن فهم الحديث.. لا أقول: فهماً صحيحاً وهو صحيح، إنما أقول: إنهم فهموا الحديث على خلاف فهم الراوي عن الصحابي.. عفواً: هذا الفهم من هذا الصحابي.. من هذا الراوي عن الصحابي هو الصحيح، ما هو الحديث؟ حديث عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين في بيعة»(١) تجار آخر الزمان يقعون في مخالفة هذا الحديث وما في معناه، فلعل إخواننا الذين جمعتنا معهم دعوة الحق الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح.. اسمعوا الآن السلف الصالح: ابن مسعود يقول: «نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين في بيعة».

الراوي لهذا الحديث عن ابن مسعود سئل: ما بيعتين في بيعة؟ قال: أن تقول

---

(١) "صحيح الجامع" (رقم٦٩٤٣).

أبيعك هذا بكذا نقداً وبكذا وكذا نسيئة، هذا هو بيع التقسيط اليوم! لكن الأسماء تختلف، أنا في علمي والله أعلم بيع التقسيط جاءنا من بلاد الكفر والضلال عندما استعمرت هذه البلاد.. بيع فيه بيع بالدين قديماً، أما بيع بالتقسيط منظم بما يسمى بالشيكات وإلى آخره هذه بضاعة أوروبية كافرة.

«نهى عن بيعتين في بيعة» قال سماك بن حرب: الراوي لهذا الحديث عن ابن مسعود: ما بيعتين في بيعة؟ قال: أن تقول: أبيعك هذا بكذا نقداً بمائة مثلاً نقداً.. بمائة وخمسة دنانير تقسيطاً.. نسيئةً.. قال الرسول عليه السلام نهى عن هذا، إذا أردنا أن نفسر هذا الحديث بغير هذا التفسير وهذا معروف من بعض المتأخرين بخاصة، نقول لهم: أولاً: راوي الحديث أدرى بمرويه من غيره، كيف هذا؟

هل يدخل في عقل طالب علم.. طالب علم بحق أن أصحاب النبي ﷺ حينما كانوا يسمعون الحديث من رسول الله ﷺ وافترض في احدهم أنه سمع الحديث وما فهم معناه ودلالته وفقهه ألا يتوجه بالسؤال إلى رسول الله ﷺ؟ أم يكتم ذلك الجهل في نفسه ويروي الحديث دون أن يستوضح منه؟ أظن أنا أول الظانين ظن المؤمن هذا مستحيل على الصحابي أن يسمع الحديث لرسول الله ﷺ ولم يفهم دلالته الظاهرة، ثم هو لا يسأل الرسول عليه؟! هذا مستحيل.

إذاً: يقال هذا الذي قلنا في الصحابي للذي تلقى هذا الحديث عن الصحابي، هو هنا سماك بن حرب، سمع الحديث من ابن مسعود.. نفس السؤال السابق: أتظنون أن سماك بن حرب التابعي لما سمع الحديث من ابن مسعود: «نهى عن بيعتين في بيعة» لم يفهمه، هو أحد رجلين: إما أنه فهمه وإما أنه لم يفهمه، فإذا فهمه ما في داعي للسؤال، وإذا لم يفهمه سيسأل أيضاً كما يفعل الصحابي وهكذا.

فإذا سمعنا التابعي إذاً يروي هذا الحديث عن الصحابي ويسأل التابعي: ما

معنى هذا الحديث؟ يقول: أنت تبيع هذا الشيء بكذا نقداً وكذا وكذا نسيئةً، هكذا الحديث ينبغي أن يفهم.. الراوي أدرى بمرويه من غيره، إذا كان الأمر كذلك.. أشعر بأني افتلت، أين كان الموضوع؟

مداخلة: في الحج.

الشيخ: أيحج أحد عن أحد؟ قال ابن عمر: لا، يصوم أحد عن أحد؟ قال: لا، هناك حديث قد يشكل على البعض وهو: «من مات وعليه صيام صام عنه وليه» قلنا: هذا رواه عائشة وابن عباس وفسروا هذا الصيام الذي أمر به الرسول عليه السلام ولي الميت أن يصوم عنه بأنه صيام النذر.. لا تتساءلوا ولا تقولوا: من أين هذا؟ الحديث مطلق، فنقول: الراوي أدرى بمرويه من غيره، وعلى ذلك فقيسوا تستريحوا في فهم كثير من النصوص إذاً استحضر..قيسوا تستريحوا.

"الهدى والنور"(٧٣٢/ ٤٨: ٣٢: ٠٠).

[١٤٧٣] باب هل الحج عن الميت ينفعه؟

سؤال:[سئل الشيخ سؤالاً مفاده هل الحج عن الميت ينفعه؟ فأجاب]:

إيه، هذا فيه تفصيل، إن كان المتوفى لم يتمكن من الحج في قيد حياته إما بسبب فقره أو مرضه فحينئذٍ يجوز أنه أحد الأولاد يحج عنه، أما غيره كما ذكرنا فيما يتعلق بالقراءة فما أحد يستطيع أن يحج عنه، إلا إذا كان موصي وصية، موصي هو بشيء؟

المتصلة: لا، والله ما وصى، بس لأنه توفى.

الشيخ: خلاص ما أحد يستطيع أن يحج عنه.

" الهدى والنور" (٢٩٠/ ٣٤: ٥٥: ٠٠).

جماع أبواب الكلام على سماع الأموات

[١٤٧٤] باب تحقيق أن الموتى لا يسمعون

[قال الإمام في مقدمة تحقيق "الآيات البينات في عدم سماع الأموات "الآلوسي]:

اعلم أن كون الموتى يسمعون أو لا يسمعون إنما هو أمر غيبي من أمور البرزخ التي لا يعلمها إلا الله عز وجل، فلا يجوز الخوض فيه بالأقيسة والآراء، وإنما يوقف فيه مع النص إثباتاً ونفياً، وسترى المؤلف رحمه الله تعالى ذكر في الفصل الأول كلام الحنفية في أنهم لا يسمعون، وفي الفصل الثاني نقل عن غيرهم مثله، وحكى عن غير هؤلاء أنهم يسمعون، وليس يهمني أن هؤلاء قلة وأولئك الكثرة فالحق لا يعرف بالكثرة ولا بالقلة وإنما بدليله الثابت في الكتاب والسنة مع التفقه فيهما وهذا ما أنا بصدده إن شاء الله تعالى؛ فأقول:

استدل الأولون بقوله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾(فاطر: ٢٢) وقوله: ﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾(النمل:٨٠ والروم ٥٢) وأجاب الآخرون بأن الآيتين مجاز وأنه ليس المقصود «الموتى» بـ «من في القبور» الموتى حقيقة في قبورهم وإنما المراد بهم الكفار الأحياء شبهوا بالموتى " والمعنى من هم في حال الموتى أو في حال من سكن القبر " كما قال الحافظ ابن حجر على ما يأتي في الرسالة (ص ٧٢).

فأقول: لا شك عند كل من تدبر الآيتين وسياقهما أن المعنى هو ما ذكره الحافظ رحمه الله تعالى[(١)] وعلى ذلك جرى علماء التفسير لا خلاف بينهم في

(١)وقد بين ذلك بياناً شافياً العلامة محمد الأمين الشنقيطي في كتابه " أضواء البيان " (٦/ ٤١٦ - ٤٢١). [منه].

ذلك فيما علمت، ولكن ذلك لا يمنع الاستدلال بهما على ما سبق؛ لأن الموتى لما كانوا لا يسمعون حقيقة وكان ذلك معروفاً عند المخاطبين شبه الله تعالى بهم الكفار الأحياء في عدم السماع فدل هذا التشبيه على أن المشبه بهم - وهم الموتى في قبورهم - لا يسمعون، كما يدل مثلاً تشبيه زيد في الشجاعة بالأسد على أن الأسد شجاع بل هو في ذلك أقوى من زيد ولذلك شبه به، وإن كان الكلام لم يسق للتحدث عن شجاعة الأسد نفسه وإنما عن زيد، وكذلك الآيتان السابقتان وإن كانتا تحدثتا عن الكفار الأحياء وشبهوا بموتى القبور فذلك لا ينفي أن موتى القبور لا يسمعون، بل إن كل عربي سليم السليقة لا يفهم من تشبيه موتى الأحياء بهؤلاء إلا أن هؤلاء أقوى في عدم السماع منهم كما في المثال السابق، وإذا الأمر كذلك فموتى القبور لا يسمعون.

ولما لاحظ هذا بعض المخالفين لم يسعه إلا أن يسلم بالنفي المذكور ولكنه قيده بقوله: " سماع انتفاع " يعني أنهم يسمعون ولكن سماعا لا انتفاع فيه[1] وهذا في نقدي قلب للتشبيه المذكور في الآيتين حيث جعل المشبه به مشبهاً فإن القيد المذكور يصدق على موتى الأحياء من الكفار فإنهم يسمعون حقيقة ولكن لا ينتفعون من سماعهم كما هو مشاهد فكيف يجوز جعل المشبه بهم من موتى القبور مثلهم في أنهم يسمعون ولكنهم لا ينتفعون من سماعهم، مع أن المشاهد أنهم لا يسمعون مطلقاً، ولذلك حسن التشبيه المذكور في الآيتين الكريمتين فبطل القيد المذكور.

ولقد كان من الممكن القول بنحو القيد المذكور في موتى القبور لو كان

(١) انظر (ص ٤٥ - ٤٦) من كتاب " الروح " المنسوب لابن القيم رحمه الله تعالى فإن فيه غرائب وعجائب من الروايات والآراء كما سنرى شيئا من ذلك فيما يأتي: وانظر (ص ٨٧) .[منه].

هناك نص قاطع على أن الموتى يسمعون مطلقاً إذن لوجب الإيمان به والتوفيق بينه وبين ما قد يعارضه من النصوص كالآيتين مثلاً، ولكن مثل هذا النص مما لا وجود له بل الأدلة قائمة على خلافه وإليك البيان:

الدليل الأول: قوله تعالى في تمام الآية الثانية: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ فقد شبههم الله تعالى - أعني موتى الأحياء من الكفار بالصم أيضاً فهل هذا يقتضي في المشبه بهم " الصم" أنهم يسمعون أيضاً ولكن سماعاً لا انتفاع فيه أيضاً، أم أنه يقتضي أنهم لا يسمعون مطلقاً كما هو الحق الظاهر الذي لا خفاء فيه . وفي التفسير المأثور ما يؤيد هذا الذي نقول فقال ابن جرير في "تفسيره" (٢١/ ٣٦) لهذه الآية:

هذا مَثَلٌ معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم فسلبهم فَهْمَ ما يتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعاً، وقوله: ﴿ولا تسمع الصم الدعاء﴾ يقول: كما لا تقدر أن تسمع الصم الذين قد سلبوا السمع إذا ولوا عنك مدبرين؛ كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فَهْمَ آيات كتابه لسماع ذلك وفهمه.

ثم روى بإسناد الصحيح عن قتادة قال:

هذا مَثَلٌ ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر ﴿ولا تسمع الصم الدعاء . ..﴾ يقول: لو أن أصم ولى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما سمع.

وعزاه في " الدرر " (٥/ ١١٤) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم،

دون ابن جرير، وقد فسر القرطبي (١٣/ ٢٣٢) هذه الآية بنحو ما سبق عن ابن جرير وكأنه اختصره منه.

فثبت من هذه النقول عن كتب التفسير المعتمدة أن الموتى في قبورهم لا يسمعون كالصم إذا ولوا مدبرين، وهذا هو الذي فهمته السيدة عائشة رضي الله عنها واشتهر ذلك عنها في كتب السنة وغيرها، ونقله المؤلف عنها في عدة مواضع من رسالته فانظر (ص ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٦٨، ٦٩، ٧١) وفاته هو وغيره أنه هو الذي فهمه عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة لما نادى النبي ﷺ أهل القليب على ما يأتي بيانه قريباً إن شاء الله تعالى.

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ذلك الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير . إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾(فاطر ١٣ و١٤).

قلت: فهذه الآية صريحة في نفي السمع عن أولئك الذي كان المشركون يدعونهم من دون الله تعالى وهم موتى الأولياء والصالحين الذين كان المشركون يمثلونهم في تماثيل وأصنام لهم يعبدونهم فيها وليس لذاتها، كما يدل على ذلك آية سورة (نوح) عن قومه: ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعوق ونسرا﴾ ففي التفسير المأثور عن ابن عباس وغيره من السلف: أن هؤلاء الخمسة أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم (أي علم تلك الصور بخصوصها) عبدت . رواه البخاري وغيره . ونحوه قوله تعالى: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾(الزمر:٣) فإنها صريحة في أن

المشركين كانوا يعبدون الصالحين ولذلك اتخذوهم وسائط بينهم وبين الله تعالى قائلين: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

ولاعتقادهم بصلاحهم كانوا ينادونهم ويعبدونهم من دون الله توهما منهم أنهم يسمعون ويضرون وينفعون، ومثل هذا الوهم لا يمكن أن يقع فيه أي مشرك مهما كان سخيف العقل لو كان لا يعتقد فيمن يناديه الصلاح والنفع والضر كالحجر العادي مثلاً، وقد بين هذا العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فقال في كتابه " إغاثة اللفهان " (٢/ ٢٢٢ - ٢٢٣):

وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام له أسباب عديدة، تلاعب بكل قوم على قدر عقولهم؛ فطائفة دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيم الموتى الذين صوروا تلك الأصنام على صورهم كما تقدم عن قوم نوح عليه السلام ولهذا لعن النبي ﷺ المتخذين على القبور المساجد، ونهى عن الصلاة إلى القبور[1] ﷺ. فأبى المشركون إلا خلافه في ذلك كله إما جهلاً وإما عناداً لأهل التوحيد ولم يضرهم ذلك شيئا. وهذا السبب هو لغالب على عوام المشركين.

وأما خواصهم فإنهم اتخذوها - بزعمهم - على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم وجعلوا لها بيوتا وسدنة وحجاباً وحجباً وقرباناً ولم يزل هذا في الدنيا قديماً وحديثاً (ثم بين مواطن بيوت هذه الأصنام وذكر عباد الشمس والقمر وأصنامهم وما اتخذوه من الشرائع حولها ثم قال ٢/ ٢٢٤): فوضع الصنم إنما كان في الأصل على شكل معبود غائب، فجعلوا الصنم على شكله وهيأته وصورته ليكون نائباً منابه وقائماً مقامه، إلا فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبة

---

(١) انظر كتابي: " تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد "[منه].

أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلهه ومعبوده ".

قلت: ومما يؤيد أن المقصود بقوله في الآية المتقدمة ﴿لا يسمعوا دعاءكم﴾ إنما هم المعبودون من دون الله أنفسهم وليست ذوات الأصنام تمام الآية: ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ والأصنام لا تبعث؛ لأنها جمادات غير مكلفة كما هو معلوم، بخلاف العابدين والمعبودين فإنهم جميعا محشورون قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاَء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيل ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاء وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾(الفرقان:١٧-١٨) وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُون ، قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُون﴾(سبأ:٤٠-٤١) وهذا كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ الآية (المائدة:١١٦) وخير ما فسر به القرآن إنما هو القرآن والسنة وليس فيهما - فيما أعلم - ما يدل على أن الله يحشر الجمادات أيضا فوجب الوقوف عند هذه الآية الصريحة فيما ذكرنا.

وقد يقول قائل: إن هذا الذي بينته قوي متين ولكنه يخالف ما جرى عليه كثير من المفسرين في تفسير آية سورة (فاطر) وما في معناها من الآيات الأخرى فقالوا: إن المراد بها الأصنام نفسها وبناء على ذلك عللوا قوله تعالى فيها: ﴿لا يسمعوا دعاءكم﴾ بقولهم: "لأنها جمادات لا تضر ولا تنفع" فأقول: لا شك أن هذا بظاهره ينافي ما بينت، ولكنه لا ينفي أن يكون لهم قول آخر يتماشى مع ما حققته فقال القرطبي (١٤/ ٣٣٦) عقب التعليل المذكور آنفا وتبعه الشوكاني

(٤/ ٣٣٣) وغيره ما معناه: ويجوز أن يرجع ﴿والذين تدعون من دونه . . .﴾ وما بعده إلى من يعقل ممن عبدهم الكفار كالملائكة والجن والأنبياء والشياطين، والمعنى أنهم يجحدون أن يكون ما فعلتموه حقاً، وينكرون أنهم أمروكم بعبادتهم، كما أخبر عن عيسى عليه السلام بقوله: ﴿ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾ وقد ذكرا نحوه في تفسير آية (الزمر) المتقدمة.

قلت: وهو أولى من تفسيرهما السابق؛ لأنه مدعم بالآيات المتقدمة، بخلاف تفسيرهما المشار إليه فإنه يستلزم القول بحشر الأصنام ذاتها، وهذا مع أنه لا دليل عليه فإنه يخالف الآيات المشار إليها ولهذا قال الشيخ عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله - في كتابه " قرة عيون الموحدين " (ص ١٠٧ - ١٠٨) في تفسير آيتي (فاطر) ما نصه:

ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله: ﴿ذلكم الله ربكم له الملك﴾ يخبر الخبير أن الملك له وحده، والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره، ولهذا قال: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ فإن من كانت هذه صفته فلا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سوى الله تعالى وتقدس بل يجب إخلاص الدعاء - الذي هو أعظم أنواع العبادة - له، وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئاً، وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم، ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم أي: ينكرونه، ويتبرؤون ممن فعله معهم، فهذا الذي أخبر به الخبير الذي ﴿لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء﴾ وأخبر أن ذلك الدعاء شرك به وأنه لا يغفره لمن لقيه فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع بل قالوا: إن الميت يسمع ومع سماعه ينفع، فتركوا الإسلام والإيمان رأساً كما ترى عليه

الأكثرين من جهلة هذه الأمة".

فتبين مما تقدم وجه الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم﴾ على أن الصالحين لا يسمعون بعد موتهم وغيرهم مثلهم بداهة، بل ذلك من باب أولى كما لا يخفى فالموتى كلهم إذن لا يسمعون . والله الموفق.

الدليل الثالث: حديث قليب بدر وله روايات مختصرة ومطولة أجتزئ هنا على روايتين منها:

الأولى: حديث ابن عمر قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول» فذكر لعائشة فقالت: إنما قال النبي ﷺ: «إنهم الآن يعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق»ثم قرأت: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ حتى قرأت الآية.

أخرجه البخاري (٧/ ٢٤٢ - فتح الباري) والنسائي (١/ ٦٩٣) وأحمد (٢/ ٣١) من طريق أخرى عن ابن عمر وسيأتي بعضه في الكتاب (ص ٦٨، ٧١).

والأخرى: حديث أبي طلحة: أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال، فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته، حتى قام على شفة الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان: ويا فلان ابن فلان أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها؟ فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» . قال قتادة: أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً

وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندماً.

أخرجه الشيخان وغيرهما وقد خرجته في التعليق الآتي (ص ٥٤) من الكتاب.

ووجه الاستدلال بهذا الحديث يتضح بملاحظة أمرين:

الأول: ما في الرواية الأولى منه من تقييده ﷺ سماع موتى القليب بقوله: «الآن»[1] فإن مفهومه أنهم لا يسمعون في غير هذا الوقت، وهو المطلوب . وهذه فائدة هامة نبه عليها العلامة الآلوسي - والد المؤلف رحمهما الله - في كتابه " روح المعاني " (٦/ ٤٥٥) ففيه تنبيه قوي على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون، ولكن أهل القليب في ذلك الوقت قد سمعوا نداء النبي ﷺ وبإسماع الله تعالى إياهم خرقاً للعادة ومعجزة للنبي ﷺ كما سيأتي في الكتاب (ص ٥٦، ٥٩) عن بعض العلماء الحنفية وغيرهم من المحدثين . وفي " تفسير القرطبي " (١٣/ ٢٣٢):

قال ابن عطية[2]: فيشبه أن قصة بدر خرق عادة لمحمد ﷺ في أن رد الله إليهم إدراكا سمعوا به مقاله، ولولا إخبار رسول الله ﷺ بسماعهم لحملنا نداءه إياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفاء صدور المؤمنين".

---

(١) ولها شاهد صحيح في حديث عائشة الآتي (ص ٧٠) عند المؤلف رحمه الله تعالى "[منه].

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي مفسر فقيه أندلسي عارف بالأحكام والحديث . توفي سنة (٥٤٢) له المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " طبع منه جزءان في المغرب ثم علمت الآن وأنا في زيارة الدوحة - قطر (أوائل ربيع الأول سنة ١٤٠١ هـ) من فضيلة الشيخ عبد الله الأنصاري أنه يقوم بطبع الكتاب طبعة جديدة وقد تم حتى اليوم. طبع أربع مجلدات منه يسر الله تمامه ". [منه].

قلت: ولذلك أورده الخطيب التبريزي في " باب المعجزات " من " المشكاة " (ج ٣ رقم ٥٩٣٨ - بتخريجي).

والآمر الآخر: أن النبي ﷺ أقر عمر وغيره من الصحابة على ما كان مستقرا في نفوسهم واعتقادهم أن الموتى لا يسمعون، بعضهم أومأ إلى ذلك إيماءً، وبعضهم ذكر صراحة، لكن الأمر بحاجة إلى توضيح فأقول:

أما الإيماء فهو في مبادرة الصحابة لما سمعوا نداءه ﷺ لموتى القليب بقولهم: " ما تكلم أجساداً لا أرواح فيها؟ " فإن في رواية أخرى عن أنس نحوه بلفظ " قالوا " بدل: "قال عمر " كما سيأتي في الكتاب (ص ٧١ - ٧٣) فلولا أنهم كانوا على علم بذلك سابق تلقوه منه ﷺ ما كان لهم أن يبادروه بذلك، وهب أنهم تسرعوا وأنكروا بغير علم سابق فواجب التبليغ حينئذ يوجب على النبي ﷺ أن يبين لهم أن اعتقادهم هذا خطأ،وأنه لا أصل له في الشرع، ولم نر في شيء من روايات الحديث مثل هذا البيان وغاية ما قال لهم: " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم " . وهذا - كما ترى - ليس فيه تأسيس قاعدة عامة بالنسبة للموتى جميعا تخالف اعتقادهم السابق، وإنما هو إخبار عن أهل القليب خاصة، على أنه ليس ذلك على إطلاقه بالنسبة إليهم أيضاً إذا تذكرت رواية ابن عمر التي فيها " إنهم الآن يسمعون " كما تقدم شرحه، فسماعهم إذن خاص بذلك الوقت، وبما قال لهم النبي ﷺ فقط، فهي واقعة عين لا عموم لها؛ فلا تدل على أنهم يسمعون دائماً وأبداً، وكل ما يقال لهم، كما لا تشمل غيرهم من الموتى مطلقاً، وهذا واضح إن شاء الله تعالى . ويزيده ووضوحا ما يأتي.

وأما الصراحة فهي فيما رواه أحمد (٣/ ٢٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه قال: " . . . . فسمع عمر صوته فقال: يا رسول الله أتناديهم بعد ثلاث؟ وهل

يسمعون؟ يقول الله عز وجل: ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ فقال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع [لما أقول] منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوا " . وسنده صحيح على شرط مسلم[1] . فقد صرح عمر رضي الله عنه أن الآية المذكورة هي العمدة في تلك المبادرة وأنهم فهموا من عمومها دخول أهل القليب فيه، ولذلك أشكل عليهم الأمر فصارحوا النبي ﷺ بذلك ليزيل إشكالهم؟ وكان ذلك ببيانه المتقدم.

ومنه يتضح أن النبي ﷺ أقر الصحابة - وفي مقدمتهم عمر - على فهمهم للآية على ذلك الوجه العام الشامل لموتى القليب؛ وغيرهم لأنه لم ينكره عليهم ولا قال لهم: أخطأتم، فالآية لا تنفي مطلقاً سماع الموتى بل إنه أقرهم على ذلك، ولكن بين لهم ما كان خافياً من شأن القليب وأنهم سمعوا كلامه حقًّا، وأن ذلك أمر مستثنى من الآية معجزة له ﷺ كما سبق.

هذا وإن مما يحسن التنبيه عليه وإرشاد الأريب إليه أن استدلال عائشة المتقدم بالآية يشبه تماماً استدلال عمر بها، فلا وجه لتخطئتها اليوم بعد تبين إقرار النبي ﷺ لعمر عليه، اللهم إلا في ردها على ابن عمر في روايته لقصة القليب بلفظ السماع، وتوهيمها إياه؛ فقد تبين من اتفاق جماعة من الصحابة على روايتها كروايته هو أنها هي الواهمة، وإن كان من الممكن الجمع بين روايتهم وروايتها كما سيأتي بيانه في التعليق على " الرسالة " (ص ٧ - ٨) فخطؤها ليس في الاستدلال بالآية وإنما في خفاء القصة عليها على حقيقتها ولولا ذلك لكان

(١) وأصله عنده (٨/ ١٦٣ - ١٦٤) والزيادة له وهو رواية لأحمد (٣/ ٢١٩ - ٢٢٠) والحديث عزاه في " الدر " (٥/ ١٥٧) لمسلم وابن مردويه وكأنه يعني أن أصله لمسلم وسياقه لابن مردويه ولا يخفى ما فيه من إيهام وتقصير. [منه].

موقفها موقف سائر الصحابة منها، ألا وهو الموقف الجازم بها، على ما أخبر به النبي ﷺ واعتبارها مستثناةً من الآية.

فتنبه لهذا، واعلم أن من الفقه الدقيق الاعتناء بتتبع ما أقره النبي ﷺ من الأمور، والاحتجاج به؛ لأن إقراره ﷺ حق كما هو معلوم، وإلا فبدون ذلك قد يضل الفهم عن الصواب في كثير من النصوص، ولا نذهب بك بعيداً فهذا هو الشاهد بين يديك فقد اعتاد كثير من المؤلفين وغيرهم أن يستدلوا بهذا الحديث – حديث القليب – على أن الموتى يسمعون متمسكين بظاهر قوله ﷺ: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» غير منتبهين لإقراره ﷺ الصحابة على اعتقادهم بأن الموتى لا يسمعون، وأنه لم يرده عليهم إلا باستثناء أهل القليب منه معجزة له ﷺ، فعاد الحديث بالتنبه لما ذكرنا حجة على أن الموتى لا يسمعون، وأن هذا هو الأصل فلا يجوز الخروج عنه إلا بنص كما هو الشأن في كل نص عام . والله تعالى الموفق.

وقد يجد الباحث من هذا النوع أمثلة كثيرة ولعله من المفيد أن أذكر هنا ما يحضرني الآن من ذلك وهما مثالان:

الأول: حديث جابر عن أم مبشر رضي الله عنهما أنها سمعت النبي ﷺ يقول عن حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها» . قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها . فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي ﷺ: " قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾".

رواه مسلم وغيره وهو مخرج في " الصحيحة " (٢١٦٠) و"تخريج السنة" (٨٦٠ – طبع المكتب الإسلامي).

أقول: ففي استدلال السيدة حفصة رضي الله عنها بآية الورود دليل على أنها فهمت (الورود) بمعنى الدخول وأنه عام لجميع الناس الصالح والطالح منهم، ولذلك أشكل عليها نفي النبي ﷺ دخول النار في حق أصحاب الشجرة، فأزال ﷺ إشكالها بأن ذكرها بتمام الآية: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ ففيه أنه ﷺ أقرها على فهمها المذكور، وأنه على ذلك أجابها بما خلاصته أن الدخول المنفي في الحديث هو غير الدخول المثبت في الآية، وأن الأول خاص بالصالحين ومنهم أهل الشجرة، والمراد به نفي العذاب، أي أنهم يدخلونها مرورا إلى الجنة دون أن تمسهم بعذاب، والدخول الآخر عام لجميع الناس ثم هم فريقان: منهم من تمسه بعذاب ومنهم على خلاف ذلك وهذا ما وضحته الآية نفسها في تمامها وراجع لهذا " مبارق الأزهار " (١/ ٢٥٠) و" مرقاة المفاتيح " (٥/ ٦٢١ - ٦٣٢) قلت: فاستفدنا من الإقرار المذكور حكما لولاه لم نهتد إلى وجه الصواب في الآية، وهو أن الورود فيها بمعنى الدخول وأنه لجميع الناس، ولكنها بالنسبة للصالحين لا تضرهم بل تكون عليهم برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، وقد روي هذا صراحةً مرفوعاً في حديث آخر لجابر لكن استغربه الحافظ ابن كثير وبينت علته في " الأحاديث الضعيفة " (٤٧٦١)، لكن حديثه هذا عن أم مبشر يدل على صحة معناه، وقد مال إليه العلامة الشوكاني في تفسيره للآية (٣/ ٣٣٣) واستظهره من قبله القرطبي (١١/ ١٣٨ - ١٣٩) وهو المعتمد.

والآخر: حديث " الصحيحين " والسياق للبخاري نقلا من " مختصر البخاري " بقلمي لأنه أتم جمعت فيه فوائده وزوائده من مختلف مواضعه قالت عائشة:

دخل علي رسول الله ﷺ وعندي جاريتان [من جواري الأنصار ٣/ ٣]

(وفي رواية: قينتان ٤/ ٢٦٦] [في أيام منى تدفقان وتضربان ٤/ ١٦١] تغنيان بغناء (وفي رواية: بما تقاولت (وفي أخرى تقاذفت) الأنصار يوم) بعاث[1]. [وليستا بمغنيتين] فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر [والنبي ﷺ متغش بثوبه ٢/ ١١] فانتهرني) وفي رواية: فانتهرهما) وقال: مزمارة (وفي رواية: مزمار) الشيطان عند (وفي رواية: أمزامير الشيطان في بيت) رسول الله ﷺ [(مرتين)]؟ فأقبل عليه رسول الله ﷺ (وفي رواية: فكشف النبي ﷺ عن وجهه) فقال:

دعهما [يا أبا بكر [ف] إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا] " . فلما غفل غمزتهما فخرجتا " . (رقم ٥٠٨ من المختصر ").

قلت: فنجد في هذا الحديث أن النبي ﷺ لم ينكر قول أبي بكر الصديق في الغناء بالدف أنه " مزمار الشيطان " ولا نهره لابنته أو للجاريتين بل أقره على ذلك فدل إقراره إياه على أن ذلك معروف وليس بمنكر فمن أين جاء أبو بكر بذلك؟ الجواب: جاء به من تعاليم النبي ﷺ وأحاديثه الكثيرة في تحريم الغناء وآلات الطرب، وقد ذكر طائفة منها العلامة ابن قيم الجوزية في كتابه " إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان " (١/ ٢٥٨ - ٢٦٧) وخرجت بعضها في " الصحيحة " (٩١) و" المشكاة " (٣٦٥٢) ولولا علم أبي بكر بذلك وكونه على بينة من الأمر ما كان له أن يتقدم بين يدي النبي ﷺ وفي بيته بمثل هذا الإنكار الشديد، غير أنه كان خافياً عليه أن هذا الذي أنكره يجوز في يوم عيد فبينه له النبي ﷺ بقوله: " دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا " فبقي إنكار أبي بكر العام مسلماً به

---

(١) بالصرف وعدمه وهو اسم حصن وقعت الحرب عنده بين الأوس والخزرج قبل الهجرة بثلاث سنين .[منه].

لإقراره ﷺ إياه، ولكنه استثنى منه الغناء في العيد فهو مباح بالمواصفات الواردة في هذا الحديث.

فتبين أنه ﷺ كما أقر عمر على استنكاره سماع الموتى، كذلك أقر أبا بكر على استنكاره مزمار الشيطان، وكما أنه أدخل على الأول تخصيصاً، كذلك أدخل على قول أبي بكر هذا تخصيصاً اقتضى إباحة الغناء المذكور في يوم العيد، ومن غفل عن ملاحظة الإقرار الذي بَيَّنَّا؛ أخذ من الحديث الإباحة في كل الأيام كما يحلو ذلك لبعض الكتاب المعاصرين وسلفهم فيه ابن حزم، فإنه استدل به على الإباحة مطلقا جموداً منه على الظاهر فإنه قال في رسالته في الملاهي (ص ٩٨ - ٩٩): وقد سمع رسول الله ﷺ قول أبي بكر: مزمار الشيطان " فأنكر عليه ولم ينكر على الجاريتين غناءهما ".

والواقع أنه ليس في كل روايات الحديث الإنكار المذكور وإنما فيه قوله ﷺ لأبي بكر: " دعهما . . . " وفرق كبير بين الأمرين فإن الإنكار الأول لو وقع لشمل الآخر ولا عكس كما هو ظاهر، بل نقول زيادة على ذلك: إن النبي ﷺ أقر قول أبي بكر المذكور كما سبق بيانه وقد قال ابن القيم في " إغاثة اللهفان " بعد أن ذكر الحديث (١/ ٢٥٧):

فلم ينكر رسول الله ﷺ على أبي بكر تسميته الغناء مزمار الشيطان وأقرهما؛ لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاعة والحرب وكان اليوم يوم عيد.

وأما أنه ﷺ لم ينكر على الجاريتين فحق، ولكن كان ذلك في يوم عيد فلا يشمل غيره أولا . وثانياً: لما أمر ﷺ أبا بكر بأن لا ينكر عليهما بقوله: " دعهما "

أتبع ذلك بقوله: " فإن لكل قوم عيداً . . . " فهذه جملة تعليلية تدل على أن علة الإباحة هي العيدية إذا صح التعبير، ومن المعلوم أن العلة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً، فإذا انتفت هذه العلة بأن لم يكن يوم عيد لم يبح الغناء فيه كما هو ظاهر، ولكن ابن حزم لعله لا يقول بدليل العلة كما عرف عنه أنه لا يقول بدليل الخطاب، وقد رد عليه العلماء ولا سيما شيخ الإسلام ابن تيمية في غير ما موضع من " مجموع الفتاوى " فراجع المجلد الثاني من " فهرسه ".

لقد طال الكلام على حديث عائشة في سماع الغناء ولا بأس من ذلك إن شاء الله تعالى؛ فإن الشاهد منه واضح ومهم، وهو أن ملاحظة طالب العلم إقرار النبي ﷺ لأمرٍ ما يفتح عليه باباً من الفقه والفهم ما كان ليصل إليه بدونها، وهكذا كان الأمر في حديث القليب فقد تبين بما سبق أنه دليل صريح على أن الموتى لا يسمعون، وذلك من ملاحظتنا إقرار النبي ﷺ لاستنكار عمر سماعهم واستدلاله عليه بالآية ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ فلا يجوز لأحد بعد هذا أن يلتفت إلى أقوال المخالفين القائلين بأن الموتى يسمعون، فإنه خلاف القرآن الذي بينه الرسول ﷺ.

الدليل الرابع:

قول النبي ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»(١).

أقول: ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي ﷺ لا يسمع سلام المسلمين عليه؛ إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه كما هو

(١) وهو حديث صحيح.[منه].

ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى، وإذا كان الأمر كذلك فبالأولى أنه ﷺ لا يسمع غير السلام من الكلام، وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى.

ثم إن الحديث مطلق يشمل حتى من سلم عليه ﷺ عند قبره، ولا دليل يصرح بالتفريق بينه وبين من صلى عليه بعيدا عنه، والحديث المروي في ذلك موضوع كما سيأتي بيانه في التعليق (ص ٨٠).

وهذا الاستدلال لم أره لأحد قبلي فإذا كان صواباً - كما أرجو - فهو فضل من الله ونعمة وإن كان خطأ فهو من نفسي، والله تعالى أسأل أن يغفره لي وسائر ذنوبي.

أدلة المخالفين:

فإن قيل: يظهر من النقول التي ستأتي في الرسالة عن العلماء أن المسألة خلافية فلا بد أن المخالفين فيها أدلة استندوا إليها.

فأقول: لم أر فيها من صرح بأن الميت يسمع سماعاً مطلقاً عاماً كما كان شأنه في حياته، ولا أظن عالماً يقول به، وإنما رأيت بعضهم يستدل بأدلة يثبت بها سماعاً لهم في الجملة، وأقوى ما استدلوا به سندا حديثان:

الأول: حديث قليب بدر المتقدم وقد عرفت مما سبق بيانه أنه خاص بأهل القليب من جهة، وأنه دليل على أن الأصل في الموتى أنهم لا يسمعون من جهة أخرى، وأن سماعهم كان خرقاً للعادة فلا داعي للإعادة.

والآخر: حديث: «إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا» . وفي رواية: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه

ملكان...» الحديث (انظر ص ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٨٢) من " الآيات".

وهذا كما ترى خاص بوقت وضعه في قبره ومجيء الملكين إليه لسؤاله " فلا عموم فيه، وعلى ذلك حمله العلماء كابن الهمام وغيره كما سيأتي في " الآيات " (ص ٥٦، ٥٩، ٧٣).

ولهم من هذا النوع أدلة أخرى ولكن لا تصح أسانيدها، وفي أحدها التصريح بأن الموتى يسمعون السلام عليهم من الزائر، وسائرها ليس في السماع، وبعضها خاص بشهداء أحد، وكلها ضعيفة، وبعضها أشد ضعفا من بعض كما ستراه في التعليق (ص ٦٩).

وأغرب ما رأيت لهم من الأدلة قول ابن القيم رحمه الله في " الروح " (ص٨) تحت المسألة الأولى: هل تعرف الأموات زيارة الأحياء وسلامهم أم لا؟ فأجاب بكلام طويل جاء فيه ما نصه:

ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائراً، ولولا أنهم يشعرون به لما صح تسميته زائراً؛ فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يقال: زاره (!) هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضا فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم محال (!) وقد عَلَّم النبي ﷺ أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: سلام عليكم أهل الديار.

وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وإن لم يسمع المسلم الرد ".

أقول وبالله تعالى التوفيق:

رحم الله ابن القيم فما كان أغناه من الدخول في مثل هذا الاستدلال العقلي

الذي لا مجال له في أمر غيبي كهذا، فوالله لو أن ناقلاً نقل هذا الكلام عنه ولم أقف أنا بنفسي عليه لما صدقته؛ لغرابته وبعده عن الأصول العلمية والقواعد السلفية التي تعلمناها منه ومن شيخه الإمام ابن تيمية، فهو أشبه شيء بكلام الآرائيين والقياسيين الذين يقيسون الغائب على الشاهد، والخالق على المخلوق، وهو قياس باطل فاسد طالما رد ابن القيم أمثاله على أهل الكلام والبدع، ولهذا وغيره فإني في شك كبير من صحة نسبة " الروح " إليه أو لعله ألفه في أول طلبه للعلم . والله أعلم.

ثم إن كلامه مردود في شطريه بأمرين:

الأول: ما ثبت في " الصحيح " أن النبي ص كان يزور البيت في الحج وأنه كان وهو في المدينة يزور قباء راكباً وماشياً ومن المعلوم تسمية طواف الإفاضة بطواف الزيارة . فهل من أحد يقول: بأن البيت وقباء يشعر كل منهما بزيارة الزائر أو أنه يعلم بزيارته؟

وأما الآخر: فهو مخاطبة الصحابة للنبي ص في تشهد الصلاة بقولهم: " السلام عليكم أيها النبي . . . . " وهم خلفه قريباً منه وبعيداً عنه في مسجده وفي غير مسجده، أفيقال: إنه كان يسمعهم ويشعر بهم حين يخاطبونه به وإلا فالسلام عليه محال؟ اللهم غفراً . وانظر التعليق الآتي على الصفحة (٩٥ - ٩٦).

وإذا كان لا يسمع هذا الخطاب في قيد حياته أفيسمعه بعد وفاته وهو في الرفيق الأعلى لا سيما وقد ثبت أنه يبلغه ولا يسمعه كما سبق بيانه في الدليل الرابع (ص ٣٦)؟

ويكفي في رد ذلك أن يقال: إنه استدلال مبني على الاستنباط والنظر، فمثله

قد يمكن الاعتداد به إذا لم يكن مخالفا للنص والأثر، فكيف وهو مخالف لنصوص عدة، واحد منها فقط فيه كفاية وغنية كما سلف، وبخاصة منها حديث قليب بدر، وفيه إقرار النبي ص لعمر أن الموتى لا يسمعون، فلا قيمة إذن للاستنباط المذكور فإن الأمر كما قيل: " إذا جاء الأثر بطل النظر، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل ".

وقد يتساءل القارئ - بعد هذا - عن وجه مخاطبة الموتى بالسلام وهم لا يسمعونه؟ وفي الإجابة عنه أحيل القارئ إلى ما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى فيما يأتي من الرسالة وما علقته عليها (ص ٩٥ - ٩٦) فإن في ذلك كفاية وغنية عن الإعادة.

وخلاصة البحث والتحقيق: أن الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة الحنفية وغيرهم - كما ستراه في الكتاب مبسوطاً - على أن الموتى لا يسمعون، وأن هذا هو الأصل، فإذا ثبت أنهم يسمعون في بعض الأحوال كما في حديث خفق النعال، أو أن بعضهم سمع في وقت ما كما في حديث القليب فلا ينبغي أن يجعل ذلك أصلاً فيقال إن الموتى يسمعون كما فعل بعضهم[1] كلا فإنها قضايا جزئية لا تشكل قاعدة كلية يعارض بها الأصل المذكور، بل الحق أنه يجب أن تستثني منه على قاعدة استثناء الأقل من الأثر، أو الخاص من العام، كما هو المقرر في علم أصول الفقه ولذلك قال العلامة الآلوسي في " روح المعاني " بعد بحث مستفيض في هذه المسألة (٦/ ٤٥٥):

والحق أن الموتى يسمعون في الجملة فيقتصر على القول بسماع ما ورد

(١) انظر " الأضواء " (٦/ ٤٢٥).[منه].

السمع بسماعه.

وهذا مذهب طوائف من أهل العلم كما قال الحافظ ابن جرب الحنبلي على ما سيأتي في الرسالة (ص ٧٠) وما أحسن ما قاله ابن التين رحمه الله:

"إن الموتى لا يسمعون بلا شك، لكن إذا أراد الله تعالى إسماع ما ليس من شأنه السماع لم يمتنع لقوله تعالى: ﴿إنا عرضنا الأمانة...﴾ الآية وقوله: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها...﴾ الآية . كما نقله المؤلف فيما يأتي (ص ٧٢).

فإذا علمت أيها القارئ الكريم أن الموتى لا يسمعون فقد تبين أنه لم يبق هناك مجال لمناداتهم من دون الله تعالى ولو بطلب ما كانوا قادرين عليه وهم أحياء كما تقدم بيانه في (ص ١٦ – ٢١) بحكم كونهم لا يسمعون النداء، وأن مناداة من كان كذلك والطلب منه سخافة في العقل وضلال في الدين وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم: ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾(الأحقاف ٥ – ٦) .

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص٣٧-٦٣).

[١٤٧٥] باب منه

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«إذا مررت عليهم (يعني أهل القبور) فقل: السلام عليكم يا أهل القبور من المسلمين والمؤمنين، أنتم لنا سلف، ونحن لكم تبع، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. فقال أبو رزين: يا رسول الله ويسمعون؟ قال: ويسمعون، ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا، أولا ترضى يا أبا رزين أن يرد عليك [بعددهم من]

الملائكة».

(منكر).

[قال الإمام]:

أخرجه العقيلي في " الضعفاء " (٣٦٩) وعبد الغني المقدسي في " السنن " (ق ٩٢: ٢) عن النجم بن بشير بن عبد الملك بن عثمان القرشي حدثنا محمد بن الأشعث عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: " قال أبو رزين: يا رسول الله: إن طريقي على المقابر، فهل من كلام أتكلم به إذا مررت عليهم؟ قال: " فذكره. وقال العقيلي والزيادة له:" محمد بن الأشعث مجهول في النسب والرواية، وحديثه هذا غير محفوظ، ولا يعرف إلا بهذا الإسناد. وأما " السلام عليكم يا أهل القبور " إلى قوله " وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " فيروى بغير هذا الإسناد من طريق صالح، وسائر الحديث غير محفوظ ".

والنجم بن بشير أورده ابن أبي حاتم (٤/ ١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

قلت: فهو بهذه الزيادة منكر، لتفرد هذا المجهول بها، وأما بدونها فهو حديث صحيح أخرجه مسلم من حديث عائشة وبريدة، وهو مخرج في كتابي " أحكام الجنائز وبدعها ".

وهذه الزيادة منكرة المتن أيضاً، **فإنه لا يوجد دليل في الكتاب والسنة على أن الموتى يسمعون، بل ظواهر النصوص تدل على أنهم لا يسمعون**. كقوله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ وقوله ﷺ لأصحابه وهم في المسجد: «أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة، فإن صلاتكم تبلغني...» فلم يقل: أسمعها. وإنما تبلغه الملائكة كما في الحديث الآخر: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن

أمتي السلام». رواه النسائي وأحمد بسند صحيح.

وأما قوله ﷺ: «العبد إذا وضع في قبره، وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه، فيقولان له..» الحديث رواه البخاري فليس فيه إلا السماع في حالة إعادة الروح إليه ليجيب على سؤال الملكين كما هو واضح من سياق الحديث. ونحوه قوله ﷺ لعمر حينما سأله عن مناداته لأهل قليب بدر: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» هو خاص أيضاً بأهل القليب، وإلا فالأصل أن الموتى لا يسمعون، وهذا الأصل هو الذي اعتمده عمر رضي الله عنه حين قال للنبي ﷺ: إنك لتنادي أجسادا قد جيفوا، فلم ينكره الرسول ﷺ بل أقره، وإنما أعلمه بأن هذه قضية خاصة، ولولا ذلك لصحح له ذلك الأصل الذي اعتمد عليه، وبين له أن الموتى يسمعون خلافا لما يظن عمر، فلما لم يبين له هذا، بل أقره عليه كما ذكرنا، دل ذلك على أن من المقرر شرعا أن الموتى لا يسمعون. وأن هذه قضية خاصة.

وبهذا البيان ينسد طريق من طرق الضلال المبين على المشركين وأمثالهم من الضالين، الذين يستغيثون بالأولياء والصالحين ويدعونهم من دون الله، زاعمين أنهم يسمعونهم، والله عز وجل يقول: " إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ".

وراجع لتمام هذا البحث الهام مقدمتي لكتاب " الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات " للآلوسي.

"الضعيفة"(٣/ ٢٨٤-٢٨٦).

[١٤٧٦] باب منه

سؤال: بالنسبة لموضوع الموتى حديث أن الميت يسمع قرع النعال..ما صحة الحديث؟

الشيخ: أولًا: هذا حديث صحيح؛ لأنه مخرج في صحيح البخاري: «إذا وضع الميت في قبره وانصرف الناس عنه إنه ليسمع قرع نعالهم وهم عنه مدبرون» هذا الحديث صحيح، لكن هذا كذاك، أي: هذا مستثنى من القاعدة العامة؛ لأنه يقول: "حين" فهو ليس في كل حين يسمع، نفس الحديث يعطيك تخصيص ولا يعطيك العموم، يسمع قرع نعالهم حين.. حين ما معنى حين؟ يعني: وقت، ﴿حين يولون عنه مدبرين﴾ لكن هل يعني الحديث أن الموتى كلما مر المرء من المقابر فهو ... بسمع قرع النعال؟!

مداخلة: ألا يحمل على وجه البلاغة يعني: مثلًا في الإعلانات..

الشيخ: ما هو الذي يحمل يا أخي حدد كلامك.

مداخلة:حتى أنهم يسمعون قرع نعالهم مثلًا في إعلان عن شقة ما هو مقبول؟ شقة ترى البحر، هي لا ترى البحر ولكنها في موضع يسمح لمن فيها برؤية البحر، فهنا المعنى يحمل على أنهم.. أن الصوت يصل إليهم، لو أن حيًا في مكانهم لسمع قرع النعال.

الشيخ: أما قرع النعال ما يسمعون؟

مداخلة: نعم؟

الشيخ: يعني: في النهاية تعني أنهم لا يسمعون قرع النعال؟

مداخلة: أنا أتصور والله أعلم..

الشيخ: أنا أسألك حتى أفهم منك، تعني: أنهم لا يسمعون قرع النعال؟

مداخلة: قد يحمل المعنى على هذا والله أعلم.

الشيخ: وقد لا يحمل، ما الذي تستفيده من القدقدة؟ ثم أنا أذكر السائل وسائر الحاضرين بقاعدة لغوية مهمة جدًا: إذا دار الأمر بين التقدير وعدمه فالأصل عدم التقدير، بعبارة أخرى: إذا أمكننا أن نفسر العبارة أو الجملة العربية من كلام الله أو من حديث رسول الله ﷺ أو أي جملة عربية إذا أمكننا أن نفسرها على الحقيقة، فلا يجوز تفسيرها على المجاز إلا إذا قامت القرينة الشرعية أو العقلية فحينذاك يقال: وجدت القرينة التي تضطرنا إلى تفسير الآية أو الحديث أو الجملة العربية على المجاز وليس على الحقيقة لكن إذا دار الأمر بدون وجود قرينة بين تفسير الجملة على الحقيقة أو على المجاز فالأصل الحقيقة وليس المجاز، وإلا فسدت اللغة وفسدت استعمالها بين الناس، إذا قال قائل: جاء الأمير، فهل يجوز للسامع أن يفهم جاء خادم الأمير؟ وهذا تعبير عربي معروف بتقدير مضاف محذوف، لا يجوز؛ لأنه ليس هناك ما يضطر السامع أن يتأول قول القائل: جاء الأمير يعني: لا ليس الأمير وإنما جاء خادمه، أو جاء نائبه أو أو إلى آخره، لو فتح هذا الباب لفسد التفاهم بين الناس باللغة العربية.

ومن هنا كان من رد العلماء والفقهاء على غلاة الصوفية الذين يقولون من جهة بما يعرف عند العلماء بوحدة الوجود، والذين يتكلمون بعبارات صريحة في الكفر وفي وحدة الوجود فيأتي المدافعون عن أولئك الصوفية بالباطل فيتأولون كلامهم تأويلًا يتفق في نهاية المطاف مع الشريعة، فنحن نقول لهؤلاء بهذه

الطريقة: لا يمكن أن نقول أن هذا الكلام كفر، حتى قلت مرة لبعضهم: ائتني بأي جملة هي كفر في ظاهر العبارة وأنا على طريقتك أجعلها توحيدًا خالصًا؟ طريقته ما هي؟ تأويل النصوص، مثلًا مما قال قائلهم المغرق في الضلال:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا وما الله إلا راهب في كنيسة

يتكلفون في تأويل: وما الكلب والخنزير إلا إلهنا، أي: إلا إلى هنا.. إلى هنا.. إلى: حرف جر، ما هذا التأويل؟! ولذلك مثل هذا التأويل يمكن إجراؤه على أي عبارة، مثلًا أنا أقول: لو قال قائل: [فرعون] خلق السموات والأرض، ما رأيكم في هذا الكلام يجوز أو لا يجوز؟ طبعًا بالإجماع لا يجوز، لكن أنا أجعله توحيدًا بطريقة الصوفية، وهو رب [فرعون]، هذا معروف في اللغة تقدير مضاف محذوف، على حد قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾(يوسف:٨٢) اسأل القرية ماذا؟ حيطانها.. شجرها؟ لا، إنما أهلها، كذلك العير، لكن هذا المضاف المحذوف، الأسلوب العربي نفسه يوحي به إلى السامع فإن أحدًا لا يتساءل يا ترى! المقصود هنا ... القرية؟ لا، ولذلك تسمية هذا التعبير في اللغة العربية أن هذا مجاز مما يدفعه ابن تيمية رحمه الله في رسالته الخاصة بالحقيقة والمجاز، يقول: تسمية هذه العبارة خاصة بأنها مجاز من باب حذف المضاف هذا اصطلاح طارئ، وإلا فالعرب ما كانوا يفهمون من هذه العبارة إلا معنًى واحدًا هو الذي يسمونه بالمجاز بحذف المضاف.

كذلك مثلًا في الأسلوب العربي: سال الميزاب، على طريقة المتأخرين في تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، حقيقة هذه العبارة: سال الميزاب، يعني: الميزاب من شدة الحرارة ذاب وصار سائلًا سال الميزاب، لكن مَن مِن العرب إذا سمع هذه العبارة يتبادر إلى ذهنه المعنى الذي يسمونه حقيقة، فيقولون: لا، هنا

المقصود المجاز، هذا المعنى الذي يسمونه مجازًا في هذا المثال هو المعنى الحقيقة المراد منه، سال الميزاب، يعني: سال ماء الميزاب، مثل ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(يوسف:٨٢) تمامًا، وهكذا أمثلة كثيرة يذكرها ابن تيمية.

منها مثلًا: جرى النهر، النهر هو الأخدود الذي يجري فيه الماء فحينما يقول العربي: جرى النهر، لا هو يعني جرى الأخدود نفسه بدون ماء ولا السامع منهم من العرب يفهم إلا الذي أراده، أي: جرى ماء النهر، إذًا: تسمية هذه التعابير بأنها مجاز يقول ابن تيمية: هذا خطأ، المجاز هو الذي يخرج المعنى الظاهر من العبارة إلى معنى آخر لوجود قرينة، لكن هنا لا معنى آخر إلا معنى واحد محدد هو اسأل القرية، يعني: أهلها.. سال الميزاب، أي: ماؤه.. جرى النهر، أي: ماؤه، من هنا يصل ابن تيمية إلى الرد على المتأخرين الذين يتأولون آيات الصفات وأحاديث الصفات باللجوء إلى ارتكاب طريق التأويل وهو سلوك طريق المجاز، لكن ما الذي يضطرهم إلى ترك فهم المعاني من هذه الآيات وتلك الأحاديث المتعلقة كلها بالصفات أن تفسر على حقائقها؟ لا سيما وهم يقولون جميعًا المتقدمون منهم والمتأخرون: الأصل في كل عبارة أن تفسر على حقيقتها.

فمثلًا قوله تبارك وتعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾(الفجر:٢٢) لا، جاء ربك لا يجوز هذا الفهم، إذًا: جاءت رحمة ربك، جاء أي مضاف محذوف يقدمونه، وعلى ذلك فقس، نحن نقول: الحق كما نطق الحق في كتابه: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾(الفجر:٢٢) لكن كيف يجيء؟ ما ندري.

وهذا البحث طرقه العلماء قديمًا وحديثًا، فنحن في مناسبة قريبة تعرضنا لمثله أيضًا، الخلاصة: أن الكلام العربي أول ما ينبغي أن يفسر به هو على الحقيقة، فقوله عليه السلام: «إذا وضع الميت في قبره فإنه ليسمع قرع نعالهم وهم

عنه مدبرين» على الحقيقة يسمع قرع النعال، بل أنا أقول خلاف ما قلت أنت: هو لا يمكن القول أنه يسمع كل شيء؛ لأنه هو بكل شيء سمع، هذا أمر مستحيل، لكن ما دام أن الأصل أن الموتى لا يسمعون كما شرحنا لكم آنفًا فإذا جاء نص ما يعطي لميت أو موتى ما سماعًا ما نستثنيه من القاعدة، نقول: أولئك المشركين في القليب سمعوا قول الرسول عليه السلام، لكن ما كان يجري حولهم من أحاديث الصحابة وحينما قال عمر: يا رسول الله! إنك لتنادي أجسادًا لا أرواح فيها، ما نقول أنهم سمعوا قول عمر؛ لأن سماعهم لقول الرسول معجزة للرسول فيوقف عندها، كذلك في هذا الحديث يسمع الميت قرع نعالهم وفقط، وما نزيد على ذلك لسببين اثنين:

أولاً: أنه خلاف الأصل، أن الموتى لا يسمعون، **ثانيًا وأخيرًا**: أن الأمور الغيبية، وهذا من الغيب في البرزخ لا يتوسع فيها أبدًا، والحق الوقوف عند النص وعدم التَزَيُّد عليه..

"أسئلة وفتاوى الإمارات" (٢/ ٤٧: ٥٠: ٠٠).

[١٤٧٧] باب هل الأموات على علمٍ بحال الأحياء؟

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله، وتعرض على الأنبياء، وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا، فاتقوا الله، ولا تؤذوا أمواتكم».

(موضوع)

[ثم بين الإمام وضعه ثم قال]:

ومنه تعلم أن السيوطي قد أساء بإيراده لهذا الحديث في " الجامع الصغير " وباستشهاده به على ما جزم به في " الحاوي " أن الأموات على علم بأحوال الأحياء، وبما هم فيه ! وقد ساق في هذه المسألة أحاديث أخرى، لا يحتج بشيء منها مثل حديث:" إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات.." الحديث، وقد مضى (٨٦٧).

"الضعيفة"(٣/ ٦٧٢).

[١٤٧٨] باب هل يسمع النبي ﷺ بعد موته سلام من سلم عليه؟وهل يلزم من رده ص السلام أن يكون سمعه؟

[قال الإمام]:

لم أجد دليلاً على سماعه ص سلام من سلَّم عليه عند قبره، وحديث أبي داود: [وهو: " ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام "وإسناده حسن كما بينه الشيخ في " الصحيحة " (٢٢٦٦)] ليس صريحاً في ذلك.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١١٣٠٠).

[١٤٧٩] باب منه

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائيا وكل بها ملك يبلغني، وكفي بها أمر دنياه وآخرته، وكنت له شهيداً أو شفيعاً» .

(موضوع بهذا التمام).

[قال الإمام]:

فائدة: قال الشيخ ابن تيمية عقب كلامه المتقدم على الحديث: وهو لوكان صحيحاً فإنما فيه أنه يبلغه صلاة من صلى عليه نائياً، ليس فيه أنه يسمع ذلك كما وجدته منقولا عن هذا المعترض (يريد الأخنائي)، فإن هذا لم يقله أحد من أهل العلم، ولا يعرف في شيء من الحديث، وإنما يقوله بعض المتأخرين الجهال: يقولون: إنه ليلة الجمعة ويوم الجمعة يسمع بأذنيه صلاة من يصلي عليه، فالقول إنه يسمع ذلك من نفس المصلين (عليه) باطل، وإنما في الأحاديث المعروفة إنه يبلغ ذلك ويعرض عليه، وكذلك السلام تبلغه إياه الملائكة .

قلت: ويؤيد بطلان قول أولئك الجهال قوله ﷺ:" أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم تبلغني ... " الحديث وهو صحيح كما تقدم (ص ٣٦٤) فإنه صريح في أن هذه الصلاة يوم الجمعة تبلغه ولا يسمعها من المصلي عليه ﷺ .

"الضعيفة"(١/ ٣٦٦، ٣٦٩).

[١٤٨٠] باب الجمع بين قوله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ و﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ وبين قول النبي ﷺ: «إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا»

[ذكر الآلوسي في "الآيات البينات" بعض أدلة من يقول بعدم سماع الأموات فذكر قوله تعالى: ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾(فاطر:٢٢) و﴿إنك لا تسمع الموتى﴾(النمل:٨٠)، ثم قال: لكن يشكل عليهم ما في "مسلم": «إن الميت ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا» إلا أن يخصوا ذلك بأول الوضع في القبر مقدمةً للسؤال.

[فعلق الألباني قائلاً]:

والتخصيص المشار إليه أمر لا بد منه للجمع المذكور، ولكن ينبغي أن يعلم أن ذلك كذلك ولو لم يتعارض ظاهره بالآيتين المذكورتين فإن الحديث يدل أنه خاص بأول الوضع فإن لفظه: " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان . . . " الحديث متفق عليه.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص٨١).

[١٤٨١] باب منه

[وقال الألباني حول الجواب بالتخصيص بأول الوضع في القبر في موضع آخر]:

وهذا الجواب هو الأصح لقول قتادة المتقدم في حديث أبي طلحة (ص٧٨)(١) وهو الذي اعتمده الحافظ البيهقي، وغيره، ويأتي في الكتاب (٩٩) قول السهيلي في ذلك، ويظهر أن مناداة الكفار بعد هلاكهم سنة قديمة من سنن الأنبياء فقد قال تعالى في قوم صالح عليه السلام: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِين، فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِين﴾(الأعراف: ٧٨، ٧٩)، قال ابن كثير (٢/ ٢٢٩-٢٣٠):

هذا تقريع من صالح عليه السلام لقومه لما أهلكهم الله بمخالفتهم إياه وتمردهم على الله وإبائهم الحق وإعراضهم عن الهدى، قال لهم صالح ذلك بعد هلاكهم تقريعاً وتوبيخاً وهم يسمعون ذلك كما ثبت في "الصحيحين" . . . فذكر

(١) قال قتادة: «أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخا وتصغيراً، ونقمة، وحسرة وندماً».

حديث القليب . لكن قوله: " وهم يسمعون ذلك " ليس في الآية ما يدل عليه . ثم ذكر الله تعالى عن شعيب عليه السلام وقومه نحو ذلك فانظر " ابن كثير " (٢/ ٢٣٣).

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص٨٤).

[١٤٨٢] باب لا يلزم من السلام على الأموات أو مخاطبتهم أنهم يسمعون

[قال الآلوسي في "الآيات البينات"]:

فإن قيل: إذا كان مذهب الحنفية وكثير من العلماء المحققين على عدم السماع [أي سماع الأموات] فما فائدة السلام على الأموات وكيف (صحت) مخاطبتهم عند السلام؟

قلت: لم أجد فيما بين يدي الآن من كتبهم جوابهم عن ذلك، ولا بد أن تكون لهم أجوبة عديدة فيما هنالك، والذي يخطر في الذهن، ويتبادر إلى الخاطر والفهم، أنهم لعلهم أجابوا بأن ذلك أمر تعبدي، وبأنا نسلم سراً في آخر صلاتنا إذا كنا مقتدين، وننوي بسلامنا الحفظة، والإمام، وسائر المقتدين، مع أن هؤلاء القوم لا يسمعونه لعدم الجهر به، فكذا ما نحن فيه .

[فعلق الألباني قائلاً:]

ومن هذا القبيل قول الضرير في حديثه المشهور: " يا محمد إني توجهت بك إلى ربي . . . " الحديث وهو مخرج في رسالتي " التوسل " (ص ٦٧ - ٦٨) . وهذا إذا افترض أن النبي ﷺ كان بعيدا أو غائباً عنه لا يسمعه، وأما إذا كان ذلك في حضوره ص فلا إشكال.

[ثم قال الآلوسي:]

على أن السلام هو الرحمة للموتى، وننزلهم منزلة المخاطبين السامعين، وذلك شائع في العربية كما لا يخفى على العارفين، فهذه العرب تُسَلِّمُ على الديار، وتخاطبها على بعد المزار.

[فعلق الألباني قائلاً]:

ومن ذلك مخاطبة النبي ﷺ الهلال حين يراه بقوله: " . . . ربنا وربك الله " ونحوه مما جاء في عدة أحاديث مخرجة في " المشكاة " (٢٤٢٨ و٢٤٥١) و"الكلم الطيب " (ص ٩١ / ١٦١) و" الصحيحة " (١٨١٦) . و" الضعيفة " (١٥٠٦).

ومثله ما روي عن ابن عمر مرفوعاً: " كان إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك . . . " الحديث، وقد صححه بعضهم، لكن في إسناده جهالة كما بينته في " الكلم الطيب " (٩٩/ ١٨٠) و" المشكاة " (٣٤٣٩ - التحقيق الثاني).

وفي ذلك كله رد قوي على قول ابن القيم في " الروح " (ص ٨) وقد ذكر السلام على الأموات -: "فإن السلام على من لا يَشْعُرُ ولا يَعْلَمُ بالمسلم محال"، قال: "وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويرد" وكأنه رحمه الله لم يستحضر خطاب الصحابة للنبي ﷺ في التشهد: " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " خلفه في المدينة، وبعيداً عنه في سائر البلاد، بحيث لو خاطبوه بذلك جهراً لم يسمعهم ﷺ ، فضلاً عن جمهور المسلمين اليوم وقبل اليوم الذي يخاطبونه بذلك، أفيقال: إنه يسمعهم؟ أو أنه من المحال السلام عليه

وهو لا يشعر بهم ولا يعلم؟ وكذلك لم يستحضر رحمه الله قول شيخ الإسلام ابن تيمية في توجيه هذا السلام ونحوه فقال في " الاقتضاء " (ص ٤١٦) وقد ذكر حديث الأعمى المشار إليه آنفاً:

وقوله: "يا محمد " هذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادي في القلب، فيخاطب لشهوده بالقلب، كما يقول المصلي: " السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته " والإنسان يفعل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من سمع الخطاب ".

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٣١-١٣٢).

[١٤٨٣] باب كيف سلم النبي ﷺ على القبور فقال:"السلام عليكم دار قوم مؤمنين..."مع أن الموتى لا يسمعون؟

[قال الآلوسي في "الآيات البينات"]:

رأيت في " شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك " في " فصل جامع للوضوء " في الكلام على حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خرج إلى المقبرة فقال: " السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون " ما لفظه:

" قال الباجي وعياض: يحتمل أنهم أحيوا له حتى سمعوا كلامه كأهل القليب، ويحتمل أن يسلم عليهم مع كونهم أمواتاً لامتثال أمته ذلك بعده، قال الباجي: وهو الأظهر ".

[فعلق الألباني قائلاً:]

قلت: كل من الاحتمالين غير قوي عندي أما الأول فلأن النبي ﷺ كان

يخاطب الموتى بالسلام المذكور كلما زار القبور كما في حديث عائشة رضي الله عنها: " كان ص كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين . . . " الحديث . رواه مسلم وغيره وهو مخرج في " أحكام الجنائز " (ص ١٨٩) فهل كانوا يجيبونه كلما سلم عليهم؟

وأما الآخر فهو أضعف منه لأنه يعود السؤال السابق: لماذا خاطبهم النبي ﷺ بذلك؟ اللهم إلا أن يكون مراده أن الأمر تعبدي محض . والله أعلم.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٣٣-١٣٤).

[١٤٨٤] باب لا يستدل بحديث أهل القليب على أن الموتى يسمعون

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ تَرَكَ قَتْلَى بَدْرٍ ثَلاَثًا ثُمَّ أَتَاهُمْ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «يَا أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، يَا أُمَيَّةَ بْنَ، خَلَفٍ يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، يَا شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ أَلَيْسَ قَدْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا، فَإِنِّى قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِى رَبِّى حَقًّا». فَسَمِعَ عُمَرُ قَوْلَ النَّبِيِّ -ص- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهَّ كَيْفَ يَسْمَعُوا وَأَنَّى يجُيِبُوا؟ وَقَدْ جَيَّفُوا قَالَ «وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لمِاَ أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لاَ يَقْدِرُونَ أَنْ يجُيِبُوا». ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلِيبِ بَدْرٍ.

[قال الإمام معلقًا على قوله ﷺ: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لمِاَ أَقُولُ مِنْهُمْ»]:

أي لأن الله أحياهم له كما قال قتادة في "صحيح البخاري"، لا لأن الموتى يسمعون كما يظن البعض . كيف والله عز وجل يقول فيهم ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾. فمن أكبر الضلال، استدلال

بعض الجهال بالحديث على أن الموتى يسمعون، ثم الاستدلال بسماعهم على جواز الاستعانه بهم. والآية صريحة في نفي الأمرين معاً. والله المستعان.

"مختصر صحيح مسلم"(ص ٣٠٧).

[١٤٨٥] باب منه

[قال ابن أبي عاصم في "السنة"]:

ثنا أبو الشعثاء، ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي، عن أشعث عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، قال: كنا عند عبدالله بن مسعود في بيت المال، قال: قام رسول الله ﷺ على القليب قليب بدر فقال: «يا فلان يا فلان هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً»؟ قالوا: يا رسول الله هل يسمعون؟ قال: «ما أنتم لأسمع لما أقول منهم، ولكنهم اليوم لا يجيبون» .

[قال الإمام]:حديث صحيح.

قال أبو بكر [هو ابن أبي عاصم] والأخبار التي في قليب بدر، ونداء النبي ﷺ إياهم، وما أخبر أنهم يسمعون كلامه؛ أخبار ثابتة توجب العمل والمحاسبة، فيه أخبار كثيرة قد أثبتناها في مواضعها.

[فعلق الإمام قائلاً]:

قلت: لكن ليس فيها أن الموتى عامة يسمعون، وإنما فيها أن أهل القليب سمعوا قوله ﷺ إياهم[١]، فهي قضية خاصة لا عموم لها، فلا تعارض بينها وبين الآيتين اللتين احتجت بهما السيدة عائشة رضي الله عنها، فاحتجاجها بهما صحيح

(١) كذا.

كأصل، لكن خفي عليها أن الحادثة وقعت كما رواها ابن عمر، وكذا أنس وعمر كما تقدم. فتمسكت بالأصل الثابت في القرآن، لعدم ثبوت القصة عندها، ولو ثبتت لاستثنتها من هذا الأصل كما هو الواجب للتوفيق بين القرآن والحديث، ويؤيده قول قتادة المتقدم: أحياهم الله له ... فالقضية خاصة فلا يجوز أن يلحق بها غيرها فيقال: إن الموتى كلهم يسمعون، كما يقول كثير من الناس اليوم!

"ظلال الجنة في تخريج السنة"(ص ٣٨٤)

[١٤٨٦] باب متى كانت مخاطبة النبي ﷺ لأهل القليب

[نقل الآلوسي في "الآيات البينات" عن ابن جحر قولاً لبعضهم بأن مخاطبة النبي لأهل القليب كانت وقت سؤال الملكين في القبر، فعلق الألباني على هذا القول قائلاً]:

قلت: وكذا قال الطحطاوي (ص ٥٤٦) . وهذا باطل فقد ثبت في بعض طرق القصة عن أنس أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثا ثم أتاهم فناداهم . . . وفيه أن عمر قال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ الحديث . أخرجه مسلم (٨/ ١٦٣) وأحمد (٣/ ٢٨٦) من رواية ثابت عنه . ورواه حميد عنه بلفظ "قالوا " بدل " قال عمر " كما تقدم قريباً، ومعناه في طريق قتادة الذي سبق تخريجه (ص ٥٤)، فالعجب من الحافظ كيف فاته هذا وهو الذي نقل في شرحه لهذا الحديث قول السهيلي .. وفيه قول الصحابة: " أتخاطب أقواما قد جيفوا " بل وذكر قبل ذلك حديث أنس هذا من طريق مسلم؟ إلا أن يقال: إن الروح تبقى مدة في جسدها بعد إعادتها إليه وهو بعيد جداً لعدم ورود نص بذلك . والله أعلم .

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٠٢).

(متفرقات)

[١٤٨٧] باب هل علة الموت
هي فساد الأعضاء بحيث تصبح غير قادرة

على قبول الآثار الفائضة عليها من الروح

[نقل الآلوسي في "الآيات البينات "قول ابن القيم في كتابه"الروح" عن ماهية الروح]:

الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأدلة العقل والفطرة، أنه جسم حادث مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، والدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف، بقي هذا الجسم اللطيف متشابكا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإدارة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول الآثار، فارق الروح البدن وانفصل بأمر الله تعالى إلى عالم الأرواح قال الله تعالى: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فأدخلي في عبادي وأدخلي جنتي﴾.

[فعلق الألباني قائلاً]:

(إن) تعليل الموت بهذا السبب يشبه الفلسفة عندي؛ لأنه لا دليل عليه من نقل، أو عقل بل كم من شخص مات فجأة وأعضاؤه سليمة قوية في عز المنعة والقوة.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٥٢).

[١٤٨٨] باب هل الأموات على علم بحال الأحياء؟

[روي عن النبي ﷺ]:

«تعرض الأعمال يوم الاثنين ويوم الخميس على الله، وتعرض على الأنبياء، وعلى الآباء والأمهات يوم الجمعة، فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضا وإشراقا، فاتقوا الله، ولا تؤذوا أمواتكم».

[قال الإمام]:

(موضوع)

[ثم بين الإمام وضعه ثم قال:] ومنه تعلم أن السيوطي قد أساء بإيراده لهذا الحديث في " الجامع الصغير " وباستشهاده به على ما جزم به في " الحاوي " أن الأموات على علم بأحوال الأحياء، وبما هم فيه ! وقد ساق في هذه المسألة أحاديث أخرى، لا يحتج بشيء منها مثل حديث " إن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات.. " الحديث، وقد مضى (٨٦٧).

"الضعيفة"(٣/ ٦٧٢).

[١٤٨٩] باب صفة حياة الأنبياء بعد الموت

[قال الإمام]:

(حياة) الأنبياء بعد الموت حياة برزخية، ولنبينا ﷺ فيها من الخصائص ما ليس لغيره كهذه الخصوصية [وهي رد السلام على من سلم عليه] وغيرها...، ولكن لا يجوز التوسع في ذلك بالأقيسة والأهواء كما جاء في آخر " مراقي الفلاح " تحت " فصل زيارة النبي ﷺ " ما نصه:

"ومما هو مقرر عند المحققين أنه ص حي يرزق بجميع الملاذ والعبادات، غير أنه حجب عن أبصار القاصرين"!

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١١١).

[١٤٩٠] باب في صفة حياة الشهداء

سؤال: يا أستاذ! هل هناك أناس الآن دخلوا الجنة أو أناس دخلوا النار، مثل الآية التي في سورة يس: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾(يس:٢٦)..؟

الشيخ: هذا فيما سيكون ..، أما الآن ما هو إلا الحياة البرزخية فدخول الجنة والنار مؤقت للحساب، ... البعث يوم القيامة..

مداخلة: حتى الشهداء والأنبياء..

الشيخ: كلهم، لكن أرواحهم لها نعيم خاص كما قال عليه السلام: «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تعلق من ثمر الجنة» وكذلك: «أرواح المؤمنين في بطون طير خضر تعلق من ثمر الجنة» فهذا نعيم روحي، أما النعيم البدني والروحي معاً وكذلك الجحيم فذلك لا يكون إلا بعد البعث والنشور.

مداخلة: طيب يا أستاذ! نحن الذي نفهمه على قدر عقولنا، أن الشخص عندما يكون حي يكون جسده وروحه مرتبطان ببعض ...، الله عز وجل عندما يقول: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾(آل عمران:١٦٩) أقصد أنا: بل أحياء تكون الحياة مربوطة الجسد في الروح .

الشيخ: هذا شيء معروف لا يحتاج إلى سؤال، شرحه لك الرسول وأعطاك الجواب وأنا قدمته سلفاً.. أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، ما معنى هذا؟

معناه أنه يتنعم في بدنه؟! يتنعم في بدن مستعار، وهو الطير الأخضر، فحياة الشهداء حياة تتناسب مع مقامه عند الله أولاً وبقاؤهم في البرزخ ثانياً، الحياة تختلف حياة البرزخية غير الحياة الدنيوية، والحياة الأخروية غير الحياتين كلتيهما، الحياة الأخروية غير الحياة البرزخية وغير الحياة الدنيوية أيضاً؛ ولذلك لا يجوز أن يستعمل الإنسان القياس.. قياس الغائب على الشاهد، فتقول أنت: نحن لا نعرف الحياة إلا هكذا! طيب! هذه الحياة التي تعرفها لا تقيس عليها الحياة التي لا تعرفها، وبخاصة وقد جاءت بعض النصوص توضح لك تماماً أن حياة الشهداء التي ربنا عز وجل أثبتها في نص القرآن: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(آل عمران:١٦٩) ما هو رزقهم؟ ليس طبق ونفق مثل الذي عندنا، رزقهم يأكلون بطريق أكل هذا الطير الأخضر، هذا هو الرزق، الحديث يبين القرآن.

مداخلة: عندما رأى الرسول عليه الصلاة والسلام الجنة والنار ووجد الذين يتعذبون فيها والذين يتنعمون فكيف هذا؟

الشيخ: نعم، كشف له عما سيكون عليه أوضاع أهل الجنة وأهل النار، هذا الكشف الحقيقي الذي سرقه الصوفية ونسبوه إلى أنفسهم، هذا للأنبياء والرسل وفقط.

"الهدى والنور" (٢٨ / ١٨: ٥٥: ٠٠)

[١٤٩١] باب لبعض الأعمال الصالحة فضائل خاصة بعد الموت مع رد حديث طويل في الباب

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«إني رأيت البارحة عجباً:

١ - رأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءه وضوءه، فاستنقذه من ذلك.

٢ - ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءته صلاته، فاستنقذته من ذلك.

٣ - ورأيت رجلاً من أمتي احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله، فخلصه منهم.

٤ - ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً، فجاءه صيام رمضان، فسقاه.

٥ - ورأيت رجلاً من أمتي من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، فجاءته حجته وعمرته، فاستخرجاه من الظلمة.

٦ - ورأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره لوالديه فرده عنه.

٧ - ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين ولا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم، فقالت: إن هذا كان واصلاً لرحمه. فكلمهم وكلموه وصار معهم.

٨ - ورأيت رجلاً من أمتي يأتي النبيين وهم حلق حلق، كلما مر على حلقة طرد، فجاءه اغتساله من الجنابة، فأخذ بيده فأجلسه إلى جنبي.

٩ - ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار بيديه عن وجهه فجاءته صدقته فصارت ظّلاً على رأسه وستراً عن وجهه.

١٠ - ورأيت رجلاً من أمتي جاءته زبانية العذاب، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، فاستنقذه من ذلك.

١١ - ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه اللاتي بكى بها في الدنيا من خشية الله، فأخرجته من النار.

١٢ - ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته إلى شماله، فجاءه خوفه من الله تعالى، فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه.

١٣ - ورأيت رجلاً من أمتي قد خف ميزانه، فجاءه أفراطه، فثقلوا ميزانه.

١٤ - ورأيت رجلاً من أمتي على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله تعالى، فاستنقذه من ذلك.

١٥ - ورأيت رجلاً من أمتي يرعد كما ترعد السعفة، فجاءه حسن ظنه بالله تعالى، فسكن رعدته.

١٦ - ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرة، ويحبو مرة فجاءته صلاته علي، فأخذت بيده فأقامته على الصراط حتى جاز.

١٧ - ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة، فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله فأخذت بيده، فأدخلته الجنة».

[قال الإمام]:

قلت: منكر جداً.

نعم، أنا لا أنكر أن لبعض الأعمال الصالحة فضائل خاصة بعد الموت مثل

قوله ﷺ: «الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي رب! منعته الطعام والشهوة؛ فشفعني فيه. ويقول القرآن: منعته النوم بالليل؛ فشفعني فيه. قال: فيشفعان».

وهو مخرج في " تمام المنة " (ص ٣٩٤).

وقوله ﷺ: «إن سورة في القرآن ثلاثون آية، شفعت لرجل حتى غفر له؛ وهي: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾».

وهو مخرج في "التعليق الرغيب"(٢/ ٢٢٢/ ١)، وفي رواية فيه برقم (٤) بلفظ: «من قرأ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾كل ليلة؛منعه الله عزوجل بها من عذاب القبر».

فهذان أصلان يشهدان لما ذكرت من الفضائل الخاصة. فأين الأصول التي تشهد لما جاء في هذا الحديث المنكر؟!.

"الضعيفة"(١٤/ ٣/ ١٢٢٨-١٢٣٩،١٢٣٠-١٢٤٠).

[١٤٩٢] باب جزاء من مات له ولد وصبر

[قال الإمام]:

قد يصاب المسلم -كما هو الواقع المشاهد- بوفاة ولد له أو أكثر، فتأتيه أجور أخرى غير تلك الأجور التي أشرنا إليها آنفاً مما لو أحياهم الله عز وجل له وعاشوا بعد وفاته، فجاءه من حسناتهم دون أن يكون هو قد فعل هذه الحسنات، فالآن في الصور الأخرى إذا أصيب المسلم بوفاة بعض أولاده، ثم صبر على ذلك، ورضي بقضاء الله وقدره ضمنت له الجنة؛ قال عليه الصلاة والسلام: «ما من مسلمين -أي: زوجين- يموت لهما ثلاثة من الولد، إلا لن تمسه النار؛ إلا تحلة القسم. قالوا: واثنان يا رسول الله! قال: واثنان. قال أصحابه عليه السلام: حتى ظننا أننا لو قلنا: وواحد، لقال: وواحد».

إذاً: المسلم المتزوج يعيش بين حسنتين لا بد من إحداهما: إن عاش أولاده من بعده جاءته أجورهم، وهو في قبره.

وإن مات شيء من ولده في .. حياته، فقد ضمن الله له تبارك وتعالى الجنة، وأنه لن تمسه النار إلا تحلة القسم.

" الهدى والنور" (٢٠/ ٣٢:٩٠:٠٠)

[١٤٩٣] باب جزاء من مات له ولدان

[قال رسول الله ﷺ}:

«ما من امرأة تقدم ثلاثا من الولد تحتسبهن إلا دخلت الجنة . فقالت امرأة منهن: أو اثنان؟ قال: أو اثنان» .

[قال الإمام]:

فيه فوائد كثيرة، [منها]:

أن من مات له ولدان دخل الجنة وحجباه من النار، وليس ذلك خاصًّا بالإناث آباء وأولادا، لأحاديث أخرى كثيرة تعم الجنسين، وتجد جملة طيبة منها في " الترغيب والترهيب " (٣/ ٨٩ - ٩١) ويأتي بعد هذا أحدها [ثم أورده:] " من ولد له ثلاثة أولاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله عز وجل الجنة برحمته إياهم...[فساقه بطوله]

"الصحيحة"(٦/ ١/ ٣٩٩-٤٠٠،٤٠٢)

[١٤٩٤] باب هل تقبل توبة من هو على وشك الإعدام؟

مداخلة: من المعلوم أنها لا تقبل التوبة عند الغرغرة، فرجل حُكم عليه بالإعدام، عند التنفيذ عندما يدخل إلى الغرفة حتى ينفذوا وهو متحقق من موته الآن.

الشيخ: نعم.

مداخلة: فقبل أن يصعد إلى المشنقة يقول: لا إله إلا الله ويستغفر ويتوب، فهل هذا يدخل في باب تحت الغرغرة؟

الشيخ: لا، لا يدخل لأنه ما غرغر، ما حشرجت الروح، لكن هو غلب على ظنه أن الموت آتيه، فالتوبة مقبولة ما لم يغرغر، هذا نص صريح في الموضوع.

"**الهدى والنور**" (٤٢٠/ ٥٨: ٥٥: ٠٠).

[١٤٩٥] باب حكم قولهم: "انتقل إلى مثواه الأخير"

[قال الإمام]:

وأما قولهم في الإذاعات وغيرها: " .. مثواه الأخير " فكفر لفظي على الأقل، وأنا أتعجب كل العجب من استعمال المذيعين المسلمين لهذه الكلمة، فإنهم يعلمون أن القبر ليس هو المثوى الأخير، بل هو برزخ بين الدنيا والآخرة، فهناك البعث والنشور ثم إلى المثوى الأخير، كما قال تعالى ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾، وقال في الأخير: ﴿فالنار مثوى لهم﴾، وما ألقى هذه الكلمة بين الناس إلا كافر ملحد، ثم تقلدت من المسلمين في غفلة شديدة غريبة ! ﴿فهل من مدكر﴾؟ اهـ.

"**الصحيحة**"(٦/ ١/ ٤١٦).

[١٤٩٦] باب حكم تشريح جسد من مات موتاً دماغياً فقط

سؤال: يقول الأخ: نسمع في هذه الآونة عن عملية تحويل القلب لرجل فقد الحياة إلى رجل آخر يريد قلب صحيح؟ فهل هذه العملية جائزة؟ بإذنه وبغير إذنه؟ نقل القلب.

الشيخ: يعني تشريح جثة الميت، واستخراج القلب منها، ووضعه في الحي الذي هو بحاجة لقلب جديد، هذا جواب يفهم مما سبق، لا يجوز التشريح.

السائل: تعليق، هم ما يأخذوا قلب ميت مثلاً، يأخذوا قلب كان ميت بالتحليل، موت الدماغ يسموه؟ قبل أن يموت، يأخذوا قلبه قبل أن يموت؟

الشيخ: هذا أنكى وأمر. نعم.

السائل: حتى لو أوصى بذلك؟ ألا يدخل في باب: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾؟

الشيخ: لا، ما يدخل، كيف يدخل، واحد يوصي بأن يقتل في سبيل آخر، وقد لا ينجح حتى هذا الآخر كما هو معلوم طبياً.

السائل: نقل قلب كافر لمسلم؟

الشيخ: هذا من الحيثية ما يضر؛ لأنه القلب الذي هو مقر الإيمان والصلاح والتقوى كما جاء في الأحاديث وبعض الآيات القرآنية ليس هو بمجرد هذه المضغة، وإنما هو أثر حياة هذا الإنسان كله، بجسده وروحه، فقد يتوفر هذا في هذه المضغة التي قال الرسول عنها: «ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»[1]، الشاهد: أنه لا يجوز.

السائل: وإذا فُعل؟ إذا تمت هذه العملية؟ ونقل القلب من رجل صالح إلى رجل ضال مضل والعياذ بالله؟ كيف يكون؟

الشيخ: ما يختلف شيء من حياة المنقول إليه القلب، سواء كان يعني قلب كافر إلى مؤمن، أو العكس، هذا قلت عنه آنفاً ما قلت.

---

(١) "صحيح البخاري" (رقم٥٢) و"صحيح مسلم" (رقم٤١٧٨).

السائل: هل هذا خاص بالقلب أم لو أوصى ببصره أو لو أوصى؟

الشيخ: كله، عام.

السائل: هناك قضية يا أستاذ: أن بعض الناس ينقل كلية وهو ما زال حي؟ تبرع لقريبه أو؟

الشيخ: نفس الكلام.

السائل: ما يموت إذا نزعها؟

الشيخ: قد يموت، هذه قضية مش مضمونة، وربنا خلق كلتين بدل كلية واحدة، ما خلق ذلك عبثاً، وإنما أقل ما يقال احتياطاً، ولذلك تسمعون أن بعض الناس يعيشون على كلية واحدة.

"الهدى والنور" (١٢/ ٤٣: ١٠: ٠٠).

(جماع أبواب الروح)

(خَلْقُ الروح)

[١٤٩٧] باب هل الأرواح مخلوقة قبل الأجساد أم بعدها؟

[قال الإمام]:

أما مسألة تقدم خلق الأرواح على الأجساد وتأخرها عنها، فللعلماء فيها قولان معروفان، وممن ذهب إلى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزي وأبو محمد بن حزم وحكاه إجماعاً و[من] أدلتهم قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ قالوا: وهذا الاستنطاق والإشهاد إنما كان لأرواحنا، ولم تكن الأبدان حينئذ موجودة، وقوله ﷺ: «إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف».

رواه ابن منده بإسناده عن عمرو بن عنبسة مرفوعا كما في " الروح " (ص١٦٠) ثم قال (ص ١٧٢) " لا يصح إسناده فيه عتبة بن السكن قال الدارقطني: متروك . وأرطأة ابن المنذر قال ابن عدي: بعض أحاديثه غلط ". قلت: وهو البصري، وأما أرطأة بن المنذر الحمصي فثقة، لكن فوقهما عطاء بن عجلان وهو متروك أيضا فهو حديث ضعيف جداً إن لم يكن موضوعا، اللهم إلا قوله: " فما تعارف . . . . " فهو طرف من حديث صحيح معروف.

لكن في المسألة أحاديث أخرى كثيرة تغني عن هذا الحديث من أصرحها حديث ابن عباس مرفوعاً: " إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بـ (نعمان) يوم عرفة، وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلاً قال: ﴿ألست بربكم قالوا: بلى﴾" وهو حديث صحيح بل هو متواتر المعنى كما بينته في " الصحيحة " (١٦٢٣).

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٥٠).

(نفخ الروح)

[١٤٩٨] باب متى تنفخ الروح في الجنين؟

سؤال: يا شيخ بالنسبة لنفخ الروح في الجنين متى يكون، خصوصاً أن هناك من يقول: ان هناك دلالة علمية تثبت أن النفخ في بداية الأربعين الأولى من نفخ الجنين، وأن هناك حديث في مسلم يثبت أن فيه زيادة: أنه يكون علقة مثل ذلك في الأربعين يوماً، يستدلون بهذا الحديث على أنه الروح تنفخ النفخ بالأربعين اليوم الأولى؟

الشيخ: في سؤالك ناحيتان: إحداهما شرعية، والأخرى طبية، من الناحية الشرعية ثبت في حديث ابن مسعود المتفق عليه بين الشيخين أن الروح إنما تنفخ في الجنين بعد أربعة أشهر.

أما القول: أنه ثبت علمياً طبياً: أن الروح تنفخ قبل ذلك، فأنا في اعتقادي أن هذا مع أنه مخالف للحديث السابق فهو أيضاً ليس بثابت طبياً؛ لأنني أنا أعلم أن هذا ليس من اختصاصي ولكنه من معلوماتي التي يشاركني فيها كل مثقف له مشاركة في الاطلاع على ما يجري اليوم من بحوث علمية وغيرها، نحن نعلم أن الحوين الصغير هذا الذي يوجد منه الملايين المملينة في مني الرجل كلها حوينات ليست ميتة وإنما هي فيها الحياة، أليس كذلك؟

مداخلة: بلى.

الشيخ: طيب، فهذا الحوين حينما ينمو حينما يلقح البويضة في رحم المرأة ينمو وينمو معه هذه الحياة التي فطرها الله عز وجل في هذا الحوين وهو في صلب الرجل قبل أن ينتقل إلى رحم المرأة، فإذاً هنا حياتان، ولنتسامح في التعبير ولا بأس من ذلك قليلاً، هنا روحان: الروح الأولى وجدت مع الحوين وهو في صلب الرجل، الحياة أو الروح الأخرى نفخت بنص الحديث بعد أربعة أشهر، يوم يأتي وينفخ فيه الروح ويسأل: سعيد أم شقي، ذكر أم أنثى.. إلى آخر التفاصيل المعروفة في الصحيح.

فهنا إذاً روحان، الروح الثالث هذه ما هي؟ فقهياً لا يوجد روح ثالث إطلاقاً، بمعنى: غير الروح التي بها يحيا هذا الحوين ويكبر وينمو وينمو، حتى يصبح يتحرك في بطن الأم، والروح التي تنفخ في الجنين، هذه بلا شك روح جديدة غير تلك الروح الكبيرة في ذلك الحوين، هذه دعوى، مجرد دعوى أنه هناك ثابت في علم الطب أن الروح التي أخبر الله عنها أو أخبرنا نبينا أن الله يأمر الملك بأن ينفخ فيه الروح لا في الشرع ولا في علم الطب أن هذا ينفخ بعد أربعين يوماً، أو على الأقل قبل مضي الأربعة الأشهر، هذا لا وجود فيه إطلاقاً.

ثم أخيراً أنا أريد أن أذكر: لا ينبغي أن نخلط بين العلم التجريبي البشري وبين العلم الإلهي الذي مصدره من كتاب ربنا ومن حديث نبينا صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن كلاً من العلمين لهما لكل منهما سبيله، فسبيل العلم الشرعي هو القرآن والسنة، سبيل العلم الكسبي هو البشر، فقد يخطئ وقد يصيب.

كثيراً ما نسمع ونسأل، كثير مع الأسف: أن امرأة في بطنها جنين واكتشفوا الآن بواسطة الجهاز الذي يشبه التلفاز بأن هذا الجنين مشوه، وأنه إذا لم تجهض المرأة وولدت ولادة طبيعية سيكون هذا الولد معوقاً.

هكذا السؤال، سئلت بأنه بعض الأطباء قالوا للحامل: بأن هذا مشوه تشويه فظيع جداً، ربما له أكثر من يدين وأكثر من رجلين، يعني: صورة مخيفة جداً خاصة للأم الوالدة، وكان في المجلس حينما سئلت هذا السؤال امرأة حدثتنا وهي صادقة: بأن قريبة لها حدثوها بأنه الجنين في بطنها إذا ما ولد فسيولد له أربعة أرجل وما عاد أذكر كم يد، فمسكينة هي خافت جداً، ولكن قالت: أمري إلى الله عز وجل، فلما ولدت فإذا بهذا الجنين بشراً سوياً، سبحان الله! رجعت بعد ذلك عللوا لها: أنه والله التلفاز يمكن كان شوية مشوش إلى آخره، وهذه حقيقة، كثيراً ما يقع مثل هذا.

فغرضي أن أقول: ما نربط هذا بهذا؛ لأنه الحقيقة راح نقع في تناقض مع الحكم الشرعي، كلنا يعلم أن إسقاط الجنين بعد نفخ الروح لا أقول على الزعم الطبي؛ لأن هذا معناه إسقاطه بعد أربعين يوم يعني يكون محرماً، بينما نحن شرعاً ما نقول إلا بعد أربعة أشهر هذا الإسقاط يكون محرماً؛ لأنه يسقطه حياً.

أما إذا كان الإسقاط أو الإجهاض قبل ذلك فهنا لنا تفصيل مذكور أكثر من مرة: هو كالعزل، العزل وهو إسقاط الماء خارج الرحم حينما يجامع الرجل زوجته، هذا اسمه عزل، وهو شرعاً مكروه والكراهة تنزيهية؛ لما فيه من تقليل نسل الأمة المحمدية، ولكن إذا اقترن مع هذا العزل وهو قبل أن يتكون قبل أن يدخل الماء إلى فرج المرأة هذا مكروه فإذا ما دخل إلى كنه وأوى إلى مأواه فهناك يمكن أن يتكون وأن يتخلق ويصبح جنيناً ثم يولد ويصبح بشراً سوياً.. إلى آخره، فتتضاعف الكراهة، لكن ما تصل إلى حد التحريم إلا بشرطين اثنين:

الشرط الأول الذي ذكرته آنفاً: أن يكون قد نفخت الروح فيه.

والشرط الآخر ولو قبل نفخ الروح: أن يكون الدافع على الإجهاض قبل نفخ

الروح فكر غير شرعي، مثلاً: في القرآن الكريم النهي عن قتل الأطفال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ﴾(الأنعام:١٥١)، فإذا كان الدافع على إسقاط الجنين قبل تكونه هو خشية الإملاق فيكون هذا محرماً، صحيح ليس فيه قتل لنفس نفخت فيه الروح، لكن الدافع عليه تلك العقيدة الجاهلية الأولى، كما جاء في بعض الأحاديث لما سئل عليه السلام عن العزل، قال: «أأنت ترزقه؟»[1] فلماذا أنت خائف؟! فإذا كان العزل ليس لهذا السبب فهو مكروه، أما إذا كان اقترن معه هذا السبب فيكون محرماً؛ لذلك لما هذا الطبيب يقول: والله جنينك في بطنك مشوه، وإذا كمل وضعه جاء معوقاً، يالاَّ يجري عملية الإجهاض واستريح منه، وإذا الولد ليس فيه أي شيء، وإنما الخطأ من الطبيب.

خلاصة القول: نحن ننصح المسلمين جميعاً أن يبتعدوا عن العزل بكل إشكاله وأنواعه؛ لأن أدناه الكراهة؛ لما فيه من مخالفة بغية الرسول عليه السلام حينما قال: «تزوجوا الولود الودود فإني مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة»[2]، فهذا أدناه تقليل نسل أمة الرسول عليه السلام، وأعلاه وأسوأه هو إسقاط الجنين بعد أن نفخت فيه الروح.

نسأل الله عز وجل أن ينفخ في المسلمين روحاً طيبة تحضهم على فهمهم أولاً لإسلامهم فهماً صحيحاً، وأن يطبقوه في أنفسهم وبين الإخوة المتحابين في الله عز وجل، ثم لا تزال تتسع دائرتهم حتى تشمل البعيدين عنهم.

"الهدى والنور"(٧٢٩/ ٤٤: ٤٦: ٠٠).

---

(١) وجدت مثل هذا اللفظ في سياق آخر غير الكلام على العزل فانظره في "الصحيحة" (٢/ ١١٥).

(٢) "صحيح الجامع" (رقم٥٢٥١)

(قبض الروح)

[١٤٩٩] باب هل للمسلم الذي يرتكب الكبائر ملائكة مخصصون يقبضون روحه غير ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؟

سؤال: لما تأتي ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب اللي وردت في الحديث في قبض الروح، بالنسبة للمسلم العاصي اللي ارتكب كبائر، هل هناك أحاديث واردة في المنطقة الوسط[1] هنا؟

الشيخ: لا، لا أحاديث.

"الهدى والنور" (/ ٣٥٥ / ٢٨: ٣٠: ٠٠)

[١٥٠٠] باب هل يصحب ملك الموت خمسمائة من الملائكة عند قبض الروح؟

سؤال: هل ورد أن ملك الموت عليه السلام يصطحب معه أو يكون معه من الملائكة عند قبض الروح خمسمائة؟

الشيخ: ما نعلم هذا في كتب السنة.

مداخلة: ما ورد عدد يعني؟

الشيخ: لا.

"الهدى والنور" (٣٤٧/ ٥٧: ٢٢: ٠٠).

---

(١) يريد السائل: أن مرتكب الكبيرة في منطقة وسط بين الصلاح والطلاح ... فهل له ملائكة وسط بين ملائكة الرحمة وملائكة العذاب؟

[١٥٠١] باب كيف يجمع بين الأحاديث التي فيها أن روح المؤمن تخرج مقرونة بالريح الطيبة وبين كونه يعذب في القبر؟

سؤال: يسأل السائل يقول: كيف يوفق بين الثواب الذي يعرف للمؤمن من طلوع روحه والريح الطيبة لها وما إلى ذلك ويوسع له قبره، ثم إنه يعذب لبعض أفعاله في القبر، أو لا يكون ذلك الثواب إلا للمؤمن المغفور له كل ذنوبه؟

الشيخ: لا يوجد في الأحاديث الجمع بين النقيضين المذكورين في السؤال، أنه من جهة تخرج روحه مقرونة بالريح الطيبة وملفوفة بالحرير الناعم، كما هو مذكور في بعض الأحاديث الصحيحة، ثم من جهة أنه يعذب، لا يوجد مثل هذا الجمع بين النقيضين في الأحاديث، فالذي يعذب كمثل ما سبق في الحديثين السابقين: «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه»(١) هذا لم يأت في مثله أن روحه تلف في حرير، فالظاهر: أن الجمع بين النقيضين غير واقع.

وهذا بلا شك كما لا يخفى على الجميع هو من أمور الغيب التي أشرنا إليها في الأمس القريب، بمناسبة ذكر إذا وضع الميت في قبره وانصرف الناس عنه مدبرين فإنه يسمع قرع نعالهم، قلنا: أنه لا ينبغي التوسع في الأمور الغيبية ولا استعمال أقيسة نظرية؛ لأن هذا أمر يتعلق بالإيمان فقط وليس بالأحكام الشرعية، ولذلك فلا نجد في السنة الجمع بين هذين النقيضين.

"فتاوى الإمارات" (٤ / ٣٠ :٢١ :٠٠).

(١) "صحيح الجامع" (رقم٣٠٠٢).

(مصير الأرواح بعد الموت)

[١٥٠٢] باب أين مستقر أرواح المؤمنين بعد الموت

[قال الآلوسي في آخر "الآيات البينات"]:

الخاتمة؛ - ونسأل الله تعالى حسنها إذا بلغت الروح المنتهى - في بيان الخلاف في مستقر الأرواح بعد مفارقتها البدن إلى يوم القيامة والبعث [ونتبعها بمسائل].

قال الحافظ ابن القيم في كتاب الروح ":

هذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها وهي إنما تتلقى من السمع فقط، واختلف في ذلك فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند الله تعالى في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة، ولا دين، ويلقاهم ربهم بالعفو عنهم، وهذا مذهب أبي هريرة، وعبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما.

[فعلق الألباني قائلاً]:

وهو الصحيح من الأقوال الآتية لأن غيره مما لا دليل عليه في السنة أو في أثر صحيح تقوم به الحجة كما سترى وهو الذي جزم به شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى " (٢٤/ ٣٦٥) وقال: " ومع ذلك فتتصل بالبدن متى شاء الله، وذلك في اللحظة بمنزلة نزول الملك، وظهور الشعاع في الأرض، وانتباه النائم "

وللحافظ ابن رجب تفصيل جيد في ذلك في كتابه " الأهوال " (ق ٩٥ - ١١٣/ ٣) ولولا خشية الإطالة لنقلته برمته فاكتفيت بالإشارة .

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٣٧).

[١٥٠٣] باب منه

[قال الآلوسي تتميما للبحث السابق]:

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين ببئر (زمزم)، وأرواح الكفار ببئر (برهوت).

[فعلق الألباني قائلاً]:

هذا رده ابن القيم بنفسه بقوله (ص ١٠٨): بأنه لا دليل عليه في الكتاب والسنة ولا في قول صاحب يوثق به .

وأما فقرة أرواح الكفار فلم ترد في حديث مرفوع وإنما هي آثار موقوفة ساقها ابن القيم (١٠٦ - ١٠٧٩ وكلها ضعيفة الإسناد، نعم وقع مرفوعاً في مؤلف لأبي سعيد الخراز كما في " مجموع الفتاوى " لابن تيمية (٤/ ٢٢١) لكن الخراز هذا صوفي مشهور، بيد أنه في الرواية غير معروف. انظر " الضعيفة " (٢/ ٢٠٩).

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤٠).

[١٥٠٤] باب منه

[قال الآلوسي تتميما للبحث السابق]:

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم، وأرواح الكفار عن شماله

[فعلق الألباني قائلاً]:

هذا معنى طرف من حديث أبي ذر الطويل في الإسراء عند الشيخين، ولكن لا يدل ذلك على تعادلهم في اليمين والشمال، بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسمعة، وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن كما قال ابن القيم (ص ١٠٨)

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤٠-١٤١).

[١٥٠٥] باب منه

[قال الآلوسي تتميما للبحث السابق]:

وقالت طائفة أخرى منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها

[فعلق الألباني قائلاً]:

قلت: وهذا مما لا دليل عليه، وقد رده ابن القيم في فصل خاص عقده لذلك (ص ١٠٩ - ١١٠) وتبعه الحافظ ابن رجب (ق ١٢٧/ ١) باختصار.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤١).

[١٥٠٦] باب منه

[قال الآلوسي تتميما للبحث السابق]:

وقال أبو عمر بن عبد البر: أرواح الشهداء في الجنة وأرواح عامة المؤمنين على أفنية القبور.

[فعلق الألباني قائلاً]:

وهذا على إطلاقه خطأ؛ فإن أرواح المؤمنين أيضاً في الجنة كما في حديث

مالك الآتي، فإذا بأن[1] ذلك في بعض الأوقات، أو بأن لها إشرافاً على القبور استقام الكلام . راجع " الروح " (ص ١٠٠).

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤١).

[١٥٠٧] باب منه ومعنى قول النبي ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة»

[ساق الآلوسي في الآيات البينات حديث]:

«إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه».

[فعلق الألباني على الحديث قائلاً]:

أي روحه، " طير " أي كطير، "يعلق" أي يأكل . وكان الأصل (معلق) فصححته من " الموطأ " (١/ ٢٣٨) وغيره . قال ابن القيم في شرح الحديث (ص١١٢):

يحتمل أن يكون هذا الطائر مركبا للروح كالبدن لها، ويكون لبعض المؤمنين والشهداء، ويحتمل أن يكون الروح في صورة طائر، وهذا اختيار ابن حزم وابن عبد البر.

قلت: ومن الملاحظ أن لفظ الحديث هنا " المؤمن طير " وفي الشهداء " في أجواف طير " كما تقدم قريباً، فمن العلماء من جعلهما حديثاً واحداً وحمل حديث مالك على هذا، ومنهم من جعلهما حديثين كابن القيم وغيره، فقال ابن

(١) كذا في الأصل، ولعل العبارة فإذا [قيد] بأن ذلك...

كثير في " تفسيره " (١/ ٤٢٧): " وفي هذا الحديث أن روح المؤمن تكون على شكل طائر في الجنة " وأما أرواح الشهداء فكما تقدم " في حواصل طير خضر" فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها تطير بأنفسها " . ونحوه في " شرح العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز (ص ٤٥٥ - ٤٥٦) .

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤٣).

[١٥٠٨] باب منه

[قال الآلوسي تتميما للبحث السابق]:

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض . وهذا قول من يقول: إن النفس عرض من أعراض البدن كحياته وإدراكه فتعدم بموت البدن كما تعدم سائر الأعراض المشروطة بحياته، وهذا قول مخالف لنصوص القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين.

[فعلق الألباني قائلاً]:

وقد بين ذلك وشرحه شرحا مبسطاً في " مجموع الفتاوى " (٤/ ٢٦٢ - ٢٧٠)، وصرح في مكان آخر (٤/ ٢٩٢): " أن الروح تبقى بعد مفارقة البدن، خلافاً لضلال المتكلمين، وأنها تصعد وتنزل خلافا لضلال الفلاسفة "

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤٤).

[١٥٠٩] باب منه

سؤال: بالنسبة للروح، بعد وفاة الشخص هل تعود إليه ثانية عندما ينزل إلى القبر وهل يعذب حسب أعماله في القبر؟

الشيخ: لا شك أن الميت حينما يوضع في قبره فتعود الروح إليه ساعة مجيء الملكين: منكر ونكير لسؤاله، فإذا ما أجاب بالجواب عاد ميتاً كما كان من قبل، وأنا أعني بهذا أن الروح حين يوضع في قبره تعود إليه الروح وتتلبسه بحيث أنه لما بيكون ضجيع القبر يجلس حتى يوجه إليه السؤال فيجيب، فالروح تتلبس قسمه الأعلى فإذا ما انتهى من الجواب عاد كما كان ميتاً، هنا الآن **سؤال**: أين مصير روحه؟

الجواب: يعذب أو ينعم بروحه لأن جسده ميت، طريقة التنعيم والتعذيب طبعاً هذه الأمور الغيبية التي لا يجوز لمسلم أن يتعمق فيها، لأنه من باب الغيب وما نعلم الغيب ولا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، ولكن في عندنا بعض التفاصيل التي عرفناهما من السنة الصحيحة، من ذلك مثلاً إذا كانت روح الميت مؤمنة يفتح له طاقة من القبر يطل منها على منزله في الجنة، من روحها،ونعيمها ولا يزال هكذا يتنعم إلى قيام الساعة.

في حديث آخر أن هنا الميت المؤمن إما أن يكون من عامة المؤمنين، وإما أن يكون شهيداً، فإذا كان من عامة المؤمنين فتنتقل روحه منه إلى بطن طير من طيور الجنة فيتنعم يأكل هذا الطير من شجر الجنة، إذا كان هذا الميت شهيدا فتكون روحه في حوصلة طير من طيور الجنة.

روح المؤمن العادي في بطن الطير، روح المؤمن الشهيد في حوصلة الطير.

فإذن روح المؤمن نعيمه إما في قبره وقد ينتقل في الجنة بروحه وليس بجسده، أما إذا كان لا سمح الله فاسقا أو كافراً فيفتح له طاقة ويرى منزله في النار، في جهنم، يفتح له منها طاقة فيأتيه من ريحها ولهيبها ودخانها فلا يزال يعذب حتى

تقوم الساعة.

ومن هنا نصل إلى نقطة هامة جداً لها علاقة ببعض مشاكل العصر الحاضر، فلا بد أنكم تسمعون بناس يزعمون أنهم يستحضرون الأرواح، تسمعون الشيء هذا ولا لا؟

يعني استحضار الأرواح اليوم من بدع العصر الحاضر، وضلالات الكفار الأوربيين وأمثالهم.

هؤلاء لا يؤمنون بشيء اسمه بعث ونشور ...إلخ. فيزعمون أن بإمكانهم أن يستحضروا روح من شاؤوا من الأطباء، من العلماء، من الصالحين، من الطالحين الخ. واغتر بهم كثر من المسلمين في مصر، في سوريا الخ. نحن نعرف بعضهم، فإذا استحضرنا هذه العقيدة الإسلامية وهي أن روح الميت في القبر: ينعم أو يعذب أن ينتقل إذا كان مؤمناً إلى الجنة، كيف يمكن استعادة هذا الأرواح إلى عالم الدنيا، واستنطاقها، واستجوابها؟ هذا من تدجيل الشيطان على هؤلاء الناس اليوم

إذا تذكرتم هذا الحقيقة فاذكروا معها عملية استحضار الأرواح هو دجل عصري، دجل عصري يخالف الشريعة الإسلامية.

"الهدى والنور" (٥٢٨/ ١٥: ٤٩: ٠٠).

[١٥١٠] باب هل روح النبي ﷺ تستقر في جسده بعد موته؟

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«ما من نبي يموت فيقيم في قبره إلا أربعين صباحا حتى ترد إليه روحه،

ومررت بموسى ليلة أسري بي وهو قائم في قبره بين عائلة وعويلة» .

(موضوع).

[قال الإمام]:

وأنا أرى أن هذا الحديث يعارض قوله ﷺ: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» .

رواه أبو داود (١/ ٣١٩) والبيهقي (٥/ ٢٤٥) وأحمد (٢/ ٥٢٧) بإسناد حسن عن أبي هريرة، وهو مخرج في الكتاب الآخر " الصحيحة " (٢٢٦٦) .

ووجه التعارض أنه يدل على أن روحه ﷺ ليست مستقرة في جسده الشريف، بل هي ترد إليه ليرد سلام المسلمين عليه ﷺ، بينما هذا الحديث الموضوع يقرر صراحة أن روح كل نبي ترد إليه بعد أربعين صباحا من وفاته، فلوصح هذا فكيف ترد روحه ﷺ إلى جسده ليرد السلام، هذا أمر غير معقول، بل هو ظاهر التناقض، فلابد من رد أحدهما، وليس هو إلا هذا الحديث المنكر حتى يسلم الحديث القوي من المعارض، فتأمل هذا فإنه مما ألهمت به، لا أذكر أني رأيته لأحد قبلي، فإن كان صوابا فمن الله، وإلا فمن نفسي.

"الضعيفة"(١/ ٣٦٠، ٣٦٢-٣٦٣).

(تلاقي الأرواح بعد الموت)

[١٥١١] باب هل تعود أراوح الأموات إلى الدنيا؟

سؤال: روح الميت هل تأتي ويعرف ماذا نفعل هنا في بيته مثلاً؟

الشيخ: أبداً، هذه خرافات تدور في أذهان بعض الناس، الميت إذا مات انقطعت علاقته بالدنيا بالكلية، يعني: لو نزلت القنابل الذرية التي سمعتي عن واحدة منها لما أنزلوها الأمريكان على اليابان، لو نزلت مئات القنابل الذرية على هذه الأرض الكروية ما يحس الأموات بها إطلاقاً: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث»، وربنا يقول في القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾(فاطر:٢٢)ﷺ، فالموتى لا يسمعون، فلا تصدقي هذه الأخبار كلها.

" الهدى والنور" (٢٩٠/ ٠٢: ٥٢: ٠٠)

[١٥١٢] باب هل أرواح الأموات تتلاقى وتتزاور وتتذاكر

[قال الآلوسي في "الآيات البينات" ضمن مسائل ذكرها حول الروح]:

الأولى [أي المسألة الأولى]: هل أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟ وجوابها على ما في " كتاب الروح ":

" إن الأرواح قسمان: أرواح معذبة وأرواح منعمة، فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها .

[فعلق الألباني قائلاً]:

وقد ساق لها [أي ساق ابن القيم للمسألة] أدلة كثيرة من الكتاب والسنة والآثار عن الصحابة والتابعية، لكن الأحاديث التي أوردها ليس فيها ما يحتج به من قبل إسناده، وقد فاته حديث أبي هريرة وفيه: «. . . وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء، فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض . . .» الحديث. وسنده حسن، وصححه السيوطي وقد خرجته في "الصحيحة" (٢٦٢٨).

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤٥).

[١٥١٣] باب هل تجتمع أرواح الموتى فتتذاكر في أحول الدنيا؟

سؤال: أرواح الأحياء إذا قبضت [تجتمع بأرواح الموتى قائمةً عليهم] من عالم الأحياء فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: فلان تزوج، فلان على حال حسنة، ويقولون: ما فعل فلان؟ فيقول: ألم يأتكم فيقولون: ذهب به إلى أمه الهاوية؛ هل في ذلك نصوص عن رسول الله ﷺ؟

الشيخ: نعم. يوجد حديث بهذا المعنى الذي ذكرته لكني في الواقع الآن غير مستحضر إن كان صحيحاً أو ضعيفاً[1]، وعسى أن يتاح لنا المراجعة، إن شاء الله تعالى يا شيخنا.

الشيخ: إن شاء الله.

مداخلة: نراجعك بعد فترة في هذه المسألة يا شيخنا؟

---

(١) صحيح الشيخ في "صحيح الجامع" (رقم٤٩٠) و"الصحيحة" (٣/ ٢٩٣).

الشيخ: ما في مانع.

مداخلة: إن شاء الله.

مداخلة: هنا الأخ مصطفى رحمه الله الذي علمت عن وفاته.

الشيخ: أي نعم.

مداخلة: كان أخ يعني: من أحبابنا وكان عزيز علينا يعني؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: كان يا شيخنا يعني صديق لي يعني: دائم الصداقة، فأنا بعد موته أشعر في كآبه وفي ضيق.

الشيخ: أمر طبيعي.

مداخلة: أمر طبيعي.

الشيخ: ومعلوم، لكن عليك أن تتدرع بالصبر.

مداخلة: بالصبر؟

الشيخ: أي نعم. ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(الزمر:١٠).

مداخلة: جزاك الله خير يا شيخنا.

الشيخ: وإياك.

مداخلة: بارك الله فيك يا شيخنا.

الشيخ: وفيك بارك إن شاء الله.

"الهدى والنور" (٢٠٢/ ٠١: ٥٧: ٠٠).

[١٥١٤] باب هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات؟

[قال الآلوسي في "الآيات البينات" ضمن مسائل ذكرها حول الروح]:

الثانية [أي المسألة الثانية]: هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات؟ وجوابها: نعم قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾روى أبو عبد الله بن منده بسنده إلى ابن عباس في هذه الآية قال: "بلغني أن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فيتساءلون بينهم، فيمسك الله تعالى أرواح الموتى، ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها ".

والقول الثاني في الآية: أن الممسك والمرسل في الآية كلاهما توفي وفاة النوم، فمن استكملت أجلها أمسكها عنده فلا يردها إلى جسدها، ومن لم تستكمل أجلها ردها إلى جسدها لتستكمله.

[فعلق الألباني قائلاً]:

وقد واجه ابن القيم (ص ٢٠ - ٢١) كلاًّ من القولين: وذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية اختار القول الثاني . . ثم رجح هو القول الأول ثم أفاد من التحقيق أن الآية تتناول النوعين: الوفاة الكبرى وهي الموت، والوفاة الصغرى وهي النوم، فراجع كلامه إن شئت التفصيل، وبذلك فسر الآية ابن كثير ثم قال (٤/ ٥٥): فيه دلالة على أنها تتجمع في الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذي رواه ابن منده وغيره.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤٥).

(فناء الأرواح)

[١٥١٥] باب هل تفنى الأرواح

[علق الإمام على قوله تعالى ﴿كل من عليها فان﴾ وقوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ قائلاً]:

والمراد بالفناء والهلاك المذكورين في الآيتين بالنسبة للأرواح إنما هو خروجها من أبدانها، وليس عدمها مطلقا فإنها لا تفنى كالجنة والنار ونحوهما، وقد جمعها ابن القيم فقال في " الكافية الشافية " (١/ ٩٧ - شرح).

ثمانية حُكْمُ البقاء يعمها من... الخلق والباقون في حيز العدم هي العرض والكرسي ونار وجنة... وشجب وأرواح كذا اللوح والقلم وذكره النار فيها وأنها باقية لا تفنى هو الصواب من قوله كما بينته في مقدمتي لكتاب " رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار " للعلامة الصنعاني.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٤٧).

[١٥١٦] باب منه

[عن ابن مسعود مرفوعًا]:

«كان إذا دخل الجبانة قال: السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية، والأجداث البالية، والعظام النخرة، التي خرجت من الدنيا وهي بالله مؤمنة، اللهم ! أدخل عليهم روحاً منك، وسلاماً منا».

ضعيف.

[قال الإمام]:

والحديث ظاهر النكارة، لوصفه الأرواح بأنها فانية، وهذا خلاف ما عليه المسلمون جميعاً.

"الضعيفة"(٩/ ٢٠١).

(كتاب الروح لابن القيم)

[١٥١٧] باب ما قيمة كتاب «الروح» لابن القيم العلمية؟

مداخلة: كتاب الروح لابن القيم الجوزية هل يعتمد عليه يا شيخنا هذا الكتاب؟

الشيخ: لا يعتمد عليه، ولو كان ابن القيم هو عندنا قيم، لكن كتابه إن صح نسبته إليه فهو من الكتب التي تشبه ما يؤلفها الناشئون اليوم في العلم، والذين يتسرعون فيخبطون الخبط العشواء في الليلة الظلماء، فالظاهر إن صحت نسبة كتاب ابن القيم كان هذا الكتاب من أوائل ما ألفه، يعني: قبل أن يتحرر من التقليد والجمود الفكري والمذهبي والخرافي.

"الهدى والنور" (٣٢٨/ ٤٢: ٤٦: ٠٠).

[١٥١٨] باب هل تصح نسبة كتاب الروح لابن القيم؟

سؤال: كتاب الروح الذي ينسب لابن القيم، هل تصح نسبته إليه فعلاً ولاَّ لا؟

الشيخ: هو ينسب له فعلاً، لكن ما ندري هل هو ألفه في أول حياته، أم هو منسوب إليه، ولا علم عنده به الله أعلم.

" الهدى والنور" (٢٢٩/ ٥٨: ٥٢: ٠٠).

جماع أبواب

ذكر عذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين وغير ذلك

[١٥١٩] باب إثبات عذاب القبر من الكتاب والسنة

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه . قال زيد: ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذا بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها ما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال» .

[قال الإمام]:

من فوائد الحديث

و في هذه الأحاديث فوائد كثيرة [منها]:

- **إثبات عذاب القبر، والأحاديث في ذلك متواترة،** فلا مجال للشك فيه بزعم أنها آحاد ! ولو سلمنا أنها آحاد فيجب الأخذ بها لأن القرآن يشهد لها، قال تعالى: ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ، النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾(غافر:٤٥، ٤٦).

ولو سلمنا أنه لا يوجد في القرآن ما يشهد لها، فهي وحدها كافية لإثبات هذه العقيدة، والزعم بأن العقيدة لا تثبت بما صح من أحاديث الآحاد زعم باطل دخيل في الإسلام، لم يقل به أحد من الأئمة الأعلام كالأربعة وغيرهم، بل هو مما جاء به بعض علماء الكلام، بدون برهان من الله ولا سلطان، وقد كتبنا فصلاً خاصا في

هذا الموضوع الخطير في كتاب لنا، أرجو أن أوفق لتبييضه ونشره على الناس .

- إن سؤال الملكين في القبر حق ثابت، فيجب اعتقاده أيضاً، والأحاديث فيه أيضاً متواترة.

"الصحيحة"(١/ ١/ ٢٩٤-٢٩٧).

[١٥٢٠] باب أدلة عذاب القبر

[قال الإمام]:

عذاب القبر" (ثابت) كتاباً وسنة وبإجماع أهل السنة والجماعة والسلف الصالح.

"الصحيحة"(٧/ ٢/ ٨٨٤)

[١٥٢١] باب ذكر بعض أهل الضلال ممن أنكر عذاب القبر

[ترجم الإمام لضرار بن عمرو قائلاً]:

هو القاضي . قال الذهبي: " معتزلي جلد له مقالات خبيثة قال ابن حزم: " كان ضرار ينكر عذاب القبر ".

قلت: ومثله اليوم كثير ممن يشككون في الأحاديث الصحيحة الصريحة في عذاب القبر ويدفعونها بزعمهم أنها أحاديث آحاد، وأن القاعدة أنه لا تثبت بها عقيدة، وقد بينت بطلان هذه القاعدة في رسالتين مطبوعتين: " الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام " و" وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة ".

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٢٤).

[١٥٢٢] باب منه

[قال الإمام]:

الطبيب البيطري إسماعيل منصور المصري ...[في] كتابه الذي اسماه "شفاء الصدر (ينفي) عذاب القبر"[(١)].

"الصحيحة"(٧/ ٢/ ٨٨٣-٨٨٤).

[١٥٢٣] باب هل تعود الروح للإنسان في قبره؟ والتنبيه على عدم التوسع في الكلام على عذاب القبر ونعيمه إلا بما ثبت

سؤال: بالنسبة للروح، بعد وفاة الشخص هل تعود إليه ثانية عندما ينزل إلى القبر وهل يعذب حسب أعماله في القبر؟

الشيخ: لا شك أن الميت حينما يوضع في قبره فتعود الروح إليه ساعة مجيء الملكين: منكر ونكير لسؤاله، فإذا ما أجاب بالجواب عاد ميتاً كما كان من قبل، وأنا أعني بهذا أن الروح حين يوضع في قبره تعود إليه الروح وتتلبسه بحيث أنه لما بيكون ضجيع القبر يجلس حتى يوجه إليه السؤال فيجيب، فالروح تتلبس قسمه الأعلى فإذا ما انتهى من الجواب عاد كما كان ميتاً، هنا الآن سؤال: أين مصير روحه؟

الجواب: يعذب أو ينعم بروحه لأن جسده ميت، طريقة التنعيم والتعذيب طبعاً هذه الأمور الغيبية التي لا يجوز لمسلم أن يتعمق فيها، لأنه من باب الغيب وما نعلم الغيب ولا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، ولكن في عندنا بعض التفاصيل

(١) تأتي ردود العلامة الألباني عليه في "جامع التعقبات والردود" من هذه الموسوعة، يسر الله إتمامها بخير.

التي عرفناهما من السنة الصحيحة، من ذلك مثلاً إذا كانت روح الميت مؤمنة يفتح له طاقة من القبر يطل منها على منزله في الجنة، من روحها،ونعيمها ولا يزال هكذا يتنعم إلى قيام الساعة.

في حديث آخر أن هذا الميت المؤمن إما أن يكون من عامة المؤمنين، وإما أن يكون شهيداً، فإذا كان من عامة المؤمنين فتتنقل روحه منه إلى بطن طير من طيور الجنة فيتنعم يأكل هذا الطير من شجر الجنة، إذا كان هذا الميت شهيدا فتكون روحه في حوصلة طير من طيور الجنة.

روح المؤمن العادي في بطن الطير، روح المؤمن الشهيد في حوصلة الطير.

فإذن روح المؤمن نعيمه إما في قبره وقد ينتقل في الجنة بروحه وليس بجسده، أما إذا كان لا سمح الله فاسقا أو كافراً فيفتح له طاقة ويرى منزله في النار، في جهنم، يفتح له منها طاقة فيأتيه من ريحها ولهيبها ودخانها فلا يزال يعذب حتى تقوم الساعة.

ومن هنا نصل إلى نقطة هامة جداً لها علاقة ببعض مشاكل العصر الحاضر، فلا بد أنكم تسمعون بناس يزعمون أنهم يستحضرون الأرواح، تسمعون الشيء هذا ولا لا؟

يعني استحضار الأرواح اليوم من بدع العصر الحاضر، وضلالات الكفار الأوربيين وأمثالهم.

هؤلاء لا يؤمنون بشيء اسمه بعث ونشور ...الخ. فيزعمون أن بإمكانهم أن يستحضروا روح من شاؤوا من الأطباء، من العلماء، من الصالحين، من الطالحين الخ. واغتر بهم كثر من المسلمين في مصر، في سوريا الخ. نحن نعرف بعضهم،

فإذا استحضرنا هذه العقيدة الإسلامية وهي أن روح الميت في القبر: ينعم أو يعذب أن ينتقل إذا كان مؤمناً إلى الجنة، كيف يمكن استعادة هذا الأرواح إلى عالم الدنيا، واستنطاقها، واستجوابها؟ هذا من تدجيل الشيطان على هؤلاء الناس اليوم إذا تذكرتم هذا الحقيقة فاذكروا معها عملية استحضار الأرواح هو دجل عصري، دجل عصري يخالف الشريعة الإسلامية.

"الهدى والنور" (٥٢٨/ ١٥: ٤٩: ٠٠)

[١٥٢٤] باب السؤال في القبر حق وأحاديثه متواترة

[علق الإمام على قول صاحب الطحاوية: "ونؤمن... بعذاب القبر لمن كان له أهلا وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه، ودينه، ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة رضوان الله عليهم " قائلاً]:

وهي [أي أخبار السؤال في القبر] متواترة، إلا تسمية الملكين بمنكر ونكير ففيه حديث بإسناد حسن مخرج في " الصحيحة " (١٣٩١).

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٨٥).

[١٥٢٥] باب منه

[قال الإمام]:

- إن سؤال الملكين في القبر حق ثابت، فيجب اعتقاده أيضاً، والأحاديث فيه أيضا متواترة.

"الصحيحة"(١/ ١/ ٢٩٧).

[١٥٢٦] باب ما جاء أن إبليس وأعوانه يأتون الميت في القبر...

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، وبشروهم بالجنة، فإن الحليم من الرجال والنساء يتحيرون عند ذلك المصرع، وإن الشيطان لأقرب ما يكون عند ذلك المصرع، والذي نفسي بيده لا تخرج نفس عبد من الدنيا حتى يألم كل عرق منه على حياله».

(ضعيف).

[قال الإمام]:

(فائدة): وأما ما نقله الغزالي في " الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة " من فتنة الموت، وأن إبليس لعنه الله وكل أعوانه يأتون الميت على صفة أبويه على صفة اليهودية، فيقولان له: مت يهوديّاً، فإن انصرف عنهم جاء أقوام آخرون على صفة النصارى حتى يعرض عليه عقائد كل ملة، فمن أراد الله هدايته أرسل إليه جبريل فيطرد الشيطان وجنده، فيبتسم الميت... إلخ، فقال السيوطي: " لم أقف عليه في الحديث ".

"الضعيفة"(٣/ ٦٤٥-٦٤٦).

[١٥٢٧] باب عذاب القبر يكون للكفار والفساق

[علق الإمام على قول صاحب الطحاوية: "ونؤمن ... بعذاب القبر لمن كان له أهلاً" قائلاً]:

يعني من الكفار وفساق المسلمين، والأول مقطوع به منصوص عليه في

القرآن، والآخر كذلك، وهو منصوص عليه في أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر، كما ذكر الشارح وغيره .

فيجب الاعتقاد به ولكن لا يجوز الخوض في تكييفه؛ إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول، فيجب التسليم به، وتجد بعض الأحاديث المشار إليها في " الشرح " وفي " السنة " لابن أبي عاصم (رقم ٨٦٣ - ٨٧٧ بتحقيقي وتخريجي) .

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٨٤-٨٥).

[١٥٢٨] باب هل يعذب المسلم العاصي في القبر بأصناف عذاب الكافر؟

سؤال: يسأل السائل فيقول: هل حديث تعذيب الرجل الكافر في القبر وضرب الملائكة له يطبق على المسلم العاصي؟

الشيخ: ذلك مما لا نعرفه، ومن المحتمل أن يشارك المنافق أو الفاسق من المسلمين الكافر في التعذيب بنوع من العذاب، وهذا مما جاء التصريح به في مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «استنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه» فهذا يدل على أن المسلم يعذب في القبر ولكن ما نوعية هذا العذاب هذا مما لا نعلمه، وكذلك يؤيد معنى هذا الحديث حديث ابن عباس رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان في صحيحيهما أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال عليه السلام: «أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستنزه – وفي رواية: لا يستتر – من البول، وأما الآخر فكان يسعى بالنميمة» ثم أمر عليه الصلاة والسلام بأن يؤتى بغصن النخيل فشقه نصفين ووضع أحدهما على قبر والآخر على الآخر، فسألوه

عن عليه السلام فقال: «لعل الله أن يخفف عنهما ما داما رطبين» فهذا أيضًا فيه تصريح بأن المسلم يعذب في قبره بسبب معصية كان اقترفها في حياته، وذكر هنا في الحديث معصيتين إحداهما: إهماله التنزه وعدم الاحتياط في أن يصاب برشاش البول والآخر أنه كان يسعى بالنميمة.

وقوله عليه السلام حينما وضع على كل قبر شقًا من ذلك الغصن: «لعل الله أن يخفف عنهما ما داما رطبين» إشعار بأنهما كأنا مسلمين، ويؤكد ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ لما سئل عن الوضع المذكور وعن السبب الحامل له على ذلك قال: «لعل الله عز وجل أن يخفف عنهما بشفاعتي» أي: بدعائي، ومعنى هذا: أن النبي ﷺ دعا لهما أن يخفف الله عنهما من العذاب الذي أصابهما ما دام الغصنان رطبين.

"فتاوى الإمارات" (٤ / ٣٨:٠٠:٠٠).

[١٥٢٩] باب هل عذاب القبر مستمر أم منقطع؟

سؤال: أستاذنا، عذاب القبر هو عذاب حتى يوم القيامة، أم متقطع؟ وما الدليل على ذلك؟

الشيخ: ربنا قال في القرآن الكريم في حق فرعون وجماعته: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾(غافر:٤٦)، هذا بالنسبة لأكثر الناس، فرعون وجماعته، الذي اتخذوه إلهاً من دون الله، أما الآخرين لا شك أن من الفساق من المسلمين، بيكون عذابهم دون ذلك، أما تفصيل بين كم وكم، فهذا ليس له ذكر في السنة.

"الهدى والنور" (٩ / ٠٤ : ٤٦ : ٠٠)

[١٥٣٠] باب هل يمكن أن يرى بعض الناس ما يحدث في القبر من عذاب؟

السائل: العاصي؛ في بعض الأوقات يدعون أنهم يشوفون ما يحدث له في القبر.

الشيخ: هذا ممكن، لعلكم سمعتم الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن العباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال عليه الصلاة والسلام: «أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر: فكان لا يستنزه – وفي رواية –: لا يستتر من البول، ثم أمر بأن يؤتى له بغصن فشقه شقين ووضع كل شق منهما على القبر، فسألوه عن ذلك عليه الصلاة والسلام فقال: لعل الله عز وجل يخفف عنهما ما داما رطبين».

فالرسول ﷺ سمع عذاب هذين المعذبين، وكانا مسلمين لكن أحدهما يسعى بالنميمة والآخر: لا يستتر، أي: يتساهل في الكشف عن عورته أمام الناس، أو لا يستنزه من البول، أي: لا يتحاشى أن يصيبه رشاش البول، ولذلك عذبا، وقال عليه الصلاة والسلام: «استنزهوا من البول فإن أكثر عذاب القبر من البول».

كذلك جاء في الصحيح: «أن النبي ﷺ مر ذات يوم راكبًا دابته فشمست به، فنزل فرأى قبرين فسأل أصحابه الذين كانوا معه: متى مات هذان؟ قالوا: في الجاهلية، فقال عليه الصلاة والسلام: لولا أن لا تدافنوا لأسمعتكم عذاب القبر»[(١)] أي: إن

(١) صحيح الجامع (رقم٥٣٢٥).

الدابة لما شمست به عليه السلام سمعت صوت عذاب المقبورين، فلا يستبعد أن يرى بعض الناس بعض العصاة في قبورهم يعذبون؛ لأن عذاب القبر حق، ولذلك أمر النبي ﷺ من قوله: «إذا جلس أحدكم في التشهد الأخير فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»(1) فعذاب القبر حق يمكن أن يرى بالأعين العادية أفعى تنهش منه ... ونحو ذلك، لكن يبقى كل شيء خاضع لعلم الرواية صحت الرواية أم لا؟ الذي يحُدِّث صادق أو مُهَوِّل، كل هذا ممكن أن يقال، أما الأصل فثابت.

"فتاوى جدة –الأثر-" (٢٩ / ٤٨:٠٦:٠١).

[١٥٣١] باب ضمة القبر غير عذاب القبر

[روي عن النبي ﷺ]:

«الضمة في القبر كفارة لكل مؤمن؛ لكل ذنب بقي عليه لم يغفر له، وذلك أن يحيى بن زكريا عليهما السلام ضمه القبر ضمة في أكلته الشعير».

(موضوع)

[قال الإمام]:

وبيض له المناوي في "شرحيه" فلم يتكلم على إسناده بشيء؛ إلا أنه نقده من حيث متنه فقال:"وهذا يعارض خبر: «أكثر عذاب القبر من البول» و«عامة عذاب القبر من البول».

---

(١) البخاري (رقم٢٣٤٤) ومسلم (رقم٧٥).

وهـذه معارضـة غـير صـحيحة؛ **لأن ضـمة القـبر غـير عـذاب القـبر**، كـما يـدل عليـه أحاديـث ضـم القـبر لـسعد بـن معـاذ، وللـصبي، وانظـر "الـصحيحة" (١٦٩٥و٢١٦٤).

والحديث الذي ذكره المناوي صحيح، ورد عن جمع من الصحابة باللفظين اللـذين ذكرهمـا، وهـو مخـرج في "إرواء الغليـل" (١/ ٣١٠/ ٢٨٠) . ويـشهد لـه حديث "الصحيحين": «أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، وأما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» .

رواه الشيخان وهو مخرج في المصدر السابق (٢٨٣) .

"الضعيفة"(٧/ ٢٨١).

[١٥٣٢] باب في ضغطة القبر

سؤال: قال في المسند..: حديث حذيفة قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فلما انتهينا إلى القبر قعد على ساقيه فجعل يردد بصره فيه، ثم قال: يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله، ويُملأ على الكافر نارًا » قال: والحمال: عروق الأنثيين... ما معنى تزول الحمائل؟

الشيخ: كناية عن شدة العذاب..

مداخلة: يعني: المؤمن يضغط ضغطة لهذه الدرجة؟

الشيخ: وتتداخل أضلاعه لا ينجو منها حتى سعد بن معاذ كما قال عليه السلام في بعض الأحاديث الصحيحة.

مداخلة: يعني: الضغطة يتألم منها؟

الشيخ: ...بلا شك، هذا إذا تداخلت الأضلاع فهذا ألم شديد لكن لا يستمر، ضغطة واحدة ثم يعود كل شيء إلى طبيعته إن صالحًا فصالح وإن طالح فطالح كما شرحنا آنفًا من حيث أنه يفتح للميت طاقة في القبر.

مداخلة: يعني: الضغطة لا بد منها.

الشيخ: لا بد منها.

"فتاوى رابغ" (٢/ ٣٦: ٢٢: ٠٠).

[١٥٣٣] باب مِن عذاب القبر ونعيمه

سؤال: القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، هذا حديث؟

الشيخ: حديث ضعيف[١]، لكن معناه مأخوذ من أحاديث صحيحة لعلكم تذكرون أن الميت إذا وضع في قبره وكان صالحًا فتحت له طاقة نافذة يطل منها على منزله في الجنة، فيأتيه من روحها وريحها ونعيمها ولا يزال كذلك ينعم حتى تقوم الساعة، وإذا كان والعياذ بالله غير صالح فتحت له طاقة إلى النار ويرى منزله من النار فيأتيه من ريحها ودخانها ولهيبها فلا يزال كذلك يعذب حتى تقوم الساعة، هذا بمعنى حديث: روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار تقريبًا أو يؤدي هذا المعنى وإن كان الحديث الضعيف هذا فيه شيء من المبالغة في الوصف، روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، لا لكن يأتيه من روحها ... ونعيمها إن كان صالحًا، والعكس بالعكس كما ذكرنا.

"فتاوى رابغ" (١/ ١٧:٠٦:٠٠).

---

(١) "ضعيف الجامع" (رقم١٢٣١).

[١٥٣٤] باب رزق الشهداء في قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ يكون في القبر أم في الجنة؟

[قال الألباني معلقا على كلمة "عند"في الآية الكريمة]:

فيه إشارة إلى أن رزقهم المذكور ليس في القبر وإنما عند ربهم، وذلك صريح في حديث مسروق قال: سألنا عبد الله (ابن مسعود) عن هذه الآية: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون ﴾؟ قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك؟ فقال: أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل . . . " الحديث . رواه مسلم وغيره . وهو مخرج في " الصحيحة " (٢٦٣٣).

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص١٠٩).

[١٥٣٥] باب عدم التنزه من البول والنميمة من أسباب عذاب القبر

سؤال: في كل بلاد المسلمين ... نحن أحوج ما نكون للتعلم على الأشياء الصغيرة في ديننا، فالأشياء الصغيرة في ديننا نحن نجهلها تماماً حتى الناس المتعلمين منا، نرى الشيوخ عندنا في المساجد يقف الواحد يخطب خطبة كاملة عن مشكلة اقتصادية، أو مشكلة سياسية أو مشكلة كذا، ولا نرى أن أحداً منهم يعلم الناس كيف يتبرأ الإنسان من البول هذه الأشياء المهمة جداً بالنسبة لنا.

الشيخ: على كل حال يعني الأمر كما تقول مع ملاحظة شيء وهو: إنه هذه في الواقع قد تكون صغيرة بمعنى هينة، ولكنها عند الله كبيرة، انظر الآن بمناسبة ما

قلت قوله عليه السلام: «تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه» إذاً تنزهوا من البول هذا شيء صغير رشاش من البول يصيب البدن أو الثياب، وهذا يقع فيه كثير من الناس وخاصة الذين ابتلوا بلباس البنطلون يا أبا عبد الله هذه مصيبة الدهر؛ لأنه هذا البنطلون لا يساعد على التنزه من البول هذه حقيقة، ولذلك كما قال أيضاً في الحديث الآخر وهو أصح من الأول رواه البخاري ومسلم في صيحيحهما من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال: أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير» هنا الشاهد «بلى إنه كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول» وفي رواية: «لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يسعى بالنميمة» ثم أمر عليه الصلاة والسلام أن يؤتى إليه بعذق من نخيل فشقه شقين ووضع على كل قبر شقاً فسألوه عن هذا فقال: «لعل الله أن يخفف عنهما ما داما رطبين».

"الهدى والنور" (٣٣١/ ٠٣: ١٦: ٠٠).

[١٥٣٦] باب هل وضع أغصان رطبة على القبر يخفف عن الميت في القبر؟

[قال الإمام]:

يظن كثير من الناس وقد تسمعون هذا الظن من بعض الخاصة من الناس، العادة الجاهلية اليوم وبخاصة في الأعياد من وضع الأغصان الرطبة على القبور زعماً منهم إنه هذا ينفع الميت، هيهات هيهات؛ لا ينفع الميت إلا ما قدم من عملٍ صالح، أو ما خلَّف من بعده من آثاره الصالحة، كما قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾(يس:١٢)، وشرح ذلك الرسول عليه السلام في قوله: «إذا مات الإنسان» وفي رواية: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع

به أو ولد صالح يدعو له»، فإذا مات الميت ما أحد يستطيع أن يفيده إطلاقاً إلا عمله الصالح وإلا كما قلنا ما خلَّف من بعده من آثار لعمل له صالح كما تدل الآية والحديث، وإلا بإمكاننا أن نستثني استثناء آخر ويجب أن يظل هذا قائماً في أذهاننا وإلا دعاء يدعو به المسلم لمسلم ميت فيستجيب الله لهذا الدعاء فينتفع به ذلك الميت، ولكن هذا أمر غيبي لا يجوز لنا أن نتكل عليه لا في حياتنا ولا بعد وفاتنا بمعنى: أن نؤمل أننا إذا متنا أن يمر بنا رجل صالح فيدعو لنا فيغفر الله لنا هذا في عالم الغيب، ولذلك المثل يقول: عصفور في اليد ولا عشرة في الشجرة، فإذاً: ﴿وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(التوبة:٩٤)، فهذا الغصن الرطب الندي لا يفيد الميت إطلاقاً، أما ما فعله الرسول عليه السلام فهذه معجزة وكرامة من الله كما جاء في رواية في صحيح مسلم من حديث جابر أن الله عز وجل قبل شفاعة النبي ﷺ في المقبور ما دام الغصن رطباً.

فإذاً: علة انتفاع الميت الذي وضع الرسول عليه الصلاة والسلام الغصن على قبره ليس هو الرطوبة والنداوة الموجودة بالغصن، وإنما العلة هو أن النبي ﷺ دعا وقبل الله منه دعاءه بحق الميت، ولكن ليس إلى يوم يبعثون، وإنما ما دام الغصن رطباً فإذاً هذا هو معنى الحديث ونستفيد منه أن الشيء الذي لا يهتم به المسلم مثل استغابة أخيه المسلم في المجلس، أو عدم الاهتمام بالتنزه من رشاش البول فذلك من الأسباب الموجبة لعذاب القبر، ونسأل الله عز وجل أن يعيذنا وإياكم من عذاب القبر.

"الهدى والنور" (٣٣١/ ٠٣: ١٦: ٠٠).

[١٥٣٧] باب هل زراعة الأشجار على القبور تخفف من عذاب القبر؟

عن ابن عباس قال مر النبي ﷺ بقبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول - وفي رواية لمسلم: لا يستنزه من البول - وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة» قالوا: يا رسول الله لم صنعت هذا؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» .متفق عليه.

[قال الإمام]:

لقد توهم كثير من الناس أن التخفيف إنما كان من أجل رطابة الشقين، وهذا ليس بصحيح ولو كان كذلك لما شق الغصن شقين لأن ذلك مما يسرع اليبوسة إلى الشقين كما لا يخفى، والصحيح أن سبب التخفيف إنما هو شفاعته ﷺ ودعاؤه لهما، وأن الله استجاب له ذلك إلى أن ييبساً، فالرطابة علامة لا سبب، ويشهد لهذا حديث جابر الطويل في مسلم (٨/ ٢٣٥): "إني مررت بقبرين يُعذبان، فأحببت بشفاعتي أن يرفه عنهما مادام الغصنان رطبين" . ولهذا لم يعرف عن النبي ﷺ أنه كان يفعل ذلك عند زيارة القبور ولا عن الصحابة ولا عن أحد السلف، بل قد أنكر الإمام الخطابي ما يفعله الناس اليوم من وضع الأخضر على القبور، وقال: إنه لا أصل له، وقد تكلمت على هذه المسألة بتفصيل في كتابي "أحكام الجنائز وبدعها" وراجح أيضاً تعليق أحمد شاكر على "الترمذي" (١/ ١٠٣).

" تحقيق مشكاة المصابيح"(١/ ١١٠).

[١٥٣٨] باب أن التخفيف من عذاب القبرين كان بسبب دعائه ﷺ لا بسبب الغصنين وأن ذلك خاص به ﷺ

عن جابر: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ فَذَهَبَ رَسُولُ الله ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الْوَادِي فَانْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى إِحْدَاهُمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله». فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ المَخْشُوشِ الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ حَتَّى أَتَى الشَّجَرَةَ الأُخْرَى فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ الله». فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالمَنْصَفِ مِمَّا بَيْنَهُمَا لأَمَ بَيْنَهُمَا – يَعْنِي جَمَعَهُمَا – فَقَالَ: «الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ الله». فَالْتَأَمَتَا قَالَ جَابِرٌ فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ الله ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ – وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ فَيَتَبَعَّدَ – فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ الله ﷺ مُقْبِلاً وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَى سَاقٍ فَرَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَقَفَ وَقْفَةً فَقَالَ بِرَأْسِهِ هَكَذَا – وَأَشَارَ أَبُو إِسْمَاعِيلَ بِرَأْسِهِ يَمِينًا وَشِمَالاً – ثُمَّ أَقْبَلَ فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيَّ قَالَ «يَا جَابِرُ هَلْ رَأَيْتَ مَقَامِي». قُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا فَأَقْبِلْ بِهِمَا حَتَّى إِذَا قُمْتَ مَقَامِي فَأَرْسِلْ غُصْنًا عَنْ يَمِينِكَ وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِكَ». قَالَ جَابِرٌ: فَقُمْتُ فَأَخَذْتُ حَجَرًا فَكَسَرْتُهُ وَحَسَرْتُهُ فَانْذَلَقَ لِي فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا ثُمَّ أَقْبَلْتُ أَجُرُّهُمَا حَتَّى قُمْتُ مَقَامَ رَسُولِ الله ﷺ أَرْسَلْتُ غُصْنًا عَنْ يَمِينِي وَغُصْنًا عَنْ يَسَارِي ثُمَّ لَحِقْتُهُ فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللهَّ فَعَمَّ ذَاكَ؟ قَالَ «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَذَّبَانِ فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرَفَّهَ عَنْهُمَا مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ».

[قال: الإمام معلقًا على قوله ﷺ: "بشفاعتي"]:

أي بدعائي . قلت: وهذا نص في أن التخفيف عن عذاب القبرين إنما كان بسبب دعائه ﷺ، وليس ذلك بسبب الغصنين كما يظن كثير من الناس، وإنما الغصنان علامة لمدة التخفيف ما داما رطبين . ليس إلا، وهذا مما يؤكد أن ذلك خاص به ﷺ، ولذلك لم يجر العمل به في العهد الأول عند زيارة القبور، وما عليه الناس اليوم بدعة ينبغي نبذها، لا سيما وقد تطورت إلى أشكال أخرى مثل تزيين القبور بالأكاليل والزهور، حتى لقد حدثني بعض الثقات أنه رأى إكليلاً منها في صورة صليب ظاهر جداً موضوعاً على قبر مسلم. فإلى الله المشتكى.

"مختصر صحيح مسلم"(ص ٤٠٤).

جماع أبواب شرح حديث: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» وحديث: «من نيح عليه يعذب بما نيح عليه»

[١٥٣٩] باب معنى قول النبي ﷺ:
«إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»

[سئل الإمام]:

هناك من يقول: إذا عارض الحديث آية من القران، فهو مردود مهما كانت درجة صحته، وضرب مثالاً لذلك بحديث: «إن الميت ليُعذب ببكاء أهله عليه»(١)، واحتج بقول عائشة في ردها الحديث بقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(فاطر١٨)، فكيف يُرد على من يقول ذلك؟

[فأجاب الإمام] رد هذا الحديث هو من مشاكل رد السنة بالقرآن، وهو يدل على انحراف ذلك الخط.

أما الجواب عن هذا الحديث - وأخص به من تمسك بحديث عائشة رضي الله عنها فهو:

أولاً: من الناحية الحديثية: فإن هذا الحديث لا سبيل لرده من الناحية الحديثية لسببين اثنين:

أ - أنه قد جاء بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما .

ب - أن ابن عمر رضي الله عنه لم يتفرد به، بل تابعه على ذلك عمر بن الخطاب وهو وابنه لم يتفردا به، فقد تابعهما المغيرة ين شُعبة، وهذا مما يحضرني في هذه الساعة بأن هذه الروايات عن هؤلاء الصحابة الثلاثة رضي الله عنهم في الصحيحين.

---

(١) "صحيح الجامع" (١٩٧٠). [منه].

أما لو أن الباحث بحث بحثاً خاصاً في هذا الحديث فيسجد له طرقاً أخرى، وهذه الأحاديث الثلاثة كلها أحاديث صحيحة الأسانيد فلا تُرد بمجرد دعوى التعارض مع القران الكريم.

ثانياً: من الناحية التفسيرية: فإن هذا الحديث قد فسره العلماء بوجهين اثنين:

الوجه الأول:

أن هذا الحديث إنما ينطبق على الميت الذي كان يعلم في قيد حياته أن أهله بعد موته سيرتكبون مخالفات شرعية، ثم لم ينصحهم ولم يوصهم أن لا يبكوا عليه؛ لأن هذا البكاء يكون سبباً لتعذيب الميت.

و" ال " التعريف في لفظ " الميت " هنا ليست للاستغراق والشمول، أي: ليس الحديث بمعنى أن كل ميت يُعذب ببكاء أهله عليه، وإنما " ال " هنا للعهد، أي: الميت الذي لا ينصح بألا يرتكبوا بعد وفاته ما يخالف الشرع، فهذا الذي يعذب ببكاء أهله عليه، أما من قام بواجب النصيحة، وواجب الوصية الشرعية بألا ينوحوا عليه، وألا يأتوا بالمنكرات التي تُفعل خاصة في هذا الزمان، فإنه لا يُعذب وإذا لم يُوص ولم يَنصح عُذب .

هذا التفصيل هو الذي يجب أن نفهمه من التفسير الأول لكثير من العلماء المعروفين والمشهورين؛ كالنووي وغيره، وإذا عرفنا هذا التفصيل، وضح ألا تعارض بين هذا الحديث وبين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(فاطر١٨)، إنما يظهر التعارض فيما لو فُهم أن " ال " في لفظ " الميت " إنما هي للاستغراق والشمول، أي: كل ميت يُعذب، حينئذٍ يُشكل الحديث ويتعارض مع الآية الكريمة، أما إذا عرفنا المعنى الذي ذكرناه آنفا، فلا تعارض ولا إشكال، لأن الذي

يُعذب إنما يُعذب بسبب عدم قيامه بواجب النصح والوصية، هذا الوجه الأول مما قيل في تفسير هذا الحديث لدفع التعارض .

أما الوجه الثاني: فهو الذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بعض مصنفاته، أن العذاب هنا ليس عذاباُ في القبر، أو عذاباً في الآخرة، وإنما هو بمعنى التألم وبمعنى الحزن، أي: إن الميت إذا سمع بكاء أهله عليه، أسف وحزن لحزنهم هم عليه .

هكذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا لو صح لاستأصل شأفة الشبهة . لكني أقول: أن هذا التفسير يتعارض مع حقيقتين اثنتين لذلك لا يسعنا إلا أن نعتمد على التفسير الأول للحديث:

الحقيقة الأولى: أن في حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه الذي أشرت إليه آنفاً زيادة تبين أن العذاب ليس بمعنى التألم، وإنما هو بمعنى العذاب المتبادر، أي: عذاب النار، إلا أن يعفو الله تبارك وتعالى، كما هو صريح قوله عزوجل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(النساء٤٨)، ففي رواية المغيرة قال: «إن الميت ليُعذب ببكاء أهله يوم القيامة»، فهذا صريح بأن الميت يُعذب بسبب بكاء أهله عليه يوم القيامة، وليس في القبر، وهو الذي فسره ابن تيمية بالألم والحزن.

الحقيقة الأخرى: هي أن الميت إذا مات لا يحس بشيء يجري من حوله، سواء أكان هذا الشيء خيراً أو شراً - كما تدل عليه أدلة الكتاب والسنة - اللهم إلا في بعض المناسبات التي جاء ذكرها في بعض الأحاديث، إما كقاعدة لكل ميت، أو لبعض الأموات، حيث أسمعهم الله عزوجل بعض الشيء الذي يتألمون به.

فمن الأول: الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه -حتى إنه سمع قرع نعالهم - أتاه ملكان»[1]، ففي هذا الحديث الصحيح إثبات سمع خاص للميت في وقت دفنه، وحين ينصرف الناس عنه، أي: في الوقت الذي يُجلسه الملكان أُعيدت الروح إليه، فهو في هذه الحالة يسمع قرع النعال، فلا يعني الحديث بداهةً أن هذا الميت وكل الأموات تُعاد إليهم أرواحهم، وأنهم يظلون يسمعون قرع نعال المارة بين القبور إلى يوم يبعثون! لا . إنما هذا وضعٌ خاص وسماع خاص من الميت، لأنه أُعيدت روحه إليه، وحينئذٍ لو أخذنا بتفسير ابن تيمية رحمه الله، وسعنا دائرة إحساس الميت بما يجري حوله، سواءً عند نعشه قبل دفنه، أو بعد وضعه في قبره، ومعنى ذلك: أن يسمع بكاء الأحياء عليه وهذا يحتاج إلى نص، وهو مفقود . هذا أولاً .

وثانياً: بعض نصوص الكتاب والسنة الصحيحة تدل على أن الموتى لا يسمعون، وهذا بحث طويل، ولكني سأذكر حديثاً واحداً، وأنهي الجواب عن السؤال وهو قول النبي ﷺ: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»[2]، وقوله " سياحين " أي: طوافين على المجالس، فكلما صلى مسلم على النبي ﷺ، فهناك ملك موكَّلٌ يُوْصِلُ السلام من ذاك المسلم إلى النبي ﷺ، فلو كان الأموات يسمعون، لكان أحق هؤلاء الأموات أن يسمع هو نبينا ﷺ، لما فضله الله تبارك وتعالى، وخصه بخصائص على كل الأنبياء والرسل والعالمين، فلو كان أحدٌ يسمع لكان النبي ﷺ، ثم لو كان النبي ﷺ يسمع شيئا بعد موته،

---

(١) "صحيح الجامع"(١٦٧٥) [منه].
(٢) "صحيح الجامع" (٢١٧٤).[منه].

لسمع صلاة أمته عليه.

ومن هنا تفهمون خطأ - بل ضلال - الذين يستغيثون ليس بالنبي ﷺ بل وبمن دونه، سواء كانوا رسلاً أو أنبياء أو صالحين؛ لأنه لو استغاثوا بالرسول عليه الصلاة والسلام لما سمعهم، كما هو صريح القران ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾(الأعراف١٩٤)، و﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾(فاطر١٤) إلى آخر الآية.

إذاً فالموتى من بعد موتهم لا يسمعون، إلا ما جاء النص في قضية خاصة - كما ذكرت آنفاً - من سماع الميت قرع النعال، وبهذا ينتهي الجواب عن هذا السؤال .

"كيف يجب علينا أن نفسر القرآن"(ص١١-١٧).

[١٥٤٠] باب منه

عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رضي الله عنهما أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ وَذُكِرَ لَهَا أَنَّ عَبْدَ الله بْنَ عُمَرَ يَقُولُ إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ يَغْفِرُ الله لأَبِى عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ وَلَكِنَّهُ نَسِىَ أَوْ أَخْطَأَ إِنَّمَا مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى يَهُودِيَّةٍ يُبْكَى عَلَيْهَا فَقَالَ:«إِنَّهُمْ لَيَبْكُونَ عَلَيْهَا وَإِنَّهَا لَتُعَذَّبُ فِي قَبْرِهَا».

[قال الإمام]:

قد جاء هذا عن ابن عمر عن النبي ﷺ، وعن ابن عمر، والمغيرة بن شعبة، رضي الله عنهم، في "الصحيحين " وغيرهما، ولهذا فلا مجال إلى تخطئة ابن عمر، بل الصواب أن ما رواه هو صحيح، وما روته السيدة عائشة صحيح أيضاً، ولا منافاة بين الروايتين كما ظاهر.

ثم أن المراد بـ "البكاء" فيه: النياحة، بدليل حديث المغيرة بلفظ: «من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة» رواه مسلم . واختصره المؤلف رحمة الله، وهذا اللفظ يرجح قول الجمهور في تفسير «يعذب» أنه بمعنى «يعاقب» وليس بمعنى «يتألم ويحزن» كما قال ابن جرير الطبري ونصره ابن تيمية، والله أعلم.

"مختصر صحيح مسلم"(ص١٢٦).

[١٥٤١] باب منه

[ذكر الإمام في" أحكام الجنائز" أن النياحة مما يحرم على أقارب الميت، ثم أورد أدلة ذلك فذكر منها]:

عن أنس بن مالك:

" أن عمر بن الخطاب لما طُعِنَ عولت عليه حفصة، فقال: يا حفصة أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: المعول عليه يعذب؟! وعول عليه وفي أخرى: (في قبره) بما نيح عليه".

أخرجه البخاري ومسلم والسياق له والبيهقي (٤/ ٧٢ - ٧٣) وأحمد (رقم ٢٦٨، ٢٨٨، ٢٩٠، ٣١٥، ٣٣٤، ٢٥٤، ٣٨٦) من طرق عن عمر مطولا ومختصراً، وروى ابن حبان في " صحيحه " (٧٤١) قصة حفصة فقط.

- " إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه " وفي رواية: " الميت يعذب في قبره بما نيح عليه ".

أخرجه الشيخان وأحمد من حديث ابن عمر، والرواية الأخرى لمسلم

وأحمد ورواه ابن حبان في "صحيحة" (٧٤٢) من حديث عمران بن حصين نحو الرواية الأولى.

- " من ينح عليه يعذب بما نيح عليه (يوم القيامة) "

أخرجه البخاري (٣/ ١٢٦) ومسلم (٣/ ٤٥) والبيهقي (٤/ ٧٢) وأحمد (٤/ ٢٤٥، ٢٥٢، ٢٥٥).

[ثم قال الإمام]:

في هذا الحديث بيان أن البكاء المذكور في الحديث الذي قبله، ليس المراد به مطلق البكاء، بل بكاء خاص وهو النياحة، وقد أشار إلى هذا حديث عمر المتقدم في الرواية الثانية وهو قوله: " ببعض بكاء...".

[ثم علق على هذه الأحاديث قائلاً]:

ثم إن ظاهر هذا الحديث واللذين قبله مشكل، لأنه يتعارض مع بعض أصول الشريعة وقواعدها المقررة في مثل قوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾، وقد اختلف العلماء في الجواب عن ذلك على ثمانية أقوال، وأقربها إلى الصواب قولان:

الأول: ما ذهب إليه الجمهور، وهو أن الحديث محمول على من أوصى بالنوح عليه، أو لم يوص بتركه مع علمه بأن الناس يفعلونه عادة.

ولهذا قال عبد الله بن المبارك: " إذا كان ينهاهم في حياته ففعلوا شيئا من ذلك بعد وفاته، لم يكن عليه شيء ".

والعذاب عندهم بمعنى العقاب.

والآخر: أن معنى" يعذب" أي: يتألم بسماعه بكاء أهله ويرق لهم ويحزن، وذلك في البرزخ، وليس يوم القيامة.

وإلى هذا ذهب محمد بن جرير الطبري وغيره، ونصره ابن تيمية وابن القيم وغيرهما.

قالوا: " ليس المراد أن الله يعاقبه ببكاء الحي عليه، والعذاب أعم من العقاب كما في قوله: " السفر قطعة من العذاب "، وليس هذا عقاباً على ذنب، وإنما هو تعذيب وتألم ".

وقد يؤيد هذا قوله في الحديث (٥، ٦): " في قبره ".

وكنت أميل إلى هذا المذهب برهة من الزمن، ثم بدا لي أنه ضعيف لمخالفته للحديث [السابق] الذي قيد العذاب بأنه " يوم القيامة "، ومن الواضح أن هذا لا يمكن تأويله بما ذكروا، ولذلك فالراجح عندنا مذهب الجمهور، ولا منافاة عندهم بين هذا القيد والقيد الآخر في قوله " في قبره "، بل يضم أحدهما إلى الآخر، وينتج أنه يعذب في قبره، ويوم القيامة، وهذا بين إن شاء الله تعالى.

"أحكام الجنائز"(ص٤٠-٤٢).

[١٥٤٢] باب منه

سؤال: الحديث: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله..» كيف شرحه؟

الشيخ: هذا قد جرى خلاف بين عائشة وبين ابن عمر وغيره من الصحابة، فالسيدة عائشة رضي الله عنها أنكرت هذا الحديث، وقالت: إنما قال عليه السلام هذا الحديث بالنسبة لبعض اليهود كانوا يبكون على ميتهم، لكن علماء الحديث ما وافقوها على الإنكار؛ ذلك لأن الحديث: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه»

رواه جماعة من الصحابة، غير ابن عمر رواه أبوه عمر، وغير عمر وابنه عبد الله رواه أيضًا المغيرة بن شعبة، ولذلك فلا مجال لتوهيم ابن عمر كما فعلت السيدة عائشة، كان يمكن هذا التوهيم لو كان ابن عمر وحده قد روى هذا الحديث، لكن ما دام أن معه أبوه ومعه المغيرة بن شعبة فالثلاثة أحفظ من واحد وهي عائشة.

لو كان ابن عمر لوحده كان يمكن حينئذٍ أن يغلب رأي عائشة وقولها على قول ابن عمر؛ ذلك بأن السيدة عائشة رضي الله عنها كما تعلمون هي زوجة النبي ﷺ وهي تصاحبه ما شاء الله في أكثر الأوقات بخلاف عبد الله بن عمر، فلو كان ابن عمر هو وحده روى هذا الحديث وخطأته عائشة رضي الله عنها كان يمكن أن نقبل تخطئتها ونتبنى حديثها دون حديث ابن عمر، كما وقع لها في قضية أخرى: وهي أن ابن عمر حدث بأن النبي ﷺ اعتمر في شهر رجب فقيل لعائشة: اسمعي عبد الله بن عمر ماذا يقول؟ قالت: ماذا يقول؟ قالوا: يقول: إن النبي ﷺ اعتمر في شهر رجب، فقالت: لقد غفل عبد الله بن عمر يرحمه الله، ما اعتمر رسول الله ﷺ عمرةً إلا في ذي القعدة.

جاء في بعض الروايات أن عائشة لما ذكرت هذا سمع كلامها ابن عمر ما تكلم بكلمة مما يُشْعِرُ أنه كأنه شعر بأنه فعلًا هو واهم، لكن حديثنا: «إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه» لا سبيل إلى تبني رأي عائشة وتخطئة عبد الله بن عمر كما فعلنا في حديث العمرة لما ذكرته آنفًا أن مع ابن عمر نفسه والمغيرة بن شعبة...

[و]للعلماء قولان في تفسير: يعذب ببكاء أهله عليه:

منهم من يقول: أن العذاب المذكور في الحديث هو عذاب الآخرة، ومنهم

من يقول: المقصود بالعذاب هو التألم والحزن، والذي يقول هذا القول يعني: أن الميت يسمع بكاء الأحياء عليه فيأسف لأسفهم ويحزن لحزنهم، هذا هو العذاب الذي عناه الرسول في الحديث في قول هذا البعض، أما الأولون وهم الجمهور يقولون: يعذب فعلًا، وهنا يرد قول السيدة عائشة المذكور والمشار إليه آنفًا، أنها لماذا أنكرت هذا الحديث؟ لأنها فهمت أن العذاب هنا هو العذاب بمعنى التألم إما بالنار أو بالزمهرير أو ما شابه ذلك مما هو معروف، فقالت: لماذا يعذب هذا والله عز وجل يقول: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(الأنعام:١٦٤)؟ أجاب العلماء عن هذه الشبهة: بأن المقصود من الحديث على المعنى الذي ذهب إليه الجمهور وهو العذاب المعروف أنه إنما يعني به الميت الذي يموت ولا يوصي ولا ينصح أهله بألاَّ يبكوا عليه، أما إذا قاموا بواجب التذكير والنصيحة ثم بكوا عليه فلا يضره ذلك؛ لأنه قد أدى الواجب.

هذا مع ملاحظة أن المقصود بالبكاء ليس هو مطلق البكاء، وإنما المقصود به النياحة وهو رفع الصوت، فبرفع الصوت إذا كان الميت لم ينصح ولم يذكر أهله قبل وفاته بأنه إذا جاءتني الوفاة فلا تصيحوا ولا تنوحوا لأن هذا يكون سببًا ليس لعذابكم فقط بل سببًا لعذابي أنا، على هذا يفسر الحديث.

وخلاصة ذلك: أن الميت الذي لم يذكر أهله بما يجب عليه من النصح إذا مات ألا يبكوا عليه فهذا الذي هو يعذب، والعذاب ليس هو بمعنى الألم والحزن وإنما هو بمعنى العذاب الذي يستحقه العاصي يوم القيامة أو في القبر، ويؤيد هذا المعنى من السنة ومن النظر أيضًا، أما السنة ففي رواية للمغيرة بن شعبة قال: "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه يوم القيامة"، بينما التفسير الثاني الذي فسر العذاب بالألم فهو يعني وهو في القبر، إنما حديث المغيرة يقول: يعذب يوم القيامة.

أما النظر فسأذكره قريبًا إن شاء الله.. فالتفسير الثاني أنه يتألم فمعنى ذلك: أن الميت إذا مات ما انقطعت علاقته مع الناس فهو يحس بهم ويتألم بألمهم، وهذا الكلام ليس صحيحًا؛ لأن الميت إذا مات انقطعت علاقته بهذه الحياة الدنيا فهو لا يسمع ولا يحس بشيء كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾(فاطر:٢٢) .. ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾(النمل:٨٠) .

فإذًا: الأموات لا يسمعون فكيف يقال: إن الميت إذا بكى أو ناح أهله عليه هو يحس ببكائهم ويتألم لألمهم، هذا المعنى مع مخالفته للحديث يعذب يوم القيامة فهو يخالف نصوص أخرى في الكتاب وفي السنة التي تدل على أن الميت لا يسمع ولا يحس، فإذًا: المعنى الأول هو المعنى الصحيح ...

"فتاوى رابغ" (١ / ٤٨:٠٧:٠٠)

[١٥٤٣] باب منه

السائل: شيخنا على ذكر موضوع ... أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها حديث الميت، وهو الحديث الذي قد كثر الكلام فيه[١] وخاصة من أولئك العقلانيين الذين يجعلون النصوص حكماً على الشرع وما شابه ذلك.

الشيخ: يجعلون عقولهم.

مداخلة: عفواً، يجعلون عقولهم حكماً على الشرع، أقول هؤلاء شيخنا يلمزون من طرف خفي بأبي هريرة رضي الله عنه وروايته بسبب إنكار السيدة عائشة وردها.

---

(١) يريد حديث: «الميت يعذب ببكاء أهله عليه».

الشيخ: أي نعم.

مداخلة: مع أن الحديث مروي عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، فحينئذ هل نقول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها أخطأت في التأويل أو في الرد أم نقول كما قلت في الحديث الأول أنها اعترضت على لفظ وردها وإلا فالألفاظ الأخرى جاءت تبين النياحة وما شابه ذلك.

الشيخ: ما في شك.

مداخلة: هو هذا.

الشيخ: أي نعم، يعني الحديث الذي أنكرته السيدة عائشة هنا غير الحديث الذي أنكرته هنا، الحديث الذي أنكرته صحيح بلا شك، «الميت يعذب ببكاء أهله عليه»، وكون الرسول عليه السلام قال في بعض المناسبات أو الحوادث بالنسبة ليهودي مات فبكى أهله عليه، فهذا من باب أولى أن يطبق هذا الحديث عليه، لكن هذا لا ينفي ما رواه أولاً ابن عمر ثم ما رواه أبو ابن عمر ثم ما رواه المغيرة بن شعبة، كل هؤلاء الثلاثة من الصحابة اتفقوا على رواية الحديث الذي أنكرته السيدة عائشة، ولذلك فلا مجال للاعتماد عليها بالإنكار هنا، وبهذه المناسبة لا بد من أن نذكر شيئاً يفيد طالب العلم، ألا وهو:

ظاهر الحديث يتبادر منه أنه يخالف القاعدة الإسلامية المصرح بها في القرآن الكريم وغيره، أن لا تزر وازرة وزر أخرى، لماذا يعذب الميت ببكاء أهله عليه؟ هذا ليس من عمله وليس من صنعه، وليس أيضاً من سعيه، فاختلفت آراء العلماء في الإجابة على هذه المشكلة، جمهورهم قال هذا الحديث في ظاهره عام، لكن لا بد من تقييده أو تخصيصه بمن يعلم أنه إذا مات يبكي أهله عليه بكاء نياحة

وليس بكاء دمع، فمن كان بهذه المثابة ممن سيبكى عليهم فعليهم أن ينصحوا وأن يذكروا، فإن فعلوا ذلك لم يشملهم الحديث؛ لأنهم قاموا بالواجب، هذا هو التأويل الذي ذهب إليه الجماهير من العلماء، وهو الذي لا نرى له بديلاً، أما شيخ الإسلام رحمه الله فذهب إلى تأويل آخر، فقال: العذاب هنا ليس من عذاب النكال الذي يعذبه الإنسان في الآخرة أو في القبر، وإنما هو من باب السفر قطعة من العذب، فهذا مسافر لا يعذب بشيء يأتيه من غيره، وإنما هو بشيء نابع من نفسه، أي أن هذا الميت حينما يبكي أهله عليه يأسف على بكائهم عليه ويأسى، فإذاً العذاب هنا بمعنى الحزن، ليس بمعنى العذاب النكال، كان يمكن أن يقبل من شيخ الإسلام هذا التأويل الناعم الجميل لولا زيادة استفدناها من حديث المغيرة بن شعبة حيث قال: الميت يعذب ببكاء أهله عليه يوم القيامة، فهذه الزيادة اضطرتنا أن نرجع إلى التأويل الأول.

هذا الذي أحببت أن أذكر به..الميت لا يعلم بحال أهله.

الشيخ: هو هذا صحيح.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: أنا قلت هذا في بعض الكتابات، أن يقال أن الميت بالمعنى الذي ذكره ابن تيمية، معناه أن الميت عنده إحساس وعنده شعور من قريب ومن بعيد، الميت دفن مثلاً كما يقع اليوم مع الأسف كان مستوطناً في بلاد الكفر فدفن هناك، وأهله يبكون هنا، شو عرفه، بل شو عرفه لو بكوا حول قبره، انقطعت العلاقة بينه وبين الدنيا إطلاقاً، فهذا التأويل وهذا ليس بعيداً حقيقة عن مذهب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم؛ لأنهم يتوسعون في هذه الناحية، وهذا من توسعهم جاءهم، وهم يصرحون بأن الميت يحس بما قد يقع من حوله أو من أهله أو نحو ذلك،

فمثلاً مثلما قال الأستاذ ما يرد عليه هذا أيضاً.

مداخلة: شيخنا ورد في كلامكم شرح الحديث الذي هو تفسير البكاء ببكاء النياحة، وهذا شيخنا نبهتم أنتم أن هناك رواية صريحة بهذا.

الشيخ: أي نعم.

مداخلة: إن الميت ليعذب بما نيح عليه.

الشيخ: أي نعم.

الأحاديث تفسر بعضها بعضاً أو أن يكون قد أوصى بأن يبكى عليه.

مداخلة: كالذي يوصي مثلاً بأن يصنع له كذا وكذا بعد موته، أو أن تحيى ذكراه في الأربعين، أو أن يبنى عليه القبر.

الشيخ: الله أكبر.

مداخلة: وهذا من هذا الباب أيضاً.

الشيخ: الله أكبر. نعم.

"الهدى والنور" (٦٦٨/ ٣٣: ٤٢: ٠٠).

[١٥٤٤] باب معنى قوله ﷺ: «من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة»

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة».

(صحيح).

[قال الإمام]:

فيه إشعار بأن العذاب المذكور هو في يوم القيامة، فتفسيره بتألم الميت في قبره مع أنه يستلزم علمه بنوح أهله عليه، فهذا مع كونه مما لا دليل عليه، فإنه لا يساعد عليه القيد المذكور (يوم القيامة) فتنبه لهذا ولا تكن للرجال مقلداً، فالحق أن العذاب فيه وفي غيره على ظاهره، إلا أنه مقيد بمن لم ينكر ذلك في حياته، توفيقاً بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ .

"التعليق على الترغيب والترهيب" (٣/ ١٢٦٨).

[١٥٤٥] باب منه

[قال صديق حسن خان في "الروضة الندية":ويحرم النعي والنياحة [أي على الميت] لحديث": من نيح عليه يعذب بما نيح عليه" وهو في الصحيحين].

[فقال الإمام معلقاً]:

أي يتألم ويتوجع، قال شيخ الإسلام ...بعد أن قرر أن ليس على أحد من وزر غيره شيء، وأنه لا يستحق إلا ما سعاه-، قال(٢/ ٢٠٩-من المجموعة المنيرية):

"وإن ظن بعض الناس أن تعذيب الميت ببكاء أهله عليه ينافي الأول! فليس كذلك؛ إذ ذلك النائح يعذب بنوحه، لا يحمل الميت وزره، ولكن الميت يناله ألم من فعل هذا كما يتألم الإنسان من أمور خارجه عن كسبه، وإن لم يكن جزاء الكسب والعذاب أعم من العقاب، كما قال ﷺ:"السفر قطعة من العذاب".

وانظر تفصيل هذا البحث في "تهذيب السنن"لابن القيم (٤/ ٢٩٠)، وقد صرح فيه بخطإ تفسير الحديث علي هذا الوجه، فراجعه؛ فإنه مفيد.

"التعليقات الرضية"(١/ ٤٦٠).

جماع أبواب الكلام حول الحياة في القبور

[١٥٤٦] باب هل النبي ﷺ حيٌّ في قبره؟

سؤال: حديث يقول فيما معناه: «ما من عبدٍ يصلي عليّ يوم الجمعة إلا رد الله علي روحي»[(١)].

الشيخ: ما فيش يوم الجمعة «ما من مسلمٍ يسلم علي إلا رد الله علي روحي فأرد عليه السلام».

مداخلة: نعم فبعض الصوفيين استدل عليه بأن الرسول الصلاة والسلام ما مات بل حي في القبر، ويستدلوا بهذا الحديث .

الشيخ: أيش معنى يرد علي روحي؟ ما مات؛ أنت روحك هلا في نفسك ولا مردودة إليك هذا كلام صوفي ويكفي أنه كلاماً صوفياً؛ لأنه خالف حديث الرسول عليه السلام ولذلك أقول هذول الصوفية لبالغ جهلهم ينكرون النصوص القاطعة بشبهات ما أنزل الله بها من سلطان؛ربنا يقول في صريح القرآن ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾(الزُّمر:٣٠) فإذاً هو كسائر البشر ميت كما هم أيش؟ميتون، إيش معنى ميت؟ أي:ستموت أي ستصبح ميتاً، وكذلك الناس جميعاً.

أينكرون هذه الحقائق بشبهات مثل هذه الشبهة التي ذكرتها عن الحديث، الحديث يعني أن النبي ﷺ مات، وكل حي فإنما سبيله الموت، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام، ولذلك لما قال عليه السلام في الحديث الآخر الصحيح: «أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة، فإن صلاتكم تبلغني» قالوا: كيف ذاك وقد أَرَمْتَ؟ ماذا فهم الصحابة من قوله عليه السلام هذا؟ فهموا أنه ميت،ولذلك استغربوا كيف تبلغه صلاته،وقد أَرِمَ أي:فني،أي:صار رميماً،قال ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾(يس:٧٨) فالصحابة كانوا يتلقون عن الرسول عليه السلام هذه

(١) "صحيح الجامع" (رقم٥٦٧٩).[منه].

الحقيقة التي لا مناص لأحدٍ من البشر إلا وأن يقع فيها، وهي ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾(الزُّمر:٣٠) كانوا عرفوا هذه الحقيقة ولذلك لما جاءهم الرسول عليه السلام بشيء ما كانوا يعرفونه من قبل: «أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم تبلغني» قالوا كيف ذاك وقد أرمت، أي فنيت، طبعاً مت، وأكثر من مت، أي: فنيت وصرت رميماً، قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» فأجساد الأنبياء كل الأنبياء لا تصبح رميماً كأجساد الآخرين، ولذلك فرسول الله ﷺ جسده في قبره كما هو من قبل هذه معجزة هذه كرامه من الله عز وجل لنبيه عليه السلام، بل ولِسائر الأنبياء الكرام ولكن الله كرم نبيه عليه السلام بكرامةٍ أخرى لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء؛ وهي قوله عليه السلام: «فإن صلاتكم تبلغني» قالوا: كيف ذاك وقد أرمت؟ قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» أي أنا كسائر الأنبياء جسدي في القبر حي طري ولكن اصطفاني ربي عز وجل بخصلةٍ أخرى؛أنه كلما سلَّم علي مسلمٌ رد الله إليَّ روحي فأردُّ عليه السلام.

وهذا الحديث وهو ثابت فيه دلاله على أن الرسول عليه السلام خلاف ما يتوهم كثير من العامة بل وفيهم بعض الخاصة وهي أن النبي لا يسمع سلام المسلمين عليه، وإنما كما جاء في الحديث الصحيح: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام» «إن لله ملائكة سياحين» يعني: طوافين على المسلمين، فكلما سمعوا مسلماً يصلي على النبي ﷺ بلغوه بذلك، وهو لا يسمع؛لأن الميت لا يسمع انفصل عن هذه الحياة الدنيا ومتعلقاتها كلها،ولكن الله عز وجل اصطفى نبيه عليه السلام فيما ذكرنا من الحياة،ومن تمكينه بإعادة روحه إلى جسده ورد السلام على المسلمين عليه،ومن ذلك أيضاً أن هناك ملائكة يبلغونه السلام،فكلما سلموا عليه من فلان هو رد عليهم السلام.

" الهدى والنور" (٢٦٨ / ٠٨: ٢٢: ٠٠).

[١٥٤٧] باب حياة الأنبياء في قبورهم

[قال رسول الله ﷺ]:

«الأنبياء - صلوات الله عليهم - أحياء في قبورهم يصلون».

[قال الإمام]:

اعلم أن الحياة التي أثبتها هذا الحديث للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، إنما هي حياة برزخية، ليست من حياة الدنيا في شيء، ولذلك وجب الإيمان بها دون ضرب الأمثال لها، ومحاولة تكييفها، وتشبيهها بما هو المعروف عندنا في حياة الدنيا، هذا هو الموقف الذي يجب أن يتخذه المؤمن في هذا الصدد: الإيمان بما جاء في الحديث دون الزيادة عليه بالأقيسة والآراء، كما يفعل أهل البدع الذين وصل الأمر ببعضهم إلى ادعاء أن حياته ﷺ في قبره حياة حقيقية !

قال: يأكل ويشرب ويجامع نساءه!!. وإنما هي حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى .

"الصحيحة"(٢/ ١٧٨،١٩٠).

[١٥٤٨] باب في صلاة الأنبياء في قبورهم

سؤال: فضيلة الشيخ حفظك الله ذكرتم في أحد مؤلفاتكم حديث أن الأنبياء يصلون في قبورهم أرجو توضيح ذلك وجزاكم الله خيرًا.

الشيخ: هذا الحديث من أنباء الغيب التي لا يجوز للمسلم أن يعمل عقله فيها بل من الواجب عليه أن يسلم بها تسليمًا، وهذا الحديث وإن كان وقع فيه خلاف من بعض العلماء علماء الحديث تصحيحًا وتضعيفًا فالراجح عندي أنه صحيح

ومذكور في سلسلة الأحاديث صحيحة ومخرج تخريجًا علميًا، لكن إن كان يشك بعضهم في صحة هذا الحديث فهناك حديث لا شك في صحته؛ لأن الإمام مسلمًا قد أخرجه في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي بموسى قائمًا يصلي في قبره»[1] فإذًا صلاة الأنبياء في قبورهم عقيدة صحيحة يجب على المسلم أن يؤمن بها لكن لا يتوسع في محاولة تكييف هذه الصلاة فلا يقول مثلًا: كيف يصلي موسى في قبره والقبر لا يتسع لقيام موسى في القبر؟ لأننا نقول عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة.. عالم البرزخ لا يقاس على عالم الآخرة فلكل طبائعه وخواصه فإذا أخبرنا الصادق المصدوق أنه رأى موسى عليه الصلاة والسلام قائمًا يصلي في قبره صدقناه وأمنا به ووكلنا معرفة حقيقة هذه الصلاة إلى الله تبارك وتعالى.

وعلى هذا الميزان قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» فليست هذه الحياة بالحياة المادية بحيث أننا إذا خاطبناهم يردون علينا ويسمعون كلامنا كما كانوا يسمعون كلام الناس في الدنيا حينما كانوا أحياء لا نتوسع في مثل هذه التفاصيل؛ لأنه كما قلت آنفًا عالم الغيب لا يقاس على عالم الشهادة على عالم المادة.

"رحلة النور"(ب٣٣/ ٤٧: ٢٩: ٠٠).

---

(١) "صحيح مسلم" (رقم٦٣٠٦).[منه].

[١٥٤٩] باب يفهم من صلاة المؤمنين في قبورهم أنهم مكلفون في القبور؟

سؤال: صلاة المؤمنين في قبورهم صح الحديث عن ابن ماجه فهل هذا من تكليف المؤمنين في القبور؟

الشيخ: هل يوجد تكليف في الجنة؟

مداخلة: لا يوجد.

الشيخ: في تسبيح في الجنة، في حمد، في تسبيح في الجنة،

مداخلة: نعم.

الشيخ: هذه مثل هذه..، ليس تكليف، هذا شكر لله عز وجل.

مداخلة: ولكن لا نعرف كيفية هذه الصلاة.

الشيخ: كل أمور الغيب لا تعرف.

مداخلة: فيه فرق بينهم وبين صلاة الأنبياء أم لا نعلم؟

الشيخ: لا نعلم، هل علمت صلاة الأنبياء؟ لا، تلك بأولى.

" الهدى والنور" (٥٦ / ١٢: ٤١: ٠٠).

[١٥٥٠] باب هل يشعر المقبور بزيارة أهله؟

سؤال: زيارة القبور يا شيخ، هل المقبور يشعر بزيارة أهله مثلاً؟

الشيخ: أبداً ليس عنده هذا الشعور، ولا ذاك العلم بالزائر للمزور.

مداخلة: يعني الدعاء لا يصل في الحال في نفس الوقت.

الشيخ: الدعاء إذا كان مقبولاً يصل إلى الله فيستجيبه أما الميت فلا يشعر به، لكن لو فرضنا مثلاً أن الميت كان يعذب فرُفع العذاب عنه كلاًّ أو جزءًا بسبب دعاء الرجل الصالح، فهو يشعر بالفرق بين العذاب الذي كان فيه، وبين انتفاء العذاب كلاً أو جزءًا.

" الهدى والنور"(٢٢٩/ ٢١: ٥١: ٠٠).

القيامـة الكـبرى

[١٥٥١] باب حكم من أنكر شيئاً من أشراط الساعة

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد، ومن أنكر نزول عيسى بن مريم فقد كفر، ومن أنكر خروج الدجال فقد كفر، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، فإن جبريل عليه السلام أخبرني بأن الله تعالى يقول: من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتخذ ربا غيري».

(باطل).

[قال الإمام]:

واعلم أن الإيمان بكل ما ذكر في هذا الحديث من خروج المهدي، ونزول عيسى، وبالقدر خيره وشره، كل ذلك واجب الإيمان به، لثبوته في الكتاب والسنة، ولكن ليس هناك نص في أن " من أنكر ذلك فقد كفر "، ومن أجل هذا أوردت الحديث وبينت وضعه، وهو ظاهر الوضع، وكأنه من وضع بعض المحدثين أو غيره من الجهلة، وضعه ليقيم به الحجة على منكري ذلك من ذوي الأهواء والمعتزلة، ولن تقوم الحجة على أحد بالكذب على رسول الله ﷺ والافتراء على الله تعالى، فقاتل الله الوضاعين ما أجرأهم على الله عز وجل.

والتكفير ليس بالأمر السهل، نعم من أنكر ما ثبت من الدين بالضرورة بعدما قامت الحجة عليه، فهو الكافر الذي يتحقق فيه حقيقة معنى كفر، وأما من أنكر شيئا لعدم ثبوته عنده، أو لشبهة من حيث المعنى، فهو ضال، وليس بكافر مرتد عن الدين شأنه في ذلك شأن من ينكر أي حديث صحيح عند أهل العلم، والله أعلم.

"الضعيفة"(٣/ ٢٠١-٢٠٢).

(جماع أبواب علامات الساعة الصغرى)

[١٥٥٢] باب المستقبل للإسلام في آخر الزمان

قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

[قال الإمام]:

تبشرنا هذه الآية الكريمة بأن المستقبل للإسلام بسيطرته وظهوره وحكمه على الأديان كلها، وقد يظن بعض الناس أن ذلك قد تحقق في عهده ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والملوك الصالحين، وليس كذلك، فالذي تحقق إنما هو جزء من هذا الوعد الصادق، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ بقوله: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى، فقالت عائشة : يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله:﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ أن ذلك تامّاً، قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله...»الحديث.

وقد وردت أحاديث أخرى توضح مبلغ ظهور الإسلام ومدى انتشاره، بحيث لا يدع مجالا للشك في أن المستقبل للإسلام بإذن الله وتوفيقه .

وها أنا أسوق ما تيسر من هذه الأحاديث عسى أن تكون سببا لشحذ همم العاملين للإسلام، وحجة على اليائسين المتواكلين:

- «إن الله زوى (أي جمع وضم) لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» . الحديث

- «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزّاً يعز الله به الإسلام وذلًّا يذل به الكفر».

- عن أبى قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي وسئل أي المدينتين تفتح أولا القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابا قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولا أقسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ: " مدينة هرقل تفتح أولا . يعني قسطنطينية " .

-«تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضًّا فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكا جبريّاً فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة . ثم سكت».

"الصحيحة"(١/ ١/ ٣١-٣٤)

[١٥٥٣] باب من المبشرات بأن المستقبل للإسلام تقدم العرب اقتصاديّاً وزراعيّاً

[قال الإمام]:

إن من المبشرات بعودة القوة إلى المسلمين واستثمارهم الأرض استثماراً يساعدهم على تحقيق الغرض، وتنبئ عن أن لهم مستقبلاً باهراً حتى من الناحية الاقتصادية والزراعية قوله ﷺ:«لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً» .

[حتى قال الإمام]: قد بدأت تباشير هذا الحديث تتحقق في بعض الجهات من جزيرة العرب بما أفاض الله عليها من خيرات وبركات وآلات ناضحات

تستنبط الماء الغزير من بطن أرض الصحراء وهناك فكرة بجر نهر الفرات إلى الجزيرة كنا قرأناها في بعض الجرائد المحلية فلعلها تخرج إلى حيز الوجود، وإن غداً لناظره قريب.

"الصحيحة"(١/ ١/ ٣٦).

[١٥٥٤] باب الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله ﷺ: «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه»

[قال الإمام]:

مما يجب أن يعلم ...أن قوله ﷺ: «لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» .

رواه البخاري في " الفتن " من حديث أنس مرفوعاً .

فهذا الحديث ينبغي أن يفهم على ضوء الأحاديث المتقدمة وغيرها مثل أحاديث المهدي ونزول عيسى عليه السلام فإنها تدل على أن هذا الحديث ليس على عمومه بل هو من العام المخصوص، فلا يجوز إفهام الناس أنه على عمومه فيقعوا في اليأس الذي لا يصح أن يتصف به المؤمن ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِّ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُون﴾ أسأل الله أن يجعلنا مؤمنين به حقّاً.

"الصحيحة(١/ ١/ ٣٦).

[١٥٥٥] باب رفع القرآن في آخر الزمان

[قال رسول الله ﷺ]:

«يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة

ولا نسك ولا صدقة وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية وتبقى طوائف من الناس: الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: " لا إله إلا الله " فنحن نقولها».

[قال الإمام]:

من فوائد الحديث:

وفي هذا الحديث نبأ خطير، وهو أنه سوف يأتي يوم على الإسلام يمحى أثره، وعلى القرآن فيرفع فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعاً إلا بعد أن يسيطر الإسلام على الكرة الأرضية جميعها، وتكون كلمته فيها هي العليا .

كما هو نص قول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾، وكما شرح رسول الله ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة سبق ذكر بعضها في المقال الأول من هذه المقالات (الأحاديث الصحيحة) .

و ما رفع القرآن الكريم في آخر الزمان إلا تمهيدا لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئا من الإسلام البتة، حتى ولا توحيده !

"الصحيحة"(١/ ١/ ١٧١،١٧٣).

[١٥٥٦] باب معنى قول النبي ﷺ في حديث جبريل في علامات الساعة «أن تلد الأَمَةُ ربَّتها»

سؤال: في حديث جبريل من علامات الساعة «أن تلد الأمة ربتها»[1]، كيف هذا يا شيخ؟

(١) "صحيح البخاري" (رقم٤٨)، و"صحيح مسلم" (رقم١٠٢).

الشيخ: هذا بارك الله فيك كان في بعض العصور الزاهرة حينما كان تنتشر الجيوش الإسلامية في بلاد الكفر تدعوها إلى الإسلام، فمنهم من يستجيب ومنهم من لا يستجيب، فحينئذٍ ما يكون من الجيش المسلم إلا أن يحارب كما جاء في قوله عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» وكما جاء في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب: «أن النبي ﷺ كان إذا أمر أميرًا على سرية أو جيش أوصاه، وكان من وصيته: إذا لقيتم المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث: إلى شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن أبو فأن يعطوا الجزية عند يد وهم صاغرون، فإن أبوا فالقتال»[1] فحينما كان يجري هذا القتال بين المسلمين وبين الكافرين يقع في أغلب الأحيان كثير من الأسرى في أيدي المسلمين من النساء ومن الرجال، ثم تجري قسمة هذه المغانم وفيها أولئك الأسرى، فيقسمها قائد الجيش المسلم على الغانمين.

فكان يقع كثيرًا وكثيرًا جدًّا أن يكون حصة بعض الغانمين سبية من السبايا التي وقعت في أيدي المسلمين، فيجوز للمسلم كما أظنكم تعلمون أن يتمتع بمثل هذه السبية الأسيرة كما يتمتع الرجل بحلاله بزوجته، كما قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾(المؤمنون:٥- ٦) إلى آخر الآيات، فملك اليمين هي السرية هذه التي كان أصلها غنيمة من الكفار، والذي وقع في التاريخ الإسلامي الأول وسنين طويلة وعصور مديدة فيما بعد أن هذا السيد ينكح هذه الأمة أو هذه

(١) "صحيح مسلم" (رقم٤٦١٩).

الجارية وهي مملوكة فيرزق منها ولدًا قد يكون ذكرًا وقد يكون أنثى، والشرع يحكم بأن هذه الأمة أو الجارية إذا رزقت من سيدها ولدًا فهذا الولد يعتقها، فإذا كان المولود منها من سيدها بنتًا فهذه البنت هي تلحق بأبيها فهي سيدة، فقوله عليه السلام: «وأن تلد الأمة ربتها» فهي كانت أمة ثم ولدت هذه البنت من سيدها فهي ربتها، أي: سيدتها، هذا من معاني التي ذكرها شراح الحديث في هذا الحديث.

وبعضهم قال معنًى آخر، معنى مجازي يمكن أن يكون صوابًا لكن المعنى الأول هو المتبادر، قالوا: هذا إشارة إلى فساد التربية وفساد الزمان، بحيث أن السيدة الحرة حينما ترزق من سيدها من زوجها الحر أيضًا.. حينما ترزق منه بنتًا، فبسبب سوء تربية هذه البنت – وهذا مشاهد اليوم – تصبح هذه البنت متعالية على أمها، فكأن أمها هي عبدة مملوكة وهي سيدتها، هذا من معاني قوله عليه السلام: «وأن تلد الأمة ربتها» هي ليست أمةً حقيقةً كما هو في التفسير الأول، لكن بالنسبة لسوء التربية تصبح ابنتها سيدة عليها وهي كأنها عبدة لها ومملوكة لها، والواقع أنها حرة بنت حرة، لكن سوء التربية قلب الأمر فجعل الأم التي هي سيدة أمة، وجعل البنت التي هي بنت هذه كأنها هي السيدة تستعلي عليها وتتأمر عليها ولا تسمع كلامًا، والأم تضطر أن تخضع لأوامرها وهذا هو المشاهد في هذا الزمان.

"فتاوى رابغ" (٢/ ١٤:٥٢:٠٠).

[١٥٥٧] باب منه

[قال الإمام]:

وقد اختلفوا في المراد [أي بهذا الحديث] على أقوال حكاها الحافظ، ومال إلى أن المعنى: أن يكثر العقوق في الأولاد فيعامل الولد أمه معاملة الولد أمه

معاملة أمته من الإهانة والسب والضرب والاستخدام. فأطلق عليه (ربها) مجازاً لذلك، أو المراد بـ (الرب): المربي، فيكون حقيقة .

"التعليق على الترغيب والترهيب" (٢/ ٧٥١).

[١٥٥٨] ظهور السيارات في آخر الزمان

عن عبدالله بن عمرو قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يكون في آخر أمتي رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن فإنهن ملعونات، لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم».

[قال الإمام]: حسن.

[ثم علق قائلاً]:

الحديث معجزة علمية غيبية للنبي ﷺ؛ فإنه يشير إلى السيارات الفاخرة التي يركبها أشباه الرجال الذين يأتون عليها إلى المساجد مشيعين للجنازة، فإذا أدخلت المسجد للصلاة عليها؛ ظل أولئك في سياراتهم أو واقفين بجانبها بالانتظار.

"صحيح موارد الظمآن"(٢/ ٤٧).

[١٥٥٩] باب من أشراط الساعة ظهور التعصب المذهبي

[قال رسول الله ﷺ]:

- «من اقتراب (وفي رواية: أشراط) الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويفتح القول ويخزن العمل ويقرأ بالقوم المثناة، ليس فيهم أحد ينكرها . قيل:و ما

المثناة؟ قال: ما استكتب سوى كتاب الله عز وجل» .

[قال الإمام]:

(فائدة):هذا الحديث من أعلام نبوته ﷺ، فقد تحقق كل ما فيه من الأنباء، وبخاصة منها ما يتعلق بـ (المثناة) وهي كل ما كتب سوى كتاب الله كما فسره الراوي، وما يتعلق به من الأحاديث النبوية والآثار السلفية، فكأن المقصود بـ (المثناة) الكتب المذهبية المفروضة على المقلدين . التي صرفتهم مع تطاول الزمن عن كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ كما هو مشاهد اليوم مع الأسف من جماهير المتمذهبين، وفيهم كثير من الدكاترة والمتخرجين من كليات الشريعة، فإنهم جميعاً يتدينون بالتمذهب، ويوجبونه على الناس حتى العلماء منهم، فهذا كبيرهم أبو الحسن الكرخي الحنفي يقول كلمته المشهورة: " كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ". فقد جعلوا المذهب أصلاً، والقرآن الكريم تبعاً، فذلك هو (المثناة)دون ما شك أو ريب.

وأما ما جاء في " النهاية " عقب الحديث وفيه تفسير (المثناة): " وقيل: إن المثناة هي أخبار بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وضعوا كتابا فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب الله، فهو (المثناة)،فكأن ابن عمرو كره الأخذ عن أهل الكتاب، وقد كان عنده كتب وقعت إليه يوم اليرموك منهم . فقال هذا لمعرفته بما فيها ".

قلت: وهذا التفسير بعيد كل البعد عن ظاهر الحديث، وأن (المثناة) من علامات اقتراب الساعة، فلا علاقة لها بما فعل اليهود قبل بعثته ﷺ، فلا جرم أن

ابن الأثير أشار إلى تضعيف هذا التفسير بتصديره إياه بصيغة " قيل " وأشد ضعفا منه ما ذكره عقبه: " قال الجوهري: (المثناة) هي التي تسمى بالفارسية (دوبيتي) . وهو الغناء " !

"الصحيحة"(٦/ ٢/ ٧٧٤-٧٧٦).

[١٥٦٠] باب الفتنة من المشرق

[قال رسول الله ﷺ]:

«ألا إن الفتنة ههنا، ألا إن الفتنة ههنا [قالها مرتين أو ثلاثا]، من حيث يطلع قرن الشيطان، [يشير [بيده] إلى المشرق، وفي رواية: العراق]».

[قال الإمام]:

وطرق الحديث متضافرة على أن الجهة التي أشار إليها النبي ﷺ إنما هي المشرق، وهي على التحديد العراق كما رأيت في بعض الروايات الصريحة، فالحديث علم من أعلام نبوته ﷺ، فإن أول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سببا للفرقة بين المسلمين، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة كبدعة التشيع والخروج ونحوها . وقد روى البخاري (٧/ ٧٧) وأحمد (٢/ ٨٥، ١٥٣) عن ابن أبي نعم قال: "شهدت ابن عمر وسأله رجل من أهل العراق عن محرم قتل ذبابا فقال: يا أهل العراق ! تسألوني عن محرم قتل ذبابا، وقد قتلتم ابن بنت رسول الله ﷺ، وقد قال رسول الله ﷺ: «هما ريحانتي في الدنيا» .

وإن من تلك الفتن طعن الشيعة في كبار الصحابة رضي الله عنهم، كالسيدة عائشة الصديقة بنت الصديق التي نزلت براءتها من السماء.

"الصحيحة"(٥/ ٦٥٣، ٦٥٥، ٦٥٦).

[١٥٦١] باب الجمع بين قوله ﷺ: «لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت، حتى يخسف بجيش منهم» وبين قوله: «لا تغزى مكة بعد إلى يوم القيامة»

[قال الإمام]:

اعلم أنه لا منافاة بين هذا الحديث و(حديث)...: " لا تغزى مكة بعد إلى يوم القيامة " لأن المثبت من الغزو في هذا غير المنفي في ذاك، ألا ترى إلى تفسير سفيان إياه بقوله: " إنهم لا يكفرون أبدا ولا يغزون على الكفر " . ويؤيده قوله في هذا الحديث: " يخسف بجيش منهم " . فهو صريح في أن هذا الجيش من الكفار، أو البغاة، وإن كان فيهم مؤمنون مكرهون، فهم يؤمون البيت ليغزوا من فيه من المسلمين، فلا تعارض، والحمد لله.

"الصحيحة"(٥/ ٥٥٨-٥٦٠).

[١٥٦٢] باب القحط في آخر الزمان وبيان خطأ من حدد وقته

[قال رسول الله ﷺ]:

«يُوشِكُ أن تطلبُوا في قُراكُم هذه طَسْتاً من ماءٍ فلا تَجدونَهُ، يَنْزَوِي كلُّ ماءٍ إلى عُنْصُرِهِ؛ فيكون في الشام بَقِيَّةُ المؤمنين والماءُ».

[قال الإمام]:

والحديث حمله مؤلف كتاب "المسيح الدجال قراءة سياسية في أصول الديانات الكبرى" (ص ٢١٤) على أنه يكون بعد القحط الذي قال: إنه يأتي بعده الدجال!

وليس فيه ولا في غيره- فيما أعلم- ما يدل على هذا التحديد، فيمكن أن يكون قبل ذلك أو بعده، وهذا لعله هو الأقرب أن يكون بين يدي القيامة.

ومن المفيد هنا أن أنقل إلى القراء ما جاء في الكتاب المذكور (ص ٢١٠) فيما يتعلق بنضوب المياه:

"أصدر معهد (ووارد وانش) الأمريكي دراسة تشير إلى أن العالم استخرج كميات كبيرة من المياه الجوفية، وفي (تكساس) و(نيومكسيكو) أصبح هناك احتمال بنضوب المياه الجوفية تماماً في هذه المنطقة؛ وفي الأقاليم الشمالية يهبط مستوى المياه الجوفية بمقدار ١٢ قدماً كل عام. (الأهرام١/ ١٠/ ١٩٨٥).

وأشارت دراسة في الولايات الأمريكية أن العالم سوف يتعرض لنقص في موارد المياه التي لا علاج لها، ولن تفيد الطرق التقليدية في توفير المياه، مثل السدود والخزانات والقنوات. (أهرام ٢/ ١٠/ ١٩٨٥). كما أعلن مركز تحليل المناخ الفيدرالي في الولايات المتحدة في بيان له أن درجة حرارة مياه المحيط الهادي آخذة في الارتفاع. وهذه الظاهرة تؤثر على الأحوال المناخية في جميع أنحاء العالم، وتؤدي إلى تفاقم حالة الجفاف في إفريقيا واستراليا، وفيضانات في الصين، وسيول رعدية في (بيرو) و(أكوادور)، وعواصف وأعاصير على الولايات المتحدة وكندا وجنوب إفريقيا. (أهرام ١٦/ ١٠/ ١٩٨٦) ".

"الصحيحة"(٧/ ١/ ٢١٠-٢١١).

[١٥٦٣] باب شرطة آخر الزمان

[قال رسول الله ﷺ]:

«يكون في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط الله ويروحون في غضبه» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٤/ ٥١٧).

[١٥٦٤] باب من أشراط الساعة زخرفة المساجد

[قال الإمام]:

[من أحكام المساجد] أن لا يزخرفه ويزينه؛لأنه تضييع للمال فيما لا فائدة فيه لما فيه من إلهاء المصلي عن الخشوع الذي هو روح الصلاة ولبها.

[ثم ساق الإمام الأدلة على ذلك ثم قال]:

وبالجملة فمجموع هذه الأحاديث يدل على ثبوت نهيه عليه الصلاة والسلام عن زخرفة المساجد وقد أشار إلى ذلك في الحديث الآتي:

«لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس بالمساجد» الحديث أخرجه النسائي، والدارمي، وابن ماجه، والبيهقي، وأحمد من طرق عن حماد بن سلمة عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس مرفوعاً به.

وهذا سند صحيح على شرط مسلم ولفظ النسائي: «من أشراط الساعة أن يتباهى . . .»الحديث.

وفي هذا الحديث والذي قبله كراهة تزويق المساجد، وتزيينها بالنقوش والحمرة والصفرة، وكل ما يلهي المصلي ويشغله عن الخشوع الذي هو روح جسم العبادة،كما قال الصنعاني، وفوق هذا ففيه إضاعة المال بدون أية فائدة للمسجد، وقد نهى رسول الله ﷺ عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال، وذلك أنه ليس المقصود من بناء المساجد إلا أن تَكِنّ الناس من الحر والقر كما سبق عن عمر رضي الله عنه، وزخرفتها ليس من ذلك في شيء،ولذلك نهى عنه عمر رضي الله عنه بقوله: "وإياك أن تحمر أو تصفر" . قال ابن بطال: " كأن عمر فهم ذلك من رد الشارع الخميصة إلى أبي جهم من أجل الأعلام التي فيها، وقال: " إنها ألهتني عن صلاتي».

قال الحافظ: «ويحتمل أن يكون عند عمر من ذلك علم خاص بهذه المسألة». ثم ذكر الحديث المتقدم قريبا عن عمر مرفوعا بلفظ: «ما ساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم».

وقد روى البخاري، وأبو داود، وأحمد، وعنه البيهقي، عن ابن عمر رضي الله عنه: أن المسجد كان على عهد رسول الله ﷺ مبنيًّا باللبن، وسقفه الجريد، وعمده خشب النخل، فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد، وأعاد عمده خشباً، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة (الجص) وجعل عمده من حجارة منقوشة وسقفه بالساج.

قال الحافظ: "و(الساج): نوع من الخشب معروف يؤتى به من الهند، وقال ابن بطال وغيره:" هذا يدل على أن السنة في بنيان المسجد القصد، وترك الغلو في

تحسينه، فقد كان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة المال عنده لم يغير المسجد عما كان عليه، وإنما احتاج إلى تجديده؛ لأن جريد النخل كان قد نخر في أيامه، ثم كان عثمان - والمال في زمانه أكثر - فحسنه بما لا يقتضي الزخرفة، ومع ذلك فقد أنكر بعض الصحابة عليه كما سيأتي بعد قليل.

وأول من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك بن مروان، وذلك في أواخر عصر الصحابة، وسكت كثير من أهل العلم عن إنكار ذلك خوفاً من الفتنة . . . وقال ابن المنير: لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب أن يصنع ذلك بالمساجد صوناً لها عن الاستهانة، وتعقب بأن المنع إن كان للحث على اتباع السلف في ترك الرفاهية فهو كما قال، وإن كان لخشيته شغل بال المصلي بالزخرفة فلا لبقاء العلة، وفي حديث أنس علم من أعلام النبوة لإخباره ﷺ بما سيقع فوقع كما قال".

قال الشوكاني:

"ومن جملة ما عول عليه المجوزون للتزيين بأن السلف لم يحصل منهم الإنكار على من فعل ذلك، وبأنه بدعة مستحسنة، وبأنه مرغب إلى المسجد، وهذه حجج لا يعول عليها من له حظ في التوفيق، لا سيما مع مقابلتها للأحاديث الدالة على أن التزيين ليس من أمر رسول الله ﷺ، وأنه نوع من المباهاة المحرمة، وأنه من علامات الساعة كما روي عن علي عليه السلام، وأنه من صنع اليهود والنصارى، وقد كان ﷺ يحب مخالفتهم ويرشد إليها عموماً وخصوصاً، ودعوى ترك إنكار السلف ممنوعة؟ لأن التزيين بدعة أحدثها أهل الدول الجائرة من غير مؤاذنة لأهل العلم والفضل، وأحدثوا من البدع ما لا يأتي عليه الحصر، ولا ينكره أحد، وسكت العلماء عنهم تقية لا رضا، بل قام في وجه باطلهم جماعة

من علماء الآخرة، وصرخوا بين أظهرهم بنعي ذلك عليهم، ودعوى أنه بدعة مستحسنة باطلة وقد عرفناك وجه بطلانها في شرح حديث: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» في باب الصلاة في ثوب الحرير والغصب، ودعوى أنه مرغب إلى المسجد فاسدة؛ لأن كونه داعياً إلى المسجد ومرغباً إليه لا يكون إلا لمن غرضه وغاية قصده النظر إلى تلك النقوش والزخرفة، فأما من كان غرضه قصد المساجد لعبادة الله - التي لا تكون عبادة على الحقيقة إلا مع خشوع وإلا كانت كجسم بلا روح - فليست إلا شاغلة عن ذلك كما فعله ﷺ في الأنبجانية التي بعث بها إلى أبي جهم، وكما تقدم من هتكه للستور التي فيها نقوش، وكما سيأتي في " باب تنزيه قبلة المصلي عما يلهي " وتقديم البدع المعوجة التي يحدثها الملوك توقع أهل العلم في المسالك الضيقة فيتكلفون لذلك من الحجج الواهية ما لا ينفق إلا على بهيمة ".

ومما يدلك على أن دعوى كون السلف لم يقع منهم الإنكار على من فعل التزيين به دعوى باطلة في الجملة: ما روى سعيد بن منور: ثنا سفيان عن [ابن] أبي نجيح عن إسماعيل بن عبد الرحمن بن ذؤيب قال: دخلت مع ابن عمر مسجداً بالجحفة فنظر إلى شرفاته فخرج إلى موضع فصلى فيه ثم قال لصاحب المسجد: إني رأيت في مسجدك هذا - يعني الشرفات - شبهتها بأنصاب الجاهلية فأمر أن تكسر.

نقلته من "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم " لشيخ الإسلام ابن تيمية، وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال الستة غير إسماعيل هذا وهو ثقة كما في " التقريب".

وفي " المدونة " لابن القاسم: قال: سمعت مالكاً، وذكر مسجد المدينة وما

عمل في قبلته من التزويق وغيره قال: كره ذلك الناس حين فعلوه، وذلك يشغل الناس في صلاتهم ينظرون إليه فيلهيهم .

من أجل ذلك كره كثير من العلماء الصلاة في المساجد المزخرفة والمزينة فقال المناوي في " الفيض ": " قالت الشافعية: وتكره الصلاة في مسجد مشرف لما في "سنن البيهقي " عن ابن عمر: نهانا - أو نهينا - أن نصلي في مسجد مشرف . وأخذ منه كراهتها في المزوق والمنقوش بالأولى؛ لما فيه من شغل قلب المصلي، ويحرم نقشه، واتخاذ شرفات له من غلة ما وقف على عمارته أو مصالحه.

"الثمر المستطاب"(١/ ٤٦٢، ٤٦٥-٤٧١).

[١٥٦٥] باب تمنع الجزية عن أهل العراق في آخر الزمان

[قال رسول الله ﷺ]:

«يكونُ في آخرِ أمتي خليفةٌ يحْثُو المالَ حَثْواً؛ لا يَعُدُّهُ عَدّاً».

[قال الإمام]:

أخرجه أحمد (٣/ ٣١٧): ثنا إسماعيل- هو ابن عُلَيَّة- عن الجُرَيري عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد الله قال: يوشك أهل العراق أن لا يجُبى إليهم قَفِيز ولا درهم .

قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَل العجم يمنعون ذاك .

ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يجبى إليهم ديناراً ولا مُدَّ قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبَل الروم يمنعون ذاك.

قال: ثم أمسك هُنَيَّةً، ثم قال: قال رسول الله - ﷺ - ... فذكره.

(فائدة): قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم": "وفي معنى " منعت العراق " وغيرها قولان مشهوران: أحدهما: لإسلامهم، فتسقط عنهم الجزية، وهذا قد وُجد.

والثاني: أن العجم والروم يستولون على البلاد في آخر الزمان؛ فيمنعون حصول ذلك للمسلمين. وقد روى مسلم عن جابر: " يوشك أن لا يجبى إليهم قفيز " فذكر الحديث، قال النووي: " وهذا قد وجد في زماننا في العراق، وهو الآن موجود.

وقيل: لأنهم يرتدون في آخر الزمان؛ فيمنعون ما لزمهم من الزكاة وغيرها.

وقيل: معناه أن الكفار الذين عليهم الجزية تقوى شوكتهم في آخر الزمان؛ فيمتنعون مما كانوا يؤدونه من الجزية والخراج وغير ذلك " .

قلت: وهذا المعنى هو الظاهر المتبادر من لفظ "المنع "؛ بخلاف المعنى الأول، فهو عنه بعيد جداً؛ لأن من أسلم وسقطت عنه الجزية لا يصح أن يقال فيه: امتنع من أداء ما عليه؛ كما هو ظاهر بين .

ولقد كان الداعي إلى تخريج هذا الحديث؛ وبيان أن الموقوف منه في حكم المرفوع؛ وبيان معناه؛ أن بعض الناس اليوم ظنوا أن لهذا الحديث علاقة بالفتنة العمياء التي حلت على المسلمين بسبب اجتياح الجيش العراقي لدولة الكويت، ما فرض على العراق من الحصار البري والبحري والجوي؛ لمنع وصول المؤن والأرزاق إليها من البلاد المسالمة لها !

فكثر السؤال عن هذا الحديث بهذه المناسبة، وهل له علاقة أو ارتباط بهذا الحصار للعراق؟

فأجبت بالنفي، وبينت لهم معناه بنحو ما تقدم نقله عن الإمام النووي - رحمه الله - .

كتبت هذا نهار الأربعاء: ١ صفر سنة ١٤١١هـ. كفى الله المسلمين شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

"الصحيحة"(٧/ ١/ ١٩٦، ١٩٨-١٩٩)

[١٥٦٦] باب كيف الجمع بين أن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل وبين قوله(ﷺ): «إن من أشراط الساعة أن يفيض المال ويكثر الجهل وتظهر الفتن وتفشو التجارة [ويظهر العلم]»

[قال الإمام]:

ولا يخالف ذلك[أي حديث ظهور العلم] - كما قد يتوهم البعض - ما صح عنه ﷺ في غير ما حديث أن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل؛ لأن المقصود به العلم الشرعي الذي به يعرف الناس ربهم ويعبدونه حق عبادته، وليس بالكتابة ومحو الأمية كما يدل على ذلك المشاهدة اليوم، فإن كثيرا من الشعوب الإسلامية فضلا عن غيرها، لم تستفد من تعلمها القراءة والكتابة على المناهج العصرية إلا الجهل والبعد عن الشريعة الإسلامية، إلا ما قل وندر، وذلك مما لا حكم له . وإن مما يدل على ما ذكرنا قوله ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً

ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» . رواه الشيخان وغيرهما من حديث ابن عمرو وصدقته عائشة، وهو مخرج في " الروض النضير " (رقم ٥٧٩).

"الصحيحة"(٦/ ١/ ٦٣٥).

[١٥٦٧] باب تنبيه هام حول فهم بعض الأحاديث التي تتكلم عما سيكون آخر الزمان

سؤال: هل بعض الأحاديث الواردة في المدينة تنفي خبثها، والأحاديث الواردة في الصبر على لأوائها، ما أدري، بعض العلماء يقول.. يخصصها في عهد النبي ﷺ، وبعضهم يجعلها في آخر الزمان مثل المدينة تنفي خبثها عندما يأتي الدجال، وبعضهم يجعلها عامة في كل زمان؟...

الشيخ: أما العموم فلا مجال للقول به لمصادمته الواقع، أما التخصيص بزمن الرسول عليه السلام فهذا تخصيص بغير مخصص، لكن ينبغي أن نبقي الحديث على عمومه ولا نستثني منه إلا ما دل الدليل القاطع على ذاك الاستثناء الذي قلته آنفًا، وأعني بإيجاز أنه ليس خاصًا بزمنه ولا مضطردًا في كل زمن، وهذا له أمثلة في نصوص كثيرة مثلًا: «ذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم»[1] هذا من البداهة في مكان بأنه لا يمكن أن يقال فيه أنه خاص بزمن الرسول أو بزمن آخر، لكن لا مجال للقول بأنه يشمل كل الأزمان، وهكذا الأمثلة تتكرر، مثلًا في الحديث

(١) "صحيح الجامع" (رقم٧٠٢).

المعروف المشهور بل المتواتر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»[1] إلى آخره جاء في صحيح البخاري في رواية معاوية لهذا الحديث المرفوع، يقول هذا معاوية يقول وهو الذي روى الحديث مرفوعًا، يقول: وهذا معاذ يقول: هم في الشام.

مداخلة: معاوية يحكي عن معاذ؟

الشيخ: يحكي عن معاذ نعم، معاذ هو الذي يقول هذا الكلام: هم في الشام، فليس من الضروري أن يكونوا في الشام في كل لحظة في كل دقيقة في كل ساعة في كل يوم في كل أسبوع وهكذا تطرد، على ما يشاء الله عز وجل لكن بلا شك الغالب أنهم في الشام مع استحضار أن معنى الشام أوسع مما يدور في أذهان كثير من الناس اليوم بسبب حياتهم وغفلتهم عن التقسيمات السياسية ... فالشام سوريا والأردن وفلسطين ولبنان نعم، فبهذا المعنى الواسع يكون الحديث ماشيًا، لكن ليس بهذا المعنى الضيق في اللحظة، ممكن مثلًا أن يأتي زمن كما هو الزمن الحاضر الآن كما كان في زمن بعض الفتن المغول مثلًا حينما هجموا على هذه البلاد فيفر المسلمون بدينهم إلى بلاد أخرى، فلا يقال: أن الحديث كيف... تطبيقه، إنما نقول: هذا لا يعني الاطراد الدقيق الذي ذكرته آنفًا في اللحظة في الدقيقة إلى آخره، وعلى هذا النوع من المعنى الواسع من جهة والضيق من جهة أخرى يمكن أن نفسر الحديث الذي ذكرت آنفًا، والله أعلم.

"لقاءات المدينة" (٦ / ٠٦:٣٨:٠٠).

---

(١) "صحيح البخاري" (رقم١٩٢٠) و"صحيح مسلم" (رقم٥٣).

[١٥٦٨] باب هل ورد عن سلمان الفارسي حديث في أشراط الساعة؟

سؤال: هل ورد عن سلمان الفارس رضي الله عنه يروي عن النبي عليه الصلاة والسلام حديثاً في أشراط الساعة، فإني سمعت من أحد الإخوان يقول: في حديث عن سلمان رضي الله عنه يرويه عن النبي عليه الصلاة والسلام في أشراط الساعة، فيسأل أين أجده وكذا.. إن كان ينصح..

الشيخ: أنا لا استحضر حديثًا في أشراط الساعة لسلمان، لكن لو أنك تعرف جملة من هذا الحديث ممكن أن نتذكر شيئًا من ذلك، الآن لا أستحضر.

"فتاوى جدة" (٦ / ٤٣:٤١:٠٠).

[١٥٦٩] باب ما قيمة كتابي «الإشاعة في أخبار الساعة» و«الإذاعة...» العلمية.

[سئل الشيخ عن كتاب «الإشاعة في أخبار الساعة»، فأجاب:]

الشيخ: الإشاعة أو الإذاعة في اثنين، في كتابين: في إشاعة وفي إذاعة؛ الإشاعة للحسيني والإذاعة لصديق حسن خان. لا شك أن الكتاب الثاني الإذاعة خير من الإشاعة، لأن صديق حسن خان من أهل الحديث، أما الحسيني هذا فمن الفقهاء المتأخرين وله مع الأسف يعني حملات على من كانوا يسمون قديماً وأحياناً حديثاً بالوهابية، فله حملات عليهم لأنه كان مفتياً في مكة.

المهم أن كتاب الإشاعة جمع فأوعى، ولم يهتم بتمييز الصحيح من الضعيف عند الروايات التي حشرها وجمعها، بخلاف صديق حسن خان في الإذاعة فإن له

شيئاً من هذه العناية في التصحيح والتضعيف وإن كان أنه لم يبلغ في ذلك الغاية، لكنه خير من الإشاعة. نعم.

"الهدى والنور" (٣١٦ / ٥٠: ٣٤: ٠٠).

[١٥٧٠] باب منه

السائل: ..هل عرفتم هذا مؤلف الكتاب واسمه محمد بن رسول الحسيني البرفنجي ثم المدني، صاحب كتاب الإشاعة في أشراط الساعة؟

الشيخ: نعم معروف هذا.

مداخلة: ماذا تقولون فيه وبعلمه واتجاهه؟

الشيخ: لا هو ليس محققاً هو جماع حطاب.. واضح؟

مداخلة: واضح.

"الهدى والنور" (٦٦٤/ ٣٢: ٤١: ٠٠).

(علامات الساعة الكبرى)

جماع أبواب

ظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام

(تواتر أحاديث ظهور المهدي
وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام)

[١٥٧١] باب إثبات تواتر الأحاديث الواردة في خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام

[قال الإمام]:

(اتفق) أهل العلم بالحديث وحفاظه على تواتر حديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام من السماء؛ كالحافظ ابن كثير [١] وابن حجر وغيرهما؛ بل إن الإمام الشوكاني ألف رسالة سماها: "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح".

وقد تيقَّنت - أنا شخصيًّا - بتواتر أحاديث الدجال وعيسى حينما كتبت الرسالة المشار إليها آنفاً، وقد بلغت الطرق التي تجمعت عندي - يومئذٍ - أكثر من أربعين طريقاً عن نحو أربعين صحابيّاً، بعضها على شرط الصحة ، وسائرها أكثر شواهدها معتبرة، ومن المؤسف أنني لا أدري أين بقيت الآن بسبب النقلة من دار إلى أخرى؟!

ثم تجَدَّد يقيني بذلك في دراستي لحديث أبي أمامة المشار إليها في المقدمة [أي مقدمة كتاب: قصة المسيح الدجال].

---

(١) "النهاية" لابن كثير (١/ ١٤٨). [منه].

وإليـك تـسمية الـصحابة الـذين رووا أحاديـث الـدجال –الـذين خرَّجـت أحـاديثهم في هـذه الدراسـة؛ علـماً بأنهـا لم تـستقصِ كـل مـا ورد في ذلـك لعـدم مناسبته للدراسة المذكورة–:

هشام بن عامر.

عبدالله بن مغفل.

حذيفة بن اليمان.

جابر بن عبدالله.

عبد الله بن عمر.

أنس بن مالك.

أبو هريرة .

النواس بن سمعان.

نفير بن مالك .

عائشة.

أم سلمة.

بعض أصحاب النبي ﷺ.

عبادة بن الصامت.

عبد الله بن عباس.

أبو بكرة الثقفي.

رجل من أصحاب النبي ﷺ.

سفينة مولى رسول الله ﷺ.

أبو سعيد الخدري.

فاطمة بنت قيس.

أم شريك .

عبد الله بن مسعود .

عبدالله بن عمرو.

وهناك صحب آخرون روي عنهم أحاديث في الدجال بأسانيد لا بأس بها في الشواهد؛ وهم:

أبو أمامة.

سعد بن أبي وقاص.

عبدالله بن مغنم .

أسماء بنت يزيد الأنصارية .

محجن بن الأردع .

عثمان بن أبي العاص.

سمرة بن جندب.

مجمَّع بن جارية .

أسماء بنت عميس.

ثم إليك أسماء الصحابة الذي رووا حديث نزول عيسى عليه السلام:

عبدالله بن مغفل.

أبو هريرة.

النواس بن سمعان.

نفير بن مالك.

عائشة.

جابر بن عبد الله.

أبو هريرة.

حذيفة بن أسيد.

عبد الله بن عمرو.

وهذه أسماء الصحابة الآخرين الذين روي عنهم أحاديث نزول عيسى عليه السلام بأسانيد لا بأس بها في الشواهد:

أبو أمامة الباهلي.

بعض أصحاب محمد ﷺ.

سمرة.

حذيفة بن اليمان.

مجمِّع بن جارية الأنصاري.

إن هذا العرض السريع لطرق حديث الدجال، وحديث عيسى عليه الصلاة والسلام، ورواتهما من الصحابة الكرام الصادقين؛ ليتبين لكل ذي عينين أن الحديث متواتر بذلك، وأن كل من يشك في ذلك فهو من المرتابين في الدين كله، أو هو – على الأقل – معرَّض لذلك أشد التعريض؛ لأن ما كان منه تواتراً – كالقرآن وبعض الأحاديث – فهي معرَّضة عنده لجحدها بطريق التأويل؛ بل التعطيل، وما كان منها لم يبلغ مبلغ التواتر؛ فهي معرَّضة لديه لإنكارها بطريق الشك في ثبوت نسبتها إلى النبي ﷺ .

ومن هنا يظهر أن كل المؤمنين بالدين الإسلامي؛ فهم على خطر في إيمانهم إذا لم يعتمدوا على مذهب أهل الحديث في تلقيهم للدين؛ فإنهم أعلم الناس بما هو منه ثبوتاً، وما ليس منه روايةً، وأعرف الناس بمعانيها ومقاصدها؛ لأنهم تلقوا

كل ذلك عن رسول الله ﷺ بالطرق العلمية الصحيحة التي لا سبيل إلى معرفة الدين إلا بها، وبدونها يصير الدِّين هوىً متَّبعاً، وهذا هو الداء العضال الذي أصاب العالم الإسلامي اليوم، ولم ينج منه إلا الطائفة المنصورة التي بشر بها رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة متواترة؛ منها قوله ﷺ:

«لا يزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم؛ حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال»(1).

أقول: ولعل ذلك الذي ذكرنا من طريق المرتابين هو السبب في تشديد عمر على المكذبين بالدجال - وغيره مما ثبت في السنة الصحيحة - فقد روى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر وهو يقول: "سيكون فيكم قوم من هذه الأمة يكذّبون بالرجم، ويكذّبون بالدجال، ويكذّبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذّبون بعذاب القبر، ويكذّبون بالشفاعة، ويكذّبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا، فلئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود".

أخرجه الداني في "الفتن" (ق٢٣/ ٢)، وأحمد (١/ ٢٣)، مختصراً، وإسناده حسن.

"قصة المسيح الدجال" (ص٢٤ - ٣٠).

---

(١) خرَّجته في "الصحيحة" برقم (١٩٥٩). [منه].

[١٥٧٢] باب أحاديث الدجال ونزول عيسى متواترة، وذكر بعض أهل الضلال ممن أنكر ذلك

[قال الإمام]:

اعلم أن أحاديث الدجال ونزول عيسى عليه السلام متواترة يجب الإيمان بها، ولا تغتر بمن يدعي فيها أنها أحاديث آحاد، فإنهم جهال بهذا العلم، وليس فيهم من تتبع طرقها، ولو فعل لوجدها متواترة كما شهد بذلك أئمة هذا العلم كالحافظ ابن حجر وغيره، ومن المؤسف حقاً أن يتجرأ البعض على الكلام فيما ليس من اختصاصهم، لا سيما والأمر دين وعقيدة !

وإن من هؤلاء أخيراً المدعو عز الدين بليق في كتابه "موازين القرآن والسنة" الذي زعم فيه تقليداً لغيره ممن لا معرفة عنده بهذا العلم – أن روايات نزول عيسى بعد الدجال إنما هي من رواية وهب بن منبة وكعب الأحبار وهذا اختلاق محض، فلا وجود لهما في شيء منها مطلقاً، وقد كنت قديماً خرجت نحو أربعين حديثاً ليس لهما فيها ذكر!

"تحقيق شرح العقيدة الطحاوية"(ص ٥٠١).

[١٥٧٣] باب أحاديث خروج الدجال ونزول عيسى متواترة

-[قال الإمام معلِّقاً على قول صاحب الطحاوية: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء"]:

والأحاديث في ذلك متواترة كما شهد بذلك كثير من الحفاظ المهرة، ولي رسالة في ذلك أسميتها: " قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام".

"التعليق على متن الطحاوية"(ص١٠٧).

[١٥٧٤] باب أحاديث الدجال، والمهدي، وعيسى متواترة، والرد على من أنكر ذلك

[قال الإمام]:

قرأت منذ بضعة أيام كتاب " الإسلام المصفى "

[ثم علق في الحاشية قائلاً]:

تأليف محمد عبد الله السمان وهو - والحق يقال كتاب قيم قد عالج فيه كثيراً من المسائل والقواعد التي تهم المسلم في العصر الحاضر، ولكنه عفا الله عنه قد اشتط كثيراً في بعض ما تحدث عنه، ولم يكن الصواب فيه حليفه، مثل مسالة إعفاء اللحية .. ومثل إنكاره شفاعته ﷺ لأهل الذنوب، وإنكاره نزول عيسى، وخروج الدجال، والمهدي.

قد أنكر كل ذلك وزعم أنها " ضلالات مصنوعة " وأن الأحاديث التي وردت فيها أحاديث آحاد لم تبلغ حد التواتر.

ونحن نقول للأستاذ كلمتين مختصرتين:

١ - دعواك أن الأحاديث المشار إليها غير متواترة غير مقبولة منك، ولا ممن سبقك إليها، مثل الشيخ شلتوت وغيره؛ لأنها لم تصدر من ذوي الاختصاص في علم الحديث، ولا سيما وقد خالفت شهادة المتخصصين فيه كالحافظ ابن كثير، وابن حجر، والشوكاني، وغيرهم حيث صرحوا بأن حديث النزول متواتر، وذلك يتضمن تواتر حديث خروج الدجال من باب أولى؛ لأن طرقه أكثر؟ كما لا يخفى على المشتغلين بهذا العلم الشريف، وقد كنت جمعت في بعض المناسبات الطرق الصحيحة فقط لحديث النزول فجازوت العشرين

طريقاً عن تسعة عشر صحابياً فهل التواتر غير هذا؟!

٢ - تقسيمك أنت وغيرك - أيا كان - الأحاديث الصحيحة إلى قسمين:

قسم يجب على المسلم قبولها ويلزمه العمل بها وهى أحاديث الأحكام ونحوها.

وقسم لا يجب عليه قبولها والاعتقاد بها وهي أحاديث العقائد وما يتعلق منها بالأمور الغيبية.

أقول: إن هذا تقسيم مبتدع لا أصل له في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا يعرفه السلف الصالح، بل عموم الأدلة الموجبة للعمل بالحديث تقتضي وجوب العمل بالقسمين كليهما ولا فرق، فمن ادعى التخصيص فليتفضل بالبيان مشكوراً وهيهات هيهات. ثم ألفت رسالتين هامتين جداً في بيان بطلان التقسيم المذكور الأولى: " وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة " والأخرى: " الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام " .

"تمام المنة"(ص٧٨-٧٩).

[١٥٧٥] باب أحاديث الدجال ونزول عيسى متواترة

[قال الإمام]:

(أحاديث) الدجال ونزول عيسى عليه السلام وهي متواترة عندهم، ونحوها أحاديث خروج المهدي – مهدي السنة لا الشيعة – فإنها صحيحة أيضا بل متواترة عند أهل العلم.

"حياة الألباني"(١/ ٢٣٤).

[١٥٧٦] باب نزول عيسى متواتر

[أورد شيخ الإسلام في كتاب "الإيمان" قول النبي ﷺ: "والذي نفسي بيده لينزلن فيكم ابن مريم حكماً عدلا وإماما قسطًا"].

[فعلق الإمام قائلاً]:

متفق عليه.

ونزول عيسى عليه السلام متواتر يجب الإيمان به، ولا يغتر بمن يزعم أنه حديث آحاد، فإنه ليس من أهل العلم بهذا الشأن، كيف ذلك وقد استخرجت له أنا بنفسي عشرين طريقًا عن عشرين صحابيًا بأكثر من عشرين سندًا صحيحًا؟!.

"تخريج الإيمان لابن تيمية"(ص٣٥٧).

(المهدي)

[١٥٧٧] باب خروج المهدي حقيقة عند العلماء

[قال رسول الله ﷺ]:

- «لتملأن الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت جوراً وظلماً، بعث الله رجلا مني، اسمه اسمي، فيملؤها قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٤/ ٣٨).

[١٥٧٨] باب من علامات المهدي

[قال رسول الله ﷺ]:

«منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به ثم قال]:

وفي الباب أحاديث أخرى فيها التصريح بأن الإمام الذي يصلي خلفه عيسى عليه السلام إنما هو المهدي، تراها في "العرف الوردي" للسيوطي(ص ٨١، ٨٣، ٨٤)، وقد مضى منها حديث جابر قريباً (٢٢٣٦).وختم السيوطي ذلك بما نقله عن أبي الحسن السحري(!): "قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته، ... وأنه يخرج مع عيسى بن مريم، فيساعده على قتل الدجال... وأنه يؤم هذه الأمة،وعيسى يصلي خلفه..".

"الصحيحة"(٥/ ٣٧١.٣٧٢).

[١٥٧٩] باب في علامات قرب خروج المهدي

سؤال: يقول: ما رأي فضيلتكم في الأحاديث الواردة في كتاب: الإشاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة، وكتاب: الإذاعة، وذلك حول الأمارات الدالة على قرب خروج الإمام المهدي، وعلامات خروجه وهي كما ذكرها: جفاف بحيرة طبرية.. انحسار نهر الفرات.. وجفاف مياهه عن جبل من ذهب.. عدم إثمار نخل بيسان.. انكساف الشمس في أول رمضان وانخساف القمر في ليلة النصف منه، وهل قطع مياه الفرات الآن عن سوريا والعراق في الوقت الحاضر، أفيدونا أثابكم الله بإسهاب عن هذا الموضوع.

الشيخ: أما القطع المذكور فليس له علاقة بأشراط الساعة، فإنه خلاف سياسي قد يزول إن شاء الله، أما كسوف الشمس والقمر فليس فيه حديث صحيح، أما سائر العلامات التي ذكرت في السؤال فهي ثابتة، وأخيرًا: فليس هناك تحديد لوقت خروج المهدي ونزول عيسى عليهما السلام، ولا أعتقد أن هذا الوقت فيه نذر وعلامات تمكننا من تحديد وقت خروج المهدي أو نزول عيسى عليه السلام، لا سبيل إلى ادعاء شيء من ذلك إلا على سبيل التظنن والتخرص وهذا لا يجوز في دين الله.

وأنا أقول بمثل هذه المناسبة: أن كثيرًا ممن ينتمي إلى العلم وإلى الدعوة إلى الإسلام قد ينكر أحاديث نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدي عليه السلام؛ لأنها كواقع مع الأسف الشديد كانت سببًا.. بسبب سوء فهم الأمة لهذه الأحاديث كانت سببًا لتواكل المسلمين وتقاعسهم عن القيام بواجب العمل لإعادة الحكم الإسلامي حكمًا قائمًا في أرض الإسلام، والواقع أن هذه الأحاديث لا تعني هذا المعنى المنحرف، ومن المؤسف أن بعض الدعاة بديل أن يقوموا بواجب نشر هذه

العقيدة لثبوتها في كتب السنة ثبوتًا متواترًا من جهة، ومن جهة أخرى: بديل أن يفهموا الأمة المقصد الأسنى من تبشير الرسول عليه الصلاة والسلام لهذه الأمة بخروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام، بدل النشر والتبشير والتقييم ماذا فعلوا؟ لقد أنكروا هذه الأحاديث الصحيحة وأوجدوا بلبلةً بين المسلمين الذين ليس عندهم من الوعي والتوعية ما تمكنهم من تمييز الأقوال الصحيحة من الأقوال الضعيفة.

يجب على كل مسلم أن يدرس الأحاديث على منهج علماء الحديث، وليس على منهج علماء الرأي والفلسفة العقلية المحضة، فالفلسفة لا حدود لها وكل يرى ما يناسب هواه، وما يناسب ثقافته، وإنما الطريق لمعرفة ما صح عن الرسول، وما لم يصح إنما هو طريق علماء الحديث منذ أن كانوا على وجه الأرض إلى أن تقوم الساعة، وهو الرجوع إلى أسانيد الأحاديث وإلى تراجم رواتها.

وقد تبين لكل عالم بالحديث أن هذه الأحاديث أحاديث نزول عيسى وخروج المهدي أحاديث صحيحة لا يجوز إنكارها، وإنكارها يعرض منكرها ولا شك لمفسدتين أحلاهما مر: إما الكفر؛ لأنه جحد ما ثبت عن النبي ﷺ بالتواتر، أو الفسق إذا كان لم يقم بواجب البحث والتحقيق وهو عالم يستطيع القيام بذلك.

هذا هو الواجب الأول: أن نثبت هذه الأحاديث لأنها صحيحة لا شك ولا ريب فيها.

الواجب الثاني: أن نفهم الأمة أن هذه الأحاديث لا تعني أن الأمة ينبغي أن تتواكل وأن تنتظر خروج المهدي ونزول عيسى، بل عليها كلها أن تعمل لعزة الإسلام ولتطبيق الإسلام، وحينذاك سيشعرون بأن الأمة بحاجة إلى وحدة الكلمة

قبل كل شيء، ثم إلى رجل يقودهم إلى العز والمجد الغابر، هذا الرجل قد يكون المهدي عليه السلام وقد يكون رجلًا مصلحًا قبل خروجه هو؛ لأن النبي ﷺ قد بشر هذه الأمة بقوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» فالمجددون والحمد لله موجودون وهم متتابعون على رأس كل مائة سنة، فقد يكون المهدي على رأس المائة سنة القابلة، وقد يكون بعد مائتي سنة وقد وقد؛ لأن هذا غيب لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، لكن المسلمين عليهم أن يعملوا واجبهم، ثم قد ربنا عز وجل يرسل إليهم مصلحًا ليجمع كلمتهم ويقيموا دولتهم وما ذلك على الله بعزيز.

"فتاوى جدة" (٤ / ٠٠:٤١:٥٠)

[١٥٨٠] باب هل سيخرج المهدي في هذا الزمان؟

سؤال: قيل... إنك قلت [أن المهدي] يخرج ليس في هذا الزمان...سيخرج في زمان..الحرب تكون بالسيوف والرماح؟

الشيخ: لا، أنا ما أقول هذا، بس أقول ما بيخرج بهذا الزمان؛ لأنه المهدي سوف لا يستطيع أن يعمل أكثر من الرسول عليه السلام، الذي ظل بقومه عشرين سنة حتى استطاع أن يوجد من حوله أمة يقاتلون في سبيل الله، فلو خرج [المهدي و] وجد التسعمائة مليون مسلم متفرقين شذر مدر حتى يجمعهم على فكرة واحدة، على تصفية وعلى تربية، يحتاج إلى كذا سنين هو، ونص الحديث يمكث في الأرض سبع سنين، ثمان سنين، شو بده يسوي في سبع سنين...

"الهدى والنور" (١٤٩/ ٢١: ٠٢: ٠١).

[١٥٨١] باب من هو المهدي المنتظر؟وهل هو مهدي الشيعة؟

سؤال: بالنسبة للمهدي، المهدي هل هو المهدي المنتظر اللي بيتكلموا عنه الشيعة أو المهدي اللي بيقولوا عنه... بيطلع بعد كذا عام؟

الشيخ: المهدي يا أخي تبع الشيعة خيال، مهدي الشيعة خيال لا وجود له، إلا في أدمغتهم. تسمع بالعنقاء؟

مداخلة: لا.

الشيخ: العنقاء: اسم بدون جسم، ومثله الخل الوفي، تعرفوه؟ الخل الوفي، المهم: مهدي الشيعي خيال، لأنو بيقولوا هو داخل في السرداب من كذا سنين، وكل يوم بيهيؤوا ثلة من الجيش، من العسكر، من الفرسان، وبيروحوا باب المغارة من شان يستقبلوه، وهكذا لا يزالون في ضلالهم يعمهون، أما المهدي المبشر به في الأحاديث الصحيحة، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تنقضي الدنيا حتى يبعث الله رجلاً يوافق اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي -أي محمد بن عبد الله- يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، «يمكث في الأرض سبع سنوات أو ثمان سنوات».

فإذن المهدي محمد بن عبد الله هو رجل من المجددين، الذين أخبر الرسول عليه السلام عنهم بقوله: «إن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة». فالمهدي ما هو إلا إنسان عادي عالم مصلح، الناس يتبعونه لعلمه ولصلاحه؛ ولذلك ففي زمانه يرى الناس العدل، ولا يعودون يرون الجور والظلم [كما هو] حال المسلمين اليوم يعيشونه في كل بلاد الإسلام مع الأسف الشديد.

«لا تنقضي الدنيا حتى يبعث الله رجلاً يوافق اسمه اسمي، واسم أبيه اسم

أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً». هذا المهدي إنسان من العلماء المصلحين لم تلد النساء مثله بعد الصحابة والخلفاء الراشدين.

مداخلة: قبل نزول عيسى عليه السلام.

الشيخ: هو قبل لكن يلتقى به كما سمعت آنفاً، ذكرنا أنه بينزل عيسى شرقي دمشق، وبتكون الصلاة أقيمت للمهدي، فحينما يرى عيسى بيقدمه يصلي، يقول: لا، أي أنا لا أتقدمكم معشر أمة محمد تكرمة هذه الأمة. نعم.

مداخلة: شيخنا: ... في شاهد لما تفضلت به وهو قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾(النساء:١٥٩).

الشيخ: نعم، صدق الله.

"الهدى والنور" (٥٢٩/ ٠٩: ٠٦: ٠٠).

[١٥٨٢] باب بيان حال حديث حول المهدي

سؤال: [نسأل] عن صحة حديث: «**لا يخرج المهدي حتى يحكم رجل من جزيرة العرب وهو من العرب المتنصرة**»؟

الشيخ: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين.

"الهدى والنور" (٣١٦/ ٣٠: ٣٤: ٠٠).

(قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام)

قصة المسيح الدجال
ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه
على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه
مضافا إليه ما صح عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم[(١)]

١ - يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم - [ولا تكون حتى تقوم الساعة] - أعظم من فتنة الدجال [ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها] [وإنه لا يضر مسلماً] .

٢ - وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته [الأعور] الدجال [إني لأنذركموه] .

٣ - وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم.

٤ - وهو خارج فيكم لا محالة، [إنه لحق وأما إنه قريب فكل ما هو آت قريب]، [إنما يخرج لغضبة يغضبها] و[لا يخرج حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة].

٥ - فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي فكل امرئ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، (وفي حديث أم سلمة:

(١) وقد أبقيت على ما وضعه الألباني من معقوفات تميز الزوائد على سياق أبي أمامة دون عزو لمواضع الزيادات، فعلى من أراد الوقوف على مواضعها الرجوع إلى الأصل.

وإن يخرج بعد أن أموت يكفيكموه الله بالصالحين).

٦ - وإنه يخرج [من [أرض] قبل المشرق] [يقال لها: (خراسان)] [في يهودية أصبهان] [كأن وجوههم المجان المطرقة] من خلة بين الشام والعراق، فعاث يميناً [وعاث] شمالا يا عباد الله فاثبتوا . [ثلاثاً].

٧ - فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي، (وفي حديث عبادة: إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا).

٨ - إنه يبدأ فيقول: أنا نبي ولا نبي بعدي.

٩ - ثم يثني فيقول: أنا ربكم . ولا ترون ربكم حتى تموتوا .

١٠ - وإنه أعور [ممسوح] [العين اليسرى] [عليها ظفرة غليظة] [خضراء كأنها كوكب دري] [عينه اليمنى كأنها عنبة طافية] [ليست بناتئة ولا حجراء] [جفال الشعر] [ألا ما خفي عليكم من شأنه فلا يخفين عليكم] إن ربكم ليس بأعور [ألا ما خفي عليكم من شأنه فلا يخفين عليكم أن ربكم ليس بأعور] [ثلاثا] [وأشار بيده إلى عينيه] [وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا].

١١ - [إنه يمشي في الأرض وإن الأرض والسماء لله].

١٢ - [إنه شاب قطط كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن] [قصير أفحج دعج] [هجان] .

١٣ - [وإنه آدم جعد] [جفال الشعر].

١٤ - وإنه مكتوب بين عينيه: كافر يقرؤه [من كره عمله أو يقرؤه] كل مؤمن كاتب أو غير كاتب .

١٥ - وإن من فتنته أن معه جنة وناراً [ونهرا وماء] [وجبل خبز] [وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار] فناره جنة وجنته نار.

- [وسأله المغيرة بن شعبة عنه؟ فقال: قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز ولحم ونهر من ماء؟ قال: هو أهون على الله من ذلك] . (وفي حديث آخر: [معه نهران يجريان أحدهما - رأي العين - ماء أبيض والآخر - رأي العين - نار تأجج] [فمن أدرك ذلك منكم فأراد الماء فليشرب من الذي يراه أنه نار] [وليغمض [عينيه] ثم ليطأطئ [رأسه] فإنه يجده ماء [بارداً عذباً] [طيباً] [فلا تهللوا] . وفي أخرى: فمن دخل نهره حط أجره ووجب وزره ومن دخل ناره وجب أجره وحط وزره).

١٦ - فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ [عليه] فواتح سورة (الكهف) [فإنها جواركم من فتنته].

١٧ - وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم . فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك.

١٨ - وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين.

١٩ - وإن من فتنته أن يمر بالحي [فيدعوهم] فيكذبونه [فينصرف عنهم] فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت.

٢٠ - وإن من فتنته أن يمر بالحي [فيدعوهم] فيصدقونه [ويستجيبون له] فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعاً.

٢١ - ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل.

٢٢ - [يخرج في [زمان اختلاف من الناس وفرقة] (و) بغض من الناس وخفة من

الدين وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طي فروة الكبش].
٢٣ - [ولا يخرج حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق [يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام]. فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ . فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم . فيقول المسلمون: لا . والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم [وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون، حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام] فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم - [هم] أفضل الشهداء عند الله - ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً [فيجعل الله الدبرة عليهم (أي الروم) فيقتتلون مقتلة إما قال: لا يرى مثلها وإما قال: لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم؟] فيبلغون قسطنطينية فيفتحونها (وفي رواية: سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر . فيسقط أحد جوانبها الذي في البحر ثم يقولوا الثانية:

لا إله إلا الله والله أكبر . فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر . فيفرج لهم فيدخلوها فيغنموا) فبينما هم يقتسمون الغنائم – قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح [الدجال] قد خلفكم في أهليكم . [فيرفضون ما بأيديهم] فيخرجون وذلك باطل [فيبعثون عشرة فوارس طليعة . قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ] فإذا جاؤوا الشام خرج»].

٢٤ – وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا [أربع مساجد: مسجد] مكة و[مسجد] المدينة [والطور ومسجد الأقصى].

٢٥ – وإن أيامه أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم.

قالوا: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا اقدروا له قدره.

قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح].

٢٦ – وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر الله السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله.

قيل: فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام.

٢٧ - لا يأتي مكة والمدينة من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة.
٢٨ - [وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح [الدجال] إلا المدينة [لها يومئذ سبعة أبواب] على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح].
٢٩ - حتى ينزل عند السبخة [سبخة الجرف] [دبر أحد] [فيضرب رواقه].
٣٠ - فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص [وأكثر من يخرج إليه النساء].
٣١ - [فيتوجه قبله رجل من المؤمنين [ممتلئ شباباً] [هو يومئذ خير الناس أو من خيرهم] فتلقاه المسالح - مسالح الدجال - فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج . قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء . فيقولون: اقتلوه . فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه؟ فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس [أشهد أن] هذا الدجال الذي ذكر (وفي طريق: الذي حدثنا) رسول الله ﷺ [حديثه] قال: فيأمر الدجال به فيشبح فيقول: خذوه وشبحوه . فيوسع ظهره وبطنه ضرباً قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب [فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا] . قال: فيؤمر به فيؤشر المئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه [فيقتله] (وفي حديث النواس: فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض) . قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم . فيستوي قائما قال: [ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك] ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: [والله] ما ازددت فيك إلا بصيرة . قال: ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي

بأحد من الناس . قال: فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلا قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به. فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين].

٣٢ - [ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام] [ثم يأتي جبل إيليا فيحاصر عصابة من المسلمين] [فيلقى المؤمنون شدة شديدة] [ويفر الناس من الدجال في الجبال] فقالت أم شريك بنت أبي العكر يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليل.

٣٣ - وإمامهم رجل صالح [وقال ﷺ: المهدي منا آل البيت [من أولاد فاطمة] يصلحه الله في ليلة] [يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي] [أجلى الجبهة أقنى الأنف] [يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً] [يملك سبع سنين].

- وقال ﷺ: «عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام» - وقال: «من أدركه منكم فليقرئه مني السلام».

٣٤ - [فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم [من السماء] عيسى بن مريم الصبح] [عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه].

٣٥ - [ليس بيني وبينه نبي (يعني: عيسى)، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل،

فيقاتل الناس على الإسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام).

- وقال: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم (وفي رواية: وأمكم) منكم؟). قال: ابن أبي ذئب: تدري ما (أمكم منكم)؟ قلت: تخبرني . قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم ﷺ)].

٣٦ - فرجع ذلك الإمام ينكص - يمشي القهقرى - ليتقدم عيسى [فيقول: تعال صل لنا] . فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: [لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة] تقدم فصل . فيصلي بهم إمامهم.

٣٧ - [ثم يأتي الدجال جبل (إيلياء) فيحاصر عصابة من المسلمين] [فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية [إلا] أن تقاتلوه حتى تلحقوا بالله، أو يفتح لكم، فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا].

٣٨ - [فبينما هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة] [صلاة الصبح] [فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم] [فيؤم الناس فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع الله لمن حمده قتل الله المسيح الدجال، وظهر المسلمون] . فإذا انصرف قال: افتحوا الباب . فيفتح وراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج [فيطلبه عيسى عليه الصلاة والسلام].

٣٩ - [فيذهب عيسى بحربته نحو الدجال] فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء [فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريه دمه في حربته] فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله [فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق].

٤٠ - فيهزم الله اليهود [ويسلط عليهم المسلمون] [ويقتلونهم] فلا يبقى شيء مما

خلق الله يتوارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة - إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق - إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي [ورائي] فتعال فاقتله.

٤١ - [ثم يلبث الناس بعده سنين سبعاً ليس بين اثنين عداوة].

٤٢ - فيكون عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في أمتي [مصدقا بمحمد ﷺ على ملته] حكما عدلاً وإماماً [مهدياً] مقسطاً [فيقاتل الناس على الإسلام ف] يدق الصليب، ويذبح الخنزير [وتجمع له الصلاة] ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض [والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد]،[حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها]،[وتكون الدعوة واحدة لرب العالمين]، - [والذي نفسي بيده ليهلن ابن مريم بفج (الروحاء) حاجاً أو معتمراً أو ليثنينهما].

٤٣ - ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذا أوحي الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء . [ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس - فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً] ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى

كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً، لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة.

ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك.

فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس] ويكون الثور بكذا وكذا من المال وتكون الفرس بالدريهمات.

- [وقال ﷺ: (طوبى لعيش بعد المسيح طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حبك على الصفا لنبت، ولا تشاح، ولا تحاسد، ولا تباغض)].

٤٤ - وتنزع حمة كل ذات حمة، [وتقع الأمنة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم]، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله، وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها [ثم يقال: تكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم].

٤٥ - [فيمكث عيسى عليه الصلاة والسلام في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى

فيصلي عليه المسلمون].

٤٦ - فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحا [باردة من قبل الشام] فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم (وفي حديث ابن عمرو: لا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه) ويبقى شرار الناس [في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً قال: فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها وهم في ذلك دارة أرزاقهم حسن عيشهم] يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة.

٤٧ - [ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا، ورفع ليتا، أول من يسمع رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس. ثم يرسل الله - أو قال: ينزل الله - مطراً كأنه الطل أو الظل - شك من الراوي - فتنبت منه أجساد الناس [ثم نفخ فيه أخرى فإذا قيام هم ينظرون]؟ (الزمر: ٦٨) ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم؟ وقفوهم إنهم مسؤولون؟ [الصافات: ٢٤] . ثم يقال: أخرجوا بعث النار فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين . فذاك يوم [يجعل الولدان شيبا] (المزمل: ١٧) وذلك [يوم يكشف عن ساق] (القلم: ٤٢).

"قصة المسيح الدجال.."(ص١٢٩-١٤٩).

(الدجال)

[١٥٨٣] باب الدجال حقيقة
وصفة عينه

[قال رسول الله ﷺ]:

«الدجال عينه خضراء كالزجاجة، ونعوذ بالله من عذاب القبر».

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به ثم قال]:

وهذا حديث واحد من عشرات الأحاديث الواردة في الدجال، فالاعتقاد به واجب.

"الصحيحة"(٤/ ٤٧٧).

[١٥٨٤] باب منه

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن من بعدكم الكذاب المضل، وإن رأسه من بعده حبك حبك - ثلاث مرات - وإنه سيقول: أنا ربكم، فمن قال: لست ربنا، لكن ربنا الله عليه توكلنا وإليه أنبنا، نعوذ بالله من شرك، لم يكن له عليه سلطان» .

[قال الإمام]:

والحديث دليل صريح على أن الدجال الأكبر هو شخص له رأس وشعر،

وليس معنى وكناية عن الفساد كما يحلو لبعض ضعفاء الإيمان أن يتناولوا أحاديثه الكثيرة الثابتة عن النبي ﷺ بالتواتر كما صرح به أئمة الحديث، فلا تغتر بعد ذلك أيها القارئ بمن لا علم عنده بحديث رسول الله ﷺ مهما كان شأنه ومقامه في غير هذا العلم الشريف.

"الصحيحة"(٦/ ٢/ ٧٢٧).

[١٥٨٥] باب الدجال من البشر والرد على من ادعى انه ليس كذلك

[قال رسول الله ﷺ]:

«الدجال الأعور هجان أزهر (وفي رواية أقمر) كأن رأسه أصلة أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإما هلك الهلك، فإن ربكم تعالى ليس بأعور».

[قال الإمام]:

والحديث صريح في أن الدجال الأكبر من البشر له صفات البشر، لاسيما وقد شبه به عبد العزى بن قطن، وكان من الصحابة .

فالحديث من الأدلة الكثيرة على البطلان تأويل بعضهم الدجال بأنه ليس بشخص وإنما هو رمز للحضارة الأوربية وزخارفها وفتنتها ! فالدجال من البشر وفتنة أكبر من ذلك كما تضافرت على ذلك الأحاديث الصحيحة، نعوذ بالله منه .

"الصحيحة"(٣/ ١٩٠-١٩١).

[١٥٨٦] باب أهمية إحياء ذكر الدجال

[قال الإمام في مقدمة كتابه "قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام"]:

الأمر الثاني – مما شجعني على تأليف هذه الرسالة -: أن الناس كافة – عامة وخاصة؛ إلا من شاء الله – لم يعودوا يتحدثون عن خروج الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام؛ مصداقاً لما في "زوائد مسند أحمد" (٤/ ٧٢)عن راشد بن سعد قال:

لما فتحت اصطخر نادي منادٍ: ألا إن الدجال قد خرج .

قال: فلقيهم الصعب بن جثامة، قال: فقال: لولا ما تقولون لأخبرتكم أني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا يخرج الدجال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره في المنابر»(١).

ولقد صدق هذا الخبر على أئمة المساجد، فتركوا ذكر الدجال على المنابر وهم خاصة الناس؛ فماذا يكون حال عامتهم؟! وإذا كان الله تبارك وتعالى قد جعل بحكمته لكل شيء سبباً؛ فلست أشك أن سبب هذا الإهمال لذكره – مع اهتمام الرسول ﷺ أشد الاهتمام في التحذير من فتنته؛ كما ستراه فيما يأتي في أول قصته – إنما هو تشكيك بعض الخاصة في الأحاديث الواردة فيه؛ تارة في ثبوتها

---

(١) قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٣٣٥):
رواه عبد الله بن أحمد من رواية بقيّة عن صفوان بن عمرو، وهي صحيحة كما قال ابن معين، وبقيَّةُ رجالِهِ ثقات" . وعزاه في مكانٍ آخر (٧/ ٣٥١) لأحمد نفسه، فوهم! .[منه].

وعدم ورودها بطريق التواتر - زعموا - وتارة في دلالتها كما تقدم بيانه، فكان من الواجب أن يقوم أهل العلم بواجبهم؛ فيبينوا للأمة ما حدثهم به رسول الله ﷺ من فتنة الدجال وقتل عيسى عليه الصلاة والسلام إياه؛ بنفس الطريق التي تتلقى الأمة به عن النبي ﷺ كل ما يتعلق بدينها - من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وغيرها، ألا وهو الحديث النبوي - وبذلك يقضى على السبب المشار إليه، ويعود الناس فيذكرون الدجال وفتنته فيتخذون الأسباب لاتقائها، فلا يغترون بأضاليله وتحاريفه التي لا يصدق بإمكان وقوعها من مِثله إلا المؤمن - الذي لا يرتاب أدنى ارتياب فيما جاء عن النبي ﷺ من أخباره - لعلمه بأن الله تعالى يبتلي عباده بما شاء من أنواع الفتن، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(القصص:٦٨).

"قصة المسيح الدجال" (ص٣٠-٣١).

[١٥٨٧] باب ذكر أسباب العصمة من فتنة الدجال

[قال الإمام في مقدمة كتابه: " قصة المسيح الدجال]:

فإذا علم المؤمن بذلك وآمن به [أي بعقيدة خروج الدجال]؛ اتخذ الأسباب التي تعصمه من فتنته؛ وهي:

أولاً: الاستعاذة بالله تعالى من شر فتنته، والإكثار منها؛ لا سيما في التشهد الأخير في الصلاة، فقد قال رسول الله ﷺ:

«إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم ! إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنته المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»(١).

---

(١) انظر: "صفة الصلاة" (ص ١٩٩- الطبعة السابعة). [منه] .

وثبت في "الصحيحين" وغيرهما عن جمع من الصحابة – منهم عائشة رضي الله عنها –: أن النبي ﷺ كان يستعيذ من فتنته.

بل إنه أمر بالاستعاذة من فتنته أمراً عاماً؛ كما في حديث زيد بن ثابت قال: بينما النبيﷺ في حائط لبني النجار على بغلة له – ونحن معه – إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أَقْبُرُ ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: "من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟".

فقال رجل: أنا.

قال: " فمتى مات هؤلاء؟".

قال: ماتوا في الإشراك (وفي رواية: في الجاهلية).

فقال:"إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه"، ثم أقبل بوجهه فقال: "تعوذوا بالله من عذاب النار". قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار . فقال: "تعوّذوا بالله من عذاب القبر". قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر . قال: "تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ". قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال:

"تعوذّوا بالله من فتنة المسيح الدجال" . قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال(١).

ثانياً: أن يحفظ عشر آيات من سورة (الكهف)، فقد قال ﷺ:

«من حفظ عشر آيات من أول سورة (الكهف)؛عصم من [فتنة] الدجال».

---

(١) أخرجه مسلم (٨/ ١٦١)، وأحمد (٥/ ١٩٠). [منه].

رواه مسلم وغيره عن أبي الدرداء[١].

ثالثاً: أن يبتعد عنه، ولا يتعرض له؛ إلا إن كان يعلم من نفسه أنه لن يضره؛ لثقته بربه، ومعرفته بعلاماته التي وصفه النبي ﷺ بها؛ لقوله عليه الصلاة والسلام:

«من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله؛ إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه؛ مما يبعث به من الشبهات».

أخرجه أحمد وغيره عن عمران بن حصين[٢].

رابعاً: أن يسكن مكة والمدينة، فإنهما حرمان آمنان منه؛ لقوله ﷺ:

"يجيء الدجال فيطأ الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة؛ فيجد بكل نقب من نقابها صفوفاً من الملائكة".

أخرجه الشيخان وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه[٣].

ومثلهما المسجد الأقصى والطور؛ كما يأتي في الفقرة (٢٤ – السياق).

واعلم أن هذه البلاد المقدسة إنما جعلها الله عصمة من الدجال لمن سكنها وهو مؤمن ملتزم بما يجب عليه من الحقوق والواجبات تجاه ربها، وإلا فمجرد استيطانها – وهو بعيد في حياته عن التأدب بآداب المؤمن فيها – فَمِمَّا لا يجعله

---

(١) رواه مسلم وغيره، وفي رواية له: "آخر الكهف"، وهي شاذة؛ كما حققته في "الصحيحة" رقم (٢٦٥١). ويشهد للرواية الأولى حديث النواس الآتي في الفقرة (٥) – تخريج فقرات القصة، وحديث أبي أمامة في الفقرة (١٤).. [منه].

(٢) وهو مخرّج في "المشكاة" (٥٤٨٨)، ورواه حنبل أيضاً في "الفتن" (ق٤٦/ ٢).. [منه].

(٣) وهو مخرّج في "الصحيحة" (٢٤٥٧). [منه].

في عصمة منه، فسيأتي في الفقرة (٢٥ – أبو أمامة، ٣٠ – السياق) أن الدجال – عليه لعائن الله – حين يأتي المدينة النبوية وتمنعه الملائكة من دخولها؛ ترجف بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق ولا منافقة إلا خرج إليه.

فهؤلاء المنافقون والمنافقات – وقد يكون نفاقهم عمليًّا – لم يَعْصِمْهُمْ من الدجال سكنهم المدينة النبوية؛ بل خرجوا إليه، وصاروا من أتباعه كاليهود ! وعلى العكس من ذلك؛ فمن كان فيها من المؤمنين الصادقين في إيمانهم؛ فهم مع كونهم في عصمة من فتنته؛ فقد يخرج إليه بعضهم متحدياً وينادي في وجهه: هذا هو الدجَّال الذي كان رسول الله ﷺ يحدثنا حديثه ... كما سيأتي في الفقرة (٣١ – السياق) .

فالعبرة إذن بالإيمان والعمل الصالح، فذلك هو السبب الأكبر في النجاة، وأما السكن في دار الهجرة وغيرها؛ فهو سبب ثانوي، فمن لم يأخذ بالسبب الأكبر؛ لم يفده تمسكه بالسبب الأصغر، وقد أشار إلى هذا النبي ﷺ بقوله للذي سأله عن الهجرة:

"ويحك ! إن شأن الهجرة لشديد! فهل لك من إبل؟" . قال: "فهل تؤتي صدقتها؟". قال: نعم . قال: "فاعمل من وراء البحار، فإن الله لن يَتِرَكَ من عملك شيئاً"[(١)] .

وما أحسن ما روى الإمام مالك في "الموطأ" (٢/ ٢٣٥) عن يحيى بن سعيد:

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٢٠٧- فتح)، ومسلم (٦/ ٢٨)، وأبو داود (١/ ٣٨٨)، والنسائي (٢/ ١٨٢)، وأحمد (٣/ ٦٤). [منه].

"أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي: أن هلمَّ إلى الأرض المقدسة . (يعني:الشام). فكتب إليه سلمان:

إن الأرضَ لا تقدسُ أحداً، وإنما يقدسُ الإنسانَ عملُهُ".

وصدق الله العظيم إذ يقول:﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(التوبة:١٠٥).

"قصة المسيح الدجال"(ص٣١-٣٥)

[١٥٨٨] باب منه

[قال رسول الله ﷺ]:

- «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال».

[قال الإمام]:

فائدة: قد جاء في حديث آخر بيان المراد من الحفظ والعصمة المذكورين في هذا الحديث وهو قوله ﷺ في حديث الدجال: «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، فإنها جواركم من فتنه» . أخرجه أبو داود (٤٣٢١)بسند صحيح وأصله عند مسلم (٨/ ١٩٧) دون قوله " فإنها ... ".

"الصحيحة"(٢/ ١٢٣-١٢٥).

[١٥٨٩] باب هل هناك فتنة أشد من فتنة الدجال؟

سؤال:الفتنة التي هي أشد من فتنة الدجال، هل بعد الدجال أو قبل الدجال؟

الشيخ: ليس هناك أكبر من فتنة الدجال بصريح هذا الحديث: «ما بين خلق

آدم والساعة فتنة أضر من فتنة المسيح الدجال»[1].

مداخلة: لا يوجد يعني أضر منها؟

الشيخ: نعم.

"الهدى والنور" (١٧٧ / ٠١: ٥٣: ٠٠).

[١٥٩٠] باب فتنة الدجال فتنة عظيمة

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه . قال زيد: ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذا بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال» .

[قال الإمام]:

من فوائد الحديث

وفي هذه الأحاديث فوائد كثيرة [منها]:

إن فتنة الدجال فتنة عظيمة ولذلك أمر بالاستعاذة من شرها في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى، حتى أمر بذلك في الصلاة قبل السلام كما ثبت في البخاري

(١) "صحيح الجامع" (رقم٧٨٧٥).

وغيره . وأحاديث الدجال كثيرة جدا، بل هي متواترة عند أهل العلم بالسنة .

ولذلك جاء في كتب العقائد وجوب الإيمان بخروجه في آخر الزمان، كما جاء فيها وجوب الإيمان بعذاب القبر وسؤال الملكين .

"الصحيحة"(١/ ١/ ٢٩٧).

[١٥٩١] باب من أخبار الدجال

[قال الإمام]:

حينما يخرج الدجال الأكبر الذي حدثنا عنه الرسول ﷺ في أحاديث كثيرة متواترة، منها قوله عليه السلام: «ما بين خلق آدم والساعة فتنة أشد من فتنة المسيح الدجال». وذلك لأنه يأتي بمخاريق، بخوارق للعادات يظن ضعفاء الإيمان أنه فعلاً هو كما يزعم، أنه رب، وأنه الإله الذي يستحق العبادة، لأنه يقول للسماء أمطري فتمطر، ويقول للأرض القاحلة الجدبة: أنبتي أخرجي نباتك، فتصبح خضراء مورقة، ويقول للخربة: أخرجي كنوزك، فتخرج الكنوز تمشي وراءه، يعني أشياء من جملة الفتنة التي يفتتن بها الناس بالدجال، لكن الله عز وجل كما هي سنته في عباده يبتلي الناس بالخير والشر، فهو بالإضافة إلى أنه يسخر لهذا الدجال هذه الأنواع من الخوارق، فبالإضافة إلى ذلك يبتليه بأن يكون أعور العين، ومكتوب على جبينه: كافر، يقرأه الأمي والقارئ، وهذا برهان لكونه كذاب، وتلك براهين توهم ضعفاء الإيمان أنه إله، ولذلك قال عليه السلام لما وصفه بأنه أعور، قال عليه السلام: «وإن ربكم ليس بأعور، وإن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت».

إذاً: أي إنسان مهما كان صاحب مخاريق وخوارق وآيات يظن الناس أنها

كرامات، فما دام أنه يدعي الألوهية، فإن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت. إذاً: هو دجال.

هذا الدجال يقول للناس آمن بي أدخلتك الجنة، ويريه جنة، ولمن يعصه يريه النار، فيقول الرسول عليه السلام: «فمن كفر به أدخله النار وهو في الجنة» والعكس بالعكس: «من آمن به أدخله الجنة وهو في النار».

"الهدى والنور" (١٧٧ / ٤٥: ٤٨: ٠٠).

[١٥٩٢] باب هل يبقى الخضر إلى زمان الدجال؟

[قال الإمام]:

بقاء الخضر عليه السلام إلى زمن الدجال خرافة لا أدري كيف انطلى أمرها على بعض العلماء - فضلاً عن جماهير الصوفية -؟! ولكن الله تبارك وتعالى قد وفق كثيراً من أهل العلم فبينوا بطلان إدراك الخضر للنبي ﷺ - فضلاً عن استمراره حياً -؛ كالإمام البخاري وابن تيمية والعسقلاني وغيرهم.

"الضعيفة"(١٤/ ٢/ ٦٧٨).

[١٥٩٣] باب حول حديث الجساسة

سؤال: يقول فضيلة الشيخ: حديث الجساسة هل هو صحيح، وهل هو مخالف لبعض الأحاديث؟ نرجو توضيح ذلك.

الشيخ: حديث الجساسة حديث صحيح، وليس فيه ما يخالف الأحاديث الصحيحة إطلاقًا، وإنما فيه تفاصيل ستقع يومًا ما مما لم يرد ذكره في بعض الأحاديث الصحيحة، وبعضها وقع، وكما رواه تميم الداري رضي الله عنه، وإنما

الناس اليوم يريدون أن يطبقوا الأحاديث الغيبية على عقولهم الصغيرة، وهذا ليس من الإيمان في شيء؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾(البقرة:١-٣) فواجب كل مسلم إذا ما جاءه حديث عن النبي ﷺ سواء كان الحديث هذا يتعلق بالعقائد أو بالأحكام أو بأشراط الساعة أو بأي حكم يتعلق بالمغيبات فواجب المسلم أمام هذا الحديث أو ذاك شيئان اثنان:

الشيء الأول: أن يسأل أهل العلم بالحديث: أصحيح هو أم لا، فإذا قالوا له بأنه صحيح وجب الأمر الثاني، وهو: أن يخضع عقله وفكره وثقافته التي نشأ عليها للإيمان بهذا الحديث؛ لأنه من أمور الغيب، وقد علمنا أن أول صفة للمؤمن حقًا هو ما قاله الله عز وجل في آنفًا في الآية آية البقرة: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾(البقرة:٣) فالإيمان بالغيب أمر هام جدًا يمتحن الله تبارك وتعالى عباده بمثل هذه الأحاديث الصحيحة، وحديث الجساسة لا شك في صحته لسببين اثنين:

الأول: أنه رواه مسلم في صحيحه.

والآخر: أننا لم نجد في إسناده مغمزًا أو مطعنًا ولذلك فلا يجوز للمسلم أن يتفلسف عليه، وأن يقول: معقول أو غير معقول أو ما شابه هذا الكلام الذي لا يخرج ممن آمن بالغيب حقًا.

هذا جواب حديث الجساسة.

مداخلة: يا شيخ! هناك أحاديث وردت مثلًا: تعارض هذا الحديث..

الشيخ: مثل؟

مداخلة: قوله عليه الصلاة والسلام: «ما من نفس منفوسة يمر عليها مائة عام وهي حية يومئذ» أو كما قال.

الشيخ: هذا الذي يقول بهذا الكلام هو جاهل بعلم أصول الفقه، ما من نص عام إلا وقد خصص، وهذا من ذاك، يعني: ما من نفس منفوسة، إلا ما جاء النص يستثني ذلك، وعلى هذا اعتمد من زعم أن الخضر عليه السلام لا يزال حيًّا بين الأنام، لكن نحن نقول كما تعلمنا من بعض العلماء: أثبت العرش ثم انقش، نقول له: أثبت أن الخضر حي حتى نستثنيه من الحديث، ولما لم يكن هناك حديث صحيح يثبت حياة الخضر إلى عهد النبي ﷺ لم يكن بنا حاجة إلى أن نقول: عن الخضر مستثنى من حديث: «ما من نفس منفوسة» أما والدجال حي بصريح الحديث الذي جاء ذكره آنفًا وكذلك عيسى لا يزال حيًا وإن كان هذا في السماء فإذًا الجواب: هو تخصيص العام بالحديث الخاص، وإلا لوقع هذا الجاهل وأمثاله في جهل بل جهالات متتابعة؛ لأننا سنواجهه بالآية الكريمة.

وهذا مثل أذكره في كثير من مثل هذه المناسبة، ألا وهي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾(المائدة:٣) إلى آخر الآية، فهل يجوز أكل السمك الميت؟ سيقول بالجواز، فما هو الجواب عن الآية، سيضطر أن يقول بقول العلماء: الآية عامة والحديث يخصص هذه الآية، فكيف لا يخصص الحديث الحديث؟ ذلك من باب أولى.

"فتاوى جدة" (٢ / ١٠:٢٨:٠٠).

(نزول عيسى عليه السلام)

[١٥٩٤] باب كم بين المهدي وعيسى

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«كيف تهلك أمة أنا أولها، وعيسى آخرها، والمهدي في وسطها».

(منكر).

[قال الإمام]:

والحديث منكر عندي، لأن ظاهره أن بين المهدي وعيسى سنين كثيرة مع أنه صح في غير ما حديث أنهما يلتقيان في دمشق، ويأتم عيسى بالمهدي عليهما السلام، فكيف يقال: إن المهدي في وسطها وعيسى في آخرها؟ !

"الضعيفة"(٥/ ٣٧١).

[١٥٩٥] باب الضمير في قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾ يعود على عيسى والمراد نزوله

[قال رسول الله ﷺ]:

«يا معشر قريش! إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير - وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد-؛ فقالوا: يا محمد! ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً؟! فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم

لكما يقولون- (الأصل: تقولون!)-، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون﴾(الزخرف: ٥٧) قال: قلت: ما (يصدون)؟ قال: يضجُّون. ﴿وإنه لعلم للساعة﴾(الزخرف: ٦١)، قال: هو خروج (وفي رواية: نزول) عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة».

[قال الإمام]:

واعلم أن الحديث صريح الدلالة على أن الضمير في قوله تعالى: (وإنه لعلم للساعة) يعود إلى عيسى عليه السلام، وليس إلى القرآن كما روي عن بعضهم، ولذلك قال الحافظ ابن كثير: «بل الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام؛ فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك نزوله قبل يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً ".

"الصحيحة"(٧/ ١/ ٦٣٢، ٦٣٤-٦٣٥).

[١٥٩٦] باب نزول عيسى واجتماعه بالمهدي

[قال رسول الله ﷺ]:

«ينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صل بنا، فيقول: لا إن بعضهم أمير بعض، تكرمة الله لهذه الأمة» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٥/ ٢٧٦).

[١٥٩٧] باب إمامة عيسى عليه السلام للمسلمين عند نزوله آخر الزمان

عن أبي هريرة قال: أحدثكم ما سمعت من رسول الله ﷺ الصادق المصدوق؟ حدثنا رسول الله أبو القاسم الصادق المصدوق: «إن الأعور الدجال مسيح الضلالة يخرج من قبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء الله من الأرض في أربعين يوماً، الله أعلم ما مقدارها، الله أعلم ما مقدارها - مرتين - وينزل الله عيسى ابن مريم فيؤمهم، فإذا رفع رأسه من الركعة قال: سمع الله لمن حمده قتل الله الدجال وأظهر المؤمنين».

[قال الإمام]: صحيح.

[ثم علق على قوله ﷺ: فيؤمهم قائلاً]:

قال ابن حبان: أراد به فيأمرهم بالإمامة؛ إذا العرب تنسب الفعل إلى الآمر، كما تنسبه إلى الفاعل.

قلت: هذا تأويلٌ لا وجه له عندي، بل هو خلاف قوله: "إذا رفع رأسه من الركعة قال . ." فالمعنى: يصلي بهم إماماً، وهذا وهو في بيت المقدس، حيث يَقتلُ عليه السلام الدجال بـ (لُد)، كما في الحديث التالي، وفي الحديث اختصار وطيٌ؛ فإن من الثابت في غير ما حديث صحيح أن عيسى عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وفي "صحيح مسلم": فيقول أميرهم: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمه الله هذه الأمة.

فهو هناك مأموم، وفي بيت المقدس إمام، وذلك يكون بعد وفاة المهدي عليه السلام، وانتقال عيسى من دمشق إلى "القدس".

"صحيح موارد الظمآن"(٢/ ٢٣٦ - ٢٣٧).

[١٥٩٨] باب في أن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا عند نزوله آخر الزمان

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَاللهِ لَيَنْزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَادِلاً: فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلاَصُ فَلاَ يُسْعَى عَلَيْهَا، وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ فَلاَ يَقْبَلُهُ أَحَدٌ».

[قال الإمام معلقًا على قوله ﷺ: "وليضعن الجزية"]:

أي لا يقبلها، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام أو القتل، ومعنى هذا أن الحديث يشعر بنسخ أخذ الجزية من الكفار في عهد عيسى عليه السلام، فالناسخ هو الحديث وليس عيسى ﷺ؛ **فإنه يحكم بشريعتنا** كما أفاد ذلك قوله "حَكَماً".

"مختصر صحيح مسلم"(ص ٥٤٣).

[١٥٩٩] باب منه

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ». فَقُلْتُ لاِبْنِ أَبِى ذِئْبٍ إِنَّ الأَوْزَاعِىَّ حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ نَافِعٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ: «وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ». قَالَ ابْنُ أَبِى ذِئْبٍ تَدْرِى مَا أَمَّكُمْ مِنْكُمْ؟ قُلْتُ: تُخْبِرُنِى. قَالَ: فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ.

[قال الإمام]:

هذا صريح في أن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا، ويقضي بالكتاب والسنة، لا بغيرهما من الإنجيل أو الفقه الحنفي ونحوه!.

"مختصر صحيح مسلم"(ص ٥٤٣).

[١٦٠٠] باب طيب العيش بعد نزول عيسى عليه السلام

[قال رسول الله ﷺ]:

«طوبى لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حبك على الصفا لنبت، ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض، حتى يمر الرجل على الأسد ولا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٤/ ٥٥٩).

(جماع أبواب الرد على من أنكر عقيدة المهدي أو خروج الدجال أو نزول عيسى عليه السلام)

[١٦٠١] باب ذكر المشككين
في أحاديث الدجال وعيسى عليه السلام والرد عليهم

[قال الإمام بعد أنْ بين أنَّ منكري عقيدة الدجال وعيسى عليه السلام منهم من ينكر الأحاديث الواردة في ذلك أصالةً، ومنهم من يثبتها مع تأويلها بما يَؤُولُ إلى إنكارها كذلك]:

يلجأ بعضهم إلى الخلاص منها [أي من أحاديث الدجال وعيسى عليه السلام] بطريقة أخرى – غير طريقة تفسيرها بالرمز – ألا وهي طريقة التشكيك في ثبوتها يقيناً بزعم أنها أحاديث آحاد! ومن هؤلاء الشيخ "محمود شلتوت"؛ فقد كنت قرأت له قديماً جواباً حول حياة عيسى عليه السلام في السماء ونزوله في آخر الزمان – نشرته مجلة "الرِّسالة" يومئذ- رأيت فيها العجب العجاب من الجهل بحقيقة الأحاديث الواردة في نزوله عليه السلام، ومن ذلك زعمه أن طرقها كلها تدور على وهب ابن منبِّه وكعب الأحبار، فاستنكرت ذلك في نفسي؛ لأن ذهني كان خالياً من مثل هذه الدعوى، ولكني قلت في نفسي: لعل ذلك بالنسبة لبعض الطرق، ولكن الشيخ يبالغ ! وللتثبت من ذلك؛ اندفعت إلى تتبع أحاديث نزوله عليه السلام من مصادرها الأصلية في كتب السنة – التي تروي الأحاديث بأسانيدها؛ كالأمهات الست وغيرها – حتى اجتمع عندي في ذلك أحاديث كثيرة جدًّا؛ من طرق متواترة عن أكثر من أربعين صحابيّاً، فعجبت أشد العجب حين لم أر لوهبٍ وكعب ذكراً في شيء من تلك الطرق أصلاً، حتى ما كان منها ضعيف الإسناد ! فتيقنت حينئذٍ أن الشيخ – عفا الله عنه – كتب ما سبق من ذاكرته؛ دون أن يراجع في ذلك كتاباً واحداً من كتب السنة المشار إليها ! فكتبت يومئذٍ رسالة

مفصّلة في الرد على فتواه، وهممت بإرسالها إلى مجلة "الرسالة"، ولكن أحد أصحابنا من الأدباء الأفاضل الذين يترددون إلى مصر نصحني بأن لا أرسلها؛ لأنهم سوف لا ينشرونها؛ لطولها أولاً؛ ولأن الشيخ شلتوت فوق مستوى النقد هناك؛ لا سيما من شخص غير مصري وغير مشهور عندهم !

قال: فإن كان ولا بد فاختصر الرسالة ما استطعت، ثم أرسلها إليهم لعلهم ينشرونها في المجلة، وما أظنهم فاعلين . وكذلك كان، فإني اختصرتها في صفحة ونصف، ثم أرسلتها، فلم تنشر !!

"قصة المسيح الدجال "(ص٢٣-٢٤).

[١٦٠٢] باب لا فرق بين من أنكر عقيدة خروج الدجال ومن أثبتها مع تأويلها بتأويلات باطلة

[قال الإمام بعد أن ذكر صورًا من تأويل بعض المنتسبين للسنة لعقيدة خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام]:

وليت شعري! ما الفرق بين هؤلاء العلماء المنتمين إلى السُّنّة، والمعطِّلين لهذه النصوص بخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وقتله إياه؛ وبين إيمان الباطنية، والفرق الضالة التي تؤمن بنصوص الكتاب والسنة؛ مع تأويلهم إياها تأويلاً يؤدي في النهاية إلى الكفر بحقائقها؛ كالذين ينكرون النصوص المتواترة في الكتاب والسنة برؤية المؤمنين لربهم في الآخرة؛ بتأويل أن المقصود منها رؤية نعيم ربهم ! وكالقاديانية الذين يؤمنون – زعموا- بقوله تعالى: ﴿ولكنْ رسولَ الله وخاتَمَ النبيين﴾(الأحزاب: ٤٠)، ثم يقولون ببقاء النبوة ومجيء أنبياء كثيرين بعده ﷺ؛ منهم «ميرزا غلام أحمد القادياني» ! وإذا سألتهم عن هذه الآية؛ أجابوك

بأنهم يؤمنون بها – طبعاً! – ولكن معناها ليس كما فهمها المسلمون من قبل ! بل المعنى: ولكن خاتم النبيين؛ أي: زينتهم؛ كالخاتم زينة الأصبع ! فهل يجدي إيمانهم بها عند الله شيئاً بعد أن فسروها بغير تفسيرها الحق؟!

كذلك أقول: إن إيمان هؤلاء العلماء بالأحاديث المتواترة بنزول عيسى عليه السلام وقتله للدجال؛ لا يجديهم شيئاً مع تفسيرهم إياها بذلك التفسير الرمزي؛ لأنه خلاف ما يقطع به كل عالم متجرد عن الهوى إذا ما اطلع على النصوص الواردة فيهما .

"قصة المسيح الدجال "(ص٢٢ – ٢٣) .

[١٦٠٣] باب جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية وذكر مثال ذلك في عقيدة خروج الدجال

[قال الإمام في معرض إنكاره على من أنكر عقيدة خروج الدجال مدعياً أن المراد بالدجال هو الرمز إلى الشر واستعلائه وما شابه ذلك]:

إن إيماناً بالنصوص كلها على طريقة الرمز والتأويل لهو إيمان لا يساوي فلساً، ولا يغني عند الله شيئاً.

"قصة المسيح الدجال" (ص٢٢) .

[١٦٠٤] باب ذكر بعض أهل الضلال ممن أنكر خروج الدجال

[قال الإمام بعد أن ساق بعض أحاديث خروج الدجال ونزول عيسى]:

كل هذه الأخبار صحيحة ثابتة في " صحيح البخاري" و"مسلم"، وهي من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها؛ كما قال تعالى: ﴿الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ

فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

وأما تأويلها، بل تعطيلها – كما فعل غلام أحمد القادياني الذي كان ادعى النبوة – بأن المراد بالدجال: الديانة المسيحية الباطلة، أو المبشّرون بها – كما في كثير من كتبه، ومنها "إعجاز المسيح" (ص ٢٧ – ٣٠) –؛ فذلك واضح البطلان، لا يحتاج إلى بيان.

"أصل صفة الصلاة" (٣/ ١٠٠٥).

[١٦٠٥] باب تواتر أحاديث المهدي والرد على من أنكر عقيدة المهدي

[قال الإمام تحت عنوان]:

حول المهدي (١)

كتب بعض القراء الأفاضل إلى هذه المجلة [أي مجلة التمدن] يقول:

«قرأت في الأجزاء (٨، ٩، ١٠) بحثاً قيماً عن المهدي كتبه الأستاذ ناصر الدين الألباني في باب "الأحاديث الضعيفة والموضوعة" وقد كنا قررنا واعتقدنا قبلاً ما كتبه الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره "المنار" (٩– ٤٩٩– ٥٠٤) وكذلك ما كتبه الأستاذ محمد عبدالله السمان في كتابه "الإسلام المصفى" وإنني متيقن بأن الأستاذ ناصر الدين له علم بما كتباه، فلذلك أرجو الأستاذ أن يطالع ما كتباه مرة ثانية، ويكتب في المهدي مقالاً ضافياً فإن فيما كتباه ما يخالف

(١) مقال نشره الألباني في «مجلة التمدن الإسلامي» (٢٢/ ٦٤٢ – ٦٤٦)، بواسطة"مقالات الألباني".[منه]

ما كتبه الأستاذ ناصر الدين تمام المخالفة[1].

أقول في الجواب عن ذلك:

نعم لقد كنت على علم بما كتبه الشيخ رشيد – رحمه الله – وكذا بما كتبه الأستاذ السمان في كتابه الذي أسماه "الإسلام المصفى" ! وأنا أجزم بخطأ ما كتباه في هذه المسألة لا سيما الأخير فإنه لا علم عنده، ولذلك أَنْكَر مسائل أخرى هي أقوى ثبوتاً من هذه المسألة، مثل: خروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة ، فإن هذه المسائل الثلاث أدلة ثبوتها مقطوع بها لورود الأحاديث المتواترة بتأييدها، ومع ذلك لم يتورع حضرة الأستاذ السمان من إنكارها ! وقد سبقه إلى شيء من ذلك السيد رشيد – رحمه الله – فإنه طعن في أحاديث الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، مع أنها أحاديث صحيحة متواترة، كما صرح بذلك علماء هذا الشأن كالحافظ ابن حجر وغيره، ولا مجال الآن لبيان ذلك فإلى مناسبة أخرى – إن شاء الله تعالى –.

أما مسألة المهدي فليعلم أن في خروجه أحاديث كثيرة صحيحة، قسم كبير منها له أسانيد صحيحة، وأنا مورد هنا أمثلة منها ثم معقب ذلك بدفع شبهة الذين طعنوا فيها فأقول:

الحديث الأول: حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً:

---

(١) التمدن الإسلامي: نشرنا في الجزأين ٣٥ و٣٦ من المجلد ١٦ كلمة للعلامة الأستاذ محمد الخضر حسين (شيخ الأزهر السابق) بعنوان نظرة في أحاديث المهدي ختمها بقوله: والخلاصة أن في أحاديث المهدي ما يُعدُّ في الحديث الصحيح ... وأشار إلى أنه ليس من الصواب إنكار الحق من أجل ما ألصق به من باطل .[منه]

«لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطوّل الله ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجلاً مني أو من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجَوْراً» .

رواه أبو داود (٢/ ٢٠٧)، والترمذي، وأحمد، والطبراني في الكبير والصغير، وأبو نعيم في "الحلية"، والخطيب في "تاريخ بغداد" من طرق عن زر بن حبيش عن ابن مسعود. وقال الترمذي: "حسن صحيح" والذهبي: "صحيح" وهو كما قالا.

وله طريق آخر عند ابن ماجة (٢/ ٥١٧) عن علقمة عن ابن مسعود به نحوه، وسنده حسن .

الحديث الثاني: عن علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مرفوعاً نحوه .

وله عنه طريقان:

أخرج الأول أبو داود وأحمد، وإسناده صحيح، وأخرج الآخر ابن ماجة وأحمد، وإسناده حسن.

الثالث: عن أبي سعيد الخدري، وله طريقان أيضاً.

الأول: أخرجه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وحسنه الترمذي، وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

وأخرج الطريق الثاني أبو داود، والحاكم وصححه، وسنده حسن .

الرابع: عن أم سلمة، وقد ذكرت لفظه وتخريجه عند الكلام على الحديث الثمانين من المقال العاشر من "الأحاديث الضعيفة".

وبقية الطرق قد ذكرها العلماء في كتب خاصة فليراجعها من أراد زيادة الاطلاع[1] وقد قال صديق حسن خان في "الإذاعة".

" الأحاديث الواردة في المهدي على اختلاف رواياته كثيرة جداً تبلغ حد التواتر وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد، وقد اضجع القول فيها ابن خلدون في كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر " حيث قال: يحتجون في الباب بأحاديث خرجها الأئمة، وتكلم فيها المنكرون لذلك، وعارضوها ببعض الأخبار، وللمنكرين فيها من المطاعن، فإذا وجدنا طعناً في بعض رجال الإسناد بغفلة أو سوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث وأوهن منها . إلى آخر ما قال، وليس كما ينبغي فإن الحق الأحق بالاتباع، والقول المحقق عند المحدثين المميزين بين الدار والقاع، أن المعتبر في الرواة ورجال الأحاديث أمران لا ثالث لهما الضبط والصدق، دون ما اعتبره أهل الأصول من العدالة وغيرها فلا يتطرق الوهن إلى صحة الحديث بغير ذلك " .

ثم قال صديق خان:

"وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار، وأنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل

(١) مثل: "العرف الوردي في أخبار المهدي " للسيوطي، و" الإذاعة لما كان وما يكون بين يدين الساعة " لصديق خان، ونحوها. [منه].

الدجال، ويأتم بالمهدي في صلاته إلى غير ذلك، وأحاديث الدجال وعيسى أيضاً بلغت مبلغ التواتر ولا مساغ لإنكارها كما بين ذلك القاضي العلامة الشوكاني – رحمه الله – في "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح"، قال (يعني الشوكاني): "والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها: خمسون حديثاً فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة بل يصدق وصف التواتر على ما هو دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك. انتهى . وقد جمع السيد العلامة محمد بن إسماعيل الأمير اليماني الأحاديث القاضية بخروج المهدي وأنه من آل محمد ﷺ وأنه يظهر في آخر الزمان ثم قال: ولم يأت تعيين زمنه إلا أنه يخرج قبل خروج الدجال . انتهى "

شبهات حول أحاديث المهدي:

هذا ثم إن السيد رشيد أو غيره لم يتبعوا ما ورد في المهدي من الأحاديث حديثاً حديثاً، ولا توسعوا في طلب ما لكل حديث منها من الأسانيد، ولو فعلوا لوجدوا فيها ما تقوم به الحجة حتى في الأمور الغيبية التي يزعم البعض أنها لا تثبت إلا بحديث متواتر ! ومما يدلك على ذلك أن السيد رشيد- رحمه الله- ادعى أن أسانيدها لا تخلو عن شيعي ! مع أن الأمر ليس كذلك على إطلاقه، فالأحاديث الأربعة التي أوردتها ليس فيها رجل معروف بالتشيع، على أنه لو صحت هذه الدعوى لم يقدح ذلك في صحة الأحاديث لأن العبرة في الصحة إنما هو الصدق والضبط، وأما الخلاف المذهبي فلا يشترط في ذلك كما هو مقرر في علم مصطلح الحديث ولهذا روى الشيخان في صحيحيهما لكثير من الشيعة

وغيرهم من الفرق المخالفة واحتجا بأحاديث هذا النوع.

وقد أعلها السيد بعلة أخرى وهي التعارض ! وهذه علة مدفوعة لأن التعارض شرطه التساوي في قوة الثبوت، وأما نصب التعارض بين قوي وضعيف فمما لا يسوغه عاقل منصف، والتعارض المزعوم من هذا القبيل، وقد أوردت بعض الأمثلة على ذلك في المقال الذي سبقت الإشارة إليه فليراجعه من شاء .

وقد يُعلُّ بعض الناس هذه الأحاديث وكذا أحاديث نزول عيسى عليه السلام بِعلة أخرى، وهي أنها كانت – بزعمهم – سبباً لحمل المسلمين على الاتكال عليها، وانتظار خروج المهدي، ونزول عيسى عليهما السلام، وعلى ترك الأخذ بأسباب الحياة والقوة والمنعة، ويظنون أن معالجة هذه المشكلة إنما هي بإنكار أحاديثهما ! وهذا خطأ يشبه معالجة المعتزلة للآيات المتشابهات، والأحاديث التي في معناها، فإنهم اشتهروا بتأويلهم للآيات وردهم للأحاديث الصحيحة التي من هذا القبيل حرصاً منهم – كما زعموا – على التنزيه ودفعاً للتشبيه ! وأما أهل السنة فكانوا يؤمنون بهذه الآيات والأحاديث على ظاهرها، ولا يفهمون من ذلك تشبيهاً أو ما لا يليق بالله تعالى .

وكذلك القول في أحاديث المهدي، فإنه ليس فيها ما يدل بل ما يشير أدنى إشارة إلى أن المسلمين لا نهضة لهم ولا عز قبل خروج المهدي، فإذا وجد في بعض جهلة المسلمين من يفهم ذلك منها، فطريق معالجة جهله أن يُعَلَّمَ ويُفَهَّمَ أنَّ فَهْمَهُ خَطَأٌ، لا أن نرد الأحاديث الصحيحة بسبب سوء فهمه إياها!

ومن شبهات بعض الناس أن عقيدة المهدي قد استغلها بعض الدجالين، فادعوا المهدوية لأنفسهم وشقوا بسبب ذلك صفوف المسلمين وفرقوا بينهم، ويضربون على ذلك الأمثلة الكثيرة آخرها غلام أحمد القادياني دجال الهند،

ونحن نقول إن هذه الشبهة من أضعف الشبهات، وفي رأيي أن حكايتها تغني عن ردها، إذ أن من المسلَّم به أن كثيراً من الأمور الحقة يستغلها من ليس أهلاً لها، فالعلم مثلاً يدعيه بعض الأدعياء وهو في الواقع من الجهلاء، فهل يليق بعاقل أن ينكر العلم بسبب هذا الاستغلال؟! بل إن بعض الناس فيما مضى ادعى الألوهية فهل طريقة الرد عليه وبيان كذبه يكون بإنكار الألوهية الحقة؟!

ومثال آخر: يفهم بعض المسلمين اليوم من عقيدة "القضاء والقدر " الجبر وأن الإنسان الذي قدّر عليه الشر مجُبر على ارتكابه، وأنه لا اختيار له فيه، وقع في هذا الفهم الخاطئ غير قليل من أهل العلم، ونحن مع جماهير العلماء الذين لا يشكون في صحة عقيدة القضاء والقدر وأنها لا تستلزم الجبر مطلقاً، فإذا أردنا أن نصحح ذلك الفهم الخاطئ الملصق بهذه العقيدة الحقة، أفيكون طريق ذلك بإنكارها مطلقاً كما فعل المعتزلة قديماً وبعض أذنابهم حديثاً؟! أم السبيل الحق الاعتراف بها لأنها ثابتة في الشرع ودفع فهم الجبر منها؟ لا شك أن هذا السبيل هو الصواب الذي لا يخالف فيه مسلم البتة، فكذلك فلتعالج عقيدة المهدي، فنؤمن بها كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، ونبعد عنها ما ألصق بها بسبب أحاديث ضعيفة واهية خبيثة، وبذلك نكون قد جمعنا بين إثبات ما ورد به الشرع والإذعان لما يعترف به العقل السليم .

وخلاصة القول: إن عقيدة خروج المهدي عقيدة ثابتة متواترة عنه ﷺ يجب الإيمان بها لأنها من أمور الغيب، والإيمان بها من صفات المتقين كما قال تعالى: ﴿الم، ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ﴾. وإن إنكارها لا يصدر إلا من جاهل أو مكابر. أسأل الله تعالى أن يتوفانا على الإيمان بها وبكل ما صح في الكتاب والسنة.

"مقالات الألباني"(ص ١٠٥-١١٠).

[١٦٠٦] باب ذكر بعض من أنكر خروج المهدي

[قال الإمام]:

أخطأ ابن خلدون خطأً واضحًا حيث ضعف أحاديث المهدي كلها، ولا غرابة في ذلك؛ فإن الحديث ليس من صناعته... وتورَّط بكلامه بعض أفاضل المعاصرين فصرَّح بأن خروج المهدي خرافة، هدانا الله وإياه لقول الحق واتّباعه.

"تخريج أحاديث فضائل الشام"(ص ٤٤).

[١٦٠٧] باب ذكر بعض من أنكر عقيدة المهدي وعيسى وبيان خطئهم

[قال الإمام في مقدمة كتابه "قصة المسيح الدجال ونزول عيسى" مبينًا الأسباب التي دفعته لتصنيفه]:

ومما شجعني على ذلك الأمور الآتية:

الأول: شك كثير ممن ينتمون إلى العلم - بل وإلى الدعوة إلى الإسلام؛ فضلاً عن غيرهم ممن لا ثقافة إسلامية عندهم من الشباب المثقف وغيرهم من العوام - في عقيدة نزول عيسى عليه الصلاة والسلام، وقتله للدجال في آخر الزمان، حتى لقد قام في نفسي أن كثيراً من الطلاب المتخرجين من جامعة الأزهر هم من هؤلاء الشاكِّين - إن لم يكونوا من المنكرين لها - وقد عرفت ذلك من مناقشتي لبعضهم شفهيّاً، ومن اطلاعي على فتاوى بعضهم في ذلك، وتعليقات آخرين منهم على بعض الكتب.

ومن أشهر هؤلاء الشيخ (محمد عبده)؛ فإنه يقول في حديث نزول عيسى

عليه السلام تارة: بأنه حديث آحاد ! وهذا حسب علمه بالحديث، وهو من أبعد العلماء المعاصرين عنه في نقدي، وتارة يتأوَّلُ نزولَهُ وحكمَهُ في الأرض بِغَلَبَة روحِهِ وسِرِّ رسالتِهِ على الناس، وهو ما غلب في تعليمه من الأمر بالرحمة والمحبة والسلم ... حكاه السيد رشيد رضا في "تفسيره" (٣/ ٣١٧)؛ ومع أنه رده عليه بقوله عقبه:

"ولكن ظواهر الأحاديث الواردة في ذلك تأباه"؛ فإنه رد هذا الاستدراك بقوله عقبه أيضاً:

"ولأهل هذا التأويل أن يقولوا: إن هذه الأحاديث قد نقلت بالمعنى كأكثر الأحاديث، والناقل للمعنى ينقل ما فهمه . وَسُئِلَ (يعني: محمد عبده) عن المسيح الدجال وقتل عيسى له؟ فقال: إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها ..."!

ومن الغريب أن هذا التأويل سبقه إليه مدّعي النبوة " ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي"، وكرره في كتبه ورسائله، وما أشبه هذا التأويل بتأويله لآيات كثيرة في القرآن؛ يحرِّفها ويستدل بها على نبوته؛ كتأويله لقوله تعالى في عيسى: ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾(الصف:٦)؛ فزعم أنه المقصود بقوله: [أحمد] ! وله من مثل هذا الشيء الكثير، وفي غاية السخف؛ كما قال السيد رشيد نفسه في صدد الرد عليه في موضع آخر من "تفسيره" (٦/ ٥٨)، فقال فيه:

"وقد جرى على طريقة أدعياء المهدوية من شيعة إيران – كالبهاء والباب – في استنباط الدلائل الوهمية على دعوته من القرآن؛ حتى إنه استخرج ذلك من سورة الفاتحة ! وله في تفسيرها كتاب في غاية السخف يدعي أنه معجزة له !!

فجعلها مبشرة بظهوره، وبأنه هو مسيح هذه الأمة!".

قال السيد رشيد عقبه:

"وإنما فتح على هذه الأمة هذا الباب الغريب من أبواب تأويل القرآن، وتحريف ألفاظه عن المعاني التي وضعت لها إلى معان غريبة لا تشبهها ولا تناسبها؛ أولئك الزنادقة من المجوس وأعوانهم الذين وضعوا تعليم فرق الباطنية؛ فراجت حتى عند كثير من الصوفية".

قلت: فما الفرق بين تأويل هؤلاء الباطنية للقرآن؛ وتأويل القاديانية و(محمد عبده) ومن تَبِعَهُ لأحاديث النزول والدجال بذلك التأويل الباطل بداهة؟! وكيف سكت عليه السيد رشيد رحمه الله؛ بل تأول لهم تأويلاً جديداً بأن الأحاديث نُقِلَتْ بالمعنى؟! وليت شعري! هل ذلك يستلزم رد ما صح روايته عن الصحابة من المعاني فضلاً عما تواتر عنهم؟!

مثلاً: إذا تواتر عن الصحابة أن النبي ﷺ نهى عن شيء كلحوم الحمر الإنسية؛ فهذا رواية بالمعنى قطعاً، فهل ذلك يستلزم رد هذا المعنى الذي رووه من النهي بطريقٍ ما من طرق التأويل؛ بحيث يُعطل هذا النَّهي ويصير كأنه لم يرد مطلقاً؟! اللهم ! إن هذا لهو الضلال المبين، ونسأل الله تعالى أن يحمينا منه.

وإليك مثالاً آخر من أمثلة التأويل الذي بُلِيَ به بعض الكتاب المعاصرين من الأزهريين: قال الشيخ "محمد فهيم أبو عبية" في تعليقه على " نهاية البداية والنهاية" (١/ ٧١):

"هل بقي عيسى عليه السلام حتى الآن حيّاً؟ وسينزل إلى الأرض ليجدد الدعوة إلى دين الله بنفسه؟ أم أن المراد بنزول عيسى هو انتصار دين

الحق،وانتشاره من جديد على أيدٍ مخُْلِصةٍ تعمل على تخليص المجتمع الإنساني من الشرور والآثام؟ رأيان (!) ذهب إلى كل منهما فريق من العلماء (!).

وهذا هو ما يقال بالنسبة إلى الدجال: هل هو شخص من لحم ودم ينشر الفساد، ويهدد العباد، ويملك وسائل الترغيب والترهيب والإفساد؛ حتى يقيّض له عيسى عليه السلام فيقتله؟ أم إنه رمز لانتشار الشر، وشيوع الفتنة، وضعف نوازع الفضيلة، تهبُّ عليه ريح الخير المرموز إليها بعيسى عليه السلام، فتذهبه وتقضي عليه، وتأخذ بيد الناس إلى محجة الخير ومنهج العدل والتديّن؟"![1].

قلت: ولا يكتفي هذا الأزهري "الفهيم" بهذا التعطيل لنصوص السنة وتأويلها – على طريق الرمز الذي هو مذهب الباطنية الملحدة؛ كما سبق حكايته عن السيد رشيد رضا نفسه – بل إنه يوهم القراء بأن هذا التعطيل هو رأي لبعض العلماء يقابل الرأي الأول ! والحقيقة أنه لم يقل به أحد ممن له ذكر بالعلم في أهل الحديث والسنة، وإنما قال به بعض الخوارج والمعتزلة من الفرق الضالة؛ قال القاضي عياض:

"في هذه الأحاديث حجة لأهل السنَّة في صحة وجود الدجال، وأنه شَخْصٌ مُعَيَّنٌ يبتلي الله به العباد، ويُقَدِّرُه على أشياء؛ كإحياء الميت الذي يقتله ... وظهور الخصب، والأنهار والجنة والنار، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء فتمطر، والأرض فتنبت ...، وكل ذلك بمشيئة الله، ثم يعجزه، فلا يقدر على قتل الرجل ولا غيره، ثم يبطل أمره، ويقتله عيسى ابن مريم، وقد خالف في ذلك بعض الخوارج والمعتزلة والجهمية؛ فأنكروا وجوده، وردوا الأحاديث الصحيحة"!

---

(١) وذكر نحو هذا (ص١٤٧). [منه].

قلت: وهذا هو بعينة ما فعله هذا الأزهري (الفهيم) وبعض شيوخه – تبعاً لسلفهم من الخوارج والمعتزلة؛ وأخيراً القاديانية كما سبق – تارة بطريق التشكيك في صحة الأحاديث بزعم أنها آحاد – كما فعل الشيخ (محمود شلتوت) في بعض مقالاته؛ تبعاً للشيخ (محمد عبده) كما سبق –وتارة بطريق التأويل والتعطيل كما فعل هذا (الفهيم)! وهو وإن كان اقتصر في كلامه السابق على حكاية الرأيين – بزعمه- دون أن يحدد موقفه بوضوح منها؛ فإنه إنما فعل ذلك تمويهاً وتدليساً على القراء، وإعداداً لنفوسِهم لِتَقَبُّلِ ما سيرجحه هو فيما بعد ! فاسمع إليه وهو يقول في تعليقه على الفقرة الآتية (١٢ – أبو أمامة، ١٤ – السياق):[(١)] "يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ":

"اختلف العلماء في الكتابة هنا: هل هي حقيقة؛ أم أنها كناية عن الأمارات الدالة على صاحبها؟ وأن القراءة معناها أن تلهم النفس المؤمنة بإشراقها ما يبصرها الحقيقة دون امتراء ... ولعل هذا التأويل هو الأقرب وهو الأسلم"![(٢)].

هكذا قال هذا "الفهيم" متجاهلاً نص الإمام النووي وغيره على خلاف ترجيحه؛ قال الحافظ في"الفتح" (١٣ / ٨٥):

"قال النووي: الصحيح الذي عليه المُحقِّقون أن الكتابة المذكورة حقيقة، جعلها الله علامة قاطعة بكذب الدجال، فيظهر الله المؤمن عليها، ويخفيها على من أراد شقاوته".

قال الحافظ: "وحكي عياض خلافاً، وأن بعضهم قال: هي مجاز عن سمة

(١) هذا عزو لموضع هذه الفقرة من كتاب " قصة المسيح الدجال"، وسيأتي مثله .
(٢) وذكر نحو هذا (ص١٤٨). [منه].

الحدوث عليه، وهو مذهب ضعيف" .

ثم لا يكتفي ذاك (الفهيم) بترجيحه لذلك التأويل الباطل؛ بل إنه يجزم به بعد عدة صفحات؛ فيقول (ص١١٨):

"اختلاف ما روي من الأحاديث في مكان ظهور الدجال ... يشير إلى أن المقصود بالدجال الرمز إلى الشر واستعلائه ... " !

وهذا هو الذي جزم به في تصديره للكتاب؛ فقال (ص٦):

"ثم سرنا مع القائلين بأن ظهور المهدي ونزول عيسى عليهما السلام هما رمزان لانتصار الخير على الشر، وأن الدجال رمز لاستشراء الفتنة، واستيلاء الضلال فترة من الزمان ..."!

قلت: وهذا " الفهيم" هو رئيس بعثة الأزهر الشريف بـ(لبنان)؛ كما طبع ذلك تحت اسمه على طُرّة الكتاب.

ولقد أساء جدًّا في تعليقاته على الكتاب المذكور إلى مؤلِّفه وكتابه من جهة؛ وإلى الحديث النبوي من جهة أخرى؛ مما يدل على جهله البالغ به ! فإنه قطع بتضعيف أحاديثَ صحيحة؛ لعدم اتِّساع قلبه لها! ولم يسبقه إلى ذلك أحد من أهل العلم - كحديث الجساسة؛ انظر (ص٦ و٩٦ و١٠١)، وقد رواه مسلم، وحديث المهدي (ص٣٧) - غير مبال بتصحيح المؤلف ابن كثير لبعضها (ص٤٢ و٤٣)؛ بل جزم بوضع حديث آخر رواه مسلم في "صحيحه" (ص ٥٨ - ٥٩)! أما إساءته إلى الكتاب والمؤلف؛ فهي أنه وضع في صلب الكتاب عناوين من عنده دون أن ينبّه على ذلك، وبعضها على خلاف طريقة المؤلف؛ باعتباره من أئمة الحديث الذين يؤمنون بالنصوص المتعلقة بأشراط الساعة دون تأويل لها؛ كما يفعل المبتدعة من المعتزلة وغيرهم، وهذا "الفهيم" قد أبان في تعليقاته

المشار إليها؛ أنه سلك سبيلهم حذو القذة بالقذة، فها هو مثلاً قد وضع من عند نفسه عنواناً في صلب الكتاب (ص١١٦): "حديث يجب صرفه عن ظاهره إلى التأويل"!

وضعه فوق حديث مسلم في قتل الدجال للمؤمن وإحيائه إياه؛ (انظر فقرة: ١٧ و١٨ – أبو أمامة).

وعنوان آخر وضعه على الأحاديث الواردة في ابن صياد بعضها في البخاري ! فقال (ص١٠٤): "مرويات مرفوضة؛ لأنها لا تصدق عقلاً، وليس بمعقول صدورها عن الرسول عليه السلام " .

كأن الرسول ﷺ عند هذا "الفهيم" ينبغي أن لا يتكلم بأمور غيبية لا مجال للعقل إلا أن يسلِّم بها، وعلى ذلك فالإيمان بالغيب الذي هو التصديق لا وجود له في نفسه !!

ووضع عنواناً على حديث تعذيب المصورين (٢/ ٥٠): "عذاب المصورين المجسمين يوم القيمة " !

وبالجملة؛ فهذه العناوين التي وضعها من عند نفسه في ثنايا الكتاب؛ مع أنها تنافي الأمانة العلمية؛ فهي – في الوقت نفسه – تدل على مبلغ علم هذا "الفهيم"، والخسارة التي لحقت بالناشرين للكتاب مادةً ومعنى؛ حيث إن تعاليقه المذكورة قد غيرت معالم الكتاب، وجعلته بهذا العناوين والتعاليق كتاباً آخر ليس هو كتاب الحافظ ابن كثير!

"قصة المسيح الدجال"(ص ٩ – ١٦).

[١٦٠٨] باب بيان سبب
انحراف بعضهم في عقيدة المهدي ونزول عيسى

[قال الإمام]:

(كثيرٌ) من العلماء حينما يريدون أن يعالجوا بعض الانحرافات التي أصابت الجماهير قديماً وحديثا، إنما يعالجونها بانحراف مثله أو أخطر منه وضربت على ذلك مثلاً بعقيدة نزول عيسى عليه السلام.

أنا أذكر جيداً أنني حينما نشأت في طلب العلم، انتفعت بالسيد رشيد رضا وبمجلته المنار خاصة انتفاعاً كثيراً، بل أعتقد أنه لم يكن المفتاح الذي فتح لي طريقة السلف إلا هذه المجلة، لكن وجدت في كثير فيما بعد من مقالاته أنه انحرف في قليل أو كثير عما جاءت به السنة، والسبب في ذلك أنه كان ابتلي بمن يسمون بالقديانية، تعرفونهم، القاديانية الذين يسمون أنفسهم بالأحمديين، غلام أحمد القادياني، معروفون عند أهل السنة بالقاديانية، وهم يفرون من هذه النسبة إلى النسبة الأحمدية، فهم يقولون نحن أحمديون، ولهم هدف خبيث بالفرار من تلك النسبة إلى هذه؛ لأن النسبة الأولى إنما هي نسبة إلى البلدة التي خرج منها نبيهم الكذاب ميرزا غلام أحمد القدياني وهي قاديان، وينتسبون إلى أحمد لأن ميرزا غلام أحمد القادياني ليس اسمه أحمد وإنما هو غلام أحمد وهذا أسلوب في اللغة الهندية تفسيره خادم أحمد، فهو ليس أحمد وإنما هو خادم أحمد، والمقصود بأحمد هو نبينا عليه الصلاة والسلام، والأعاجم لهم مثل هذه النسبات افتخاراً بانتسابهم إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فغلام أحمد هكذا عرف الرجل، ولكنه لما ادعى المهدوية ثم ادعى النبوة، وحمل على نفسه بعض النصوص الشرعية من الكتاب والسنة جرها جرًّا على نفسه، مثل قوله تعالى:

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(الصف:٦) من هذا أحمد؟ هو محمدنا، لا، هو أحمدهم. هكذا.. وبناءً على ذلك حتى يصح له جر هذه الآية وحملها على ذاته غَيَّرَ اسمه في مؤلفاته، أنا هذا درسته شخصياً لأني ابتليت بمجادلة القاديانية هناك في دمشق سنين طويلة، فهو كان يكتب اسمه في مؤلفاته ميرزا غلام أحمد، أي خادم أحمد بن عبد الله بن عبد المطلب، فحذف ميرزا غلام أحمد وقال اسمه أحمد لكي يضلل الناس أن هذه الآية تعنيني أنا وأنا اسمي أحمد، أما محمد النبي المبعوث رحمة للعالمين اسمه محمد وليس اسمه أحمد، هكذا أوهم المضللين به، أي نعم، ولذلك وإتماماً لإضلال شيخهم لهم يضلون العالم بأنهم أحمديون ليسوا منتسبين لأحمد بن عبد الله بن عبد المطلب وإنما لأحمد ذلك الكذاب.

هؤلاء كالمعتزلة بل وأشد إغراقاً في الضلال، لأنهم ينكرون ما هو معلوم من الدين بالضرورة، يؤمنون بكل الكتاب ولكن لفظاً وليس معنىً، ولا يخفى على أهل العلم أن اللفظ في كل الكلام فضلاً عن الكلام الإلهي ليس مقصوداً بذاته وإنما هو وسيلة للمعاني، وكما يقال: الألفاظ قوالب المعاني، فما الفائدة إذا آمن مؤمنٌ ما بآيةٍ ما ثم لف ودار عليها واستخرج لها من ضلاله معنى لا صلة لهذا المعنى باللفظ القرآني، هكذا كل الفرق الضالة شأنهم مع القرآن الذين لم يعلنوا الخروج عن الإسلام وإنما لا يزالون يدعون أنهم مسلمون ويؤمنون بالقرآن.

القاديانيون هكذا مثالهم، يؤمنون بألفاظ القرآن في كثير من نصوصه، ولكنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه كما حكى ذلك ربنا في القرآن الكريم عن اليهود.

هم يعتقدون مثلاً بأن باب النبوة مفتوح بعد محمد عليه الصلاة والسلام، على الرغم من مثل قوله تبارك وتعالى في القرآن: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(الأحزاب:٤٠)، هم لا ينكرون أنه خاتم النبيين لكنهم ينكرون كما أنكر المعتزلة القدر وأنكروا الصفات الإلهية ونحو ذلك، فهم يقولون خاتم النبيين ليس معناه آخرهم، وإنما خاتم النبيين كالخاتم في الإصبع أو هو زينتهم.

طيب.. هذا موقفهم من القرآن.. ما موقفهم من الأحاديث المتواترة، بأنه لا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام؟ ما استطاعوا تأويله حرفوه كما حرفوا القرآن، وما لم يستطيعوا نسفوه نسفاً وقالوا هذا مخالف للقرآن.

من أشهر الأحاديث التي تثبت أن لا نبي بعده عليه السلام حديث مخاطبة الرسول ﷺ لعلي حينما سافر إلى تبوك غازياً وترك علياً في المدينة، وبكى علي فآنسه عليه السلام بقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» قالوا هذا حديث صحيح لكن ما فهمتموه جيداً، لا نبي بعدي أي معي. أما بعده، أي بعد وفاته هناك نبي.

مثال آخر كيف يحرفون الكلم من بعد مواضعه.

مداخلة: فيهم ذكاء دول؟

الشيخ: ذكاء لكن ذكاء بدون عقل لا يفيد أبداً، ولذلك حكى ربنا عز وجل في القرآن الكريم عن الكفار والمشركين ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(الملك:١٠)، لذلك الذكاء شيء والعقل شيء.

عفواً، أنا جعلت الاستطراد طويلاً جداً، يعني كنت أتكلم عن السيد رشيد رضا، وأنني استفدت منه، لكن رأيت منه بعض الانحرافات، منها بسبب رده على

القاديانيين، والقاديانيون يدعون من دعاويهم الباطلة أن ميرزا غلام أحمد القادياني هو عيسى المبشَّر به في الأحاديث وهذا أيضاً من تآويلهم الباطلة، «لينزلن فيكم عيسى ابن مريم حكماً عدلاً» ليس المقصود عيسى وإنما بمضاف محذوف تقديره مثيل عيسى، لف ودوران، من هو هذا المثيل؟ ميرزا غلام أحمد القادياني!!

السيد رشيد رضا رحمه الله كأنه شعر أنه ما استطاع أن يقيم الحجة عليهم حجة دامغة قاهرة إلا بالتشكيك بأحاديث نزول عيسى عليه السلام، كان من شان إيش يخلص الجمهور من التأثر بالقاديانية فلا عيسى ولا مهدي لذلك قلنا بالنسبة إليه مع فضله وعلمه:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وأنا كتبت في بعض ما كتبت من المؤلفات والكتب أن السبيل في كل هذه الأمثلة وسواها ليس هو التأويل الذي هو أخو التعطيل، وإنما هو فهم النصوص فهماً جيداً،من المسلمين حتى لا يقعوا في انحراف سلبي أو إيجابي...

على هذا يجب أن تعالج كل العقائد الإسلامية الصحيحة، منها قضية نزول عيسى عليه السلام، أشكل الأمر على السيد رشيد رضا رحمه الله، ومنه استقينا نحن هذا المنهج في السلف والحديث وأشكل على كثير من علماء الأزهر كشلتوت وأمثاله، أنكروا عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، لماذا؟ قالوا لأن كثيراً من الناس ادعوا العيسوية، فهذا غلام أحمد القادياني، كثير منهم ادعوا المهدوية، وجاركم هناك في السودان المهدوي هذا معروف، وفي التاريخ الإسلامي كثير ممن ادعى المهدوية وادعى العيسوية.

إذا سداً لباب هذه الدعوات الباطلة، بنريِّح الناس من عقيدة نزول عيسى عليه

السلام وخروج المهدي.

هذا خطأ، ومعالجة خطأ بخطأ مثله وشر منه.

أنا قلت في بعض ما كتبت رداً على أمثال هؤلاء أنا أخشى ما أخشى أن يأتي يوم يعالج فيه بعضهم الإلهية فينكرها لأن الفراعنة ما انتهوا بعد فبعضهم يدعي الألوهية، فلنريح الناس من هذه الدعوى، وهي من أبطل الباطل، ما في ألوهية وانتهت المشكلة، هل هذه طريقة صحيحة.

نحن نقول أخيراً.. نزول عيسى عقيدة صحيحة آمن بها السلف وتبعهم الخلف على هدى من ربهم، لكن ليس في هذه الأحاديث ولا في أحاديث المهدي عليهما السلام أن على المسلمين أن لا يعملوا لإسلامهم ولعزة دينهم حتى ينزل عيسى ويخرج المهدي، لا يوجد في هذه الأحاديث كلها ما يشعر بهذا الفهم الخاطئ الذي وقع فيه بعض المسلمين، ولذلك أنكر بعض المصلحين هذه الأحاديث من شان يزيحوا العثرة بزعمهم من طريق عامة المسلمين، "ما في فائدة أن ينزل عيسى ويخرج المهدي" هذا فهم خطأ كما فهم الجبريون من القدر، ووافقهم المعتزلة ثم أنكروا الجبر وأنكروا معه القدر.

ما دام لا يوجد في الأحاديث الصحيحة التي نزلت في عيسى عليه السلام وفي خروج المهدي ما يشعرنا بالتواكل على مجيئهما، إذاً يجب علينا أن نعمل، لأن عيسى إن نزل وجد الأرض مهيأة لقائد يقودُهم وإذا نزل عيسى عليه السلام والمسلمون كما هم اليوم -أنا أقول هذا الكلام مؤمناً به- سوف لا يستطيع عيسى أن يجمع المسلمين في لحظة، في يوم وليلة، يجمع المسلمين الصالحين منهم بطبيعة الحال حول قيادته لأنه سوف لا يكون في اعتقادي أحلم ولا أقدر على

جمع قلوب الناس حوله من نبينا محمد ﷺ، وهو لبث في قومه عشرين سنة حتى استطاع أن أوجد هذه النواة التي غذاها الله عز وجل بقوته وعلمه ثم امتدت ظلالها كما تعلمون في التاريخ الإسلامي.

فإذاً عيسى عليه السلام، يجب أن لا نتصور أنه ينزل إلا والأرض قد هُيئت له لقبوله. إذاً ينبغي أن نفهم أحاديث النزول والخروج بأنها تحض المسلمين على العمل لإعادة الإسلام إلى مجده الغابر لا أن ينتظروا عيسى والمهدي ليعيد لهم المجد الغابر.

إذا آمنا هكذا ما المشكلة من أحاديث عيسى وخروج المهدي، لا إشكال أبداً، دائماً المشاكل تأتي من سوء فهم النصوص، وهذه الحقيقة نقطة مهمة جداً في العالم الإسلامي من حيث أنهم أساءوا فهم بعض النصوص فاساءوا فهم نصوص أخرى. ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً وإياكم للفهم الصحيح عن الله ورسوله.

سؤال: يا شيخ.. ابن خلدون يتكلم في أحاديث المهدي، ما رأيكم في أحاديث المهدي؟ يقول إنها ضعيفة كلها؟

الشيخ: أولاً، لا يخفاكم أن ابن خلدون هو مؤرخ وحكيم في التاريخ وليس عالماً بالحديث، وما أردت أن أقول:ليس متخصصاً في الحديث؛بل هو ليس عالماً في الحديث.

من قرأ كتابته في التاريخ أو في مقدمة تاريخه حول أحاديث المهدي يجد هناك في بعض الأحاديث اعترافاً بالصحة، في هذا البعض، ولذلك فيخطئ كثير من الكتاب الذين كتبوا في هذه القضية ومنهم شيخ قطر -إذا سمعتم به

مداخلة: القرضاوي.

الشيخ: لا المحمود هذا.

مداخلة: آه الشيخ الكبير.

الشيخ: يخطئ كثيراً كهذا الشيخ حين يعزو إلى ابن خلدون أنه ضعف كل أحاديث المهدي، هذا خطأ ليس فقط على الحديث النبوي بل وخطأ آخر على ابن خلدون المؤرخ، ثم علم الحديث فيه الواقع دقائق هي التي صرفت كثيراً من العلماء عن الاشتغال بالحديث؛ لأنه يتطلب جهداً ودأباً قد لا يستطيعه أكثر النفوس ولو كانوا من أهل العلم والفضل.

أضرب لك مثلاً بين عالم يكتب بحثاً علمياً وكاتب يكتب مقالة أدبية كم الفرق بينهما؟

مداخلة: الفرق شاسع.

الشيخ: شاسع جداً، الذي يكتب مقالة أدبية، الأفكار المخزونة في مخه وفكره يسيل بها قلمه، لا يحتاج أن يراجع هذه الكتب التي يسميها الناس ظلماً الكتب الصفراء، ما يحتاج.

بينما الذي يريد أن يكتب ويحرر مقالةً علميةً خاصة في آخر الزمان الذين علمهم كأمثالنا في سطورهم وليس في صدورهم، هؤلاء بحاجة أن يراجعوا على الأقل يتثبت، أما ذاك الكاتب ما يحتاج إلى مراجعة أبداً، يكتب ويشحبر -يقولوا عندنا في الشام بهذا القلم الأسود-

النسبة التي ذكرتها بين الكاتب العالم، والكاتب الأديب؛ هي النسبة بين

العالم المحدث المتخصص في الحديث والعالم، يحتاج إلى صبر ومراجعات كثيرة وكثيرة جداً، لماذا؟ لأن كثيراً من الأحاديث هي من القسم الذي يسميه علماء الحديث صحيح لغيره، حسن لغيره.

أحد العلماء كالترمذي مثلاً إذا قال في حديث ما حديث حسن -وهذا من الغرائب واللطائف التي لا ينتبه لها أكثر العلماء بل وكثير من المحدثين، إذا قال الترمذي في حديث: حسن؛ يعني: إسناده ضعيف، أسمعتم بهذا؟ إذا قال في حديثٍ ما:حديث حسن يعني أن إسناده ضعيف.

مداخلة: لم يصل إلى درجة الصحة؟

الشيخ: لا، أنا أقول إذا قال في حديثٍ ما:حديث حسن يعني: إسناده ضعيف، فما نقفز قفزة الغزلان بارك الله فيك، يعني ليس بصحيح، يعني أن إسناده غير حسن، ليس بصحيح: إذا قال الترمذي في حديث ما حديث حسن يعني هذا الحديث الذي حسنه الترمذي إسناده ضعيف، كيف هذا؟ هذا اصطلاح،على خلاف ما إذا قال في حديث آخر: حديث حسن غريب، فإنما يعني حديث حسن إسناده،كلمة غريب حددت المراد من قوله: حسن.

أما إذا عرى هذه الكلمة «حسن» عن لفظة «غريب» فهو يعني حسن متنه ضعيف إسناده، لماذا جاء هذا التحسين؟ من علمه أن لهذا المتن شواهد وطرق أخرى ارتقت به من الضعف الذي جاءه من هذا الإسناد.

إذاً من أجل ذلك قال علماء الحديث: إذا وقف طالب العلم على حديث إسناده ضعيف فهل يجوز له أن يقول حديث ضعيف، قالوا وقالوا، قالوا لا يجوز لأنه قد يكون له إسناد آخر إما أن يكون هذا الإسناد الآخر حسن لذاته أو صحيح لذاته أو على الأقل يجعل هذا الحديث الضعيف إسناده حسناً أو صحيحاً لغيره.

ولذلك فلا يستقل بالقول بأنه هذا حديث ضعيف،وإنما يقول حديث إسناده ضعيف، ثم استثنوا فقالوا اللهم إلا رجل عالم متمكن في علم الحديث محيط ما شاء الله بطرق الحديث ثم لم يجد لهذا الحديث إلا هذا الإسناد؛ فلمثله فقط أن يقول:هذا حديث ضعيف.

"الهدى والنور" (٢٢٦/ ٣٤: ١٢ : ٠٠) و(١٤: ٤٢: ٠٠).

[١٦٠٩] باب رد بعض شبهات من أنكر عقيدة المهدي ونزول عيسى: شبهة أن عقيدة المهدي استغلت استغلالاً سيئاً فينبغي قطع دابرها

[قال الإمام]:

ومنهم[أي من الناس] من يشاركنا في النقمة على هؤلاء المدعين للمهدوية، ولكنه يبادر إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج المهدي في آخر الزمان، ويدعي بكل جرأة أنها موضوعة وخرافة !! ويسفه أحلام العلماء الذين قالوا بصحتها، يزعم أنه بذلك يقطع دابر أولئك المدعين الأشرار ! وما علم هذا وأمثاله أن هذا الأسلوب قد يؤدي بهم إلى إنكار أحاديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام أيضا، مع كونها متواترة ! وهذا ما وقع لبعضهم، كالأستاذ فريد وجدي والشيخ رشيد رضا، وغيرهما، فهل يؤدي ذلك بهم إلى إنكار ألوهية الرب سبحانه وتعالى لأن بعض البشر ادعوها كما هو معلوم؟! نسأل الله السلامة من فتن أولئك المدعين، وهؤلاء المنكرين للأحاديث الصحيحة الثابتة عن سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

"الصحيحة"(٥/ ٢٧٨).

[١٦١٠] باب منه

[قال الإمام]:

وطائفة منهم [أي ممن أنكر عقيدة المهدي] رأوا أن عقيدة المهدي قد استغلت عبر التاريخ الإسلامي استغلالاً سيئاً، فادعاها كثير من المغرضين، أو المهبولين، وجرت من جراء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي، فرأوا أن قطع دابر هذه الفتن، إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة!

"الصحيحة"(٤/ ٤٣).

[١٦١١] باب منه رد نفس الشبهة حول عقيدة نزول عيسى

[قال الإمام]:

وما مثل هؤلاء [أي الذين ينكرون عقيدة المهدي] إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة؛ لأن بعض الدجاجلة ادعاها، مثل ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد أنكرها بعضهم فعلا صراحة، كالشيخ شلتوت، وأكاد أقطع أن كل من أنكر عقيدة المهدي ينكرها أيضاً، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يبين، وما مثل هؤلاء المنكرين جميعاً عندي إلا كما لو أنكر رجل ألوهية الله عز وجل بدعوى أنه ادعاها بعض الفراعنة ! ﴿فهل من مدكر﴾.

"الصحيحة"(٤/ ٤٣).

[١٦١٢] باب منه

[قال الإمام]:

ومنهم [أي من الناس] من يشاركنا في النقمة على هؤلاء المدعين للمهدوية، ولكنه يبادر إلى إنكار الأحاديث الصحيحة الواردة في خروج المهدي في آخر الزمان، ويدعي بكل جرأة أنها موضوعة وخرافة !! ويسفه أحلام العلماء الذين قالوا بصحتها، يزعم أنه بذلك يقطع دابر أولئك المدعين الأشرار ! وما علم هذا وأمثاله أن هذا الأسلوب قد يؤدي بهم إلى إنكار أحاديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام أيضاً، مع كونها متواترة ! وهذا ما وقع لبعضهم، كالأستاذ فريد وجدي والشيخ رشيد رضا، وغيرهما، فهل يؤدي ذلك بهم إلى إنكار ألوهية الرب سبحانه وتعالى لأن بعض البشر ادعوها كما هو معلوم؟! نسأل الله السلامة من فتن أولئك المدعين، وهؤلاء المنكرين للأحاديث الصحيحة الثابتة عن سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

"الصحيحة"(٥/ ٢٧٨).

[١٦١٣] باب رد شبهة أن أحاديث المهدي تؤدي إلى التثبيط والتواكل

[قال الإمام]:

اعلم يا أخي المسلم أن كثيراً من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقر في نفسه أن دولة الإسلام لن تقوم إلا بخروج المهدي ! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامة، وبخاصة الصوفية منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يشعر بذلك مطلقاً، بل هي

كلها لا تخرج عن أن النبي ﷺ بَشَّرَ المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة أهمها أنه يحكم بالإسلام وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم الله في رأس كل مائة سنة كما صح عنه ﷺ، فكما أن ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه وترك الاستعداد والعمل لإقامة حكم الله في الأرض، بل على العكس هو الصواب، فإن المهدي لن يكون أعظم سعياً من نبينا محمد ﷺ الذي ظل ثلاثة وعشرين عامّاً وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعاً وأحزاباً، وعلماءهم - إلا القليل منهم - اتخذهم الناس رؤوساً ! لما استطاع أن يقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يوحد كلمتهم ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد الله أعلم به، فالشرع والعقل معا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج فقد قاموا هم بواجبهم، والله يقول:﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾.

و منهم - وفيهم بعض الخاصة - من علم أن ما حكيناه عن العامة أنه خرافة ولكنه توهم أنها لازمة لعقيدة خروج المهدي، فبادر إلى إنكارها، على حد قول من قال: " وداوني بالتي كانت هي الداء " ! وما مثلهم إلا كمثل المعتزلة الذين أنكروا القدر لما رأوا أن طائفة من المسلمين استلزموا منه الجبر !! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر !

"الصحيحة"(٤/ ٤٢-٤٣).

[١٦١٤] باب هل الإيمان بخروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام يبعث على التكاسل وعدم الأخذ بالأسباب

[قال الإمام]:

لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته في وجه الأرض؛ انتظاراً منهم لخروج المهدي ونزول عيسى عليهما الصلاة والسلام؛ يأْساً منهم؛ أو توهماً أن ذلك غير ممكن قبلهما! فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل فإن الله تعالى أو رسوله ﷺ لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام ولا سلطان له في وجه الأرض إلا في زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك؛ لقوله تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(محمد:٧)، وقوله: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:٤٠).

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأساتذة المرشدين والكُتّاب المعاصرين على إنكار أحاديث المهدي وعيسى عليهما السلام – على كثرتها وتواترها – لما رأوا أنها عند المتوهمين مدعاة للتواكل عليها وترك العمل لعز الإسلام من أجلها! فأخطؤوا في ذلك أشد الخطأ من وجهين:

الأول: أنَّهم أقروهم على هذا التوهم؛ على اعتبار أن مصدره تلك الأحاديث المشار إليها؛ وإلا لم يبادروا إلى إنكارها !

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة من حولها، وما مثلهم في ذلك إلا كمثل من أنكر عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره؛ لأن بعض المؤمنين به فهموا

منه أن لازمه الجبر، وأن المكلَّف لا كسب له ولا اختيار، ولما كان هذا الفهم باطلاً بداهة سارعوا إلى إنكاره، ولكنهم أنكروا مَعَهُ القدر أيضاً؛ لتوهمهم – أيضاً مع المتوهمين – أنه يعني الجبر، فوافقوهم في خطئهم في التوهم المذكور، ثم زادوا عليهم خطأً آخر – فراراً من الأول – وهو إنكارهم القدر نفسه ! فلولا أنهم شاركوهم في فهمهم منه الجبر ما أنكروه !

وهذا هو عين ما صنعه البعض المشار إليه من الأساتذة والكُتّاب؛ فإنهم لما رأوا تواكل المسلمين – إلا قليلاً منهم – على أحاديث المهدي وعيسى؛ بادروا إلى إنكارها لتخليصهم بزعمهم من التواكل المذكور ! فلم يصنعوا شيئاً؛ لأنهم لم يستطيعوا تخليصهم بذلك من جهة؛ ولا هم كانوا على هدى في إنكارهم للأحاديث الصحيحة من جهة أخرى.

والحقيقة أن هؤلاء المنكرين – الذين يفهمون من هذه الأحاديث ما لا تدل عليه من التواكل المزعوم، ولذلك يبادرون إلى إنكارها تخلّصاً منه – قد جمعوا بين المصيبتين: الضلال في الفهم، والكفر بالنص ! ولكنهم عرفوا أن الفهم المذكور ضلال في نفسه؛ فأنكروه بإنكار النص الذي فهموا ذلك منه! وعكس ذلك العامة؛ فآمنوا بالنص مع الفهم المذكور، فمع كل من الفريقين هدى وضلال، والحق الأخذ بهدى كل منهما، ونبذ الضلال الذي عندهما؛ وذلك بالإيمان بالنص دون ذلك الفهم الخاطئ.

وما مثل هؤلاء وهؤلاء إلا كمثل المعتزلة من جهة؛ والمشبِّهة من جهة أخرى، فإن الأولين تأولوا آيات وأحاديث الصفات بتآويل باطلة أودت بهم إلى إنكار الصفات الإلهية، وما حملهم على ذلك إلا فرارهم من التشبيه الذي وقع فيه المشبِّهة، والحقيقة أن المعتزلة أنفسهم شاركوا المشبِّهة في فهم التشبيه من آيات

الصفات، ولكنهم افترقوا عنهم بإنكار التشبيه بطريق التأويل الذي هو باطل أيضاً؛ كالتشبيه لما لزم منه من إنكار الصفات الإلهية، وأما المشبِّهة فلم يقعوا في هذا الباطل، ولكنهم ثبتوا على التشبيه، والحق الجمع بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورد باطل هؤلاء وهؤلاء؛ ذلك بالإثبات والتنزيه؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾(الشُّورى:١١).

وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى عليه السلام وغيرها؛ فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، وردّ ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل والاستعداد الذي يجب القيام به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورددنا باطل هؤلاء وهؤلاء . والله المستعان.

"قصة المسيح الدجال"(ص٣٦ – ٣٨).

[١٦١٥] باب منه

سؤال: يقول السائل: ما هو حكم الشرع في العمل لاستئناف الحياة الإسلامية، مع معرفة السبيل الأمثل لتحقيق ذلك؟ علماً: أن هناك أحاديث يفهمها البعض على أنها تعني القعود عن هذا العمل وهي: أحاديث المهدي، فما هو رأيكم في ذلك جزاكم الله خيراً؟

الجواب: لقد كتبنا أكثر من مرة حول أحاديث المهدي عليه السلام، ومواقف علماء العصر وهذا الزمان، فإنهم مختلفون في ذلك أشد الاختلاف.

أما العلماء الذين لا يزالون يتمسكون بما قام عليه الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة؛ فهم لا يزالون يعتقدون والحمد لله بأن خروج المهدي حق لا ريب فيه، ولكن لابد بهذه المناسبة من التذكير أن هناك شخصاً آخر لابد من خروجه،

وسيلتقي مع المهدي وهو عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن عيسى عليه السلام أحاديثه أقوى من أحاديث المهدي، وإن كان كل من أحاديث الرجلين يلتقيان في الصحة إلا أن أحاديث عيسى عليه السلام أصح من أحاديث المهدي كما لا يخفى ذلك على أهل العلم في الحديث؛ لأنه من المتفق بين أهل الحديث أن أحاديث عيسى متواترة، بلغت علم اليقين، أحاديث المهدي عليه الصلاة والسلام، يوجد هناك خلاف بين بعض العلماء هل بلغت هذه المرتبة أم لا؟ وأنا لا يهمني الوصول إلى هذه المرتبة، وإن أكنت أميل إليها أي: إن أحاديث المهدي أيضاً وصلت إلى هذه المرتبة، ولكني يكفي المسلم أن يعلم أن أحاديث المهدي صحيحة، وأن علماء المسلمين توارثوا خلفاً عن سلف الاعتقاد بخروج المهدي، وبنزول عيسى عليهما السلام.

إذاً: قلت هذا لأن السؤال ذكر المهدي، وكان الأولى أن يذكر عيسى؛ لأن أحاديث عيسى أقوى، فلذلك هذا السؤال فتح لي باب التطرق لأحاديث عيسى عليه الصلاة والسلام.

قلنا: إن هذه العقيدة حق لا عوج فيها.

بعض العلماء في العصر الحاضر ممن لا يهتمون بدراسات العلماء السابقين سواءً ما كان منها متعلق بتصحيح الأحاديث، أو ما كان منها متعلق بتصحيح العقائد المبنية على الأحاديث، فكثير من علماء العصر الحاضر ينكرون خروج المهدي بل غلا بعضهم فأنكروا أيضاً: نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

لا أريد الخوض بتفصيل في هذه المسألة إلا بمقدار ما نود من تقديمه جواباً عن هذا السؤال.

كثير من المعاصرين الذين يدعون الإصلاح، وجدوا عامة المسلمين يتكؤون في العمل الإسلامي، وبعبارة أوضح: في ترك العمل للإسلام يقولون: ما في فائدة للعمل إلا حينما يخرج المهدي أو ينزل عيسى عليه السلام، هكذا يعتقد كثير من الناس أي: وصلوا إلى مرتبة اليأس التي لا يجوز للمسلم أن يقع فيها؛ لأنه ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِّ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِّ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف:٧٨) في القرآن الكريم.

فلما وجد بعض المصلحين هذا اليأس مسيطراً على جماهير المسلمين، وجدوا أن سبب هذا اليأس هو إيمانهم بنزول عيسى وخروج المهدي، فظنوا أن الإصلاح يكون بإنكار هاتين العقيدتين الصحيحتين بأن يقول للناس: يا جماعة اعملوا فعقيدة نزول عيسى عليه السلام ما هي ثابتة بالطريق اليقين وهم مخطئون أشد الخطأ، اعملوا فإن خروج المهدي هذا عقيدة شيعية وهي غير صحيحة، كذلك هم في ذلك مخطئون، فقلنا مراراً وتكراراً وكتبنا شيئاً من هذا المعنى في بعض المؤلفات قلنا: لا يكون الإصلاح على هذا المنوال، وعلى هذا المنهاج في إنكار الأحاديث الصحيحة وما بني عليها من عقيدة؛ لأن هذا المنهج الاستمرار عليه سيؤدي بأصحابه إلى الاعتزال الماضي قديماً، ذلك؛ لأن المعتزلة أنكروا ما هو أخطر من عقيدة عيسى عليه السلام، والمهدي ما الذي أنكروه؟ أنكروا القدر، فقالوا: لا قدر مع أن القدر ثابت في الكتاب والسنة، وهي عقيدة كما تعلمون جميعاً: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره قالت المعتزلة: لا قدر فنحن إذا درسنا ما الذي حمل المعتزلة وهم بطبيعة الحال ليسوا كفاراً ليسوا مرتدين عن دين الإسلام كل ما نستطيع أن نقول عنهم: إنهم مسلمون ضالون؛ لأنهم أنكروا حقائق شرعية منها: إنكارهم للقدر الإلهي لكننا إذا درسنا السر في

إنكارهم للقدر الإلهي وجدناه كإنكار بعض المعاصرين اليوم لعقيدة خروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام كيف؟ وجدوا أن كثيراً من المسلمين فهموا من عقيدة القدر أنها تعني الجبر، وأن الإنسان ليس مخيراً في طاعته لله، أو في معصيته إياه، وهم بلا شك وجدوا نصوصاً في الكتاب والسنة وذلك مقتضى العقل الصحيح السليم: أنه لا يجتمع في الإنسان جبر وتكليف ضدان لا يجتمعان.

فالمعتزلة نظروا فقالوا: إذاً: إذا كان معنى القدر الجبر، فلا يمكن إن ربنا عز وجل يجبر الإنسان على معاصيه، وبعدين ماذا؟ يعذبه، إذاً: هذه العقيدة عقيدة باطلة.

نحن نلتقي مع المعتزلة في قولهم: بأن الجبر عقيدة باطلة كما نلتقي مع أولئك المصلحين بأن الاتكال على خروج المهدي ونزول عيسى، وعدم العمل للإسلام أيضاً: عقيدة باطلة، ولكننا لا نلتقي لا مع هؤلاء، ولا مع أولئك المعتزلة فيما أنكروا من عقائد صحيحة ثبتت بعضها بالكتاب والسنة، وبعضها بالأحاديث الصحيحة المتواترة.

فالمعتزلة تأولوا الآيات التي تنص على القدر كما تأولوا الأحاديث، بل وأنكروا بعضها حينما لا يسعهم تأويلها، فوقعوا في القدر وهو إنكار القدر الإلهي الذي ثبت في القرآن وفي السنة كما ذكرنا.

فنقول نحن للمعتزلة كما نقول لهؤلاء المصلحين اليوم: ما هكذا يا سعد تورد الإبل، ما هكذا يا جماعة يكون الإصلاح لا يكون الإصلاح بإنكار حقائق شرعية، وإنما يكون الإصلاح بتفهيم المسلمين الفهم الصحيح بتلك النصوص سواءً ما كان منها قائماً على إثبات القدر، أو ما كان منها قائماً على إثبات نزول

عيسى وخروج المهدي عليهما السلام.

فنقول: إن النبي ﷺ مكث في قومه ثلاث وعشرين سنة، وهو يدعوهم ليلاً نهاراً حتى استطاع أن يضع النواة للخلافة الإسلامية بالمدينة المنورة.

فنحن علينا معشر المسلمين ألا ننتظر ما بشرنا بمجيئه من المهدي أو عيسى علينا أن نعمل؛ لأن الواقع الآن نشعر نحن تماماً: أن هناك جماعات من المسلمين متفرقون في العالم الإسلامي هم ينتظرون قائداً يأخذ بأيديهم ويجاهد بهم أعداء الإسلام في كل زمان، وفي كل مكان، فهم ينقصهم هذا الإنسان المصلح القائد، لكن تصوروا معي الآن: إذا جاء هذا المبشر به، وهو: المهدي أو عيسى، وأخذ يصلح بين المسلمين كما يفعل اليوم المصلحون المتفرقون في العالم الإسلامي، فكم سيضل في عملية الإصلاح هذه؟ ستنقضي حياته إلا إن كان له حياة تشبه حياة نوح عليه السلام، وهذا لم نبشَّر به، ستنقضي حياته في إصلاح المسلمين تفهيمهم الإسلام الصحيح، وحملهم على العمل بالإسلام [.... انقطاع].

نقول مثلاً: نحن يعلم يقيناً: أن من آفة العالم الإسلامي هو: الانكباب على الدنيا.

ومن آثار هذا الإنكباب: استحلال ما حرم الله عز وجل من الربا بأدنى الحيل فضلاً عن غير ذلك من المحرمات، أبمثل هؤلاء الناس يمكن إذا خرج المهدي أو نزل عيسى عليه السلام أن يجاهد به الكفار أو بهم الكفار؟ الجواب: لا؛ إذاً: على المسلمين كافة في كل بلاد الإسلام أن يعملوا بفهم الإسلام أولاً فهماً صحيحاً، وأن يطبقوه في ذوات أنفسهم وفي أهليهم وذراريهم ثانياً، حتى إذا جاء المهدي أو نزل عيسى وجد القوم ليسوا بحاجة إلى إصلاح ما أفسده هذا الزمن الطويل.

"الهدى والنور" (٢١٨ / ٣٥: ٤٦: ٠٠)

[١٦١٦] باب رد شبهة حول نزول عيسى عليه السلام

سؤال: في بعض العلماء يقولون في نزول عيسى عليه السلام أو حديث المسيح الدجال، قالوا: هذا حديث ضعيف وليس له أساس، لأنه عيس عليه السلام يعني بعد وفاة أي إنسان أو كائن عاش على الأرض، لن يعود ثانية إلى يوم القيامة، لن يعود على الأرض ثانية، وفي آية استشهدوا فيها بيقول: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ...﴾(آل عمران:٥٥) إلى آخر الآية.

فمعناه حصل وفاة عيسى، فكيف بده ينزل بعد وفاته؟

الشيخ: نعم. الجواب بكل صراحة أن الذين يقولون هذا الكلام والعهدة على الراوي أي أنت يعني العهدة عليك، أنت الناقل.

فهؤلاء الذين تنقل عنهم هذا الكلام ليسوا بعلماء، لماذا؟ لأنه العالم المسلم من أين يأخذ علمه؟ قال الله، قال رسول الله، طيب، بعد قال الله، قال رسول الله، ما عندنا إلا قال السلف الصالح.؟

كيف نفهم ما قال الله في كتابه، وما قال نبيه في حديثه على ما كان عليه سلفنا الصالح، وآنفاً أذكركم بأني ذكرت الآية: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(النساء:١١٥)، فالآن هذا القول الذي حكيته عن أولئك الناس، هل هو سبيل المؤمنين؟ هل هو سبيل السلف؟ هل هو سبيل الأئمة الأربعة؟ الأربعة عشر، الأربعين كما ذكرنا، علماء المسلمين ما شاء الله.

أقول: ليس هذا سبيل المؤمنين، هذا سبيل أحد رجلين:

إما مسلم لكنه جاهل، وإما كافر مدسوس بين المؤمنين يريد أن يدس وأن يفسد عقائد المسلمين لفلسفة، مثل هذه الفلسفة التي أنت حكيتها، شو هي؟ إن الله قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(آل عمران:٥٥)... نحن نقول لهذا الإنسان: شو معنى إني متوفيك؟ هل الوفاة في اللغة العربية تعني الموت حتماً؟ الجواب: لا، لأنه الوفاة تأتي بمعنى النوم. صح ولَّا لا؟

مداخلة: صح.

الشيخ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾(الأنعام:٦٠).

مداخلة: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ﴾(الزمر:٤٢)...

الشيخ: أيوه، الآيات في القرآن الكريم يفسر بعضها بعضاً، فنص الوفاة ليس بمعنى الموت، وهنا الآية يفسرها ما بعدها: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾(آل عمران:٥٥) لمن الخطاب؟ لعيسى، إذن خلينا نحن في سبيل الشرح: إني متوفيك يا عيسى، من هو عيسى؟ بروحه وجسده، ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(آل عمران:٥٥) لمن الخطاب؟ لعيسى،أي بروحك وجسدك.

كقوله تعالى في آية الإسراء التي ذكرها أبو بكر أنفاً وإن كان في ذلك مخطئاً، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾(الإسراء:١) قالوا بعض المفسرين القدامى والمحدثين يا أخي الإسراء كان بالروح وليس بالجسد، رد عليهم أهل العلم قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾(الإسراء:١)، العبد: هو بروحه وبجسده، كذلك عيسى بروحه وبجسده، فلما قال له: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾(آل عمران:٥٥)، أي: قابضك بروحك وجسدك، ورافعك أي: كما أنت بروحك وجسدك، يؤيد هذا المعنى العربي الواضح المبين، أحاديث متواترة عن الرسول عيه السلام يقول في بعضها، قال

عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «لينزلن فيكم عيسى بن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبل أحد، حتى تكون السجدة لأحدهم خيراً من الدنيا وما فيها»[1].

إذن أكد الرسول عليه السلام أن هذا الرفع المذكور في الآية السابقة: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾(آل عمران:٥٥)، له خاتمة، وهو أن هذا المرفوع المكرم بأن يرفع بجسده وروحه لينزلن حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير إلى آخر الحديث.

فإذن عيسى عليه السلام حي في السماء، سينزل ليثبت لهؤلاء النصارى الذين اتخذوه إلهاً من دون الله تبارك وتعالى أنه عبد من جهة، وأن محمداً أفضل منه من جهة ثانية، وأنه سيحكم الشريعة، ويكون فرداً من أفراد أمته، حتى جاء في حديث آخر وصحيح أنه قال: «ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق على جناحي ملكين» هذا في صحيح مسلم[2]، في حديث آخر[3]، حينما ينزل في صلاة الفجر وقد أقيمت الصلاة لمحمد المهدي، محمد بن عبد الله المهدي، المعروف بالمهدي، واسمه: محمد بن عبد الله. أقيمت صلاة الفجر له، فلما يرى عليه السلام قد نزل يقدمه، فيقول: لا، تكرمة الله لهذه الأمة، فيأتم عيسى اللي هو نبي النصارى واليهود الذين كفروا به، يقتدي بالمهدي الذي هو فرد من أفراد أمة الرسول ﷺ.

(١) "صحيح الجامع" (رقم٧٠٧٧).
(٢) رقم (٧٥٦٠).
(٣) "صحيح مسلم" (رقم٤١٢).

هذه الأحاديث كلها صحيحة؛ ولذلك يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني وكثير من أمثاله من العارفين بعلم الحديث: أن عقيدة نزول عليه السلام في آخر الزمان أحاديثها متواترة، مُش حديث فرد ممكن يكون صحيحاً وممكن يكون ضعيفاً.

حديث جاء من طرق كما تسمع الآن، أنا في اللحظة هاي وبدون ما أتعب مخي... ذكرت لكم ثلاثة أحاديث، شايف، فلو أراد الإنسان أن يجمع لكم أحاديث، أنا يوماً ما جمعت أربعين حديثاً عن أربعين صحابياً، بعض هؤلاء الصحابة له أكثر من طريق واحد... الخ.

كيف يقال عن هذا الحديث: إنه حديث ضعيف، معنى هذا أن هذا النوع من الناس لا يمكن أن يثبت عندهم حديث.

مداخلة: يا سيدي بس المنارة، أيش بتعني المنارة، كلمة المنارة؟

الشيخ: يعني بمئذنة، علامة.

مداخلة: علامة.

الشيخ: أي نعم، بس.

مداخلة: بارك الله فيك.

"الهدى والنور" (٥٢٨/ ٤٩: ٥٥: ٠٠) و(٥٢٩/ ٥٣: ٠٠: ٠٠).

جماع أبواب

ذكر مُدَّعِي المهدوية والعيسوية والرد على باطلهم

[١٦١٧] باب ذكر بعض أهل الضلال من مدعي المهدوية والعيسوية

[قال الإمام]:

لابد أنكم تسمعون بطائفة اسمها القاديانية ينتسبون إلى بلدة أو قرية في الباكستان تسمى بقاديان هنا خرج رجل من الصوفية عالم، لكن كان صوفياً صاحب طريقة **فادعى أولاً: بأنه المهدي، ثم ادعى بأنه عيسى المبشَّر بنزوله في آخر الزمان،** ثم ادعى أنه يوحى إليه، وله كتاب مطبوع باللغة العربية اسمه: حقيقة الوحي، وله هناك كفريات عجيبة جداً من هذا النبي الذي كذب وافترى على الله عز وجل.

يقول هناك مثلاً يزعم أن اسمه أحمد وكان اسمه الذي سماه أبوه غلام أحمد ترجمة غلام أحمد في لغتهم أي: خادم أحمد والمقصود بأحمد هنا: نبينا محمد عليه السلام، وهذا الوليد سموه تبركاً بغلام أحمد أي: خادمه، ثم لما ترقى في الضلال حذف كلمة غلام وبقي اسمه: أحمد، ثم زعم بأن الله عز وجل أوحى إليه ذلك الكتاب المعروف بحقيقة الوحي ماذا يقول فيه؟ قال الله له: يا أحمد أنت مني بمنزلة توحيدي، أنت مني بمنزلة تفريدي، يعني: التوحيد هو بمنزلة توحيد الله عز وجل.

وله من مثل هذه الضلالات كثيرة وكثيرة جداً، لكنه لما ادعى النبوة اتبعه ناس إلى اليوم وهو مضى عليه تقريباً نحو سبعين سنة، مات، له أتباع اليوم منتشرون في بريطانيا في ألمانيا في فرنسا ولهم نشاط عجيب في الدعوة لا أقول

في الدعوة إلى الإسلام، وإنما في الدعوة إلى إسلامهم؛ لأن من إسلامهم أن النبوة لم تنقطع خلافاً للآية المعروفة: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(الأحزاب:٤٠) خلافاً لقوله عليه الصلاة والسلام: «إن النبوة والرسالة قد انقطعت فلا نبي بعدي ولا رسول بعدي».

وخلاف قوله عليه السلام لعلي لما ذهب عليه السلام إلى تبوك وخلفه في المدينة نائباً عنه قال له عليه الصلاة والسلام: «أنت بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي».

هؤلاء القاديانيون لا تظنوا أنهم ينكرون شيئاً من أركان الإيمان، أو شيئاً من أركان الإسلام لا هم يؤمنون معنا في كل هذه الأركان، فهم يصلون ويصومون ويحجون، وأسماؤهم أسماء إسلامية تماماً، فهل ترونهم مسلمين وهم يعتقدون بأنه هذا الرجل نبي صادق؟ ثم هذا الرجل يقول: بأنه سيأتي أنبياء من بعده؟ طبعاً: هؤلاء ليسوا من المسلمين؛ لأنهم أنكروا كما يقول الفقهاء: ما هو معلوم من الدين بالضرورة، معلوم من الدين بالضرورة عند كل مسلم أنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ للآية المذكورة آنفاً، وللأحاديث التي ذكرت بعضها أيضاً آنفاً.

الشاهد: هل يؤمنون بهذه الآية؟ الجواب: نعم. هل يصدقون بهذه الأحاديث؟ الجواب: نعم. كيف هذا وهم يقولون بخلاف الآية، وبخلاف الأحاديث؟ هنا تأتي مصيبة التأويل، هنا تأتي مصيبة التأويل الذي كان سبباً لتفريق المسلمين تلك الفرق القديمة، والتي لا يزال شيء من آثارها حتى اليوم.

المعتزلة مثلاً: ضلوا وخرجوا عن الجماعة، هل كفروا بشيء من آيات

القرآن؟ الجواب: لا. إذاً: لماذا ضلوا؟ لأنهم سلطوا معول التأويل على نصوص القرآن والسنة، فضلوا ضلالاً بعيداً.

كذلك هؤلاء القاديانيون ما خرجوا عن القرآن والسنة لفظاً، ولكنهم خرجوا عن القرآن والسنة تأويلاً، وتحريفاً فقالوا مثلاً في الآية السابقة: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(الأحزاب:٤٠) ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾(الأحزاب:٤٠) أي: هو رسول الله حقاً وصدقاً، لكن خاتم النبيين معنى هذا الوصف أنه زينة النبيين، وليس آخرهم، ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(الأحزاب:٤٠) قالوا: هذا تشبيه، وهذا مجاز كما أن الخاتم في الإصبع زينة الأصابع واليد، كذلك محمد هو خاتم الأنبياء أي: زينتهم وليس آخرهم، فإذاً: هم آمنوا وهم كفروا، أي: آمنوا بلفظ القرآن وكفروا بمعناه، تُرى؛ هل ربنا عز وجل حينما يريد منا أن نؤمن بالقرآن يريد منا أن نؤمن بلفظه دون معناه، أو بمعناه دون لفظه، أم يريد منا أن نؤمن بهما كليهما لفظاً ومعناً؟ لاشك أن الجواب: لفظاً ومعنى.

وجد في المسلمين من الفلاسفة الذين يعتبرون من الذين خرجوا من دين الله أفواجاً، وكما تخرج الشعرة من العجين قالوا: الآيات التي جاءت تأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ليس المقصود بهذه الآيات هو هذه الصلاة التي يفعلها المسلمون حتى اليوم والحمد لله، صلوات في أوقات خمسة بركعات معروفة، بشروط وأركان وو إلى آخره، لا، هذا خطأ في فهم الآية إنما المقصود: أقيموا الصلاة يعني: الدعاء، والزكاة يعني: تطهير النفس. فعطلوا هذه الشرائع كلها، ومعنى هذا: أنهم لا يؤمنون بالله ورسوله حقاً، هذا ما يقوله بعض الفلاسفة الإسلاميين.

لكن هناك ضلال أدنى درجة من هذا الضلال، لكنه ضلال أيضاً، ولا أريد أن أعود إلى بعض الأمثلة القديمة حسبنا هذا المثال الجديد الآن: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(الأحزاب:٤٠) أي: زينتهم أي: هو ليس آخرهم؛ لأنه جاء بعد الرسول غلام أحمد القادياني، وسيأتي من بعده أنبياء كثر، والآية فسروها أولوها عطلوا دلالتها كاليهود يحرفون الكلم من بعد مواضعه، فوقعوا في الكفر وهم يعتمدون على القرآن، وهم يعتمدون على القرآن زعموا مؤولين للآية خلاف تأويلها الصحيح، ماذا فعلوا بالحديث! سمعتم آنفاً قوله عليه السلام لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي» قالوا: لا نبي معي، أما بعد موته فهناك أنبياء هكذا.

إذاً: هؤلاء هم من الفرق التي جاء الإشارة إليها في قوله عليه الصلاة والسلام: «وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» هذه الفرقة من هذه الفرق الاثنين والسبعين الهالكة لماذا؟ لأنهم ولو آمنوا بالقرآن، ولكنهم سلكوا غير سبيل المؤمنين في تفسير القرآن من أجل ذلك قال الله عز وجل في الآية السابقة في القرآن: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(النساء:١١٥).

فإذاً: هؤلاء القاديانيون وأمثالهم قديماً، وربما حديثاً: لما آمنوا بالآية وأولوها غير تأويل المؤمنين إذاً: جزاؤهم ما جاء في الآية: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(النساء:١١٥)...

"الهدى والنور" (٧٠٥/ ٣٠: ١٨: ٠٠).

[١٦١٨] باب منه

[قال الإمام]:

و اعلم أن من ...الدجالين الذين ادعوا النبوة ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي، **الذي ادعى في عهد استعمار البريطانيين للهند أنه المهدي المنتظر، ثم أنه عيسى عليه السلام**.

"الصحيحة"(٤/ ٢٥٢).

[١٦١٩] باب منه

[قال الإمام]:

و اعلم أيها الأخ المؤمن ! أن كثيراً من الناس تطيش قلوبهم عند حدوث بعض الفتن، ولا بصيرة عندهم تجاهها، بحيث إنها توضح لهم السبيل الوسط الذي يجب عليهم أن يسلكوه إبانها، فيضلون عنه ضلالاً بعيداً، فمنهم مثلاً من يتبع من ادعى أنه المهدي أو عيسى، **كالقاديانيين الذين اتبعوا ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعى المهدوية أولا، ثم العيسوية**، ثم النبوة، ومثل جماعة (جهيمان) السعودي الذي قام بفتنة الحرم المكي على رأس سنة (١٤٠٠) هجرية، وزعم أن معه المهدي المنتظر، وطلب من الحاضرين في الحرم أن يبايعوه، وكان قد اتبعه بعض البسطاء والمغفلين والأشرار من أتباعه، ثم قضى الله على فتنتهم بعد أن سفكوا كثيراً من دماء المسلمين، وأراح الله تعال العباد من شرهم.

"الصحيحة"(٥/ ٢٧٨).

[١٦٢٠] باب منه

[**روي عن النبي ﷺ أنه قال**]:

«لا مهدي إلا عيسى» .

(منكر).

[**قال الإمام**]:

وهذا الحديث تستغله الطائفة القاديانية في الدعوة لنبيهم المزعوم: ميرزا غلام أحمد القادياني الذي ادعى النبوة، **ثم ادعى أنه هو عيسى بن مريم المبشر بنزوله في آخر الزمان، وأنه لا مهدي إلا عيسى** بناءً على هذا الحديث المنكر، وقد راجت دعواه على كثيرين من ذوي الأحلام الضعيفة، شأن كل دعوة باطلة لا تعدم من يتبناها ويدعو إليها، وقد أُلفت كتب كثيرة في الرد على هؤلاء الضلال، ومن أحسنها رسالة الأستاذ الفاضل المجاهد أبي الأعلى المودودى رحمه الله في الرد عليها، وكتابه الآخر الذي صدر أخيرا بعنوان " البيانات " فقد بين فيهما حقيقة القاديانيين، وأنهم مرقوا من دين المسلمين بأدلة لا تقبل الشك، فليرجع إليهما من شاء.

"الضعيفة"(١/ ١٧٥-١٧٦)

[١٦٢١] باب منه

[**قال الإمام**]:

بلغني عن بعض من تصوف - بعد هدى كان عليه - أنه يصرح أن المهدي عليه السلام على وشك الخروج في هذه الأيام، وقد سمى شهر رمضان من هذه السنة! وهذا من تخرصاته، أو وساوس شيطانه؛ فإنه غيب لا يعلمه إلا الله.

بل هو خلاف ما تدل عليه الأحاديث الصحيحة، وما تقتضيه سنة الله الكونية التي منها ما أفاده قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، وذلك أن من المعلوم أن عيسى عليه السلام ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، وأنه يصلي خلف المهدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهذا يعني أن عيسى عليه السلام يكون مع المؤمنين في بيت المقدس حين يحاصره الدجال، ويكون معه سبعون ألفاً من يهود أصبهان عليهم الطيالسة، وهذا يعني: أن لا يهود يومئذٍ في فلسطين، أو على الأقل في بيت المقدس، وهذا وذاك يعني: أن دولة اليهود يكون المسلمون قد قضوا عليها .

وواقع المسلمين اليوم - مع الأسف - لا يوحي بأنهم يستطيعون ذلك؛ لبعدهم عن الأخذ بالأسباب التي تؤهلهم لذلك؛ لأنهم لم ينصروا الله حتى ينصرهم، ولذلك فلا بد لهم من الرجوع إلى دينهم؛ ليرفع الذل عنهم - كما وعدهم بذلك نبيهم محمد ﷺ -، حتى إذا خرج المهدي ونزل عيسى؛ وجد المسلمين مستعدين لقيادتهم إلى ما فيه مجدهم وعزهم في الدنيا والآخرة، فعليهم أن يعملوا لذلك كما أمر الله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ...﴾ الآية .

"الضعيفة"(١٣/ ١/ ٣٨٢-٣٨٣).

[١٦٢٢] باب منه

[قال الإمام على الطائفة القاديانية]:

إن من أبرز علاماتهم أنهم حين يبدءون بالتحدث عن دعوتهم إنما يبتدئون قبل كل شيء بإثبات موت عيسى عليه الصلاة والسلام، فإذا تمكنوا من ذلك

بزعمهم؛ انتقلوا إلى مرحلة ثانية وهي ذكر الأحاديث الواردة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام، ويتظاهرون بالإيمان بها، ثم سرعان ما يتأولونها ما دام أنهم أثبتوا بزعمهم موته بأن المقصود نزول مثيل عيسى، وأنه هو غلام أحمد القادياني، ولهم من مثل هذا التأويل الشيء الكثير والكثير جداً، مما جعلنا نقطع بأنهم طائفة من الباطنية الملحدة .

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٢٣).

[١٦٢٣] باب ذكر لقاء الشيخ بأحد مدعي المهدوية

[قال الإمام]:

كنا من أيام قريبة على موعد مع رجل يدعي أنه المهدي فالتقينا به ووُجِّهَ إليه سؤال صريح: أنت مهدي بمعنى مسلم مهدي بمعنى صالح، أو المهدي المبشَّر به؟ قال: لا، أنا المهدي المبشَّر به في الأحاديث.

وبدأ يتكلم، أريد أن أعرف من أين تُؤكل الكتف، أسمع له وإذا به يقول: أن الأحاديث التي جاءت في المهدي بعضها صحيحة وبعضها ضعيفة كلام سليم، طيب! بعدما انتهى قلت له: ممكن أسأل سؤال؟ قال: تفضل، قلت له: إذا تفضلت أن تعطينا بعض الأحاديث الصحيحة وبعض الأحاديث الضعيفة التي أشرت إليها، فمسكين أسقط بيده ولم يعرف بماذا يتكلم، إلا أنه قال بعد لف ودوران طبعاً ما يقولها سلفاً، قال في الأخير: الليلة سوف لن نتكلم عن هذه الأحاديث.

مداخلة: الله أكبر! ...

الشيخ: لا، يريد أن يحكي ... قلت له: لماذا؟ أهو بكيفك؟! أنا سألتك أنت

لازم تجيب، أنت تدعي أنك المهدي ... مهدي للناس، والناس فيهم العالم وفيهم الجاهل وفيهم الصالح وفيهم الطالح..، المفروض المهدي الحقيقي يتحمل هؤلاء وليس العكس الناس يتحملون المهدي؛ لأن المهدي كله خير وكله علم وإلى آخره، لذلك أنا أُلح وأطالبك أن تأتينا ببعض الأحاديث الصحيحة وبعض الأحاديث الضعيفة، قال: غداً آتيك بهم، قلت له: لا، أنا لن أستمر لغدٍ ومن يملك نفسه أن يعيش إلى الغد؟! [أخذ] يلف ويدور، يلف علي ويدور إلى آخره.

في الأخير قلت له: طيب! نحن نتنازل عن نصف السؤال أما النصف الثاني لا نتنازل عنه، طلبنا منك بعض الأحاديث الصحيحة وبعض الأحاديث الضعيفة؛ نعفيك عن الأحاديث الضعيفة، هات لنا بعض الأحاديث الصحيحة، لا يوجد عنده شيء، ولو أراد أن يمشي تكون حجة عليه طبعاً، رجل مظهره ما تظنه مسلم؛ حليق،حاسر الرأس، متخوم من البدانة، ثخين يعني.. ثم لا يحسن أن يتكلم بل أن يقرأ آية كما أنزلها الله.

والعجيب في هذا المسكين أنه يزعم بأنه رسول من الله..

مداخلة: ... متبعه أخوه.

الشيخ: كيف؟

مداخلة: المتبع له أخوه.

الشيخ: تمام متبعه أخوه، فقال: هو رسول من الله لكن ليس نبي، انظر الضلال؟ مخطط خطة من أجل أن يموه على الناس، تعرفوا أنتم الأحاديث الصريحة أنه: «لا نبي بعدي»، لكن هو بجهله الظاهر أنه متصور أنه لا يوجد حديث: «لا رسول بعدي» ولذلك هو يدعي الرسالة ولا يدعي النبوة، فأنا قلت له:

أنت تقول أنك رسول، ويقول: أن الله أوحى إليه القرآن من جديد، مع ذلك لا يحسن قراءة القرآن يكسر يعني ويلحن؛ المنصوب يرفعه المرفوع ينصبه وهكذا..

مداخلة: حافظ القرآن؟

الشيخ: لا ... لكن بعض الآيات، في المصحف أتى بالمصحف، قرأ والمصحف مشكَّل مع ذلك أخطأ في الآية، قلت له: كيف أنت نزل عليك الوحي وهذا القرآن لو نحن نخطئ في قراءته ليس هناك غرابة لأننا ما نَزَلَ علينا قرآن من جديد، كيف أنت تخطئ في هذا؟... سألته بعض الأسئلة أستكشف عن جهله وعن ضلاله؛ قلت له: أنت ماذا تعتقد الرسل معصومين أو لا؟ قال: معصومين بشيء وغير معصومين بشيء، قلنا له: فَصِّل، قال: معصومين في التبليغ،وغير معصومين فيما سوى ذلك، قلت له: عندك شيء آخر تضيفه؟ قال: لا، قلت: يعني: يجوز عليهم السرقة.. ويجوز عليهم الزنا وإلى آخره، فطبعاً شبهة قوية ما التزمها لكن كعادته فَرَّ عنها، سألته: الرسول معصوم إذاً في التبليغ قال: نعم، قلت له: طيب! لكن أنت من قبل ساعة تبين أنك لست معصوماً؛ لأن القرآن نزل عليك من جديد ما قرأته كما أنزل عليك من جديد، فهذا دليل أنك لست معصوم بالتالي أنت لست رسول كما تقول، وهكذا استمر النقاش بيني وبينه، أخيراً قلت له: أهناك فرق بين الرسول وبين النبي؟ أريد أرى ما هو الفرق حتى هو احتكر الرسالة له دون ماذا؟ النبوة، قال: يوجد فرق لكن هذا الفرق لا يعرفه أحد إلا الله، قلت له: طيب! أنت رسول لست نبيًّا؟ قال: نعم، قلت له: هذا دليل أنك تعرف أن الرسول غير النبي فكيف يلتقي مع قولك: لا يعرف الفرق إلا الله عز وجل.

الخلاصة: الجماعة الحاضرون اكتشفوا ضلاله وجهله بالشريعة، وسبحان الله! أخوه.. أنا وعظت الاثنين في الأخير قلت لأخيه: اتقي الله في نفسك هذا

أخوك أقل ما يقال فيه أنه شبه له، وأنه صاحب خيالات وأوهام إلى آخره فأنت لا تراه كيف يُسْأَل أسئلة لا يستطيع أن يجيب عنها، وتحديتهم قلت لهم: أنتم ماذا تعرفون من الشرع، هل تعرفون الصلاة كما كان الرسول يصلي أنا أتحداكم الآن قم صلِّ، قال: هو لا يريد أن يصلي.

أثناء المناقشة بيني وبين هذا ما اسمه خليل؟

مداخلة: هو خليل ... خليل اسم أخوه محمد.

الشيخ: بالعكس.. عندما كنت أتناقش أنا مع المهدي المزعوم يتدخل أخوه، طيب يا أخي! هذا ما هو أسلوب البحث، أنا أتكلم مع أخيك: لماذا تتدخل، فإذا كان يسمح لك أخوك أنك تتكلم ما في عندي مانع لكن أنا شخص واحد إما أتكلم معه أو معك، لأنني [كان]كرسي هنا وكرسي هنا وهنا بجانبي أخوه، فمرة أتكلم معه ومرة أتكلم معك.. مع من سأتكلم؟ قام من أجل أن يبرر له خطأه ماذا قال: أنا آذن له أن يتكلم، قلنا له: إذاً! نتركك الآن ونتكلم مع أخيك، عندما قلنا له: قم صلِّ، ما رضي أن يصلي من؟! خليل:المهدي، قلنا له: طيب! أنت أخوه قم تفضل صلِّ نرى، قال: لا، حتى يأذن لي، طيب! هو أذن لك.. تلك الساعة ألم يقل أنه أذن لك أن تتكلم وتعمل أي شيء؟!

الخلاصة: الجهل أعمى قلوبهم، ... تعرف المهدي الذي اسمه غلام أحمد القادياني، كان رجل عالم ودجال بالعلم تماماً، لكن هؤلاء مساكين جهال لا يعرفون شيئاً من الشريعة ولا يعرفون قراءة قرآن.. لا يعرفون اللغة.. لا يعرفون أي شيء.

"الهدى والنور" (٢٨ / ٢٢: ٤٢: ٠٠).

[١٦٢٤] باب ميرزا غلام أحمد
أحد الكذابين الذين يكونون بين يدي الساعة

عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول النبي ﷺ يقول: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم» . رواه مسلم

[قال الإمام:]

ومنهم المدعو ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي، الذي ادعى النبوة منذ أكثر من نصف قرن، وتبعه بعض من لا خلاق له هنا في دمشق وفي غيرها.

" تحقيق مشكاة المصابيح"(٣/ ١٤٩٨).

جماع أبواب ذكر يأجوج ومأجوج

[١٦٢٥] باب عقيدة خروج يأجوج ومأجوج والرد على شبهة حول وجود سدهم

[قال الإمام]:

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾(الأنبياء: ٩٦ – ٩٧) لا شك أن الإيمان بأقوام يعرفون بيأجوج ومأجوج من العقائد الإسلامية الصحيحة لوجود أصلها في القرآن ووجود فصلها وتفصيلها في السنة، والسد الذي جاء ذكره قبل هذه الآية في القرآن الكريم هو الذي تحدث عنه نبينا صلوات الله وسلامه عليه في الحديث الصحيح: أن وراء هذا السد هم قوم يأجوج ومأجوج، وأنهم في كل يوم يتوجهون إلى هذا السد لينفذوا منه إلى العالم فيأخذون لحسًا بألسنتهم إياه، حتى إذا بدا لهم بصيص نور يقولون غدًا نكمل عليه ونخرج منه، فإذا عادوا وجدوه قد عاد سيرته الأولى حتى إذا شاء الله تبارك وتعالى أن يأذن لهم بالخروج ألهم بعضهم أن يقول: غدًا إن شاء الله، فيعودون إلى السد فيجدونه كما تركوه فيتمون عليه ثم هم يخرجون ومن كل حدب ينسلون كما قال رب العالمين[١].

فالآن الشبهة التي تطرح في هذا الزمان بدءاً من الكفار وانتهاءً إلى بعض ضعفاء العلم إن لم نقل: ضعفاء الإيمان: إن هؤلاء يدعون أكثر مما يدعيه الكفار، هؤلاء الضعفاء علمًا وربما إيمانًا يدعون ما لا يدعي الكفار أنفسهم فيقولون: إن الكفار مسحوا الكرة الأرضية وعرفوا كل أراضيها ما بين جبال وهضاب وسهول

---

(١) يأتي نص هذا الحديث بعد قليل.

وأنهار وبحار وغابات ونحو ذلك، فلم يبق هناك مكان –زعموا– لم تطأه أقدامهم، بينما هذه الدعوى لم يدعيها نفس الكفار! وذلك لأننا مع الأسف الشديد نعترف بأن هؤلاء الكفار لا يؤمنون إلا بالبحث العلمي، والبحث العلمي جعلهم يتورعون عن ادعاء ما لا علم لهم به، ويقولون: نحن وصلنا إلى هنا ولا ندري ما وراء ذلك.

أما ضعفاء العلم والإيمان من أمتنا فيأتونهم من العلم ما لا يعترفون هم به، فقد مسحوا الأرض زعموا! فنقول: هذه دعوى مجردة عن الدليل، والمؤمن يجب أن يؤمن بالقرآن وبحديث الرسول عليه السلام أقل ما يقال: أكثر من إيمانهم بأقوال الكفار وبحوثهم وتجاربهم، وإذا كان قد صرح القرآن بوجود سد هناك، ووجود قوم خلف هذا السد، وأنه سيأتي يوم ينفذون منه، فهذا يعني أن الكفار بعد كما قال الله عز وجل كمبدأ عام مخاطبًا لجميع الأنام: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(الإسراء:٨٥) فمن هذا العلم الذي لم يحيطوا به إلى الآن أنهم لم يعثروا بعد على سد ذي القرنين، ولا على القوم الذي هم خلفه، أين هو؟ هو بلا شك في هذه الأرض ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢١٦) ولذلك فلا يشكلن على أحد أن هؤلاء الكفار مسحوا الأرض، لا هذه دعوى كاذبة.

ثم إن هؤلاء الكفار لو وجدوا شيئًا من ذلك لبادروا إلى الإنكار؛ لأن في ذلك تأييدًا لدين الإسلام وهم كافرون به، وحينئذٍ يصدق فيهم كما قال رب العالمين في المشركين الأولين: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾(النمل:١٤).

هذا جوابي عن هذه المشكلة، وخلاصتها: نؤمن بما جاء في الكتاب والسنة ونكفر بما يقال: إن هذا لا وجود له.

مداخلة: شيخ! ... قول الرسول عليه السلام: «ويل للعرب من شر قد اقترب،

فتح اليوم من ردم يأجوج مثل هذه، فحلق..»[1] إلى آخر الحديث، قول الرسول عليه السلام مع ما ذكرت من قوله عليه الصلاة والسلام: أنهم يلحسون بألسنتهم هذا السد، هذا يعني أنه من ذلك العهد فتح هذا الردم؟ يعني: نفس القصد..

الشيخ: في كل يوم هذا!

مداخلة: في كل يوم.

الشيخ: نعم، ثم يعود كما كان.

مداخلة: يعني: قول الرسول فتح اليوم، يعني: كل يوم.

الشيخ: في كل يوم.

"فتاوى جدة" (٦ / ٢٨:٢٤:٠٠)

[١٦٢٦] باب قصة يأجوج ومأجوج ونقبهم السد آخر الزمان

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غدا، فيعيده الله أشد ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعو فسنحفره غدا إن شاء الله تعالى، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشفون الماء ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع عليها

(١) "صحيح البخاري" (رقم٣١٦٨)، و"صحيح مسلم" (رقم٧٤١٦).

الدم الذي اجفظ، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله نغفا في أقفائهم فيقتلون بها . قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم».

[قال الإمام]:

غريب الحديث: (اجفظ): أي ملأها، يعني ترجع السهام عليهم حال كون الدم ممتلئا عليها . في " القاموس ": الجفيظ: المقتول المنتفخ . و(الجفظ): الملء واجفاظت كاحمار واطمأن: انتفخت .

(نغفا): دود تكون في أنوف الإبل والغنم، واحدتها: نغفة .

(وتشكر): أي تمتلئ شحما، يقال: شكرت الناقة تشكر شكرا إذا سمنت وامتلأت ضرعها لبنا .

(تنبيه): أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث من رواية الإمام أحمد رحمه الله تحت تفسير آيات قصة ذي القرنين وبنائه السد وقوله تعالى في يأجوج ومأجوج فيه: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾(الكهف:٩٧) ثم قال عقبه: "وإسناده جيد قوي ولكن متنه في رفعه نكارة لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه، لإحكام بنائه وصلابته وشدته " .

قلت: نعم، ولكن الآية لا تدل من قريب ولا من بعيد أنهم لن يستطيعوا ذلك أبداً، فالآية تتحدث عن الماضي، والحديث عن المستقبل الآتي، فلا تنافي ولا نكارة بل الحديث يتمشى تماماً مع القرآن في قوله " ﴿حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾(الأنبياء:٩٦). وبعد كتابة هذا رجعت إلى القصة في كتابه " البداية والنهاية "، فإذا به أجاب بنحو هذا الذي ذكرته، مع بعض

ملاحظات أخرى لنا عليه يطول بنا الكلام لو أننا توجهنا لبيانها، فليرجع إليه من شاء الوقوف عليه (٢/ ١١٢).

"الصحيحة"(٤/ ٣١٣-٣١٤).

[١٦٢٧] باب يأجوج ومأجوج وفتحهم السد

[قال رسول الله ﷺ]:

«فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدمِ يأجوجَ ومأجوجَ مِثْلُ هذه. وعَقَدَ وُهَيْبٌ تِسْعِينَ [وَضَمَّها]».

[قال الإمام]:

وفي الحديث إشارة قوية إلى أن السد سيفتح من يأجوج ومأجوج يوم يأذن الله لهم بذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾(الكهف:٩٨)، وقد جاء التصريح بالفتح المذكور في حديث صحيح مضى تخريجه برقم (١٧٣٥)، وفيه تفصيل الفتح المشار إليه، وأنهم يحفرونه ويخرجون على الناس.

"الصحيحة"(٧/ ١/ ٣٧)

[١٦٢٨] باب منه

عن أم حبيبة قالت: استيقظ النبي ﷺ وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج» وحلق بيده عشرة قالت: قلت: يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

[قال الإمام]: صحيح.

[ثم علق قائلا]:

وهـذا الحـديث...صريـح في أنـه سـيأتي يـوم عـلى الـسد يحفـره يـأجوج ومأجوج، وينطلقون منه، فلا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾؛ لأن المنفي فيه غير المثبت في الأحاديث كما هو ظاهر، وخفي ذلك على الحافظ ابن كثير؛ فإنه مع تقويته لحديث أبي هريرة الآتي؛ زعم أنه منكر لمخالفته للآية، وقد كنت رددت عليه في "الصحيحة" بما لا يمكن لمنصف ردّه.

"صحيح موارد الظمآن"(٢/ ٢٣٨).

[١٦٢٩] باب الجمع بين قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت» وقوله: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»

[قال الإمام]:

يمكن الجمع بين الحديثين، فإنه لا يلزم من حج الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج أن يمتنع الحج في وقت ما عند قرب ظهور الساعة.

"الصحيحة"(٥/ ٥٥٧).

جماع أبواب الكلام على يوم القيامة

[١٦٣٠] باب هل وقت قيام القيامة معلوم

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«الدنيا كلها سبعة أيام من أيام الآخرة، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾».

(موضوع)

[ثم ذكر الإمام أحاديث تدور حول هذا المعنى ثم قال]:

إن الواقع يشهد ببطلان هذه الأحاديث؛ فإن السيوطي قرر في الرسالة المذكورة [أري رسالة "الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف"] بناء عليها وعلى غيرها من الأحاديث والآثار - وجلها واهية - أن مدة هذه الأمة تزيد على ألف سنة، ولا تبلغ الزيادة عليها خمس مئة سنة، وأن الناس يمكثون بعد طلوع الشمس من مغربها مئة وعشرين سنة !.

أقول: ونحن الآن في سنة (١٣٩١)، فالباقي لتمام الخمس مائة إنما هو مئة سنة وتسع سنوات، وعليه تكون الشمس قد طلعت من مغربها من قبل سنتنا هذه بإحدى عشرة سنة على تقرير السيوطي، وهي لما تطلع بعد ! والله تعالى وحده هو الذي يعلم وقت طلوعها، **وكيف يمكن لإنسان أن يحدد مثل هذا الوقت المستلزم لتحديد وقت قيام الساعة، وهو ينافي ما أخبر الله تعالى من أنها لا تأتي إلا بغتة**؛ كما في قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف: ١٨٧).

ومع مخالفة هذه الأحاديث لهذه الآية وما في معناها، فهي مخالفة أيضاً لما ثبت بالبحث العلمي في طبقات الأرض وآثار الإنسان فيها أن عمر الدنيا مقدر بالملايين من السنين، وليس بالألوف!

"الضعيفة"(٨/ ١٠١، ١٠٧).

[١٦٣١] باب هل يقوم الناس يوم القيامة مقدار ثلاث مئة سنة من أيام الدنيا

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«كيف أنت صانع في ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ **مقدار ثلاث مئة سنة من أيام الدنيا**، لا يأتيهم خبر من السماء، ولا يؤمر فيهم بأمر؟ قال بشير الغفاري: المستعان الله . قال: إذا أنت أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب».

(ضعيف).

[قال الإمام]:

ثم إن قوله: "مقدار ثلاث مئة سنة" منكر؛ مخالف لبعض الأحاديث الصحيحة .

"الضعيفة"(٩/ ١٧٣-١٧٤).

[١٦٣٢] باب هل يدعى الناس يوم القيامة بأسماء أمهاتهم؟

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«يدعى الناس يوم القيامة بأمهاتهم سترا من الله عز وجل عليهم» .

(موضوع).

[قال الإمام]:

وقد ثبت ما يخالفه، ففي " سنن أبي داود " بإسناد جيد كما قاله النووي في " الأذكار " من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم **وأسماء آبائكم**» وفي الصحيح من حديث عمر مرفوعا: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فيقال: هذه غدرة **فلان بن فلان**»، والله أعلم.

"الضعيفة"(١/ ٦٢١-٦٢٢).

[١٦٣٣] باب قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ هل هذا في الدنيا أم يوم القيامة؟

سؤال: شيخنا الفاضل حفظك الله في تفسير الآية: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾(النمل:٨٨) في الآية تفسير للشيخ الشعرواي بأن هذا إثبات لحركة دوران الأرض حيث يقول: أن تشبيه حركة السحاب المحمولة بالرياح مثل حركة الجبال المحمولة بالأرض المتحركة، واستدل الشيخ الشعرواي بأن يوم القيامة لا يكون فيه حسباناً إنما حقيقة، وأن الأرض والسماوات تبدل تماماً فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتًا في الأرض، فهل من كلمة في هذا الموضوع وجزاك الله خيراً.

الشيخ: أنا بطبيعة الحال ما أستحضر الآيات التي جاءت قبل هذه الآية ولكن الذي أعلمه فيها من علماء التفسير الماضيين أن قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾(النمل:٨٨) إنما هذا: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ

الأَرْضِ﴾(إبراهيم:٤٨) ففي هذا التبديل في الآية الأخرى: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾(النبأ:٢٠) فهذا التبديل لا يكون في هذا العهد الذي يعيشه الناس بطمأنينة على هذه الأرض وإنما يوم ذلك ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾(إبراهيم:٤٨).

وأنا أقول بهذه المناسبة: إن كثيراً من الكتاب أو الوعاظ المعاصرين اليوم يحاولون أن يتكلفوا تطبيق بعض الآيات القرآنية على المخترعات أو الأفكار الفلكية التي اكتشفت في العصر الحاضر ظناً منهم أن في ذلك نصراً للإسلام، ونحن نقول: أن الإسلام ليس بحاجة إلى تكلف تأويل الآيات على خلاف ما كان عليه علماء التفسير سلفاً وخلفاً ولشيء من التكلف الذي لا يحتمله سياق الآيات وسباقها، فلا أجد هذا الذي نقل عن الشيخ الشعرواي صواباً بل هو مخالف لما هو عليه علماء التفسير، نعم.

"رحلة النور"(٨أ/ ٠٠:٠٥:٣٥).

[١٦٣٤] باب من هم أولوا الأرحام الذين يطالبوننا بحقوقهم يوم القيامة؟

مداخلة: يسأل السائل فيقول: من هم أولوا الأرحام الذين يطالبوننا بحقوقهم يوم القيامة، وهل إكرام أبناء الأعمام والأخوال ذكورًا وإناثًا من حقوق الوالدين على أبنائهما؟

الشيخ: الذي ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه: "فتح الباري شرح صحيح البخاري"، أن أولي الأرحام هم القرابة من جهة الوالد، ولكن هذا لا يعني أن القرابة الأخرى ليس لها حق المواصلة؛ لأنه قد ثبت في صحيح مسلم وربما في صحيح البخاري أيضًا أن من أبر البر أن يصل الرجل أهل

ود أبيه، فمن باب أولى أن يصل القرابة ولو كانت من غير طريق الوالد التي هي صلة الرحم التي جاء الحض عليها في أحاديث كثيرة، وهذا يشمل ما على وما سفل، نعم.

مداخلة: من هم يعني تحديدًا؟

الشيخ: هم قرابة الوالد سواء علا أو سفل.

مداخلة: يعني الأصول والفروع.

الشيخ: هذا هو ما علا وسفل، يعني: الأصول والفروع، سواء كان من تحت أو من فوق.

"فتاوى الإمارات" (٤ / ٤٥:١٣:٠٠)

[١٦٣٥] باب تبديل السيئات حسنات يوم القيامة

[قال رسول الله ﷺ]:

«لَيَتَمَنَّيَنَّ أقوامٌ لو أَكثَرُوا مِنَ السَّيِّئاتِ. قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: الذِينَ بَدَّلَ اللهُ سَيِّئاتِهِم حَسَناتٍ».

[قال الإمام]:

وفيه إشارة إلى فضل الله عز وجل ورحمته بمن يشاء من عباده الذين يبدل يوم القيامة سيئاتهم حسنات؛ كما في الحديث الذي قبله. والله أعلم.

"الصحيحة"(٧/ ١/ ١٢٧).

جماع أبواب البعث والصعق والحشر

[١٦٣٦] باب بطلان قول من نفى البعث الجسماني

[قال الإمام]:

و لهم [أي للقاديانية] عقائد ...كثيرة باطلة، خالفوا فيها إجماع الأمة يقيناً، منها: نفيهم البعث الجسماني.

"الصحيحة"(٤/ ٢٥٢).

[١٦٣٧] باب البلاء عام والبعث على النيات

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن الله إذا أنزل سطوته بأهل نقمته وفيهم الصالحون، فيصابون معهم، ثم يبعثون على نياتهم» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٤/ ١٥٧).

[١٦٣٨] باب معاني "الصعق" في القرآن

[قال ابن أبي عاصم في "السنة"]:

حدثنا أزهر بن مروان صاحب النَّوَى ثنا عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة عن أنس في قوله:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾قال: أشار إليه بيده أو قال: بأصبعه، فتعفر الجبل بعضه على بعض ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ أي: ميتاً.

[قال الإمام]:

(إسناده صحيح).

[وعلق على قول قتادة:أي:ميتًا بقوله]:

كذا قال قتادة رحمه الله تعالى، ولعله يعني: كالميت، وإلا فظاهره مخالف للقرآن وتفسير ابن عباس الآتي بعد حديث، ولذلك قال الحافظ ابن كثير: والمعروف أن الصعق هو الغشي هنا كما فسره ابن عباس وغيره لا كما فسره قتادة بالموت، وإن كان ذلك صحيحاً في اللغة كقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾(الزمر:٦٨) فإن هناك قرينة تدل على الموت كما أن هناك قرينة تدل على الغشي، وهي قوله: ﴿فلما أفاق﴾ والإفاقة لا تكون إلا عن غشي.

"ظلال الجنة في تخريج السنة"(ص ١٩٦).

[١٦٣٩] باب هل الصعقة في قوله ﷺ: «إن الناس يصعقون يوم القيامة...»صعقة البعث أم صعقة لفصل القضاء يوم القيامة؟

[قال ابن أبي العز في "شرح الطحاوية"]:

وفي الصَّحِيحِ عَنِ النبي ﷺ، أنه قَالَ: «إِنَّ النَّاسَ يُصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَة، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا موسى آخِذٌ بِقَائِمَة الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَفَاقَ قَبْلِي، أَمْ جُوزِيَ بِصَعْقَة يَوْمِ الطُّورِ»؟ "(متفق عليه) . وَهَذَا صَعْقٌ في مَوْقِفِ الْقِيَامَة، إِذَا جَاءَ الله لِفَصْلِ الْقَضَاءِ، وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِه، فَحِينَئِذٍ يَصْعَقُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ .

فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ تَصْنَعُونَ بقوله في الحْدِيثِ: «إِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَة، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عنه الْأَرْضُ، فَأَجِدُ موسى بَاطِشًا بِقَائِمَة الْعَرْشِ» (صحيح)؟ ...إلى آخر كلامه

[فعلق الإمام قائلاً]:

ومن هذين الحديثين يتبين أن هذه الصعقة الثانية إنما هي صعقة البعث، المذكورة في الآية، وليست صعقة تقع لفصل القضاء كما ذكر الشارح تبعاً للإمام ابن القيم. وعلى ذلك فلا إشكال في الحديث والله أعلم.

"تحقيق شرح العقيدة الطحاوية"(ص ٤١٣).

[١٦٤٠] باب النار التي تخرج من اليمن

[قال رسول الله ﷺ]:

«ليتَ شِعْري! متى تَخْرُجُ نارٌ من اليمن من جبل الوِرَاقِ؛ تضيء منها أعناقُ الإبل بُروكاً بِبُصرى كضَوْءِ النهارِ».

[قال الإمام]:

واعلم أن هذه النار التي تخرج من اليمن قبل قيام الساعة، هي غير النار التي خرجت في المدينة سنة (٦٥٤ هـ) وفق قوله ﷺ:

«لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى».

"الصحيحة"(٧/ ١/ ٢١٨،٢٢٠).

[١٦٤١] باب كيف يحشر الناس؟

[قال رسول الله ﷺ]:

«يحُشر النّاسُ على ثلاثٍ طرائقَ: راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثةٌ على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعشرةٌ على بعير، ويَحشرُ بقيتَهم النّارُ، تقيلُ معهم حيثُ قالُوا، وتبيتُ معهم حيثُ باتُوا، وتصبحُ معهم حيث أصبحُوا، وتمُسي معهم حيثُ أمسُوا».

[قال الإمام]:

(تنبيه هام): هكذا ثبت الحديث في المصادر المذكورة؛ إلا "سنن النسائي "؛ فإنه ساقه بزيادة: "يحشر الناس يوم القيامة "، فهي زيادة شاذة بلا شك، ومفسدة للمعنى أيضاً؛ فإن الركوب الوارد فيه ليس من أهوال يوم القيامة.

"الصحيحة"(٧/ ٢/ ١١٧١-١١٧٢).

[١٦٤٢] باب الشام أرض المحشر

[قال رسول الله ﷺ]:

«ستخرج نار قبل يوم القيامة من بحر حضرموت تحشر الناس، قالوا: يا رسول الله! فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٦/ ١/ ٦٣٦)

[١٦٤٣] باب هل يحشر الناس على الصراط أم على أرض بيضاء؟

سؤال: عن سهل بن سعد في الصحيحين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي»[(١)] وهناك حديث عائشة في مسلم عندما سألته عن مكان الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض، فقال: على الصراط[(٢)]، ولكننا نعلم أن الناس يساقون على أرض المحشر أولاً وقبل أن يصلوا إلى الصراط فهل يكون هناك تبديل قبل الوصول إلى الصراط؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً؟

الشيخ: لا جواب عندي في مثل هذه الأمور الغيبية، ولا يجوز الخوض فيها بالرأي وإنما كما قال: ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(النساء:٦٥)، نعم.

"رحلة النور"(٨أ/ ١١:٠٨:٠٠)

[١٦٤٤] باب حشر البهائم والوحوش يوم القيامة

[قال رسول الله ﷺ]:

«يقتص الخلق بعضهم من بعض، حتى الجماء من القرناء، وحتى الذرة من الذرة».

[قال الإمام]:

(فائدة) قال النووي في " شرح مسلم " تحت حديث الترجمة: " هذا تصريح

---

(١) "صحيح البخاري" (رقم٦١٥٦) و"صحيح مسلم" (رقم٧٢٣٣).

(٢) "صحيح مسلم" (رقم٧٢٣٤).

بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين وكما يعاد الأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة . وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت﴾ وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع، وجب حمله على ظاهره . قال العلماء: وليس من شرط الحشر والإعادة في القيامة المجازاة والعقاب والثواب . وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف، إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة، و(الجلحاء) بالمد هي الجماء التي لا قرن لها .و الله أعلم " .

وذكر نحوه ابن الملك في " مبارق الأزهار " (٢/ ٢٩٣) مختصراً . ونقل عنه العلامة الشيخ علي القاريء في " المرقاة " (٤/ ٧٦١) أنه قال: " فإن قيل: الشاة غير مكلفة، فكيف يقتص منها؟ قلنا: إن الله تعالى فعال لما يريد ولا يسأل عما يفعل والغرض منه إعلام العباد أن الحقوق لا تضيع بل يقتص حق المظلوم من الظالم" . قال القاريء: " وهو وجه حسن، وتوجيه مستحسن، إلا أن التعبير عن الحكمة بـ (الغرض) وقع في غير موضعه . وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذوي العقول من الوضيع والشريف، والقوي والضعيف؟".

قلت: ومن المؤسف أن ترد كل هذه الأحاديث من بعض علماء الكلام بمجرد الرأي، وأعجب منه أن يجنح إليه العلامة الألوسي ! فقال بعد أن ساق الحديث عن أبي هريرة من رواية مسلم ومن رواية أحمد بلفظ الترجمة عند تفسيره آية ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَت﴾ في تفسيره " روح المعاني " (٩/ ٣٠٦): " ومال حجة الإسلام الغزالي وجماعة إلى أنه لا يحشر غير الثقلين لعدم كونه مكلفاً ولا أهلاً لكرامة بوجه، وليس في هذا الباب نص من كتاب أو سنة معول عليها يدل على حشر غيرهما من الوحوش، وخبر مسلم والترمذي وإن كان صحيحا لكنه لم

يخرج مخرج التفسير للآية ويجوز أن يكون كناية عن العدل التام . وإلى هذا القول أميل ولا أجزم بخطأ القائلين بالأول لأن لهم ما يصلح مستندا في الجملة . والله تعالى أعلم " .

قلت: كذا قال - عفا الله عنا وعنه - وهو منه غريب جدًّا؛ لأنه على خلاف ما نعرفه عنه في كتابه المذكور، من سلوك الجادة في تفسير آيات الكتاب على نهج السلف، دون تأويل أو تعطيل، فما الذي حمله هنا على أن يفسر الحديث على خلاف ما يدل عليه ظاهره، وأن يحمله على كناية عن العدل التام، أليس هذا تكذيباً للحديث المصرح بأنه يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء، فيقول هو تبعا لعلماء الكلام: إنه كناية ! ... أي لا يقاد للشاة الجماء . وهذا كله يقال لو وقفنا بالنظر عند رواية مسلم المذكورة، أما إذا انتقلنا به إلى الروايات الأخرى كحديث الترجمة وحديث أبي ذر وغيره، فإنها قاطعة في أن القصاص المذكور هو حقيقة وليس كناية، ورحم الله الإمام النووي، فقد أشار بقوله السابق: " وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره عقل ولا شرع وجب حمله على ظاهره".

قلت: أشار بهذا إلى رد التأويل المذكور وبمثل هذا التأويل أنكر الفلاسفة وكثير من علماء الكلام كالمعتزلة وغيرهم رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وعلوه على عرشه ونزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة ومجيئه تعالى يوم القيامة، وغير ذلك من آيات الصفات وأحاديثها . **وبالجملة، فالقول بحشر البهائم والاقتصاص لبعضها من بعض هو الصواب الذي لا يجوز غيره**، فلا جرم أن ذهب إليه الجمهور كما ذكر الألوسي نفسه في مكان آخر من " تفسيره " (٩/ ٢٨١)، وبه جزم الشوكاني في تفسير آية " التكوير " من تفسيره " فتح القدير "، فقال (٥/ ٣٧٧): " الوحوش ما توحش من دواب البر، ومعنى (حشرت) بعثت، حتى يقتص بعضها من بعض، فيقتص للجماء من القرناء " . وقد اغتر بكلمة الألوسي

المتقدمة النافية لحشر الوحوش محرر " باب الفتاوي " في مجلة الوعي الإسلامي السنة الثانية، العدد ٨٩ ص ١٠٧، فنقلها عنه، مرتضيا لها معتمدا عليها، وذلك من شؤم التقليد وقلة التحقيق . والله المستعان وهو ولي التوفيق .

"الصحيحة"(٤/ ٦٠٨، ٦١٢-٦١٤).

[١٦٤٥] باب منه

[قال الإمام]:

إن مما يدل على غربة السنة في هذا الزمان وجهل أهل العلم والفتوى بها، جواب إحدى المجلات الإسلامية السيارة عن سؤال: "هل تبعث الحيوانات..." ونصه:

" قال الإمام الآلوسي في تفسيره: " ليس في هذا الباب – يعني بعض الحيوانات – نص من كتاب أو سنة يعول عليه يدل على حشر غير الثقلين من الوحوش والطيور " .

هذا كل ما أعتمده المجيب، وهو شيء عجيب يدلكم على مبلغ إهمال أهل العلم – فضلاً عن غيرهم– لعلم السنة، **فقد ثبت فيها أكثر من حديث واحد يصرح بأن الحيوانات تحشر**، ويقتص لبعضها من بعض، من ذلك حديث مسلم في "صحيحه": "لتؤدون الحقوق إلى أهلها حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء". وثبت عن ابن عمرو وغيره أن الكافر حين يرى هذا القصاص يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾.

"الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام"(ص٣٧).

جماع أبواب ذكر الحوض والصراط

[١٦٤٦] باب أحاديث الحوض متواترة

[ذكر العز ابن عبد السلام في "بداية السول" من خصائص النبي ﷺ: «الكوثر الذي أعطيه في الجنة، والحوض الذي أعطيه في الموقف».

فقال الإمام معلقًا]:

وأما الحوض فأحاديثه كثيرة جداً، قد بلغت مبلغ التواتر التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، قال الحافظ:

«إذ قد روى ذلك عن ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين، وفي غيرهما بقية ذلك مما صح نقله، واشتهر رواته».

قلت: وقد استقصى طرقه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٢١ – ٢٦٠) (رقم ٦٩٧ – ٧٧٦) عن أكثر من خمسة وثلاثين وصحابياً، لبعضهم أكثر من طريق واحد وهذه أسماؤهم:

عمر بن الخطاب:	خولة بنت حكيم
أنس بن مالك	ثوبان
زيد بن أرقم	عتيبة بن عبد السلمي
أبو برزة الأسلمي	أبي بن كعب
البراء بن عزب	عبدالله بن عمرو
عائذ بن عمرو	أبو ذر

أبو سعيد الخدري

حذيفة بن اليمان

عبدالله بن عمر

أبو أمامة

رجل من خزاعة

أبو هريرة

سمرة بن جندب

عقبة بن عامر

عبدالله بن مسعود

أبو الدرداء

جابر بن سمرة

الصناحجي

جبير بن مطعم

سهل بن سعد

عبدالله بن عباس

أبو بكر الصديق

أُسَيْد بن حضير

عبدالله بن زيد

زيد بن ثابت

كعب بن عجرة

خباب بن الأرتّ

حذيفة بن أسيد

أبو بكر.

عائشة.

جابر بن عبد الله .

وقال ابن أبي عاصم رحمه الله ما مختصره:

«والأخبار التي ذكرنا في حوض النبي ﷺ توجب العلم، فنحن به مصدقون، ونرغب إلى الذي وفقنا للتصديق به أن يوردنا فيسقينا منه شربة نعدم بها ظمأ الأمد بطوله، ونسأله ذلك بفضله».

"تحقيق بداية السول"(ص ٥٥-٥٦).

[١٦٤٧] باب منه

[قال الإمام]:

والأحاديث التي جاء ذكر الحوض فيها كثيرة جداً بلغت مبلغ التواتر كما صرح بذلك جمع من الأئمة، ورواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً وقد استقصى طرقها الحافظ ابن كثير في " النهاية " في آخر تاريخه، وعقد لها الحافظ ابن أبي عاصم في " كتاب السنة " سبعة أبواب (رقم ١٥٥ - ١٦١) ورقم الأحاديث (٧٣٤ - ٧٧٦ - بتحقيقي) أشار في آخرها إلى تواترها بقوله: " والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم . . . "

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٣٧).

[١٦٤٨] باب منه

[قال الإمام]:

حديث الحوض متواتر.

"الضعيفة"(١٤/ ١/ ٤٤٠).

[١٦٤٩] باب منه

[قال الإمام]:

«أحاديث الحوض كثيرة جداً، وهي قد جاوزت الثلاثين حديثاً أو قريباً من ذلك عند البخاري وغيره ممن استوعبها كالحافظ ابن أبي عاصم في الجزء الثاني من "كتاب السنة"، والبيهقي في كتاب "البعث والنشور" (٨٨-١١٠).

"الضعيفة" (١٤/ ٢/ ١٠٣٣)

[١٦٥٠] باب هل صح حديث:
«لكل نبي حوض إلا صالح فإن حوضه هو بضع ناقته»؟

سؤال: ذَكَرَ في كتاب "السنة" للبربهاري...

الشيخ: كتاب السنة لمن؟

مداخلة: البربهاري، هذا مخطوط هو الكتاب.

الشيخ: لذلك أعجم علي! ما عرفت هذا الكتاب، طيب!

مداخلة: كان يتحدث عن حوض النبي ﷺ، قال بأن لكل نبي حوض إلا صالح فإن حوضه هو ضرع ناقته[1].

الشيخ: هذا شيء غريب! نسبه بدون سند؟

مداخلة: كتابه سوف يطبع.

الشيخ: سوف يطبع؟

مداخلة: سوف يطبع نعم.

الشيخ: طيب! هذا مخطوط؟

مداخلة: حُقق الآن هذا هو الكتاب.

الشيخ: طيب! ذاكره بالسند؟

مداخلة: نقرؤه؟

---

(١) موضوع. أخرجه العقيلي في "الضعفاء" (٣/ ٦٤-٦٥) وعنه ابن الجوزي في "الموضوعات" (٣/ ٢٤٤) وقال: حديث موضوع لا أصل له.

الشيخ: البربهاري هذا ... هذا متكلم فيه من حيث الصفات حنبلي هو..

مداخلة: أبي محمد الحسن.

الشيخ: حنبلي هو.

مداخلة: في القرن الرابع هو؟

مداخلة: الرابع يمكن..

الشيخ: أنا في ذهني أن هذا متكلم فيه من حيث غلوه في الصفات، هل هو كذلك؟ البربهاري هذا.

مداخلة: عندما تحدث عنه المحقق أتى بأقوال الأئمة...وكان يعتبر هو إمام أهل السنة في عصره.

الشيخ: هو يثني عليه من حيث أنه كان يحارب المبتدعة، وكان يتمسك بالسنة وبالعقيدة السلفية صحيح، لكن في كثير من أمثال هؤلاء غلو وتطرف، مثلاًكابن بطة الحنبلي صاحب "الإبانة" فهو على هذا النمط، لكن هو يروي في إبانته نفسه ما هب ودب من أحاديث حتى ما كان منها متعلقاً بالصفات، فهذه نقطة مهمة جداً ليس كل من يكتب في الصفات يكون متحققاً فيما يذكر من الروايات.

وعلى كل حال! هذا الاستثناء المذكور في هذه الفقرة فلأول مرة سمعت به، وما أظنه يصح في أحاديث الحوض المتواترة، وفي كتاب "السنة" لابن أبي عاصم طائفة كبيرة من الأحاديث الواردة في الحوض، وليس فيها مثل هذا الاستثناء، فهو أقل ما يقال فيه: أنه غريب، وينبغي التوقف عن البت أو الجزم به حتى يأتي من طريق تقوم الحجة به.

مداخلة: طيب! ..ابن بطة كتابه "الإبانة الصغرى" هل يؤخذ عنه في الأسماء والصفات مثلا، أنت قلت "الإبانة" لكن هل هي الصغرى أم الكبرى؟

الشيخ: ما أستحضر الجواب الآن، عندنا في المكتبة الظاهرية نسخة خطية من الإبانة مشوشة الترتيب، وكانت النسخة قد أصابها الماء فمحا كثيراً من كتابتها، وكنت استفدت منها أشياء كثيرة فتجلى لي أن ابن بطة من الحنابلة الذين عندهم شيء من الغلو في إثبات الصفات، وقد يثبتون صفةً بروايات لا تصح أسانيدها، وإن صحت فلا تصح نسبتها إلى الرسول عليه السلام؛ لأنها تكون إما موقوفة وإما مقطوعة، نعم.

وعلى نحو هذا الدارمي في رده على المريسي.. فيه أيضاً مثل هذا.

والحقيقة أن هذا الموضوع هام جداً وينبغي تصفية الروايات الضعيفة وإبعادها عن العقيدة الصحيحة، وهذا ما حاولت القيام به حينما اختصرت "العلو للعلي الغفار" أو للعلي العظيم للإمام الذهبي، فمع كون الإمام الذهبي كما تعلمون إماماً في هذا الصدد ومع ذلك تساهل في ذكر بعض الروايات، ومنها مثلاً رواية مجاهد أن الله عز وجل يُقْعِدُ معه النبي ﷺ على عرشه، وهذه الرواية تلقاها كثير من العلماء ممن نثق بعقيدتهم كأنه حديث مرفوع إلى الرسول عليه السلام، مع أنه لو قال مجاهد: قال رسول الله ﷺ في حديث فقهي لكان هذا الحديث مرسلاً، ولا يثبت حكماً فقهياً، فكيف وهو أولاً لم يرفعه إلى الرسول عليه السلام؟! وثانياً: هو في العقيدة وليس في الفقه ومع ذلك تلقوه على طريقة المسلمات.

فالحقيقة ينبغي الاحتياط في مثل هذه القضايا.

"الهدى والنور"(٨٧/ ٣٦:١٤:٠٠)

[١٦٥١] باب الحوض قبل الصراط

[ذكر العز ابن عبد السلام في "بداية السول" من خصائص النبي ﷺ:

«الكوثر الذي أعطيه في الجنة، والحوض الذي أعطيه في الموقف»

فقال الإمام معلقًا]:

إن قول المصنف: «في الموقف»، فيه أنه يرى أن الحوض قبل الصراط، وهو الظاهر من بعض الأحاديث، وهو الذي رجحه الحافظ.

"بداية السول"(ص ٥٧).

[١٦٥٢] باب المرور على الصراط، ووضع الرب قدمه في جهنم، والحوض، كل ذلك حق

[قال الإمام]:

المرور على الصراط، ووضع الرب قدمه في جهنم، والحوض كل ذلك ثابت في الأحاديث الصحيحة.

"الضعيفة"(١٤/ ١/ ٢٤٩).

جماع أبواب ذكر الميزان

[١٦٥٣] باب الإيمان بالميزان من عقائد أهل السنة

[قال الإمام]:

ذلك [أي الإيمان بالميزان ووزن الأعمال] من عقائد أهل السنة.

"الصحيحة"(١/ ١/ ٢٦٣).

[١٦٥٤] باب الأحاديث الواردة في الميزان ووزن الأعمال

[قال الإمام]:

والأحاديث في ذلك [أي في وزن الأعمال] متضافرة إن لم تكن متواترة.

"الصحيحة"(١/ ١/ ٢٦٣)

[١٦٥٥] باب في صفة الميزان وأن الأعمال توزن

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاًّ، كل سجل مثل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول:لا يا رب، فيقول أفلك عذر؟فيقول:لا يا رب. فيقول:

بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم . فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فيقول:هاحضر وزنك، فيقول: ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فقال: إنك لا تظلم، قال: فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء» .

[قال الإمام]:

وفي الحديث دليل على أن ميزان الأعمال له كفتان مشاهدتان وأن الأعمال وإن كانت أعراضا فإنها توزن، والله على كل شيء قدير، وذلك من عقائد أهل السنة، والأحاديث في ذلك متضافرة إن لم تكن متواترة...

"الصحيحة"(١/ ١/ ٢٦١-٢٦٣).

[١٦٥٦] باب منه

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن نبي الله نوحاً ﷺ لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاص عليك الوصية آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين آمرك بـ (لا إله إلا الله) فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله،. وسبحان الله وبحمده فإنها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكبر، قال: قلت: أو قيل: يا رسول الله هذا الشرك قد عرفناه فما الكبر؟ - قال -: أن يكون لأحدنا نعلان حسنتان لهما شراكان حسنان؟ قال: لا . قال: هو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه؟ قال:

لا . قيل: يا رسول الله فما الكبر؟ قال: سفه الحق وغمص الناس» .

[قال الإمام]:

قلت: وفيه فوائد كثيرة،[منها]...:

أن الميزان يوم القيامة حق ثابت وله كفتان، وهو من عقائد أهل السنة خلافاً

للمعتزلة وأتباعهم في العصر الحاضر ممن لا يعتقد ما ثبت من العقائد في الأحاديث الصحيحة، بزعم أنها أخبار آحاد لا تفيد اليقين...

"الصحيحة(١/ ١/ ٢٥٩-٢٦٠).

[١٦٥٧] باب تجسيد الأعمال يوم القيامة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان».

(حسن صحيح).

[قال الإمام]:

أي: يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة، قال المناوي: " وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل".

قلت: والأول هو الصواب الذي ينبغي الجزم به هنا وفي أمثاله من الأحاديث التي فيها تجسيد الأعمال ونحوها، كمثل تجسيد الكنز شجاعاً أقرع، ونحوه كثير، وتأويل مثل هذه النصوص ليس من طريقة السلف، رضي الله عنهم، بل هو طريقة المعتزلة ومن سلك سبيلهم من الخلف، وذلك مما ينافي أول شروط الإيمان ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، فحذار أن تحذو حذوهم، فتضل وتشقى، والعياذ بالله تعالى.

"التعليق على الترغيب والترهيب" (١/ ٤١٩).

[١٦٥٨] باب هل الميزان واحد أم هي موازين؟

سؤال: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾(الأنبياء:٤٧) ذكر ابن كثير في تفسيره هذه الآية أنه يحتمل أن جمع الموازين إنما هو لتعدد الأعمال، وقولًا آخر أنه ميزان واحد، يعني: قد يكون عدة موازين وقد يكون ميزان واحد.

الشيخ: هذا على القاعدة التي نجيب عنها، هل هذا حكم شرعي يجب أن نتعرف عليه بدقة؟ الجواب: لا، الموازين جمع ميزان فما في مانع أن يكون هناك عدة موازين، بلا تشبيه بعدة موازين، والآخرة لا تقاس على أمور الدنيا، فإذا جاء خبر غيبي هكذا فلا نقول: موازين يعني: ميزان؛ لأن هذا تعطيل نص القرآن، فندعه كما هو ونؤمن به وكفى الله المؤمنين القتال.

"فتاوى جدة" (٦ / ٥٧ :٥٥ :٠٠)

[١٦٥٩] باب منه

السائل: قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾(الأنبياء:٤٧) فهل الميزان يوم القيامة واحد أم عدة موازين؟

الشيخ: لا شك أن لفظ القرآن لا يجوز تغييره وتبديله، فما دام أن الله عز وجل أطلق لفظة الموازين فهي موازين، ولا مانع أن تكون هذه الموازين كما نعلم من أمور الغيب مختلفة، وليس ينبغي أن نتصورها ميزانًا معينًا، كيف والموازين في الدنيا الآن قد تعددت وتنوعت، فمن باب أولى أن يكون يوم القيامة أن تكون هناك موازين متعددة، فما دام أن الله عز وجل جمع الموازين في مثل هذا اللفظ القرآني فاعتقد أنه من التعطيل بمكان أن يفسر الموازين: بالميزان، وهذا ليس من طريقة السلف.

"فتاوى جدة -الأثر-" (٣٦ب/ ٥٠ :١٣ :٠٠)

جماع أبواب الشفاعة

[١٦٦٠] باب أحاديث شفاعة النبي ﷺ متواترة

[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية: "والشفاعة التي ادخرها لهم، [أي: لأمته] حق كما روي في الأخبار"]:

قلت: وهي متواترة .. وقد عقد لها ابن أبي عاصم في " السنة " ستة أبواب (١٦٣ - ١٦٨) رقم الأحاديث (٧٨٤ - ٨٣٢) وساق طائفة منها الشارح رحمه الله في شرحه تضمنت أن شفاعته ﷺ ثمانية أنواع فليراجعه من شاء البحث والتحقيق فإنه هام.

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٣٧-٣٨).

[١٦٦١] باب منه

[قال الإمام]: أحاديثها [أي الشفاعة] مشهورة متواترة.

"الضعيفة"(١٢/ ٢/ ٩٣٢).

[١٦٦٢] باب ذكر بعض أهل الضلال ممن أنكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الذنوب والرد على ذلك

[قال الإمام]:

قرأت منذ بضعة أيام كتاب " الإسلام المصفى "

[ثم علق في الحاشية قائلاً]:

تأليف محمد عبد الله السمان وهو - والحق يقال كتاب قيم قد عالج فيه كثيراً من المسائل والقواعد التي تهم المسلم في العصر الحاضر، ولكنه عفا الله

عنه قد اشتط كثيراً في بعض ما تحدث عنه، ولم يكن الصواب فيه حليفه، مثل مسالة إعفاء اللحية .. ومثل إنكاره شفاعته ﷺ لأهل الذنوب، وإنكاره نزول عيسى، وخروج الدجال، والمهدي

قد أنكر كل ذلك وزعم أنها " ضلالات مصنوعة " وأن الأحاديث التي وردت فيها أحاديث آحاد لم تبلغ حد التواتر.

ونحن نقول للأستاذ كلمتين مختصرتين:

١-دعواك أن الأحاديث المشار إليها غير متواترة غير مقبولة منك، ولا ممن سبقك إليها، مثل الشيخ شلتوت وغيره؛ لأنها لم تصدر من ذوي الاختصاص في علم الحديث، ولا سيما وقد خالفت شهادة المتخصصين فيه كالحافظ ابن كثير، وابن حجر، والشوكاني، وغيرهم حيث صرحوا بأن حديث النزول متواتر، وذلك يتضمن تواتر حديث خروج الدجال من باب أولى؛ لأن طرقه أكثر؟ كما لا يخفى على المشتغلين بهذا العلم الشريف، وقد كنت جمعت في بعض المناسبات الطرق الصحيحة فقط لحديث النزول فجازوت العشرين طريقاً عن تسعة عشر صحابياًّ فهل التواتر غير هذا؟!

٢- تقسيمك أنت وغيرك - أيا كان - الأحاديث الصحيحة إلى قسمين:

قسم يجب على المسلم قبولها ويلزمه العمل بها وهى أحاديث الأحكام ونحوها.

وقسم لا يجب عليه قبولها والاعتقاد بها وهي أحاديث العقائد وما يتعلق منها بالأمور الغيبية.

أقول: إن هذا تقسيم مبتدع لا أصل في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ،

ولا يعرفه السلف الصالح، بل عموم الأدلة الموجبة للعمل بالحديث تقتضي وجوب العمل بالقسمين كليهما ولا فرق، فمن ادعى التخصيص فليتفضل بالبيان مشكوراً وهيهات هيهات. ثم ألفت رسالتين هامتين جداً في بيان بطلان التقسيم المذكور الأولى: " وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة " والأخرى: " الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام " .

"تمام المنة"(ص٧٨-٧٩).

[١٦٦٣] باب شفاعته ﷺ الخاصة به هي المقام المحمود

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن، فبيناهم كذلك استغاثوا بآدم فيقول: لست صاحب ذلك، ثم بموسى، فيقول كذلك، ثم محمد ﷺ، فيشفع بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً، يحمده أهل الجمع كلهم».

[قال الإمام]:

و هذا حديث عزيز في المقام المحمود وأنه شفاعته ﷺ الخاصة به . وهو أصح حديث وقفت عليه فيه وهناك أحاديث أخرى.

"الصحيحة"(٥/ ٥٩٠).

[١٦٦٤] باب الشفاعة لعصاة الموحدين

[ذكر الصنعاني في "رفع الأستار" أن الشفاعة تكون لعصاة الموحدين، فعلق الإمام قائلاً]:

ويشهد لهذا نصوص كثيرة منها حديث أنس مرفوعاً: «ما زلت أشفع إلى ربي عز وجل ويشفعني وأشفع ويشفعني، حتى أقول: أي رب شفعني فيمن قال: لا إله إلا الله . فيقول: هذه ليست لك يا محمد ولا لأحد، هذه لي، وعزتي وجلالي ورحمتي لا أدع في النار أحداً يقول: لا إله إلا الله» أخرجه ابن خزيمة في " التوحيد " وابن أبي عاصم في " السنة " (٨٢٨) وهو حديث صحيح، وقد أخرجه مسلم وغيره بمعناه كما بينت هناك.

"تحقيق رفع الأستار"(ص١٣٢).

[١٦٦٥] باب شفاعة رب العالمين

[قال الإمام]:

تواتر في أحاديث الشفاعة؛ أن الله يأمر الشافعين بأن يخرجوا من النار من كان في قلبه ذرة من الإيمان.

"الصحيحة"(٧/ ١/ ١١٦).

[١٦٦٦] باب كيف الجمع بين قوله ﷺ: «أمتي أمة مرحومة» وبين الأحاديث التي فيها أنه يخرج ناس من أمته من النار بالشفاعة؟

[قال الإمام مبينًا خطأ من ضعف حديث «أمتي أمة مرحومة» بدعوى أنه مخالف لأحاديث خروج ناس من أمته ﷺ من النار بالشفاعة]:

الحقيقة أنه لا تعارض عند التأمل والابتعاد عن التظاهر بالتحقيق المزيف كما هو الواقع في هذا الحديث الصحيح، فإنه ليس المراد به كل فرد من أفراد الأمة،

وإنما من كان منهم قد صارت ذنوبه مكفرة بما أصابه من البلايا في حياته؛ كما قال البيهقي في "شعب الإيمان" (١/ ٣٤٢): "وحديث الشفاعة يكون فيمن لم تَصِر ذنوبه مكفرة في حياته".

قلت: فالحديث إذن من باب إطلاق الكل وإرادة البعض؛ أطلق "الأمة" وأراد بعضها؛ وهم الذين كفرت ذنوبهم بالبلايا ونحوها مما ذكر في الحديث، وما أكثر المكفرات في الأحاديث الصحيحة والحمد لله، وفي ذلك ألف الحافظ ابن حجر كتابه المعروف في المكفرات .

"السلسلة الصحيحة"(٢/ ٧٢٧-٧٢٨)

[١٦٦٧] باب منه

[قال الإمام]:

الحقيقة أنه لا تعارض عند التأمل ...فإنه ليس المراد به كل فرد من أفراد الأمة، وإنما من كان منهم قد صارت ذنوبه مكفرة بما أصابه من البلايا في حياته؛ كما قال البيهقي في "شعب الإيمان"(١/ ٣٤٢):

"وحديث الشفاعة يكون فيمن لم تصر ذنوبه مكفرة في حياته".

قلت: فالحديث إذن من باب إطلاق الكل وإرادة البعض؛ أطلق "الأمة" وأراد بعضها؛ وهم الذين كفرت ذنوبهم بالبلايا ونحوها مما ذكر في الحديث؛ وما أكثر المكفرات في الأحاديث الصحيحة والحمد لله، وفي ذلك ألف الحافظ ابن حجر كتابه المعروف في المكفرات.

"الصحيحة"(٢/ ٨٢٧-٨٢٨).

[١٦٦٨] باب شفاعة القرآن والصيام للعبد يوم القيامة، وتجسيد الأعمال يوم القيامة.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة؛ يقول الصيام: أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان».

(حسن صحيح).

[قال الإمام]:

أي: يشفعهما الله فيه ويدخله الجنة، قال المناوي: " وهذا القول يحتمل أنه حقيقة بأن يجسد ثوابهما ويخلق الله فيه النطق ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ويحتمل أنه على ضرب من المجاز والتمثيل".

قلت: والأول هو الصواب الذي ينبغي الجزم به هنا وفي أمثاله من الأحاديث التي فيها تجسيد الأعمال ونحوها، كمثل تجسيد الكنز شجاعاً أقرع، ونحوه كثير، وتأويل مثل هذه النصوص ليس من طريقة السلف، رضي الله عنهم، بل هو طريقة المعتزلة ومن سلك سبيلهم من الخلف، وذلك مما ينافي أول شروط الإيمان ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، فحذار أن تحذو حذوهم، فتضل وتشقى، والعياذ بالله تعالى.

"التعليق على الترغيب والترهيب" (١/ ٤١٩).

[١٦٦٩] باب ما نوع الشفاعة التي يشفعها الطفل لوالده إذا عق عنه؟

سؤال: ما نوع الشفاعة التي يشفعها الطفل لوالده إذا عق عنه؟

الشيخ: معلوم في كثير من الأحاديث؛ أن الأطفال الصغار يوم القيامة يقفون عند باب الجنة، ويبكون يطلبون آباءهم، فيرسل الله تبارك وتعالى إليهم جبريل عليه السلام ليسألهم عن سبب بكائهم - والله تبارك وتعالى أعلم بهم - فيأتيهم جبريل عليه السلام فيسألهم فيقولون: لا ندخل الجنة إلا وآباؤنا معنا، فيأتيهم الإذن من رب العالمين تبارك وتعالى أن يدخلوا هم وآباؤهم الجنة فهذا النوع من الشفاعة وهو الاستعجال بدخول الجنة هو الذي يستحقه الآباء الذين عقوا، أي ذبحوا عن أبنائهم، والله أعلم.

"الهدى والنور" (١٦/ ٤٦: ٠٧: ٠٠).

جماع أبواب ذكر الجنة ونعيمها وغير ذلك

[١٦٧٠] باب الشهادة بالجنة لمن شهد له الله ورسوله

[علق الإمام على قول صاحب الطحاوية]: "ولا ننزل أحدا منهم [أي من أهل القبلة] جنة" قائلاً:

قلت: إلا العشرة المبشرين بالجنة وعبد الله بن سلام وغيرهم؛ فإنا نشهد لهم بالجنة على شهادة الرسول ﷺ، وقد صرح المصنف رحمه الله بذلك في الفقرة (٩٥).

ومن ضلال بعض الكتاب اليوم وجهلهم غمزهم لعبد الله بن سلام بيهوديته قبل إسلامه مع شهادة النبي ﷺ له بالجنة كما في "،صحيح البخاري " وليت شعري أي فرق بين من كان يهودياً فأسلم، وبين من كان وثنياً وأسلم لولا العصبية القومية الجاهلية، بلى هناك فرق فقد جاء في " الصحيحين " قوله ﷺ: «ثلاث لهم أجرهم مرتين . . .» فذكر منهم «ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه»، فهذا له أجران دون الوثني إذا أسلم فله أجر واحد.

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٧٦).

[١٦٧١] باب عِلْمِ الله لعدد من يدخل الجنة والنار

[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية:

"وقد علم الله تعالى فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة وعدد من يدخل النار جملة واحدة، فلا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه".

يشير المؤلف رحمه الله إلى حديث عبد الله بن عمرو قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» فقلنا: لا يا رسول الله إلا

أن تخبرنا " فقال للذي في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» . ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم، وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً» فقال أصحابه: ففيم العمل إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثم قال رسول الله ﷺ بيده فنبذهما ثم قال: «فرغ ربكم من العباد ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ (الشورى: ٧)». أخرجه الترمذي وصححه هو وغيره، وهو مخرج في " الصحيحة " (٨٤٨).

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٣٩-٤٠).

[١٦٧٢] باب هل الجنة واحدة أم هي جنان؟ وذكر الفردوس وسدرة المنتهى

مداخلة: يسأل السائل فيقول: ذكر الله تعالى في القرآن الكريم عدد من الجنات مثل جنة الفردوس وجنة عدن وجنة المأوى، وهل سدرة المنتهى هو أعلى مرتبة كما في سماوات رب العالمين، وما هي الجنة التي يدعو بها المسلم؛ لأن الله يحب المسلم اللحوح في الدعاء؟

الشيخ: قد جاء الجواب عن هذا السؤال أو عن بعض ما في هذا السؤال في قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنها أعلى درجات الجنان»[1] أما عن سدرة المنتهى فالظاهر من قصة الإسراء والمعراج

(١) "صحيح البخاري" (رقم٢٦٣٧).

بالنبي ﷺ أنها هناك آخر شيء من الجنة، أقول: هذا الظاهر؛ لأنني لا أستحضر نصًا صريحًا في الموضوع، إنما بالنسبة للجنة التي يسألها فهي جنة الفردوس فإنها من صريح الحديث أعلى لجنان.

مداخلة: شيخنا والله أعلم يعني: حلى حسب فهمي لكلام الأخ أن الله سبحانه وتعالى عدد يعني جنة الفردوس.. جنة عدن.. جنة المأوى، هي جنة واحدة أو..

الشيخ: ... هذا أيضًا جاء صريحًا في البخاري: «إنها جنان كثيرة»[1] هذه جنان عديدة، ولذلك قال في الحديث السابق: «إذا سألتم الله الجنة فسلوه الفردوس فإنها أعلى الجنان».

"أسئلة وفتاوى الإمارات" (٤ / ١٤:٠٤:٠٠)

[١٦٧٣] باب الجنة في السماء السابعة

[وي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«يدخلُ رَجُلٌ من هذه الأمةِ الجنةَ قبْلَ موته»

(باطل منكر) .

[قال الإمام]:

أخرجه ابن حبان في " الثقات " (/ ٣٦١)، والطبراني في " مسند الشاميين " (١/ ٥٥/ ٥٤)، وابن عساكر في " تاريخ دمشق " (٧/ ٣٧٤) من طرق عن زهير بن

(١) "صحيح البخاري" (رقم٣٧٦١).

عباد الرواسي: ثنا رُديح بن عطية عن إبراهيم بن أبي عبلة عن شريك بن خُباشة النميري: أنه ذهب يستسقي من (جب سليمان) الذي في بيت المقدس، فانقطع دلوه، فنزل الجب ليخرجه، فبينما هو يطلبه في نواحي الجب، إذ هو بشجرة، فتناول ورقة من الشجرة، فأخرجها معه، فإذا هي ليست من شجر الدنيا (!) فأتى بها عمر بن الخطاب، فقال: أشهد أن هذا لهو الحق، سمعت رسول الله ﷺ:... (فذكره)، فجعل الورقة بين دفتي المصحف .

وأما حكمي على الحديث بالبطلان وتعجبي من سكوت الذهبي والعسقلاني عن الحديث وراويه؛ فذلك ظاهر من وجوه، أهمها: **أن الجنة ليست في الأرض وتحت (جب سليمان) ! وإنما هي في السماء، وهو من المعلوم من الدين بالضرورة . والنصوص في ذلك كثيرة**؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾، وهي في السماء السابعة؛ كما جاء في حديث أنس في " صحيح البخاري " وغيره، وانظر " فتح الباري " (٧/ ٢١٣)؛ فإن آدم عليه السلام أهبط من الجنة التي وعد بها المتقون، على القول الصحيح، وفي الحديث الصحيح: «. . فإذا سألتُمُ اللهَ؛ فاسألوه الفردوسَ؛ فإنها أوسط الجنة - أو أعلى الجنة -، فوقه عرش الرحمن».

رواه البخاري وغيره، وهو مخرج في " الصحيحة " (٩٢١ - ٩٢٢) . فكيف يصح أن تكون تلك الشجرة من الجنة وهي في الجب؟ !

"الضعيفة"(١٢/ ١/ ١٣٣، ١٣٥).

[١٦٧٤] باب بطلان القول الذي ينسب لرابعة العدوية: رب ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«بكى شعيب النبي ﷺ من حب الله عز وجل حتى عمي، فرد الله إليه بصره، وأوحى إليه: يا شعيب ما هذا البكاء؟ !أشوقاً إلى الجنة أم خوفاً من النار؟ قال: إلهي وسيدي أنت تعلم ما أبكي شوقا إلى جنتك ولا خوفا من النار، ولكني اعتقدت حبك بقلبي، فإذا أنا نظرت إليك فما أبالي ما الذي صنع بي، فأوحى الله عز وجل إليه: يا شعيب إن يك ذلك حقا فهنيئا لك لقائي يا شعيب ! ولذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي».

(ضعيف جدّاً).

[قال الإمام]:

ومما ينكر في هذا الحديث قوله: " ما أبكي شوقاً إلى جنتك، ولا خوفاً من النار " ! فإنها فلسفة صوفية، اشتهرت بها رابعة العدوية، إن صح ذلك عنها، فقد ذكروا أنها كانت تقول في مناجاتها: " رب ! ما عبدتك طمعا في جنتك ولا خوفا من نارك " . وهذا كلام لا يصدر إلا ممن لم يعرف الله تبارك وتعالى حق معرفته، ولا شعر بعظمته وجلاله، ولا بجوده وكرمه، وإلا لتعبده طمعاً فيما عنده من نعيم مقيم، ومن ذلك رؤيته تبارك وتعالى وخوفاً مما أعده للعصاة والكفار من الجحيم والعذاب الأليم، ومن ذلك حرمانهم النظر إليه كما قال: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام - وهم العارفون بالله

حقًّا - لا يناجونه بمثل هذه الكلمة الخيالية، بل يعبدونه طمعاً في جنته - وكيف لا وفيها أعلى ما تسمو إليه النفس المؤمنة، وهو النظر إليه سبحانه، ورهبة من ناره، ولم لا وذلك يستلزم حرمانهم من ذلك، ولهذا قال تعالى بعد ذكر نخبة من الأنبياء: " إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين "، ولذلك كان نبينا محمد ﷺ أخشى الناس لله، كما ثبت في غير ما حديث صحيح عنه . هذه كلمة سريعة حول تلك الجملة العدوية، التي افتتن بها كثير من الخاصة فضلاً عن العامة، وهي في الواقع ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً﴾، وكنت قرأت حولها بحثا فياضاً ممتعاً في " تفسير العلامة ابن باديس " فليراجعه من شاء زيادة بيان.

"الضعيفة"(٢/ ٤٢٥-٤٢٧).

[١٦٧٥] باب منه

سؤال: أستاذنا في عندنا من بعض الأخوات كانوا ذكروا أنه بيصير في أحد المدارس مسرحية بخصوص رابعة العدوية،فهي حتى تستطيع تقنع البعض من هؤلاء القائمين على هذه المسرحية ... بتريد هي مثلا تعرف كيف نهاية حياتها... يعني من المعلومات الموجودة عندك.

الجواب: على كل حال رابعة العدوية هي معتبرة من الزاهدات الصوفيات، ولا شك أن المسرحية هذه سيقوم بوضع يعني المسرحية من حيث تاريخها أناس عندهم علم بفقه لا سيما فقه الكتاب والسنة ...، خلافاً للروايات التي تذكر في الكتب الصوفية،... فهي معدودة من كبار الزهاد والصوفيات،... ومن أشهر ما يروى عنها بغض النظر هل هذا الذي يروى عنها صحيح أو لا؛ لأنه لا يمكن

الحكم بصحة كل ما (ينسب) لأمثال هذه المرأة الصوفية، مما يروى عنها أنها كانت تقول في مناجاتها لربها: «ربي ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك، وإنما عبدتك لأنك تستحق العبادة»؛ هذا الكلام شعري ... شعري يعني جميل يأخذ بقلوب من لا يعلمون ما يجوز وما لا يجوز في الإسلام، فهي تقول في مناجاتها لربها: «ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفاً من نارك»، وهذا لا يمكن أن يصدر من مسلم يخشى الله؛ لأن المسلم المؤمن بالله حق الإيمان لا يكون إلا وقد آمن بكل صفات الله عز وجل كاملة التي وصف بها نفسه في كتابه أو في سنة نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن ذلك أن الله ذو فضل عظيم، ومن ذلك أن الله شديد العقاب، فمن عرف الله بهاتين الصفتين مع الصفات الأخرى بأنه منتقم جبار وبأنه كريم إلى آخر ما هنالك؛ لا يمكن أن نتصور هذا المؤمن حينما يعبد الله لا يعبده طمعاً في فضله ولا خوفاً من عذابه هذا مستحيل؛ لذلك جاء في الكتاب القرآن الكريم أن الله عز وجل وصف بعض عباده بالمصطفين الأخيار لقوله عز وجل: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (يعبدوننا رغبا): فيما عنده من النعيم، (ورهبًا) خوفا مما عنده من الجحيم هذا أعده رب العالمين للأتقياء، فكيف يتصور بامرأة صالحة أو المفروض أن تكون صالحة وهي تقول: «ما عبدتك طمعاً في جنتك، ولا خوفا من نارك» علماً بأن في الجنة أكبر النعم؛ وهي رؤية الله عز وجل ... في الجنة هذا مما يروى عنها في الكتب، وسيذكر هذا حتما في المسرحية المشار إليها، ولذلك نحن ما نشجع كما تعلم المسرحيات بصورة عامة، والمسرحيات التي تظهر فيها شخصيات لا يعرف تاريخها على الوجه الصحيح الذي يوافق الإسلام كتاباً وسنةً.

الآن نحن نستطيع أن نقول عن رابعة العدوية هل ماتت على صلاح أو

كغيرها من الصوفيين كابن عربي؟

ما نستطيع أن نحكم على إنسان على أي شيء مات، الله يعلم به، ولا يترتب بالنسبة إلينا فائدة من القطع بأنه مات مؤمناً أو كافراً، وإنما المهم أن الكلمات التي تروى عن هذه أو تلك، أو عن هذا أو ذاك؛ أنها كلمات لا يجوز أن تكون إسلامية، وكفى، (لكي) المسلم يأخذ حذره ويبتعد عنها .

"الهدى والنور" (١٩/ ١٥: ٣٥: ٠٠)

[١٦٧٦] باب منه

سؤال: شيخنا عدم المؤاخذة عفواً: لماذا نعبد الله، هل نعبد الله طمعاً في الجنة وخوفاً من النار، أم هنالك شيء آخر، يعني: شيء فطرة الإنسان؟

الشيخ: يعني: أنت سؤالك يدندن حول ما يروى عن رابعة العدوية أنها كانت تقول في مناجاتها، أقول: يدندن ما تقصد؛ يدندن حول هذا، فيه فرق بين الذي تقصده وبين الذي يدندن حوله السؤال، «ما عبدتك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك، وإنما عبدتك لأنك تستحق العبادة»، الحقيقة أن هذه المسألة التي جاءت في هذه الكلمة التي تروى عن رابعة، ولا يهمني صح ذلك عنها أم لم يصح؛ لأني أنا أنظر إلى المقول ولا أنظر إلى من قال، هذه كلمة خلاف الطبيعة البشرية، وخلاف ما ظننت أنه الفطرة، يعني: الإنسان يعبد الله على خلاف مذهب رابعة إن صح صحة القول إليها، يعبد الله طمعاً رغباً ورهباً وهذا مما وصف الله به عباده بالقرآن الكريم، ولا يمكن لبشرٍ أن يتجرد عن الخوف من شيء عظيم رهيب مخيف لا يمكن إلا إذا أخرج عن طور البشرية، ونحن نتكلم عن البشر.

فانظر مثلاً: موسى كليم الله تبارك وتعالى، حينما جمعه الله مع سحرة فرعون، وإذا بالسحرة يأتون بسحرهم، فإذا سحرهم يأخذ بألباب الناس الحاضرين، ومنهم موسى الذي قال عنه رب العالمين في صريح القرآن الكريم: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، قُلْنَا لا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾(طه:٦٧، ٦٨) فموسى خاف من سحر السحرة وهو باطل، لكن الخوف طبيعة الإنسان، ولذلك إذا كان الإنسان يخاف من سبع، من أسد، من ضبع، من سحر ساحر مثل ذلك، فكيف لا يخاف من عذاب رب العالمين، وكيف لا يطمع فيما عند الله من نعيم مقيم، لا يمكن للإنسان أن يتجرد من هذا الشيء إطلاقاً، فهو يعبد الله طمعاً في جنته ورهبة من ناره، ولذلك جاء وصف الرسول عليه السلام لنفسه حينما ذكر لهم شيئاً لا يحضرني الآن، قال قائل منهم: هذا رسول الله، هذه غير قصة أنس بن مالك والرهط، فقال عليه السلام: والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم لله، فإذاً: هو يخشى الله، فكيف هذا تصور إنسان يعبد الله ولا يخشاه، هذا مستحيل.

"الهدى والنور"(٢٦١/ ٣٢: ٥١: ٠٠)

[١٦٧٧] باب بطلان القول بأن النعيم والجحيم للروح دون الجسد

[قال الإمام]:

و لهم [أي للقاديانية] عقائد ... كثيرة باطلة، خالفوا فيها إجماع الأمة يقينا منها: أن النعيم والجحيم للروح دون الجسد.

"الصحيحة"(٤/ ٢٥٢).

[١٦٧٨] باب نعيم الجنة لا يزول

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

[قال الإمام]:

وأما الزيادة المشهورة:"وكل نعيم لا محالة زائل"؛ فهي من حيث المعنى باطلة؛ **فإن نعيم الجنة لا يزول**، كما قال عثمان بن مظعون في قصة له مع لبيد ذكرها الحافظ في "الفتح"، ومن جهل بعضهم أنه ألحقها بالحديث، ودسها علي في كتابى "صحيح الجامع" (الطبعة الجديدة)، ولا أصل لها ألبتة في شيء من طرق الحديث.

"مختصر صحيح البخاري"(٢/ ٥٣٢-٥٣٣).

[١٦٧٩] باب عدد ما للرجل من نساء في الجنة

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«إِنَّ الرَّجُل مِنْ أَهْل الجَنَّة لَيُزَوَّج خَمْسمِائَةِ حَوْرَاء، وأَرْبَعَة آلَاف بِكْر، وَثَمَانِيَة آلَاف ثَيِّب، يعُانِقَ كلَّ واحدةٍ مِنْهُنَّ مِقْدارَ عُمُرِهِ في الدنيا».

(منكر) .

[قال الإمام]:

واعلم أن الأحاديث التي وردت في تحديد عدد ما للرجل من النساء في الجنة مختلفة جدًّا، والثابت منها حديث أبي هريرة في "الصحيحين" بلفظ:

"أول زمرة تدخل الجنة ... " ... وفيه: "لكل واحد منهم زوجتان"، وهو مخرج في "الصحيحة" (٢٨٦٨).

وحديث المقدام: "للشهيد عند الله سبع خصال ... " فذكرها، وفيه "ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين"، وهو مخرج في "أحكام الجنائز" (ص٣٥ -٣٦)، وهو كما ترى خاص بالشهيد، وبقية الأحاديث لا تخلو من ضعف، وبخاصة حديث الترجمة، وقد أفاد الحافظ أن العدد الذي فيه هو أكثر ما وقف عليه .

"الضعيفة"(١٣/ ١/ ٢٣٢، ٢٣٤-٢٣٥).

[١٦٨٠] باب في كشف ربنا تعالى الحجاب لأهل الجنة لرؤيته

عن صُهيب - رضي الله عنه -: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيئاً أَزِيدُكُمْ؟ فَيقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ». رواه مسلم .

[قال الإمام معلقًا على قوله ﷺ فيكشف الحجاب]:

أي يكشف الله تبارك وتعالى الحجاب، وهو حجاب منه للعباد أن يروه، فيرفعه عنهم فيروه جل جلاله، نسأله تعالى أن يتفضل علينا بالنظر إلى وجهه الكريم.

"تحقيق رياض الصالحين"(ص٦٤٦).

[١٦٨١] باب هل عرش الرحمن فوق الماء أو فوق الجنة؟

السؤال: حديث: «إذا سألتم الله فسألوه الفردوس فهي أوسط الجنة وهو أعلى الجنة وفوقه العرش ومنه تفجر أنهار الجنة» وقول الله سبحانه وتعالى في سورة هود: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾(هود:٧)، فالفهم لهذا الحديث؛ لأنه يذكر الحديث أن أعلى الجنة العرش، والآية تذكر أن عرش الله سبحانه وتعالى فوق الماء؟

الجواب: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾(هود:٧)، هذا لا ينافي هذا أولاً؛ لأنه كون العرش أعظم مخلوقات الله عز وجل، فما ينفي أن يكون بهذه العظمة ... وهو فوق الجنة، ومشكلة هذا السؤال وغيره من الأسئلة أن بعض المسلمين اليوم يحاولون أن يكيفوا الأخبار الغيبية تكييفاً مادياً ملموساً، وهذا خطأ جداً؛ لأن الأمور الغيبية لا يجوز التوسع فيها وإنما يجب الوقوف عند حروفها وعدم التزايد عليها، أما محاولة التعمق في فهم الكيفيات هذه الغيبية عندنا كهذه المسألة، فالعرش كان على الماء، ثم العرش هو سقف الجنة، نحن نحاول الآن أن نتكيف أن العرش حجمه صغير أولاً، ثم نحاول أن نتكيف أن الأمر كما كان من قبل، أي: كان عرش الرحمن على الماء، ...وهو كذلك، لكن هذا أولاً لا يستلزم المنافاة التي أشرت إلى نفيها آنفاً.

وثانياً وأخيراً أقول: يمكن أن يكون الأمر "كان" كما قال في القرآن "كان" ثم بعد ذلك ربنا عز وجل كما قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(الرحمن:٢٩)، فمن شأنه عز وجل أن يخلق وأن يحيي وأن يميت ويتصرف في خلقه كما يشاء، فإذاً: ليس هناك من الضروري أن نجمع أولاً أن عرشه على الماء، وعرشه أيضاً فوق الجنة في آن واحد، ممكن أن يكون كذلك وقد سبق الجواب عنه، ويمكن أن يكون طرأ

على هذا الماء خلق جديد بحيث أنه صار العرش كله سقف الجنة. هذا ما نقوله إجمالاً، والتفصيل لا يجوز الدخول في الغيبيات.

"الهدى والنور"(٥٩٠/ ٣٨: ٣٥: ٠٠)

[١٦٨٢] باب من سعة الجنة

[قال الإمام]:

«إن ما بين مصراعين في الجنة مسيرة أربعين سنة» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٤/ ٢٧٣).

[١٦٨٣] باب ما في الدنيا من أنهار الجنة

[قال رسول الله ﷺ]:

«سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» .

[وقال ﷺ]:

«فجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات والنيل والسيحان وجيحان» .

[وقال ﷺ]: «رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل ما هذان؟ قال: أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» .

[ترجم لها الإمام بما ترجمناها به].

"الصحيحة"(١/ ١/ ٢٢٧-٢٢٨).

[١٦٨٤] باب ذكر أنهار الجنة

[قال رسول الله ﷺ]:

«رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان، فقلت: يا جبريل ما هذان؟ قال: أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات».

[قال الإمام]:

لعل المراد من كون هذه الأنهار من الجنة أن أصلها منها كما أن أصل الإنسان من الجنة، فلا ينافي الحديث ما هو معلوم مشاهد من أن هذه الأنهار تنبع من منابعها المعروفة في الأرض، فإن لم يكن هذا هو المعنى أو ما يشبهه، فالحديث من أمور الغيب التي يجب الإيمان بها، والتسليم للمخبر عنها ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

"الصحيحة(١/ ١/ ٢٢٨-٢٢٩).

[١٦٨٥] باب ذكر الكوثر

[ذكر العز ابن عبدالسلام في "بداية السول" من خصائص النبي ﷺ:

«الكوثر الذي أعطيه في الجنة، والحوض الذي أعطيه في الموقف».

[فقال الإمام معلقًا]:

أما الكوثر فهو مذكور في قوله تعالى: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾، وقد صح عن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير الذي أعطاه الله . ولا ينافيه قول عائشة:"

هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد نجوم السماء " . أخرجهما البخاري، أقول: لا ينافيه لأن هذا النهر هو من الخير الكثير الذي أعطاه الله نبينا محمداً ﷺ، والأحاديث فيه كثيرة في البخاري ومسلم وغيرهما منها حديث أنس قال: «لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوف، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر».

أخرجه البخاري (٨/ ٥٦٢ - فتح) وانظر «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم (١/ ٢٨٣ - ٢٨٧).

"تحقيق بداية السول"(ص ٥٤-٥٥).

[١٦٨٦] باب الكوثر يجري على وجه الأرض

[قال رسول الله ﷺ]:

«أعطيت الكوثر، فإذا هو نهر يجري [كذا على وجه الأرض] ولم يشق شقًّا، فإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى تربته، فإذا هو مسكة ذفرة، وإذا حصاه اللؤلؤ» .

[ترجمه الإمام بما ترجمناه به ثم قال]:

وفيما تقدم دليل على بطلان ما أخرج ابن مردويه في "الدر المنثور" (٦/ ٤٠٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ قال: "نهر في الجنة عمقه [في الأرض] سبعون ألف فرسخ" . وعزاه المنذري (٤/ ٢٥٤ - ٢٥٥) لابن أبي الدنيا وعنده الزيادة، وأشار إلى تضعيفه، بل هو عندي منكر لمخالفته لحديث أنس هذا . والله أعلم.

"الصحيحة"(٦/ ١/ ٤٧-٤٨).

[١٦٨٧] باب هل يُسمع خرير الكوثر بوضع المرء أُصبعيه في أذنيه

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

- «من أحب أن يسمع خَريرَ (الكوثِر) فلْيجعلْ أُصبعيه في أذنَيه».

(منكر).

[قال الإمام]:

وإن مما يؤكد نكارة هذا الحديث بل بطلانه أنه تواترت الأحاديث عنه ﷺ في وصف الكوثر، وليس في شيء منها هذا المذكور هنا؛ فانظرها إن شئت في "ابن كثير" و"فتح الباري/ التفسير، والرقائق"، وبعضها في "صحيح الجامع": "الكوثر نهر في الجنة"، "هل تدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه ربي في الجنة...".

"الضعيفة"(١٤/ ٣/ ١٠٨٥، ١٠٨٧).

[١٦٨٨] باب ذكر شجرة «طوبا» في الجنة

سؤال: «طوبا» شجرة في الجنة؟ أنا أعرف تتمة الحديث: «تخرج ثياب أهل الجنة من أكمامها »[(١)] ، أما ذاك حديث آخر: «أن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها» وفي رواية: «مائة عام لا يقطعها»[(٢)] فما أدري! ذكرتم طوبا شجرة في الجنة يسير الراكب ... إلى آخره، فما أدري إن كان هنالك تداخل بين الروايتين أم هناك رواية مستقلة؟

---

(١) "صحيح الجامع" (رقم٣٩١٨).

(٢) "صحيح البخاري" (رقم٤٥٩٩) و"صحيح البخاري" (رقم٧٣١٧).

الشيخ: كيف يعني! أنا لم أفهم سؤالك؟ ما هو الذي متداخل؟

مداخلة: الحديث: «طوبا شجرة في الجنة تخرج ثبات أهل الجنة من أكمامها» سمعت منكم تقولون: طوبا شجرة في الجنة يسير الراكب حولها مائة عام ما يقطعها بهذا المعنى، فهذا أحفظه من حديث آخر مستقل عن ذاك.

الشيخ: وهو كذلك.

مداخلة: نعم.

الشيخ: هو كذلك، لكن ما هو الإشكال؟

مداخلة: الإشكال: أن طوبا شجرة في الجنة تتمة الحديث: «تخرج ثياب أهل الجنة من أكمامها».

الشيخ: نعم، لكن أنت بارك الله فيك تقول: من جهة تعترف أن هذا حديث آخر، فإذا كان حديثاً آخر فلا إشكال، بمعنى: هل لا يمكن أن يقال: بأن طوبا من الضخامة والسعة بحيث أنه يسير الراكب المجد تحتها مائة عام لا يقطعها وأن هذه الشجرة يخرج منها ثياب أهل الجنة أهناك منافاة؟

مداخلة: لا منافاة.

الشيخ: إذاً: أنا أفهم أن سؤالك ليس هذا الذي طرحته، كأن سؤالك تريد أن تقول: هل هناك حديث آخر غير حديث الأكمام المفسر لشجرة طوبا؟ الجواب بداهةً: نعم. واضح؟

مداخلة: واضح.

"الهدى والنور" (٣٣٢/ ٠٦: ٥١: ٠٠)

[١٦٨٩] باب هل في الأرض من الجنة شئ غير الحجر الأسود؟

[قال رسول الله ﷺ]:

«ليسَ في الأرضِ منَ الجنةِ إلا ثلاثةُ أشياء: غرْسُ العجوة، وأواقٍ تنزلُ في الفراتِ كلَّ يومٍ من بركةِ الجنةِ والحَجَرُ».

[قال الإمام]:

ثم إنه يبدو أن بين هذا الحديث، وبين (حديث)[الحجرالأسود]...[الذي] بلفظ:" «[لولا ما مسه من أنجاس الجاهلية؛ ما مسه ذو عاهة إلا شُفي]، **وما على الأرض من شيء من الجنة غيره**»: تعارضاً **!** فكيف التوفيق؟ فأقول: ...لعل المراد بقوله: "غيره " أي: من الحجارة؛ فقوله: "شيء" مخصوص بها. والله أعلم.

"الصحيحة"(٧/ ١/ ٣٠٥،٣٠٢)و(٧/ ٢/ ١٠٧٢،١٠٧٣).

[١٦٩٠] باب هل الريحان من الجنة؟

[روي عن رسول الله ﷺ أنه قال]: «إذا أعطي أحدكم الريحان فلا يرده فإنه خرج من الجنة».

[قال الإمام]:

حديث ضعيف أخرجه الترمذي (٤/ ١٨) من طريق جنان عن طريق أبي عثمان النهدي مرسلاً، وهذا مع إرساله فيه جهالة جنان هذا ولم يوثقه غير ابن حبان، ولو صح الحديث لكان اللائق حمله على ظاهره وهو أن الريحان أصله من الجنة، ولا يلزم منه أن ما نقطفه منه من الحقول هو في الجنة أيضاً...، ألا ترى أنه إذا قال إنسان لماء في كأس: هذا من السماء لكان صادقاً وكان قصده معروفاً؟

فليتأمل، ونحو هذا يقال فيما صح عنه ﷺ: «أن أربعة أنهار من الجنة»؛ أي أصلها من الجنة، لا أنها تنبع الآن منها .

"فقه السيرة"(ص١١٩).

[١٦٩١] باب من سعة الجنة وفضل الله فيها

[قال رسول الله ﷺ]:

«يدخل أهل الجنة الجنة، فيبقى منها ما شاء الله عز وجل، فينشئ الله تعالى لها .يعني خلقا.حتى يملأها» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٦/ ١/ ٩٢).

[١٦٩٢] باب خيمة المؤمن في الجنة

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضاً»...

[قال الإمام]:

[وفي رواية]:"عرضها ستون ميلا". ولعل الجمع بين الروايتين؛ أن يقال بصحة كل منهما، ويكون المعنى بأن طول الخيمة مساوٍ لعرضها؛ فإن صح هذا فبها ونعمت، وإلا؛ فرواية الطول أرجح... والله أعلم.

"الصحيحة"(٧/ ٣/ ١٤٩٤-١٤٩٥).

[١٦٩٣] باب تفسير قوله ﷺ: «إن ربك يعجب من أقوام يجرون إلى الجنة بالسلاسل»

سؤال: تفسير حديث أن هناك أناساً يدخلون الجنة بالسلاسل[١]؟

الشيخ: تفسير ما وقع في العصور الأولى من مجيء المسلمين بكثير من الأسرى الكافرين إلى بلاد المسلمين وهم مغللون بالأصفاد عبيداً أرقاء، فبعد أن يسترقوا، وبسبب هذا الاسترقاق؛ خدمتهم لأسيادهم وبمن يلوذ بهم عرفهم بشيء من أخلاق المسلمين وعقائدهم كان خافياً عليهم، ووجدوا أن ما عرفوه من أخلاقهم وحسن معاملاتهم لأرقائهم وعبيدهم خلاف ما يعرفونه هم في بلادهم من سوء معاملة الأسياد للأرقاء والعبيد.

فهذه المعاملة الحسنة فتحت قلوبهم للإسلام ودخلوا فيه أفواجاً، وصار الكثير منهم بسبب النظام الإسلامي الرائع الذي تفرد يومئذ بتشريع ما يعرف في كتب الحديث والفقه بالمكاتبة فضلاً عن فك الرقاب المنصوص عليه في القرآن، والذي حث عليه الإسلام بأساليب شتى مما كان لا يعرفه الكفار الذين هم الذين ابتدعوا بدعة الاسترقاق للناس الذين هم أمثالهم كما قال عمر في كلمته المشهورة: «متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»، فوجدوا في الإسلام طرقاً كثيرة لتخليص أنفسهم من ذل الاستعباد والاسترقاق.

بعض هذه السبل يعود إلى السيد الذي إما أن يحسن إلى رقيقه، وإلى عبده، فيعتقه لوجه الله تبارك وتعالى، وإما أن يعتقه كفارةً لذنب له شرع الله التكفير لهذا

(١) صحيح البخاري (رقم٢٨٤٨).

الذنب أنه لا بد من عتق رقبة، إما وإما..، أخيراً تأتي تلك المكاتبة والمكاتبة هي أن يتفق السيد مع العبد أو مع عبد من عبيده أن يصبح حراً إذا ما قدم إلى سيده مَبْلَغاً يتفقان عليه، فإذا ما قدم آخر قسطٍ عليه يصبح حراً، ففتح الإسلام لهؤلاء العبيد أن يكسبوا حريتهم ويفكوا عنهم الرق، فبتلك المعاشرة الحسنة التي ألمحنا إليها آنفاً والتي كان رسول الله ﷺ يحض عليها في أحاديث كثيرة كمثل قوله عليه السلام: «إخوانكم خولكم». كأنه سقط من ذهني عبارة: «فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون»[1].. أو هكذا، فوجدوا في الشرع الإسلامي ما جذبهم جذباً إلى الدخول في الإسلام بمحض اختيارهم، ولذلك كان منهم من كبار العلماء والفقهاء، وحسبكم أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله الذي هو أول الأئمة الأربعة المتبعين ..، أبوه من هؤلاء الأرقاء، فضلاً عن مثل طاووس وأمثاله من كبار المحدثين، فهؤلاء يعجب ربك من أقوام يجرون إلى الجنة في السلاسل أي: أنهم جيء بهم كما قلنا مغللين أسرى، فلما خالطوا المسلمين وتبين لهم الإسلام الحق آمنوا، فدخلوا الجنة بسبب إيمانهم، هذا معنى الحديث إن ربك ليعجب من أقوام يجرون إلى الجنة في السلاسل، أي: إلى الإسلام الذي يأخذ بهم إلى الجنة، وقد جيء بهم من قبل بالسلاسل، وهذه حقيقة يشهد بها التاريخ الصحيح، فكم وكم من مولى من الموالي، أي: من هؤلاء العبيد، الذين أعتقهم أسيادهم أو عتقوا أنفسهم بالمكاتبة، كم وكم من هؤلاء أصبحوا من كبار العلماء الذين نحن الآن نستفيد العلم منهم، وهم كانوا أسرى جيء بهم مغللين .

"الهدى والنور" (٢٥٠/ ١٥: ٠٢: ٠٠)

---

(١) صحيح الجامع (رقم٩٠٥).

[١٦٩٤] باب منه

[قال الإمام مبيناً أهمية التجمع والتقارب في المجالس]:

حينما يكون الجمع جمعاً كثيراً مباركاً ويكونون متفرقين ومبتعدين عن مجلس الشيخ المزعوم أنه شيخ قد يكون حقاً وقد يكون كذباً، فأنا أقول بهذه المناسبة أن هذا التفرق وهذا التوسيع لدائرة الحلقة خلاف السنة، أما من حيث التفرق فقد جاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ دخل المسجد يوماً فرآهم متفرقين فقال لهم: «مالي أراكم عزين»(١) بالعين والزاي أي متفرقين، وقد وصل اهتمام الرسول عليه السلام بالنهي عن التفرق في المكان وعن ابتعاد الناس بعضهم عن بعض إلى درجة أنه نهاهم عن ذلك حتى في الصحراء، حتى في السفر فقد روى الإمام أحمد في مسنده بإسناد قوي عن أبي ثعلبة الخشني قال: كنا إذا سافرنا مع النبي ﷺ نزلنا في الوديان والشعاب فقال لنا يوماً: «إنما تفرقكم هذا في الوديان والشعاب من عمل الشيطان»(٢) قال أبو ثعلبة: «فكنا بعد ذلك إذا نزلنا في مكان اجتمعنا، أي انضم بعضنا إلى بعض حتى لو جلسنا على بساط لوسعنا»، ولذلك التقارب في الجلوس وعدم ابتعاد الناس بعضهم عن بعض وهو اقتراب من الجنة بسبب تعاطي الأسباب التي تؤدي إلى الجنة، أنا أقتبس هذا من مثل قوله عليه السلام: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة»(٣) ومن قوله عليه السلام وهو حديث عجيب قال ﷺ: «إن ربك ليعجب من أقوام يجُرون إلى الجنة في السلاسل».

---

(١) "صحيح مسلم" (رقم٩٩٦).
(٢) "صحيح الجامع" (رقم٢٣٥٢).
(٣) "صحيح الجامع" (رقم٦٢٩٧).

يقول أهل العلم: يعني رسول الله ﷺ بهذا الحديث الأسرى الذين يقعون في أيدي المسلمين فيجرونهم مغللين في السلاسل إلى بلاد الإسلام، وهناك يوزعون حسب التقسيم الشرعي للمكاسب والغنائم على الغانمين، فيدخلون بيوت المسلمين وهم بعد أن كانوا مغللين يصبحون شبه أحرار،أقول شبه؛ لأنهم في الواقع من حيث حرية العمل حتى بقاء أحدهم على دينه الباطل كانوا أحراراً، لكنهم لا يزالون أرقاء، إلا أن الله عز وجل بما أوحى إلى نبيه ﷺ من الأحكام التي وجهها إلى أتباعه عليه السلام من العناية والوصاية الطيبة بالأسرى وبالعبيد صار هؤلاء العبيد كأنهم أحرار، وحسبكم في هذا الصدد دلالة قوله عليه السلام: «أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون» إلى آخر الحديث الذي لا أذكره الآن بتمامه، الشاهد أن هؤلاء الأسرى دخلوا حياة جديدة غير الحياة التي كانوا يحيونها وهم أحراراً دخلوا حياة جديدة وهم عبيد، ولكنهم في حياتهم خير مما كانوا عليه وهم كانوا أحراراً، ذلك لأنهم تداخلوا مع المسلمين في بيوتهم، في أسواقهم، في مساجدهم.. فعرفوهم وعرفوا أخلاقهم، وعرفوا تأثير دينهم في تربيتهم عن كثب وعن قرب، فتجلى لهم عملياً ما هو دين الحق فآمنوا غير مكرهين، وآمنوا بقلوبهم بوازع من شخصهم وليس كأولئك الذين يؤمنون رغم أنوفهم إما خلاصاً من القتل إذا ما وقفوا أمام الدعوة الإسلامية، أو خلاصاً من دفع الجزية عن يد وهم صاغرون.. أما هؤلاء قد أسلموا طواعية وبإخلاص من قلوبهم ودخلوا في الإسلام ولا شك أن من دخل في الإسلام دخل الجنة بسلام إلى هذه الحقيقة -التي لو أراد الإنسان أن يشرحها شرحاً مبسطاً موسعاً لكان من ذلك كتاب-، إلى هذه الحقيقة أشار عليه السلام في الحديث السابق: «إن ربك ليعجب من أقوام يجُرون إلى الجنة في السلاسل» فإذاً الأسباب التي تكون مشروعة فهي

تؤدي إلى الجنة، ومن هذه الأسباب طلب العلم ومن وسائل طلب العلم هو طلبه مع الجماعة، وهذه الجماعة ينبغي عليهم حسب ما عرفتم أن يكونوا متقاربين في أبدانهم كما يجب عليهم أن يكونوا متقاربين متوادين متحابين في قلوبهم.

" الهدى والنور" (٢١٣/ ٣٤:٠٠:٠٠)

[١٦٩٥] باب منه

يقول الرسول عليه السلام في الحديث الصحيح: «إن ربك ليعجب من أقوام يجرون إلى الجنة في السلاسل» من هم؟ [هم] أسرى من الكفار يصبحون أرقاء ويوزعون على المسلمين الذين انتصروا عليهم فيصبح خادماً رقيقاً في بيت المسلم، لكن هذا الرق يعود عليه بالسعادة في الدنيا قبل الآخرة، لأنه يصبح مسلماً عارفاً بالله وبرسوله فيسعد السعادة التي كان يشقاها من قبل كما يشهد بذلك قوله تعالى أولاً ثم واقع الكفار اليوم ثانياً: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾(طه:١٢٦).

فالغالب اليوم. نعم. الغالب اليوم يعيش هذه الحياة الضنكا، وهكذا طبيعة الكفار في كل زمان وفي كل مكان، فحينما ينتقل الرقيق بطريق لا يعجبه بطبيعة الحال مأسور مغلل في الأصفاد ينتقل إلى بلاد الإسلام ويعيش رقيقاً خادماً رغم أنفه لا يأخذ أجراً، وإن حصل هو أجراً بمهنة له فهذا الأجر يعود إلى سيده، لكن مع ذلك والتاريخ يشهد أن من كبار علماء المسلمين من كان أصله رقيقاً فصاروا من العلماء، من الصالحين الأتقياء، نحن الأحرار نأخذ علمنا عن أولئك العبيد لكن هم في الحقيقة هم الأحرار.

"الهدى والنور" (٢١٩/ ٢٤: ٤٣: ٠٠)

[١٦٩٦] باب معنى قوله ﷺ في الكاسيات العاريات: «لا يدخلن الجنة ....»

سؤال: حديث لا يدخلن الجنة ...

الشيخ: .. هذا له عدة تآويل، ..لا يدخلن الجنة إذا استحللن ذلك في قلوبهن، [أما إذا لم يستحللن ذلك]... فيدخلن الجنة بعد َلأْيٍ ليس مع السابقين الأولين.

"الهدى والنور" (١٩/ ٢٩: ٢٦: ٠٠)

[١٦٩٧] باب معنى قوله ﷺ: «لا يدخل الجنة...ولد زنية»

[قال رسول الله ﷺ]:

«لا يدخل الجنة عاق، ولا منان، ولا مدمن خمر، ولا ولد زنية».

[قال الإمام]:

وقوله: «لا يدخل الجنة ولد زنية»، ليس على ظاهره بل المراد به من تحقق بالزنا حتى صار غالباً عليه، فاستحق بذلك أن يكون منسوباً إليه، فيقال: هو ابن له، كما ينسب المتحققون بالدنيا إليها، فيقال لهم: بنو الدنيا بعلمهم وتحققهم بها، وكما قيل للمسافر ابن السبيل، فمثل ذلك ولد زنية وابن زنية، قيل لمن تحقق بالزنا، حتى صار تحققه منسوباً إليه، وصار الزنا غالباً عليه، فهو المراد بقوله «لا يدخل الجنة» ولم يرد به المولود من الزنا ولم يكن هو من ذوي الزنا.... وهذا المعنى استفدته من كلام أبي جعفر الطحاوي رحمه الله وشرحه لهذا الحديث . والله أعلم.

"الصحيحة"(٢/ ٢٨٣،٢٨٠).

[١٦٩٨] باب هل يحول الدَّين بين الشهيد ودخوله الجنة؟

السؤال: المقاتل أو المجاهد في سبيل الله، قبل أخونا الشيخ رفيق الله يجزيه خير والحاضرين يتعلم الفقه ويصير عنده حلقات العلم كنا نجهل أنه المجاهد في سبيل الله يقف على باب الجنة لسبب عدم سداده الدين، هذه لم نكن نعرفها، الآن من فضل الله علينا صرنا نعرفها، بالنسبة للمجاهد إذا أقام كل الأوامر التي صدرت من الله سبحانه وتعالى: الصلاة الصوم الحج الزكاة كله، (بقيت مسألة) الدين، يا هل ترى لو صارت ظروف الجهاد تيسرت للمسلمين وجاهد في سبيل الله، هنا فعلاً هذا الدين يمنعه من دخول الجنة؟

الشيخ: لا، ليس هناك حديث يقول: إن هذا الشهيد المدين لا يدخل الجنة، وإنما الحديث يقول: يغفر للشهيد كل ذنب له إلا الدين[1]. تغفر ذنوبه كلها إلا الدين، لكن كونه يدخل الجنة أو لا يدخل الجنة هذه قضية أخرى، يعني: نحن لا نقدر نقول عن غير الشهيد إنه إذا كان مات مديناً لا يدخل الجنة، عن غير الشهيد، فما بالك بالشهيد، لكننا نقول: إنه موت الشهيد وعليه دين يمنع أن يغفر عنه هذا الذنب فقط وهو الدين، بينما الذنوب الأخرى تغفر له.

"الهدى والنور" (١٤١/ ٢٥: ٣٥: ٠٠)

[١٦٩٩] باب هل هناك تكليف في الجنة

سؤال: صلاة المؤمنين في قبورهم صح الحديث عن ابن ماجه فهل هذا من تكليف المؤمنين في القبور؟

الشيخ: هل يوجد تكليف في الجنة؟

(١) "صحيح مسلم" (رقم٤٩٩١).

مداخلة: لا يوجد.

الشيخ: في تسبيح في الجنة، فيه حمد في تسبيح في الجنة،

مداخلة: نعم.

الشيخ: هذه مثل هذه..، ليس تكليف، هذا شكر لله عز وجل.

مداخلة: ولكن لا نعرف كيفية هذه الصلاة.

الشيخ: كل أمور الغيب لا تعرف.

مداخلة: فيه فرق بينهم وبين صلاة الأنبياء أم لا نعلم؟

الشيخ: لا نعلم، هل علمت صلاة الأنبياء؟ لا، تلك بأولى.

" الهدى والنور" (٥٦ / ١٢: ٤١: ٠٠)

[١٧٠٠] باب حال حديث حول الجنة

مداخلة: في حديث ما أدري ما صحته «لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب باب يدخل عليه منه زواره من الملائكة وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار لتعظم النعمة عليه، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء»[(١)]؟

الشيخ: هذا لا أعرفه، ولا مر علي حتى ولا في الموضوعات.

"الهدى والنور" (٣٢٤/ ٤٨: ٤٧: ٠٠)

---

(١) أخرجه أبو نعيم في "صفة الجنة" (رقم١٦٩).

جماع أبواب ذكر النار أعاذنا الله منها

(العذاب في الدنيا)

[١٧٠١] باب مسخ بعض اليهود قردة وخنازير كان حقيقيّاً بدنيّاً

[قال الإمام]:

ذهب بعض المفسرين في العصر الحاضر إلى أن مسخ بعض اليهود قردة وخنازير لم يكن مسخا حقيقيًّا بدنيًّا، وإنما كان مسخاً خلقيّاً! وهذا خلاف ظاهر الآيات والأحاديث الواردة فيهم، فلا تلتفت إلى قولهم فإنهم لا حجة لهم فيه إلا الاستبعاد العقلي، المشعر بضعف الإيمان بالغيب . نسأل الله السلامة.

"الصحيحة"(١/ ١/ ١٩٤).

[١٧٠٢] باب الرد على من أنكر المسخ

سؤال: ذهب قوم إلى تأويل [أحاديث المسخ]... قالوا: الخنزير معروفٌ بالدياثة، والقرد بالتقليد، فذهبوا إلى أن الأمة تصبح لا تغار على عرضها وتحاكي الأجنبي، فهل هذا التأويل له مسوغ؟

الشيخ: لا مسوغ لمثل هذا التأويل إلا باستبعاد العقل، ولا يجوز لغة فضلاً عن الشرع إخراج أي كلام عن دلالته الظاهرة إلا إذا كانت هذه الدلالة غير ممكن وقوعها، هذه قاعدة معروفة عند علماء اللغة والشرع معاً: أنه لا يجوز تأويل الكلام إلا عند تعذر حقيقة هذا الكلام، والمسخ المذكور في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى له مثال سابق صرح به ربنا عز وجل في القرآن الكريم ذلك هو

المسخ المتعلق بطائفة من اليهود حيث قال عز وجل: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(البقرة:٦٥)، وقد صرح الرسول ﷺ في بعض الأحاديث بما يؤيد أن المسخ الذي وقع في اليهود والذي ذكر في القرآن صراحةً في غير ما آية هو مسخ حقيقي ولذلك لم يتناسل، فقال عليه الصلاة والسلام:«لم يمسخ الله قوماً فجعل لهم نسلاً» وقد كانت القردة الخنازير قبل ذلك، وفي حديث آخر:«أن الله عز وجل إذا مسخ قوماً أهلكهم بعد ثلاثة أيام فلا يبقى لهم نسل»، فتأويل أحاديث المسخ على أنه مجازي وليس بحقيقي لا مبرر له لا لغةً ولا شرعاً، وإنما هي على ظاهرها.

"الهدى والنور" (١٦/ ٥٥: ٣٤: ٠٠)

[١٧٠٣] باب ما مُسخ انقرض

[قال رسول الله ﷺ]:

«الحيات مسخ الجن، كما مسخت القردة والخنازير من بني إسرائيل» .

[ترجم له الإمام بقوله:«ما مسخ انقرض» ثم قال:]

اعلم أن الحديث لا يعني أن الحيات الموجودة الآن هي من الجن الممسوخ، وإنما يعني أن الجن وقع فيهم مسخ إلى الحيات، كما وقع في اليهود مسخهم قردة وخنازير، ولكنهم لم ينسلوا كما في الحديث الصحيح: " إن الله لم يجعل لمسخ نسلاً ولا عقباً، وقد كانت القردة والخنازير قبل ذلك

" الصحيحة"(٤/ ٤٣٩-٤٤٠)

[١٧٠٤] باب منه

[قال رسول الله ﷺ]:

- «فُقِدَتْ أُمَّةٌ من بني إسرائيل؛ لا يُدرَى ما فَعَلَتْ؟! وإنّي لا أُراها إلا الفَأْرَ؛[ألا تَرَوْنَها] إذا وضعَ لها ألبانُ الإبِلِ لم تَشرب، وإذا وُضعَ لها ألبانُ الشَّاءِ شَرِبَتْ؟!».

[قال الإمام]:

(فائدة): من الظاهر أن هذا الحديث كان رأياً منه ﷺ قبل أن يُعْلِمَه الله تعالى أنه لم يجعل لمسخ نسلاً؛ كما تقدم في حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: «إن الله لم يمسخ شيئاً فيدع له نسلاً أو عاقبة..» الحديث.

وقد سبق تخريجه تحت الحديث (٢٢٦٤).

وبهذا جمع بين الحديثين الطحاوي وغيره من العلماء.

"الصحيحة"(٧/ ١/ ١٨٩-١٩٠).

[١٧٠٥] باب هل الريح خاصة بالعذاب والرياح بالرحمة؟

[قال رسول الله ﷺ]:

- «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما أمرت به».

[قال الإمام]:

وفي الحديث دلالة واضحة على أن الريح قد تأتي بالرحمة، وقد تأتي

بالعذاب، وأنه لا فرق بينهما إلا بالرحمة والعذاب، وأنها ريح واحدة لا رياح، فما جاء في حديث الطبراني عن ابن عباس مرفوعا بلفظ: " اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا " . فهو باطل، وقال الطحاوي: " لا أصل له " . وقد صح عن ابن عباس خلافه، كما بينته تحت حديث الطبراني المخرج في الكتاب الآخر: " الضعيفة " (٥٦٠٠) .

"الصحيحة"(٦/ ١/ ٥٩٨، ٦٠١-٦٠٢).

(عذاب الآخرة)

[١٧٠٦] باب هل يجوز الدعاء [بقولنا] يارب إن كنت تريد أن تعذبني في الآخرة فعذبني في الدنيا ولا تعذبني في الآخرة؟

مداخلة: ...هل يجوز الدعاء [بقولنا] يا رب إن كنت تريد أن تعذبني في الآخرة فعذبني في الدنيا ولا تعذبني في الآخرة؟

الشيخ: لا ما يجوز، قد جاء حديث في هذا الصدد في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال نحو هذه الكلمة، فقال له ما معناه: أنه لا يستطيع الإنسان على عذاب الآخرة هلا قلت كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(البقرة:٢٠١) فلا يجوز ذلك.

"فتاوى جدة-الأثر-" (٣/ ٤٩:٠٣:٠١)

[١٧٠٧] باب هل نار جهنم في الأرض؟

سؤال: من قال من العلماء أن نار جهنم موجودة في هذه الأرض التي نعيش عليها، وجعلها من متعلقات الإيمان، لأن ظواهر النصوص القرآنية والحديثية تدل على ذلك، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾(المطففين:٧)، وقوله تعالى: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾(الأعراف:٤٠)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «اكتبوا كتاب عبدي في سجين وأعيدوه إلى الأرض السفلى»[١]؟

---

(١) "صحيح الجامع" (رقم١٦٧٦) ولفظه: «اكتبا كتابه في سجين في الأرض السفلى».

الشيخ: أنا فهمت السؤال، لكن ما الآية التي قرأتها أخيراً التي يستدلون بها على أن جهنم في الأرض؟

السائل: ذكروا آيتين: قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾(المطففين:٧)، وقوله: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾(الأعراف:٤٠) والحديث؟

الشيخ: والحديث ما هو؟

السائل: وقوله عليه الصلاة والسلام: «اكتبوا كتاب عبدي في سجين وأعيدوه إلى الأرض السفلى».

الشيخ: أعيدوه إلى الأرض السفلى يعني: جهنم؟

السائل: إلى الأرض السفلى المقصود بها يعني: هذه الأرض، أرض الدنيا.

الشيخ: ما أجبتني.

السائل: إلى جهنم نعم.

الشيخ: يعني الروح تعاد بها إلى جهنم؟

السائل: نعم، يستدلون بها على ..

الشيخ: ...خذ وأعط معي بارك الله فيك، أنا فهمت الاستدلال، الحديث نصه مرة أخرى؟

السائل: «اكتبوا كتاب عبدي في سجين وأعيدوه إلى الأرض السفلى».

الشيخ: عبدي من المقصود به؟ هو من كان في قيد الحياة ثم مات، أم ما المقصود به؟

السائل: ما فيه شك أنه بعد الموت.

الشيخ: يعني: أنه مات ودفن،أليس هذا هو المقصود؟

السائل: بلى.

الشيخ: فالمسلم إذا مات وكان من أهل الاستقامة فهل هو في الجنة، وإذا كان فاسقاً أو كافراً هل هو في النار؟ أم هو يعذب في القبر بما يأتيه من لهيبها ودخانها ونارها؟..فإذاً: الحديث ليس له علاقة بجهنم التي سيصير إليها الفساق أو الكفار.

السائل: والآية يا شيخ.

الشيخ: معليش، انتهينا من الحديث؟

السائل: نعم.

الشيخ: الآية، ما في الآية مما يحتجون به إطلاقاً، إلا لو كانت الآية مفسرة في السنة، وقد حاولوا أن يفسروها بهذا الحديث، وهذا الحديث لا يتعرض لكون جهنم في الأرض السفلى، لأنه هو يتحدث عن روح الأشقياء، فالآيات أو الآيتين التين ذكرتهما ليس فيهما أي إشعار أبداً أن جهنم هي في الأرض ولو أنها الأرض السابعة.

ثم نحن لابد أن نستحضر بعض النصوص التي تقول: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(إبراهيم:٤٨) فهذه الأرض التي ذكرت في هذا الحديث مهما أرادوا بها فهي ستتبدل، فإذاً: كيف يستدل بذلك على أنها مقر جهنم؟ ثم أن الأرضين السبع التي جاء ذكرها في الأحاديث الصحيحة فهي كما قال: ﴿وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾(الطلاق:١٢) يعني: بعضها فوق

بعض، فهي في اعتقادي ذرة من جهنم ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾(ق:٣٠) الأرض في الحدود المعروفة اليوم جغرافياً والمعروف بالنسبة للسنة أو الشريعة أنها طبقات بعضها فوق بعض نظرياً لا يمكن أن تكون هي مقر جهنم، فإذا أضفنا هذه إلى الحقيقة السابقة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ﴾(إبراهيم:٤٨) لا يمكن أن تكون الأرض هي مقر جهنم، ولذلك نخرج بنتيجة وهي: أنه ليس فقط لا يجب في اعتقاد هذه العقيدة، بل لا يجوز اعتقادها؛ لأنها غير قائمة على دليل شرعي ملزم، ولو بحديث صحيح آحادي..

"الهدى والنور" (٣٠٠/ ٣٢: ٠٠: ٠٠)

[١٧٠٨] باب شرح حديث: «لن تمسه النار إلا تحلة القسم»والكلام على سماع الموتى

[قال الإمام]:

يسأل سائل هنا عن معنى قوله عليه السلام في الحديث السابق: «لن تمسه النار إلا تحلة القسم» هذا الحديث يشير إلى قوله تبارك وتعالى في الآية الكريمة: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾(مريم:٧١) إلا واردها.. وإن منكم: قسم من الله: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(مريم:٧١) اختلف العلماء قديمًا وحديثًا في معنى الورود المقصود في هذا الحديث على ثلاثة أقوال: الورود بطرف النار، كما يقال: أورد الإبل الحوض، والمعنى الثاني: المرور على الصراط، من فوق النار، والمعنى الثالث وهو لا ينافي الثاني: الدخول في النار؛ لأن المرور في الصراط هو دخول في النار، فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(مريم:٧١) أي: داخلها، لا فرق بين مؤمن وكافر، كلهم جميعًا من الإنس

والجن لا بد لهم من هذا الدخول، لكن بعد أن يتحقق هذا القسم الإلهي من الدخول هناك بعد ذلك سرعان ما يتميز الصالح من الطالح.. الصالح لائق بدخول الجنة.. الطالح لائق بدخول النار.

ويفسر هذا الكلام حديث أذكره لما فيه من بيان وتفصيل، لكن لا بد لي من أن أقرن بذلك أن هذا الحديث لم يصح من حيث إسناده؛ لأنه على شهرته ينبغي أن نذكره تنبيهًا على ضعفه لكن معناه مقبول في حدود ما جاء من الأدلة، ذلك الحديث يرويه بعض التابعين من المجهولين وهو العلة، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه لقيه في طريقه قال: كنا في مجلس ذكرت فيه هذه الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(مريم:٧١) قال: فاختلفنا وذكر الأقوال الثلاثة، فما كان من جابر كما تقول الرواية على ضعفها: إلا أن وضع أصبعيه في أذنيه وقال: صمتا.. صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يبقى بر ولا فاجر إلا ويدخلها ثم تكون بردًا وسلامًا على المؤمنين كما كانت على إبراهيم» إذًا: هذا الدخول المذكور في هذه الآية والمفسر أيضًا في حديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: ««لا يدخل النار أحد من أهل بدر وأصحاب الشجرة، قالت: كيف هذا يا رسول الله والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(مريم:٧١)؟! » .

هنا ملاحظة ومهمة من حيث أنها تساعد طالب العلم على فهم النصوص الشرعية: نجد هنا السيدة حفصة رضي الله عنها كأنها تريد أن تقول: إن الذي تقوله يا رسول الله خلاف ما أفهم من الآية، فكيف التوفيق بين هذه الآية حسب فهمي — أي: حفصة — وبين ما تقول يا رسول الله؟ فقال لها بكل هدوء ولطف كما هو شأنه عليه السلام وديدنه، قال: اقرئي ما بعدها: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ

فِيهَا جِثِيًّا﴾(مريم:٧٢) ما هي الفائدة؟ الفائدة: أن الرسول ﷺ إذا سمع قولًا وما أنكره كان ذلك دليلًا على صحته في نفسه، ولكن يمكن أن يدخل فيه تخصيصًا وتقييدًا ما يخطر على بال المتكلم تلك الكلمة والتي أقره الرسول عليه السلام عليها ولكنه يدخل فيها تقييدًا أو تخصيصًا، هذه فائدة مهمة جدًا قد يغفل عنها بعض أهل العلم، ولا بأس من أن أضرب لكم مثلًا:

وقع في عدم الانتباه لهذه النكتة الفقهية الدقيقة الإمام أبو محمد بن حزم صاحب كتاب: "المحلى"، الكتاب العظيم، وكتاب: "الإحكام في أصول الأحكام" وغيره من الكتب، لقد ألف رسالة في إباحة الملاهي عامة، من الآلات الموسيقية والأغاني وما شابه ذلك، وكان مما استدل به على ما ذهب إليه في تلك الرسالة الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل النبي ﷺ علي يوم عيد وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث، وتضربان عليه بدف، لما دخل أبو بكر قال: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟! استفهام استنكاري طبعًا، دعهما فإن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا.

الشاهد: أن الإمام ابن حزم احتج بهذا الحديث على جواز الضرب بالدف والغناء به؛ لأن الرسول عليه السلام أقر الجاريتين، لكن فاته ما أردت التنبيه عليه: أن النبي ﷺأقر أبا بكر الصديق على قوله السابق الذكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله؟! لقد سمى أبو بكر الضرب على الدف والغناء به سماه ماذا؟ مزمار الشيطان، ما أنكر الرسول عليه السلام ذلك عليه بل أقره كما أقر حفصة على قولها في الآية هكذا.

وكذلك كما أن النبي ﷺ أدخل على استدلال حفصة قيدًا كانت غافلة عنه، كذلك تمامًا فعل النبي ﷺ مع صاحبه في الغار أبي بكر الصديق أيضًا لفت نظره كأنه يقول له: إن الأمر كما تقول أنت يا أبا بكر لكن هو استثناء قد فات، دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا، فإذا نحن جمعنا بين إقرار الرسول ﷺ لأبي بكر على قوله: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟! وبين قوله له: دعهما، فإن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا، خرجنا بنتيجة أن مزامير الشيطان لا تجوز ويكفي في النهي عنها النسبة إلى الشيطان، لكن هذا الحكم مستثنى منه الضرب بالدف في يوم العيد وممن؟ من الجاريتين، فجمعنا بين إقرار الرسول لأبي بكر وبين قوله له، وخرجنا بنتيجة معاكسة تمامًا للنتيجة التي ذهب إليها أبو محمد ابن حزم رحمه الله، حيث أخذ قول الرسول عليه السلام ولم يتنبه لإقرار الرسول لقول أبي بكر: أمزمار الشيطان في بيت رسول الله ﷺ؟!

عندك شيء؟

مداخلة: يقولون أن الرسول ﷺ يقر مزمار الشيطان في بيته؟!

الشيخ: أنا أجبتك على هذا بارك الله فيك! نحن نقول: الأصل في آلات الطرب أنها من مزامير الشيطان، لكن استثنى الشارع الحكيم من أن يكون مزمارًا للشيطان في هذا الوقت المعين، فالأصل أنه مزمار الشيطان في غير يوم العيد، أما في يوم العيد فليس مزمارًا للشيطان، فلا منافاة والحمد لله.

هذا أيضًا لعله من المفيد أن نذكر أيضًا بمثال آخر وهو مهم جدًا من حيث الحياة الفكرية التي يحياها اليوم العالم الإسلامي جله الذين يعتقدون بأن الموتى يسمعون، الموتى يسمعون ويحتجون على ذلك بحجج كثيرة ولسنا نحن في هذا

الصدد إلا فيما يتعلق بلفت النظر إلى أن الرسول عليه السلام إذا أقر على شيء فهو حق، ويجب الاستفادة بذلك.

وهنا نذكر غزوة بدر وحينما أهلك الله عز وجل صناديد قريش وألقوا في قليب بدر، ثم جاء النبي ﷺ بعد أن وضعت الحرب أوزارها فوقف على القليب ونادى أولئك الكفار الموتى القتلى بأسمائهم: يا فلان بن فلان لقد وجدت ما وعدني ربي حقًا، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ قال عمر – هنا الشاهد – قال: يا رسول الله! إنك لتنادي أجسادًا لا أرواح فيها، ماذا نفهم نحن من قول عمر هنا؟ نفهم نحو ما فهمنا من كلمة أبي بكر هناك، ومن كلمة حفصة هناك، نفهم أن عمر بن الخطاب يرى أن الموتى لا يسمعون، ولذلك هو يستغرب ويتعجب لمناداة الرسول عليه السلام لهؤلاء الموتى يقول: يا فلان بن فلان.. إلى آخره بأسمائهم: إني وجدت ما وعدني ربي حقًا فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ هذه المناداة تنافي كما أنا أفهم – وهو حق إن شاء الله – ما كان تلقاه عمر بن الخطاب تعليمًا من النبي ﷺ أن الموتى لا يسمعون، يكفي في ذلك القرآن الكريم: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ﴾(النمل:٨٠) كذلك قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾(فاطر:٢٢) طبعًا الآيتان فيهما كلام من حيث التفسير، لكن خلاصة الكلام فيهما لا يتنافى أبدًا مع هذه الحقيقة الشرعية، وهي: أن الموتى لا يسمعون، هذه الحقيقة هي التي كان عمر بن الخطاب تلقاها من قبل وتعلمها من رسوله ﷺ ولذلك أصبح عنده إشكال: كيف هو لقننا هذا العلم ثم هو يناديهم؟! فماذا كان موقف الرسول عليه السلام؟ كان موقفه منهم كما كان موقفه من أبي بكر ومن حفصة، أقرهم جميعًا على ما قالوا، لكن أدخل على كلامه قيدًا لا يعرفونه؛ لأنهم لا يوحى إليهم كما يوحى إليه، فلقد أقر الرسول عليه السلام عمر بن الخطاب على كلمته هذه، ومعنى هذا: أنه يقول له: صدقت

فالموتى لا يسمعون، لكن هؤلاء يسمعونني، ولذلك قال له في الجواب بلسان عربي مبين: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» أي: هؤلاء يسمعونني فأنت يا عمر الذي تلقيته مني حق وصواب، لكن اعلم أن هنا معجزة وكرامة خاصة لنبيه ﷺ حيث أسمعهم صوته، ومن شأنهم أنهم لا يسمعون لم؟ لأنهم موتى.

ويؤكد هذا المعنى أن الإمام أحمد رحمه الله روى هذه القصة بإسناده الصحيح في المسند أن عمر قال: والموتى لا يسمعون، أيضًا جاء الجواب كما سمعتم: ما قال له: لا، أنت مخطئ الموتى يسمعون لو كان هو مخطئًا، لكنه أقره على هذه العبارة الصريحة، ولكن أدخل في ذلك قيدًا، وهو: الموتى لا يسمعون إلا هؤلاء.

ولذلك جاء في صحيح البخاري في هذه القصة من طريق قتادة عن أنس بن مالك، هذه القصة التي رويناها باستثناء رواية الإمام أحمد مروية في الصحيحين، ومن طريق قتادة، قال قتادة: أحياهم الله له فأسمعه صوته تبكيتًا تحقيرًا ونكايةً منه.

إذًا: هذا الانتباه لإقرار الرسول عليه السلام لكلام الصحابي هذا معناه: أن كلام الصحابي حق لكن ينظر هل أدخل عليه الرسول عليه السلام شيئًا من التخصيص أو التقييد فيضاف إليه فنخرج بنتيجة سليمة بالمائة مائة، فالموتى لا يسمعون إلا هؤلاء سمعوا، وآلات الطرب لا تجوز بخاصة الدف إلا في يوم العيد، والناس كلهم لا بد أن يدخلوا النار كما فهمت حفصة من الآية ولكن يختلفون من صالح يمر مرورًا إلى الترنزيت كما يقولون اليوم إلى الجنة، أما الكفار فيلبثون فيها أحقابًا، نعم.

"فتاوى الإمارات"(١/ ١٠:٤١:٠٠)

[١٧٠٩] باب منه

سؤال: ما معنى تحلة القسم؟

الشيخ: يشير عليه الصلاة والسلام إلى قول الله عز وجل في القرآن: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(مريم: ٧١-٧٢).

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ معشر الإنس والجن.

﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: داخل النار، لا بد ولا مناص من ذلك، لا فرق في ذلك بين بار وشقي، كلهم؛ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾.

الورود هنا هو المرور على جسر جهنم الذي يحيط به لهيب نار جهنم، الذين يمرون على الجسر لا بد أن تحيط بهم النار سواء كانوا صالحين أو طالحين، ولكن الصالحين منهم وهنا الشاهد: لا تمسهم النار بسوء.

أي: أن النار في حق الصالحين المارين في جسر جهنم تكون عليهم برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم...

المرور لكل الثقلين: الإنس والجن، مع فارق هام جداً أن الأبرار لا تمسهم النار إلا مجرد المرور تنفيذاً لهذا القسم الإلهي: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(مريم: ٧١-٧٢).

المتقون يمرون على جهنم ولا يتساقطون فيها، بخلاف الكفار وهم الذين يهوون في جهنم وبئس المصير.

" الهدى والنور" (٢٠/ ٣٢: ٠٩: ٠٠)

[١٧١٠] باب منه

[قال الإمام]:

أما معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «لن تمسه النار إلا تحلة القسم» ففي الحديث إشارة إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(مريم: ٧١ – ٧٢) الخطاب للإنس والجن: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾(مريم:٧١) أي: إن ذلك في الكتاب كان مسطورًا، فلا بد لكل من الجنسين من الإنس والجن، لكل فرد من أفراد هذين الثقلين لا بد من أن يدخلوا النار، ثم قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(مريم:٧٢) فلا بد إذًا لكل من البشر أن يدخل النار، ولكن مع فارق كبير، المسلم يدخل النار ولا تمسه النار بعذاب، أما الكافر أو الفاسق فكل بحسب ما كان ارتكب من معاصي، أما الكافر فمخلد في النار، أما من دونه فكما ذكرنا.

ووارِدها في هذه الآية الكريمة: اختلفوا في التفسير على أقوال ثلاثة:

القول الأول: أن المقصود من الورود هو المرور بجانب النار وليس الدخول؛ لأنهم يقولون في اللغة العربية: أورد الناقة الحوض لا يعني أنه دخل بها الحوض، فإذًا: معنى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(مريم:٧١) هذا القول الأول، أي: يمر بها مرورًا جانبيًا، لكن من كان من الكفار أو الفساق فهو داخلها رغم أنفه، أما من كان مؤمنًا فهو يمر بجانبها، هذا هو القول الأول.

والقول الثاني: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾(مريم:٧١) أي: مار عليها، فهو يرى النار ولكن لا يحس بلهيبها ودخانها.

والقول الثالث والأخير، وهو الصحيح: أن المقصود بالورود الدخول، ويكفي أن يكون الدخول هو من نفس الصراط، ويكون الصراط كالنفق في الجبل، فيحيط النار بالداخلين، ولكن من كان مثل هذا الذي لم تمسه النار إلا تحلة القسم لا تؤثر فيه النار، وهذا القول كما ذكرت آنفًا هو الراجح، لماذا؟ لأن الإمام مسلمًا قد روى في صحيحه من حديث حفصة فيما أظن أو جابر بن عبد الله أشك الآن، لكن القصة تتعلق يقينًا بحفصة بنت عمر زوجة النبي ﷺ قال: قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية، قالت حفصة: كيف ذاك يا رسول الله! والله يقول: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾(مريم:٧١)؟».

فنلاحظ هنا شيئًا هامًا جدًا: أن الورود المذكور في الآية فهمته السيدة حفصة بمعنى الدخول، ولذلك أشكل عليها قول الرسول ﷺ أنه لا يدخل أحد من أهل بدر والحديبية، فأشكل عليها هذا النفي مع تعميم رب العالمين في الآية الدخول للثقلين كلهم بلا استثناء، فنجد الرسول عليه السلام كان موقفه تجاه فهم السيدة حفصة بمعنى الورود من الورود بمعنى: الدخول، أن الرسول أقرها على ذلك، وما قال لها: لا يا حفصة، الورود هنا: إنما هو بمعنى المرور بجانب النار أو من فوق ... لكنه عليه السلام أقرها أولًا على فهمها، أن معنى الورود هو بمعنى الدخول المنفي في حديثه عليه السلام، وهو: «لا يدخل النار أحد من أهل بدر والحديبية» أقرها على هذا الفهم ولكنه عليه الصلاة والسلام لفت نظرها إلى خطئها في وقوفها عند لفظة الورود دون إتمام الآية، فقال لها: «»وماذا بعد ذلك؟ قالت: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(مريم:٧٢)».

إذًا: نخرج من هذا الحديث بأن معنى الورود هو معنى الدخول؛ لأن النبي

ﷺ قد أقر السيدة حفصة على فهمها للآية، الورود بمعنى الدخول ولكنه قال تمام الآية: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(مريم:٧٢) أي: إن هذا الدخول بالنسبة للأبرار لا يكون إلا للعبرة ولرؤية الذين كانوا يستهزئون بهم في الحياة الدنيا: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ، عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ، هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(المطففين: ٣٤ – ٣٦).

ويحسن أن نذكر هنا حديثًا آخر هو صريح أصرح من حديث جابر كما قلنا أو حفصة، لكن هذا الحديث نذكره أيضًا كما نسمع أحيانًا: نرمي به عصفورين بحجر واحد، نبين أولًا أن معناه كمعنى حديث حفصة، وثانيًا: أنه ضعيف السند فيمكن الاستشهاد وليس الاستدلال به.

الحديث أخرجه الإمام أبو عبد الله الحاكم في المستدرك[1] بإسناد فيه جهالة وضعف، عن جابر بن عبد الله الأنصاري: أنه لقيه رجل في الطريق في المدينة، فسأله عن هذه الآية بعد أن قص عليه أن خلافًا وقع في مجلس من المجالس حول معنى الورود فيها، فكل ذهب إلى معنى من المعاني الثلاثة، فكان جواب جابر أن وضع أصبعيه في أذنيه وقال: صمتاً إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ قال: «لا يبقى بر ولا فاجر إلا ويدخلها ثم تكون بردًا وسلامًا على المؤمنين كما كانت على إبراهيم عليه الصلاة والسلام».

هذا الحديث يؤكد معنى حديث جابر في صحيح مسلم ونخرج بالدراسة: أن معنى تحلة القسم: أن الدخول لا بد منه؛ لأن الله قال في الآية: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا

(١) "صحيح الجامع" (رقم٦١٥٦).

وَارِدُهَا﴾(مريم:٧١) هذا هو القسم، لكن لا تمسه النار؛ لأن الله عز وجل قد عصم الأبرار من أن تمسهم النار، أما الدخول فلا بد منه.

"فتاوى جدة -الأثر-" (٢٢ / ٣٩:١٤:٠٠)

[١٧١١] باب منه

حديث جابر عن أم مبشر رضي الله عنهما: أنها سمعت النبي ﷺ يقول عن حفصة: «لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها» . قالت: بلى يا رسول الله فانتهرها . فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فقال النبي ﷺ: «قد قال الله عز وجل: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾».

[قال الإمام]:

رواه مسلم وغيره وهو مخرج في " الصحيحة " (٢١٦٠) و" تخريج السنة " (٨٦٠ - طبع المكتب الإسلامي).

أقول: ففي استدلال السيدة حفصة رضي الله عنها بآية الورود دليل على أنها فهمت (الورود) بمعنى الدخول وأنه عام لجميع الناس الصالح والطالح منهم، ولذلك أشكل عليها نفي النبي ﷺ دخول النار في حق أصحاب الشجرة، فأزال ﷺ إشكالها بأن ذكرها بتمام الآية: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾ ففيه أنه ﷺ أقرها على فهمها المذكور وأنه على ذلك أجابها بما خلاصته أن الدخول المنفي في الحديث هو غير الدخول المثبت في الآية، وأن الأول خاص بالصالحين ومنهم أهل الشجرة، والمراد به نفي العذاب، أي أنهم يدخلونها مروراً إلى الجنة دون أن

تمسهم بعذاب، والدخول الآخر عام لجميع الناس ثم هم فريقان: منهم من تمسه بعذاب، ومنهم على خلاف ذلك، وهذا ما وضحته الآية نفسها في تمامها وراجع لهذا " مبارق الأزهار " (١/ ٢٥٠) و" مرقاة المفاتيح " (٥/ ٦٢١ - ٦٣٢).

قلت: فاستفدنا من الإقرار المذكور حكماً لولاه لم نهتد إلى وجه الصواب في الآية وهو أن الورود فيها بمعنى الدخول وأنه لجميع الناس، ولكنها بالنسبة للصالحين لا تضرهم بل تكون عليهم برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم، وقد روي هذا صراحةً مرفوعاً في حديث آخر لجابر لكن استغربه الحافظ ابن كثير وبينت علته في " الأحاديث الضعيفة " (٤٧٦١)، لكن حديثه هذا عن أم مبشر يدل على صحة معناه، وقد مال إليه العلامة الشوكاني في تفسيره للآية (٣/ ٣٣٣) واستظهره من قبله القرطبي (١١/ ١٣٨ - ١٣٩) وهو المعتمد.

"تحقيق الآيات البينات في عدم سماع الأموات"(ص٥٢-٥٣).

[١٧١٢] باب منه

[قال النووي في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾:"الورود هو العبور على الصراط" فعلق الإمام قائلاً]:

ولا ينافي ذلك أن يكون الصراط نفسه محاطًا بالنار، بحيث أن المار عليه تحيط النار به فتمسه بعذاب إلا المتقين، وعيه فالورود هو الدخول، وعليه يدل عديد من النصوص.

"تحقيق رياض الصالحين"(ص٣٧٢).

[١٧١٣] باب هل هناك أناس الآن قد دخلوا الجنة أو النار؟

سؤال: يا أستاذ! هل هناك أناس الآن دخلوا الجنة أو أناس دخلوا النار، مثل الآية التي في سورة يس: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾(يس:٢٦)..؟

الشيخ: هذا فيما سيكون ..، أما الآن ما هو إلا الحياة البرزخية فدخول الجنة والنار مؤقت للحساب، ... البعث يوم القيامة..

مداخلة: حتى الشهداء والأنبياء..

الشيخ: كلهم، لكن أرواحهم لها نعيم خاص كما قال عليه السلام: «أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تعلق من ثمر الجنة» وكذلك: «أرواح المؤمنين في بطون طير خضر تعلق من ثمر الجنة» فهذا نعيم روحي، أما النعيم البدني والروحي معاً وكذلك الجحيم فذلك لا يكون إلا بعد البعث والنشور.

مداخلة: طيب يا أستاذ! نحن الذي نفهمه على قدر عقولنا، أن الشخص عندما يكون حي يكون جسده وروحه مرتبطان ببعض ...، الله عز وجل عندما يقول: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾(آل عمران:١٦٩) أقصد أنا: بل أحياء تكون الحياة مربوطة الجسد في الروح .

الشيخ: هذا شيء معروف لا يحتاج إلى سؤال، شرحه لك الرسول وأعطاك الجواب وأنا قدمته سلفاً.. أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، ما معنى هذا؟ معناه أنه يتنعم في بدنه؟! يتنعم في بدن مستعار، وهو الطير الأخضر، فحياة الشهداء حياة تتناسب مع مقامه عند الله أولاً وبقاؤهم في البرزخ ثانياً، الحياة تختلف حياة البرزخية غير الحياة الدنيوية، والحياة الأخروية غير الحياتين كلتيهما، الحياة الأخروية غير الحياة البرزخية وغير الحياة الدنيوية أيضاً؛ ولذلك لا يجوز

أن يستعمل الإنسان القياس.. قياس الغائب على الشاهد، فتقول أنت: نحن لا نعرف الحياة إلا هكذا! طيب! هذه الحياة التي تعرفها لا تقيس عليها الحياة التي لا تعرفها، وبخاصة وقد جاءت بعض النصوص توضح لك تماماً أن حياة الشهداء التي ربنا عز وجل أثبتها في نص القرآن: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(آل عمران:١٦٩) ما هو رزقهم؟ ليس طبق ونفق مثل الذي عندنا، رزقهم يأكلون بطريق أكل هذا الطير الأخضر، هذا هو الرزق، الحديث يبين القرآن.

مداخلة: عندما رأى الرسول عليه الصلاة والسلام الجنة والنار ووجد الذين يتعذبون فيها والذين يتنعمون فكيف هذا؟

الشيخ: نعم، كشف له عما سيكون عليه أوضاع أهل الجنة وأهل النار، هذا الكشف الحقيقي الذي سرقه الصوفية ونسبوه إلى أنفسهم، هذا للأنبياء والرسل وفقط.

"الهدى والنور" (٢٨ / ١٨: ٥٥: ٠٠)

[١٧١٤] باب الكافر في النار مكان المسلم فيها وفكاكاً له منها

[قال الإمام]:

وأما كون الكافر في النار مكان المسلم فيها . وفكاكاً له منها؛ فقد جاء بيانه في قوله - ﷺ -:«ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا مات فدخل النار؛ ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُون﴾» وهو مخرج في "الصحيحة" (٢٢٧٩) .

ونحوه في "صحيح البخاري" (٦٥٦٩)، وهو من حديث أبي هريرة .وبه

احتج البيهقي على ما ذكرنا من المعنى، فقال عقبه: "ويشبه أن يكون هذا الحديث تفسيراً لحديث الفداء، فالكافر إذا أورث على المؤمن مقعده من الجنة، والمؤمن إذا أورث على الكافر مقعده من النار؛ يصير في التقدير كأنه فدى المؤمن بالكافر . والله أعلم" .ونحوه في "شرح مسلم" للنووي؛ فراجعه إن شئت .

"الضعيفة"(١١/ ٢/ ٦٦٩).

[١٧١٥] باب ذكر السور الذي في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ﴾

[روي عن النبي ﷺ]:

- «إن السُّوْرَ الذي ذَكَرَهُ الله في القرآنِ: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾؛ هو السور الشرقي: (يعني: مسجدَ بيتِ المقدس)؛ باطنُه المسجد، وظاهره وادي جهنم».

(موقوف باطل).

[ثم أورد الإمام أحاديث بمعناه ثم قال]:

وبالجملة؛ فهذه الأحاديث - مع ضعف أسانيدها - منكرة من حيث متونها؛ لمخالفتها لما قبل الآية المذكورة وما بعدها؛ قال تعالى في أول سورة الحديد: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾.

فهذا السياق صريح بأن ضرب السور إنما هو يوم القيامة . وأن (السور) حائط بين الجنة والنار؛ كما رواه ابن جرير عن قتادة وغيره .

وهو الصحيح؛ كما قال ابن كثير . وما أحسن ما قاله الشوكاني في هذه الآثار: «ولا يخفاك أن تفسير السُّوْر المكور في القرآن في هذه الآية بهذا السور الكائن ببيت المقدس فيهمن الإشكال ما لا يدفعه مقال، ولا سيما بعد زيادة قوله: " باطنه فيه الرحمة ": المسجد؛ فإن هذا غير ما سيقت له الآية، وغير ما دلت عليه، وأين يقع بيت المقدس أو سوره بالنسبة إلى السور الحاجز بين فريقي المؤمنين والمنافقين، وأي معنى لذكر مسجد بيت المقدس ههنا، فإن كان المراد أن الله سبحانه ينزع سور بيت المقدس ويجعله في الدار الآخرة سوراً مضروباً بين المؤمنين والمنافقين؛ فما معنى تفسير باطن السور وما فيه من الرحمة بالمسجد؟! وإن كان المراد أن الله يسوق فريقي المؤمنين والمنافقين إلى بيت المقدس، فيجعل المؤمنين داخل السور في المسجد، ويجعل المنافقين خارجه؛ فهم إذ ذاك على الصراط وفي طريق الجنة وليسوا ببيت المقدس. فإن كان مثل هذا التفسير ثابتاً عن رسول الله - ﷺ - قبلنا وآمنا به، وإلا فلا كرامة ولا قبول ".

"الضعيفة"(١٢/ ١/ ٣٧٧، ٣٧٩-٣٨٠).

[١٧١٦] باب هل الشمس والقمر يعذبان في النار؟

[قال رسول الله ﷺ]:

«الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة» .

[قال الإمام]:

أخرجه الإمام الطحاوي في " مشكل الآثار " (١/ ٦٦ - ٦٧) حدثنا محمد

بن خزيمة: حدثنا معلى بن أسد العمي حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال: " شهدت أبا سلمة بن عبد الرحمن جلس في مسجد في زمن خالد بن عبد الله بن خالد ابن أسيد، قال: فجاء الحسن فجلس إليه فتحدثنا، فقال أبو سلمة: حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ قال . (فذكره) .

فقال الحسن: ما ذنبهما؟ ! فقال: إنما أحدثك عن رسول الله ﷺ فسكت الحسن .

وليس المراد من الحديث ما تبادر إلى ذهن الحسن البصري أن الشمس والقمر في النار يعذبان فيها عقوبة لهما، كلا فإن الله عز وجل لا يعذب من أطاعه من خلقه ومن ذلك الشمس والقمر كما يشير إليه قول الله تبارك وتعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾.

فأخبر تعالى أن عذابه إنما يحق على غير من كان يسجد له تعالى في الدنيا، كما قال الطحاوي، وعليه فإلقاؤهما في النار يحتمل أمرين: الأول: أنهما من وقود النار .

قال الإسماعيلي: " لا يلزم من جعلهما في النار تعذيبهما، فإن لله في النار ملائكة وحجارة وغيرها لتكون لأهل النار عذاباً وآلة من آلات العذاب، وما شاء الله من ذلك فلا تكون هي معذبة " .

والثاني: أنهما يلقيان فيها تبكيتا لعبادهما .

قال الخطابي:

" ليس المراد بكونهما في النار تعذيبهما بذلك، ولكنه تبكيت لمن كان يعبدهما في الدنيا ليعلموا أن عبادتهم لهما كانت باطلاً " .

قلت: وهذا هو الأقرب إلى لفظ الحديث ويؤيده أن في حديث أنس عند أبي يعلى - كما في " الفتح " (٦/ ٢١٤):

" ليراهما من عبدهما " . ولم أرها في " مسنده " والله تعالى أعلم .

"الصحيحة"(١/ ١/ ٢٤٢-٢٤٥).

[١٧١٧] باب منه

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " الشمس والقمر مكوران يوم القيامة " . (رواه البخاري).

[قال الإمام]:

أي في النار، كما في بعض الروايات الصحيحة، لا تعذيبًا لهما، بل توبيخًا لمن كان يعبدهما من دون الله تعالى.

"تحقيق مشكاة المصابيح"(٣/ ١٥٣١).

[١٧١٨] باب هل ينشئ الله أقواما للنار ليملأها

[قال رسول الله ﷺ]:

«يدخل أهل الجنة الجنة، فيبقى منها ما شاء الله عز وجل، فينشئ الله تعالى لها .يعني خلقاً .حتى يملأها» .

[قال الإمام]:

وقع في رواية للبخاري (٧٤٤٩) من طريق الأعرج عن أبي هريرة بلفظ: " .. وينشئ للنار ... "، مكان " .. الجنة " . وهي بلا شك رواية شاذة لمخالفتها للطريق الأولى عن أبي هريرة ولحديث أنس، وقد أشار إلى ذلك الحافظ أبو الحسن القابسي (علي بن محمد بن خلف القيرواني ت ٤٠٣)، وقال جماعة من الأئمة: إنه من المقلوب، وجزم ابن القيم بأنه غلط، واحتج بأن الله أخبر بأن جهنم تمتلئ من إبليس وأتباعه، وأنكرها الإمام البلقيني، واحتج بقوله تعالى: ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ .

ذكره الحافظ في " الفتح " (١٣/ ٤٣٧).

"الصحيحة"(٦/ ١/ ٩٢-٩٣).

[١٧١٩] باب من أهوال أهل النار

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم، يعني مكان الدمع» .

[وقال ﷺ]:

- «إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل يحذى له نعلان من نار يغلي منهما دماغه يوم القيامة» .

[ترجم لهما الإمام بما ترجمنا به].

"الصحيحة"(٤/ ٢٤٦،٢٤٥).

[١٧٢٠] باب هل الكذب المتعمد على النبي ﷺ يوجب الخلود في النار؟

سؤال: هل الكذب عمداً على النبي ﷺ يستوجب الخلود في النار؟

المسألة أن هذا كذب متعمداً كعبد الكريم بن أبي العوجاء، لأجل أن يحرم الحلال، ويحلل الحرام، كما صرح هو بنفسه. هذا يعتبر خرج من الملة لو قصد هذا؟

الشيخ: .. إذا قصد ماذا؟

مداخلة: إذا قصد أن يُدخل في الشريعة عمداً لأجل تزييفها ونحوها، هذا كافر؟

الشيخ: كافر.

مداخلة: وعامة الوضاعين الذين كانوا يضعون الحديث؟

الشيخ: ليسوا سواء، هناك... يعني من يضع مثلاً حديث: «شكوت إلى جبريل ضعفي من [الجماع]، فأمرني بأكل الهريسة»[1]. هذا لا يقصد الدس في الشريعة أو تغييرها، هذا من أجل ترويج البضاعة، كالذي روى أيضاً حديث: «من أكل اليخنة دخل الجنة»..

هذا يروونه بعضهم عن إمام قرية جاءه أحد فلاحي القرية،فوجد اليخنة عنده متكدسة عنده ويخشى أن تفسد، قال له: ما عليك، أنت أحضرها غداً أو اليوم إذا كان يوم جمعة، وضعها أمام المسجد والباقي علي، ففعل الرجل، صعد المنبر: يا

(١) "الضعيفة" (٤/ ١٨٠).

عباد الله! اتقوا الله.. إلى آخره، تسلسل، قال رسول الله ﷺ: «من أكل اليخنة دخل الجنة»، الناس ما يكادون يصدقون، يخرجون من مسجد اليخنة مكومة أمام باب المسجد، يشترون اليخنة من شان يدخلون الجنة، وفي لحظات انصرفوا من المسجد، نظف المكان من اليخنة، لأن الشيخ: [قال] على المنبر: «من أكل اليخنة دخل الجنة».

فهذا بلا شك ريب وافتراء، ويستحق النار، فليتبوأ مقعده من النار، لكن هذا يختلف عن ذلك الذي قصد إفساد الدين والشريعة، هذا متبع هواه.

سؤال: أذكر أن الجويني[ذكره] العلماء فيمن تفرد بأنه حكم على الكاذب على رسول الله بالكفر؟

مداخلة: أبو محمد.

مداخلة: أبو محمد الجويني، يذكرون أنه قال عنه أنه كافر.

الشيخ: نعم، هذا المنصوص عليه في المصطلح، لكن أنا في اعتقادي لا بد من التفصيل، لا بد من دراسة الدافع له على الكذب.

" الهدى والنور" (٣١/ ٤٥: ٣٤: ٠٠)

[١٧٢١] باب كيف الجمع بين قول النبي ﷺ: «لا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْسَانٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ» وبين ما هو معلوم من دخول العصاة النار - إذا شاء الله - لتطهيرهم

[**قال ابن أبي شيبة في كتاب "الإيمان"**]: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانَ يَقُولُ: لا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْسَانٌ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ

مِنْ إِيْمَانٍ .

(السند إلى إبراهيم صحيح).

[قال الإمام:]

يعني النّار الأبدية الّتي لا تفنى.

"تحقيق الإيمان لأبن أبي شيبة"(ص ٨٤) وانظر (ص٨٧)منه.

[١٧٢٢] باب تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾

[قال ابن أبي عاصم في "السنة"]:

حدثنا أبو عبدالله العنبري ثنا مؤمل عن أبي هلال عن قتادة عن أنس في قوله ﴿إنك من تدخل النار فقد أخزيته﴾ قال: من تخلده النار فقد أخزيته.

[فعلق الإمام قائلاً]:

إسناده ضعيف من أجل أبي هلال واسمه محمد بن سليم الراسبي وهو صدوق فيه لين، ونحوه المؤمل وهو ابن إسماعيل، قال الحافظ: "صدوق سيء الحفظ" وسائر رجاله ثقات، وأبو عبدالله العنبري اسمه: سوار بن عبدالله بن سوار.

والحديث أخرجه ابن جرير من طريقين آخرين (٤/ ١٤) من طريقين عن المؤمل به.

وأشار إلى تضعيف الحديث بتصويبه **أن معنى الآية أن من دخل النار فقد**

أخزي بدخوله إياها، وإن أخرج منها...، وروى نحوه عن جابر، وكل من تأمل في سياق الآية المذكورة وما قبلها وما بعدها لم يتردد في صحة ما استصوبه ابن جرير رحمه الله تعالى؛ وذلك أنها وقعت في جملة دعاء المؤمنين الذين يذكرون الله ويدعون قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ، رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

فهل يخطر في بال أحد أنهم دعوا أن لا يخزيهم بالنار الأبدية فقط؟!

"ظلال الجنة في تخريج السنة"(ص ٣٧١-٣٧٢).

[١٧٢٣] باب معنى قوله ﷺ: «أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة»

[قال رسول الله ﷺ]:

«أمتي أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل».

[قال الإمام]:

اعلم أن المقصود بـ"الأمة" هنا غالبها؛ للقطع بأنه لابد من دخول بعضهم النار للتطهير.

"الصحيحة"(٢/٦٤٨-٦٤٩).

جماع أبواب تحقيق مسألة القول بفناء النار

[١٧٢٤] باب الرد على القول بفناء النار
وتحقيق قول شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم في ذلك

[قال الإمام في مقدمة تحقيقه على كتاب " رفع الأستار لإبطال أدلة القالين بفناء النار" للصنعاني]:

وقعت عيني على رسالة الإمام الصنعاني تحت اسم " رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار"، . في مجموع رقم الرسالة فيه (٢٦١٩) فطلبته فإذا فيه عدة رسائل هذه الثالثة منها، فدرستها دراسة دقيقة واعية؛ لأن مؤلفها الإمام الصنعاني رحمه الله تعالى رد فيها على شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ميلهما إلى القول بفناء النار بأسلوب علمي رصين دقيق " من غير عصبية مذهبية، ولا متابعة أشعرية ولا معتزلية " كما قال هو نفسه رحمه الله تعالى في آخرها.

وقد كنت تعرضت لرد قولهما هذا منذ أكثر من عشرين سنة بإيجاز في " سلسلة الأحاديث الضعيفة " في المجلد الثاني منه (ص ٧١ - ٧٥) بمناسبة تخريجي فيه بعض الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة التي احتجا ببعضها على ما ذهبا إليه من القول بفناء النار، وبينت هناك وهاءها وضعفه وأن لابن القيم قولاً آخر وهو أن النار لا تفنى أبداً، وأن لابن تيمية قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار، وكنت توهمت يومئذ أنه يلتقي فيها مع ابن القيم في قوله الآخر، فإذا بالمؤلف الصنعاني يبين بما نقله عن ابن القيم أن الرد المشار إليه إنما يعني الرد على من قال بفناء الجنة فقط من الجهمية دون من قال بفناء النار، وأنه هو نفسه - أعني ابن تيمية - يقول بفنائها وليس هذا فقط، بل وأن أهلها يدخلون بعد ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار، وذلك واضح كل الوضوح في الفصول الثلاثة

التي عقدها ابن القيم لهذه المسألة الخطيرة في كتابه " حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح " (٢/ ١٦٧ - ٢٢٨)، وقد حشد فيها " من خيل الأدلة ورجلها، وكثيرها وقلها، ودقها وجلها، وأجرى فيها قلمه، ونشر فيها علمه، وأتى بكل ما قدر عليه من قال وقيل، واستنفر كل قبيل وجيل " كما قال المؤلف رحمه الله، ولكنه أضفى بهذا الوصف على ابن تيمية، وابن القيم أولى به وأحرى لأننا من طريقه عرفنا رأي ابن تيمية في هذه المسألة، وبعض أقواله فيها، وأما حشد الأدلة المزعومة وتكثيرها فهي من ابن القيم وصياغته وإن كان ذلك لا ينفي أنه تلقَّى ذلك كله أو جله من شيخه في بعض مجالسه، فما عزاه إليه صراحة فهو الأصل في ذلك، وما لم يعزه فلا، ولذلك جريت فيما يأتي على التنبيه على ما لم يعزه إليه صراحةً؛ لأن من بركة العلم أن يعزى كل قول لقائله، وليس العكس كما هو معروف عند العلماء.

وإن مما يؤيد هذا؛ أن ابن القيم رحمه الله تعرض لهذا البحث مطولاً أيضاً في كتابه " الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة " بنحو ما في " الحادي " كما تراه في " مختصر الصواعق " للشيخ محمد بن الموصلي (ص ٢١٨ - ٢٣٩) فلم يذكر فيه ابن تيمية مطلقاً، وكذلك رأيته فعل في " شفاء العليل " (ص ٢٥٢ - ٢٦٤) إلا أنه قال في آخرها:

"وكنت سألت عنها شيخ الإسلام قدس الله روحه فقال لي: هذه المسألة عظيمة كبيرة، ولم يجب فيها بشيء، ومضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكشي بعض تلك الآثار (يعني أثر عمر الآتي في أول الكتاب) فأرسلت إليه الكتاب وهو في مجلسه الأخير وعلمت على ذلك الموضع، وقلت للرسول: قل له هذا الموضع يشكل عليه ولا يدرى ما هو؟ فكتب فيها مصنفه

المشهور رحمة الله عليه فهذا مما يدل على أنه من الممكن أن يكون تلقاه كله عنه، ولكن لا نقول به إلا في حدود ما نص هو عليه أنه من كلام ابن تيمية نفسه رحمهما الله تعالى في " الحادي " أو في غيره إن وجد.

وقد وقفت في مخطوطات المكتب الإسلامي على ثلاث صفحات في ورقتين بخط لعله من خطوط القرن الحادي عشر، نقلها كاتبها الذي لم يكشف عن هويته من رسالة ابن تيمية رحمه الله في الرد على من قال بفناء الجنة والنار. وهذه الورقات الثلاث جمعها أخي المحقق زهير الشاويش من دشت مخطوطات عنده . وانظر صورها في الصفحات (٥٣ - ٥٥) وهذا نصها:

"قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله تعالى - في رسالة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار ما نصه:

" وأما القول بفناء النار ففيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين ومن بعدهم، وهذا أحد المأخذين في دوام عذاب من يدخلها.

فإن الذين يقولون: أن عذابهم له حد ينتهي إليه ليس بدائم كدوام نعيم الجنة قد يقولون: إنها قد تفنى وقد يقولون: إنهم يخرجون منها فلا يبقى فيها أحد . لكن قد يقال: إنهم لم يريدوا بذلك أنهم يخرجون مع بقاء العذاب فيها على غير أحد. وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهم رضي الله عنهم.

وروى عبد بن حميد - وهو من أجل علماء الحديث - في تفسيره المشهور قال: " أخبرنا سليمان بن حرب أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن

البصري قال: قال عمر: "لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج[1] لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه".

وقال: أخبرنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن: أن عمر بن الخطاب قال: "لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه" . ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى: [لابثين فيها][2] وهذا يبين أن مثل هذا الشيخ الكبير من علماء الحديث والسنة يروي عن مثل هؤلاء الأئمة في الحديث والسنة مثل سليمان بن حرب الذي هو من أجل علماء السنة والحديث، ومثل حجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة - مع جلالته في العلم والسنة والدين -، يروي من وجهين من طريق ثابت ومن طريق حميد هذا عن الحسن البصري - الذي يقال: أنه أعلم من بقي من التابعين في زمانه - يروى عن عمر بن الخطاب، وإنما سمعه الحسن من بعض التابعين، سواء كان هذا قد حفظ هذا عن عمر أو لم يحفظه كان مثل هذا الحديث متداولاً بين هؤلاء العلماء الأئمة لا ينكرونه، وهؤلاء كانوا ينكرون على من خرج عن السنة من الخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية، وكان أحمد بن حنبل يقول: أحاديث حماد بن سلمة هي الشجا في حلوق المبتدعة.

فهؤلاء من أعظم أعلام أهل السنة الذي ينكرون من البدع ما هو دون هذا لو كان هذا القول عندهم من البدع المخالفة للكتاب والسنة والإجماع كما يظنه طائفة من الناس، وعبد بن حميد ذكر هذا في تفسير قوله تعالى: [لابثين فيها أحقابا] ليبين قول من قال: إن الأحقاب لها أمد تنفد ليست كالرزق الذي ما له من

---

(١) هو رمل كثير جداً مسيرة أربع ليال بين فيد والقريات [منه].

(٢)سورة النبأ الآية (٢٣) [منه]ز.

نفاد، ولا ريب أن من قال هذا القول: عمر ومن نقله عنه إنما أراد بذاك جنس أهل النار الذين هم أهلها.

فأما قوم أصيبوا بذنوب فأولئك قد علم هؤلاء وغيرهم بخروجهم منها، وأنهم لا يلبثون فيها قدر عدد رمل عالج ولا قريبا من ذلك، والحسن كان يروي حديث الشفاعة في أهل التوحيد وقد ذكره البخاري ومسلم عنه وكذلك حماد بن سلمة كان يجمعها ويحدث الناس بها وكذلك سليمان بن حرب وأمثاله فهذا عندهم لا يقال فيه مثل هذا ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم كما قال النبي ﷺ:

«أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون»[1] وقوله: "يخرجون فيه" أي يخرجون من جهنم بعد أن يفنى عذابها، وينفد وينقطع، فهم لا يخرجون منها بل هم خالدون في جهنم كما أخبر الله، لكن انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا فلم يبق فيها عذاب، وذلك أن العالم لا يعدم، وجهنم في الأرض، والأرض لا تعدم بالكلية لكن فناؤها بتغير حالها واستحالتها من حال إلى حال قال تعالى: ﴿كل من عليها فان﴾[2] وهم لا يعدمون بل يموتون ويهلكون وكما قال تعالى ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾[3] فإذا أنفذه الرجل فقد نفد ما عنده وإن كان لم يعدم بل انتقل من حال إلى حال" . انتهى. وقال فيها أيضاً:

" والفرق بين بقاء الجنة والنار عقلاً وشرعاً أما شرعاً فمن وجوه:

---

(١) أخرجه مسلم وغيره وهو مخرج في " سلسلة الأحاديث الصحيحة" (١٥٥١) .وانظر مختصر صحيح مسلم" رقم (٧٨). [منه].

(٢)سورة الرحمن الآية (٢٦) .[منه].

(٣)سورة النحل الآية (٩٦) .[منه]

أحدها: أن الله أخبر ببقاء نعيم الجنة ودوامه وأنه لا نفاد له ولا انقطاع في غير موضع من كتابه، كما أخبر أن أهل الجنة لا يخرجون منها، وأما أهل النار وعذابها فلم يخبر ببقاء ذلك بل أخبر أن أهلها لا يخرجون منها.

الثاني: أنه أخبر بما يدل على أنه ليس بمؤبد في عدة آيات.

الثالث: أن النار لم يذكر فيها شيء مما يدل على الدوام.

والرابع: أن النار قيدها بقولها: ﴿لابثين فيها أحقابا﴾(١) وقوله: ﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾(٢) وقوله: ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك﴾(٣) فهذه ثلاث آيات تقتضي قضية مؤقتة، أو معلقة على شرط وذاك دائم مطلق ليس بمؤقت ولا معلق.

الخامس: قد ثبت أنه يدخل الجنة من ينشئه الله لها ويدخلها من دخل النار أولًاً، ويدخلها الأولاد بعمل الآباء، فثبت أن الجنة يدخلها من لم يعمل خيراً، وأما النار فلا يعذب أحد إلا بذنوبه فلا يقاس هذه بهذه.

السادس: أن الجنة من مقتضى رحمته ومغفرته والنار من عذابه وقد قال: ﴿نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيم، وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيم ﴾(٤) وقال تعالى: ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم﴾(٥) وقال تعالى: ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾(٦).

---

(١) سورة النبأ الآية (٢٣ .[منه].
(٢) سورة الأنعام الآية (١٢٨) .[منه].
(٣) سورة هود الآية (١٠٧) .[منه].
(٤) سورة الحجر الآية (٤٩ – ٥٠) .[منه].
(٥) سورة المائدة الآية (٩٨) .[منه].
(٦) سورة الأعراف الآية (١٦٧) .[منه].

فالنعيم من موجب أسمائه التي هي من لوازم ذاته فيجب دوامه بدوام معاني أسمائه وصفاته.

وأما العذاب فإنما هو من مخلوقاته والمخلوق قد يكون له انتهاء مثل الدنيا وغيرها، لا سيما مخلوق خلق لحكمة يتعلق بغيره.

الوجه السابع: أنه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء وأنه ﴿كتب على نفسه الرحمة﴾[(١)] وقال: «سبقت رحمتي غضبي» و«غلبت رحمتي غضبي» وهذا عموم وإطلاق، فإذا قدر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة البتة.

الثامن: أنه قد ثبت مع رحمته الواسعة أنه حكيم إنما يخلق لحكمة كما ذكر حكمته في غير موضع، فإذا قدر أنه يعذب من يعذب لحكمة كان هذا ممكناً كما يوجد في الدنيا العقوبات الشرعية فيها حكمة، وكذلك ما يقدره من المصائب فيه حكمة عظيمة فيها تطهير من الذنوب، وتزكية للنفوس، وزجر لها في المستقبل للفاعل ولغيره يجنبها غيره، والجنة طيبة لا يدخلها إلا طيب ولهذا قال في الحديث الصحيح: «إنهم يحبسون بعد خلوصهم من الصراط على قنطرة بين الجنة والنار، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة»[(٢)] . والنفوس الشريرة الظالمة التي لو ردت إلى الدنيا قبل العذاب لعادت لما نهيت عنه لا تصلح أن تسكن دار السلام التي تنافي الكذب والظلم والشر، فإذا عُذبوا بالنار عذاباً يخلص نفوسهم من ذلك الشر كان هذا معقولاً في الحكمة، كما يوجد في تعذيب الدنيا وخلق من فيه شر يزول بالتعذيب من تمام الحكمة.

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى { وسعت رحمتي كل شيء } الأعراف الآية (١٥٦) .[منه].

(٢) رواه البخاري وغيره وهو مخرج في (ظلال الجنة في تخريج السنة) لابن أبي عاصم (٨٥٧ - ٨٥٨) .[منه].

أما خلق نفوس تعمل الشر في الدنيا والآخرة لا يكون إلا في العذاب، فهذا تناقض يظهر فيه من مناقضة الحكمة والرحمة ما لا يظهر من غيره، ولهذا كان من الجهم[1] لما رأى ذلك ينكر أن يكون الله أرحم الراحمين وقال: بل يفعل ما يشاء . والذين سلكوا طريقته كالأشعري وغيره ليس عندهم في الحقيقة له حكمة ورحمة، لكن له علم وقدرة وإرادة لا ترجح أحد الجانبين، ولهذا لما طلب منهم أن يقروا بكونه حكيماً، فرده بأنه عليم، إذ قد يراد: يريد وليس من الثلاثة ما يقتضي الحكمة، وإذا ثبت أنه حكيم رحيم وعلم بطلان قول الجهم تعين إثبات ما تقتضيه الحكمة والرحمة.

وما قاله المعتزلة أيضاً باطل، فقول القدرية المجبرة والنفاة في حكمته ورحمته باطل، ومن أعظم ما غلَّطهم اعتقادهم تأبيد جهنم فإن ذلك يستلزم ما قالوه، وفساد اللازم يستلزم فساد الملزوم" انتهى[2] .

وأنت ترى في هذه الصفحات المنقولة عن رسالة ابن تيمية شبهاً كبيراً فيما جاء فيها من الأمور بكلام ابن القيم في " الحادي " الذي نقل المؤلف خلاصات منه ورد عليها، مع فارق من حيث الإيجاز والبسط من جهة، وعدم تعرضه لكثير من المسائل والأحاديث والأدلة من جهة أخرى، وإن كان من الممكن أن يقال: أن من الجائز أن يكون ابن تيمية قد تعرض لذلك أيضاً في " رسالته " ولكن كاتب تلك الصفحات اختصرها كما يدل عليه قوله في أولها عن ابن تيمية: " وأما القول بفناء النار "، وقول الكاتب في آخر ثلث الصفحة الثانية من الثلاث: (انتهى) وكذا قال في آخر الثالثة أيضاً . والله أعلم، ولقد كان أملي كبيراً في أن أجد رسالة ابن

(١) هو الجهم بن صفوان المقتول سنة ١٢٤ هـ .[منه].

(٢) هنا انتهت الصفحات الثلاث المخطوطة . [منه].

تيمية هذه محفوظة في " مجموع الفتاوى " التي جمعها الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم في خمس وثلاثين مجلداً ولكني - مع الأسف - لم أجد لها أثرا في شيء منها بعد تقليبي لها كلها، والاستعانة على ذلك بالفهارس التفصيلية الموضوعة لها، وكان أقوى ظني أن يوردها تحت عنوان " التخليد " الموضوع في (الفهرس) (١/ ١٣٩) ولكن دون جدوى أو في " تفسير سورة هود " في آيتي الاستثناء فيها، لكني لم أرها مع أنه أشار إليهما في فهرس السورة (١/ ٢٩١) فلما رجعت إلى المكان الذي أشار إليه (١٥/ ١٠٤) لم أجد فيه سوى إشارة ابن تيمية إلى الآيتين بقوله: " ثم ذكر حال الذين سعدوا والذين شقوا ثم قال . . . " أو في آية (الأنعام ١٢٨) من تفسير هذه السورة، ولكنها مما لا وجود له فيه مطلقا، أو في تفسير (النبأ) آية [لابثين فيها أحقابا] والقول فيه كالقول في الذي قبله، إلا أنه قد أشار في (الفهرس) (١/ ٣٤٥) أنها في موضعين من " المجموع " الأول في (١٦/ ١٩٤ - ١٩٧) والآخر في (١٨/ ٣٠٧) ومع ذلك فليس للآية ذكر فيهما مطلقاً نعم في الموضع الأول (ص ١٩٧) ما يدل ظاهر كلامه أنه يقول بخلود الكفار في النار، ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى في (سورة الأعلى): ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيى﴾. ولكنه لا ينافي قوله بفناء النار؛ لأن له أن يقيده بقوله: ما لم تفن كما فعل بكثير من الآيات الصريحة بالخلود، بل والخلود الأبدي كما سترى ذلك مع رد المؤلف عليه في الرسالة إن شاء الله تعالى.

لكنه في الموضع الآخر قد صرح بخلاف ذلك وأن النار لا تفنى صراحة؛ فقد جاء في الصفحة المشار إليها منه ما نصه:

" وسئل عن حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: " سبعة لا تموت ولا تفنى ولا تذوق الفناء: النار، وسكانها، واللوح، والقلم، والكرسي، والعرش "

فهل هذا الحديث صحيح أم لا؟

فأجاب: هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو من كلام بعض العلماء . وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرض وغير ذلك ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين . . . ".
قلت: والظن بمن هو دون ابن تيمية علماً وديناً أن لا يخالف سلف الأمة وأئمتها، ولم لا وهو حامل راية الدعوة إلى اتباعهم، والسير على منهجهم، والتحذير من مخالفتهم، والخروج عن سبيلهم، كما لا يخفى ذلك على كل من اطلع على شيء من كتبه، وتغذى بطرف من علمه، لا سيما والنص في معنى ما ذكره محفوظ عن الإمام أحمد إمام السنة فقد ذكر في آخر كتابه " الرد على الزنادقة "[1] وقد حكى عن الجهمية قولهم بفناء الجنة والنار فرده عليهم بشطريه وذكر آيات كثيرة في بقاء الجنة ودوامها، ثم قال في رد قولهم بفناء النار:

" وذكر الله تعالى أهل النار فقال:

﴿لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾(فاطر:٣٦).

وقال: ﴿أولئك يئسوا من رحمتي﴾(العنكبوت:٢٣). وقال: ﴿ولا ينالهم الله برحمته﴾(الأعراف:٤٩) وقال: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون﴾(الزخرف:٧٧) وقال: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من

(١) وهو من المراجع المعتمدة عند ابن تيمية وغيره فانظر مثلا " مجموع الفتاوى " (٣/ ٤ . ٦٦/ ٩٦ - ٦ . ٢١٧ . ٨/٧٠ . ١٣/١٥٣ . ٤١٦ . ٤٠٩ . ١٥/٣٨٥ . ٣١٠ . ١٧/١٤٤ . ٤٧٢ . ٤٠٨ . ٢١٣/ ٤١٤ . ٣٩١).[منه].

محيص﴾(إبراهيم:٢١) وقال: ﴿خالدين فيها أولئك هم شر البرية﴾(البينة:٦) وقال: ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾(النساء:٥٦) وقال: ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾(السجدة:٣٠)وقال: ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾(الهمزة:٨).

هذا كله مما احتج به الإمام أحمد رحمه الله تعالى على القائلين بفناء النار وعدم دوامه وقد نقل عنه شارح قصيدة الإمام ابن القيم: (الكافية الشافية) (١/ ٩٧) أنه قال: " والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف ذلك فهو مبتدع " ونحوه قول ابن حزم في " الملل والنحل " (٤/ ٨٣): " اتفقت فرق الأمة كلها على: أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها، ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان . . . " وفي " العقيدة الطحاوية " (ص ٤٢٠ - بشرحها طبع المكتب الإسلامي): " والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان " ثم رأيت ابن حزم قد أورد المسألة أيضا في كتابه " مراتب الإجماع" فقال (ص ١٧٣): " . . . وأن النار حق وأنها دار عذاب أبداً، لا تفنى ولا يفني أهلها أبدا بلا نهاية" وأقره شيخ الإسلام أحمد بن تيمية خلافا لغيرها من المسائل التي تعقبه فيها ومن العجيب أن هذا القول بعدم فنائها هو مما ذهب إليه ابن القيم رحمه الله، كما يدل عليه ظاهر كلامه في كتابه " الروح " (ص ٣٤ - طبعة صبيح) بل ذلك ما صرح به في بعضه كتبه:

١ - قال في " الكافية الشافية ": "ثمانية حكم البقاء يعمها من ...الخلق والباقون في حيز العدم"هي: العرش والكرسي ونار وجنة... وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم[1].

---

(١) "توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم "(١/ ٦٩).[منه].

٢ - وأصرح منه ما كنت نقلته عنه في " سلسلة الأحاديث الضعيفة " في كتابه " الوابل الصيب " (ص ٢٦) قال ما نصه: "وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعضه، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلا خبيث، ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، كانت دورهم ثلاثة:

دار الطيب المحض ودار الخبث المحض وهاتان الداران لا تفنيان ودار لمن معه خبث وطيب، وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبث المحض.

٣ - تصريحه في مقدمة كتابه العظيم: " زاد المعاد في هدى خير العباد " بأن المشرك لا تطهره النار، ولو أخرج منها عاد خبيثاً كما كان وقد حرم الله عليه الجنة. وسيذكر المؤلف رحمه الله نص كلامه في ذلك في أول الرسالة (ص ٦٣) فإن قيل: إن بعض الآيات التي احتج بها الإمام أحمد رحمه الله هي على الأقل قطعية الدلالة في ديمومة عذاب الكفار وعدم فناء النار كقوله تعالى: ﴿لا يخفف عنهم من عذابها﴾ وقوله: ﴿إنكم ماكثون﴾ وقوله: ﴿ما لنا من محيص﴾ وغير ذلك من الآيات التي تأولها ابن القيم وأخرجها عن دلالتها على عدم الفناء مما سيأتي ذكره في الرسالة ورد المصنف عليه، وكذلك بعض الأحاديث الصحيحة تدل دلالة قاطعة على ذلك، ولا بأس من أن أذكر الآن بعضها:

الأول: حديث أنس الطويل في شفاعة النبي ﷺ وفيه: «فأخرجهم فأدخلهم الجنة فما يبقى في النار إلا من حبسه القرآن . أي وجب عليه الخلود» . رواه

الشيخان وغيرهما وهو مخرج في «ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم» (٨٠٤ - ٨١٠).

الثاني: حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناس[1] أصابتهم النار بذنوبهم أو قال: بخطاياهم فأماتهم الله تعالى إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة . . .»الحديث أخرجه مسلم (١/ ١١٨) وغيره وهو مخرج في "سلسلة الأحاديث الصحيحة " (١٥٥١) . وفي رواية عنه أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية: ﴿لا يموت فيها ولا يحيى﴾ فقال النبي ﷺ: فذكره نحوه إلا أنه قال: «وأما الذين ليسوا من أهل النار فإن النار تميتهم . . . .» . ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية من رواية أبي حاتم كما في " مجموع الفتاوى " (١٦/ ١٩٥).

ووجه دلالة الحديث أنه صرح تبعا للقرآن أن الكافر لا يموت في النار ولا يحيى، فإذا قيل بأن النار تفنى؛ فإما أن يقال: تفنى بمن فيها كما هو المتبادر إن قيل بفنائها، أو تفنى لوحدها دون من فيها، وكلاهما باطل، لأن معنى الآية كما في "تفسير ابن كثير ": "أن الكافر لا يموت فيستريح، ولا يحيى حياة تنفعه، بل هي مضرة عليه "، فإن فني الكافر معها فقد مات واستراح، وإن حيي دونها فقد استراح منها أيضاً، وكل هذا باطل بداهة، فإذا انضم إلى ذلك القول بأنه يدخل الجنة فهو أبطل.

---

(١) وقع هنا في " مختصر مسلم " للمنذري (رقم - ٨٧) زيادة (منكم) فلتحذف فإنها ليست في مسلم. [منه].

الثالث: حديث ذبح الموت بين الجنة والنار وقد جاء عن جمع من الصحابة كابن عمر وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم في " الصحيحين " وغيرهما فلنذكر حديثين منها:

أحدهما: عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت،كل خالد فيما هو فيه» أخرجه الشيخان. والآخر: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت يوم القيامة فيوقف على الصراط فيقال: يا أهل الجنة، فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، ثم يقال: يا أهل النار فيطلعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه، فيقال: هل تعرفون هذا؟ قالوا: نعم هذا الموت، قال: فيؤمر فيذبح على الصراط ثم يقال للفريقين كلاهما: خلود فيما تجدون لا موت فيها أبدا». أخرجه ابن ماجه بإسناد جيد كما قال المنذري وصححه ابن حبان (٢٦١٤) وأحمد (٢/ ٢٦١).

قلت: ففي الحديث دلالة قاطعة على بطلان دعوى فناء النار؛ لأنه جعلها كالجنة من حيث خلود أهلها فيما هم فيه من العذاب إلى الأبد، فكما أن الجنة لا تفنى أبداً فكذلك النار لا تفنى أبداً، وكل ذلك واضح بين إن شاء الله تعالى.

بعد هذا أعود فأقول: إن ما تقدم من الآيات والأحاديث صريحة في الدلالة على بطلان القول بفناء النار، فكيف ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتصر له تلميذه ابن قيم الجوزية؟ فأقول: إن أحسن ما أجد في نفسي من الجواب عنهما إنما هو أنه لما توهما أن بعض الصحابة قد ذهبوا إلى ذلك، وهم قدوتنا جميعاً لو صح ذلك عنهم روايةً ودرايةً ولم يصح كما سيأتي بيانه عند المؤلف الصنعاني رحمه الله، واقترن مع ذلك غلبة الخوف عليهما من الله ﴿ولمن خاف مقام ربه

جنتان﴾[1] والشفقة على عباده تعالى من عذابه، وغمرهما الشعور بسعة رحمته وشمولها حتى للكفار منهم، وساعدهما على ذلك ظواهر بعض النصوص ومفاهيمها، فأذهلهما ذلك عن تلك الدلالة القاطعة، وقالا ما لم يقل أحد قبلهما، وما أرى لهما شبهاً في هذا إلا ذلك المؤمن الذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ليضل عن ربه فلا يقدر على تعذيبه زعم كما قال ﷺ: «قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه، ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم به، فأمر الله البر فجمع ما فيه، وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب وأنت، أعلم فغفر الله له».

أخرجه الشيخان وغيرهما عن جمع من الصحابة منهم أبو هريرة وهذا لفظه عند مسلم (٨/ ٩٧) وسيأتي عن ابن يتيمة وغيره أنه متواتر في التعليق (٩٧) فهذا الرجل أنساه خوفه من ربه قدرته تعالى على إعادة خلقه وهي معلومة يقيناً ﴿وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم . قل يحيها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾(يس:٧٨ ٧٩) فما أشبه ابن تيمية به من حيث أنه غفل عن المعلوم يقيناً أيضاً، وهو أن النار باقية لا تفنى، إلا أن الحامل له على ذلك إنما كان ثقته البالغة في رحمة ربه وعفوه، وأنها وسعت كل شيء دون ما استثناء، ووافق ذلك منه خلقاً كريماً وطبعاً رحيماً جبله الله عليه عرف به بين أصحابه، ولا أدل على ذلك مما كتب به إليهم من سجنه الظالم في مصر: "فلا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه علي أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسه،

(١) سورة الرحمن الآية (٤٦) .[منه].

والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي . . . أسأل الله أن يتوب عليهم وأنتم تعلمون هذا من خلقي . . . " . انظر " مجموع الفتاوى " (٢٨/ ٥٥ - ٥٦).

وساعده على ذلك ظواهر بعض الآيات والأحاديث التي لم يمعن النظر فيها فلم يتبين له خطأ استدلاله بها، حتى استقر ذلك القول في نفسه، وأخذ بمجامع لبه، فصار يدافع عنه ويحتج له بكل دليل يتوهمه ويتكلف في الرد على الأدلة المخالفة له تكلفاً ظاهراً خلاف المعروف عنه، وتبعه في ذلك بل وزاد عليه تلميذه وماشطة كتبه - كما يقو ل البعض - ابن قيم الجوزية.

حتى ليبدو للباحث المتجرد المنصف أنهما قد سقطا فيما ينكرانه على أهل البدع والأهواء من الغلو في التأويل والابتعاد بالنصوص عن دلالتها الصريحة، وحملها على ما يؤيد ويتفق مع أهوائهم، كما سترى ذلك مفصلا في " الرسالة " هذه (ص ١١٦ - ١٢٢)، حتى بلغ الأمر بهما إلى تحكيم العقل فيما لا مجال له فيه كما يفعل المعتزلة تماماً، وقد تعلمنا من ابن تيمية وابن القيم - جزاهما الله خيراً - الرد عليهم في مثله؛ فزعما أن عذاب النار سبب لإزالة آثار الخبث والنجاسة من الكفار فإذا تطهروا منها عادوا إلى فطرتهم الأولى فيزول العذاب ويبقى مقتضى الرحمة .كما سيأتي (ص ١٢٢) نقلاً عن ابن القيم ومضى نحوه من كلام ابن تيمية . فتأمل معي في ذلك تجده كلاماً خطابياً خيالياً لا حقيقة تحته، فإنه يفترض ذهاب تلك الخبائث وتلاشيها، وزوال العذاب عن الكفار وهم في الدار الآخرة حيث لا تكليف فيها، فإن من المعلوم يقيناً أننا لو تخيلنا كافراً تاب إلى ربه وأناب إليه حينما رأى العذاب بأم عينيه أنه لا يفيده ذلك شيئاً بالإجماع، فكيف ينفعه شيء وهو لم يتب وهو في العذاب محترق؟ تالله إنها لإحدى الكبر أن يخفى مثل هذا على أحد من المسلمين، فكيف بشيخ الإسلام وتلميذه ابن

القيم الهمام ونحن دائماً نغترف من بحر علومهما ونستضيء بنور أدلتهما في إزالة الشكوك والأوهام، في كثير مما اختلف فيه الناس قديماً وحديثاً، وعلى سبيل المثال المناسب للحال أذكر هنا ملخصاً فتوى لابن تيمية جاءت في " مجموع الفتاوى " (٤/ ٣٢٤): "سئل الشيخ رحمه الله تعالى: هل صح عن النبي ﷺ أن الله تعالى أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه ثم ماتا بعد ذلك؟"

فأجاب: "لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل الحديث متفقون على أن ذلك كذب مختلق،وإن كان قد روي بإسناد فيه مجاهيل، وأمثال هذه المواضع فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذباً، كما نص عليه أهل العلم، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله؛ فإنه من أعظم الأمور خرقا للعادة من وجهين:

١ - من جهة إحياء الموتى:

٢ - ومن جهة الإيمان بعد الموت، ثم هذا خلاف الكتاب والسنة الصحيحة والإجماع قال الله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما . وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار﴾(النساء:١٧ ١٨). فبين الله تعالى أنه لا توبة لمن مات كافراً . وقال تعالى: ﴿فلم يك ينفعهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾(غافر:٨٥) فأخبر أن سنته في عباده أنه لا ينفع الإيمان بعد رؤية البأس فكيف بعد الموت؟ "

قلت: فمن يفتي بهذا كيف يعقل أن يقول بنقيضه، لولا الذهول الذي نوهت

عنه، بل إنه زاد على ذلك فقال ابن تيمية فيما تقدم من رسالته (ص ١٣): "ولو قدر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة البتة "! ويا سبحان الله أين هو من مثل قوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾(الأعراف:١٥٦) وقوله ﷺ: «إن لله مائة رحمة، سأنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس، والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة» . أخرجه الشيخان، وكذا أحمد، والحاكم وصححه، من طرق عن أبي هريرة بلفظ: «فيكملها مائة رحمة لأوليائه يوم القيامة»، وله بعض الشواهد خرجتها معه في " سلسلة الأحاديث الصحيحة " (رقم ١٦٣٤) فالآية الكريمة والحديث الشريف صريحان في أن الرحمة إنما هي للذين يستحقونها من المؤمنين، كلما كان المؤمن لله أتقى كلما كان بها أحظى، وليس الأمر كما يرجو بعض المهابيل من الذين يترنمون بقول شاعرهم البوصيري: لعل رحمة ربي حين يقسمها تأتي على حسب العصيان في القسم كيف هذا وربنا يقول: [والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروق وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطعيون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم] (التوبة/ ٧١) ويقول: ﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾(البقرة:٢١٨) ولذلك كان من دعاء الملائكة الذين يحملون العرش: [ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾(غافر:٧) . فكل من وقاه الله تبارك وتعالى عذاب الجحيم فهو منغمس في رحمة الله يومئذ، كما هو صريح قوله عز وجل: ﴿فأما الذين اسودت وجوههم أكفرت بعد إيمانكم فذقوا العذاب بما كنتن تكفرون . وأما الذين ابيضت

وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾(آل عمران:١٠٦ و١٠٧).

فكيف يقول ابن تيمية: «ولو قدر عذاب لا آخر له لم يكن هناك رحمة البتة "، فكأن الرحمة عنده لا تتحقق إلا بشمولها للكفار المعاندين الطاغين، أليس هذا من أكبر الأدلة على خطأ ابن تيمية وبعده هو ومن تبعه عن الصواب في هذه المسألة الخطيرة؟ فغفرانك اللهم.

ولعل ذلك كان منه إبان طلبه للعلم، وقبل توسعه في دراسة الكتاب والسنة، وتضلعه بمعرفة الأدلة الشرعية في الوقت الذي كان يحسن الظن بابن عربي الصوفي القائل بأن عذاب الكفار في النار لا يستمر، بل ينقلب عليهم إلى عذوبة يتلذذون بها كما في " حادي الأرواح " (٢/ ١٦٨) فلما تبين له حاله رجع عنه كما تحدث بذلك هو نفسه فقال كما في " مجموع الفتاوى " (٢/ ٤٦٤ - ٤٦٥): "وإنما كنت قديماً ممن يحسن الظن بابن عربي ويعظمه لما رأيت في كتبه من الفوائد مثل كلامه في كثير من " الفتوحات " " والدرة الفاخرة " و" مطالع النجوم "ونحو ذلك، ولم نكن بعد اطلعنا على حقيقة مقصودة ولم نطالع " الفصوص" ونحوه . . .».

ومثله جزمه بحياة الخضر عليه الصلاة والسلام مع إبطاله لحديث «لو كان الخضر حياً لزارني» وقوله: بل المروي في " مسند الشافعي وغيره أنه اجتمع بالنبي ﷺ، ومن قال إنه لم يجتمع بالنبي ﷺ فقد قال ما لا علم له "[(١)] . ذكر له ذلك في فتوى له تجد نصفها في (المجموع) (٤/ ٣٣٨ - ٣٤٠) انظر (١٠/ ٤٦).

---

(١) يشير إلى حديث وفاة النبي ص واجتماع الصحابة حوله ومجيء الخضر عليه السلام وتعزيته إياهم، وهو حديث موضوع خرجته في " الضعيفة " (٥٢٠٤). [منه].

فإن المعروف عنه رحمه الله أنه يقول بموت الخضر عليه السلام،كما هو قول كثير من الأئمة كالإمام البخاري، وقد صرح بذلك في كثير من رسائله وفتاويه فقال في " زيارة بيت المقدس " (٢٧/ ١٨):

" وكذلك الذي يرون الخضر أحياناً هو جني لبس على المسلمين الذي رأوه، وإلا فالخضر الذي كان مع موسى عليه السلام مات، ولو كان حياً على عهده رسول الله ﷺ لوجب عليه أن يأتي إلى النبي ﷺ ويؤمن به ويجاهد معه . . . ولم يذكر أحد من الصحابة أنه رأى الخضر، ولا أنه أتى إلى النبي ﷺ، فإن الصحابة كانوا أعلم وأجل قدراً من أن يلبس الشيطان عليهم، ولكن لبس على كثير ممن بعدهم . . . ".

وقال في موضع آخر (٢٧/ ١٠٠): "والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت، وأنه لم يدرك الإسلام، ولو كان موجوداً في زمن النبي ﷺ لوجب أن يؤمن به ويجاهد معه . . . وإذا كان الخضر حياً دائماً فكيف لم يذكر النبي ﷺ ذلك قط، ولا أخبر به أمته ولا خلفاؤه الراشدين؟"

قلت: حتى ولا ذكر ذلك لأمين سره حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، فمن ذا الذي يدعي بعد ذلك أنه علمه ما لم يعلم هؤلاء الأجلة العظماء رضي الله عنهم. وقد صرح ابن تيمية بموت الخضر في مواطن أخرى كثيرة فانظر مثلاً (١/ ٢٤٩) من " المجموع "، أليس في ذلك دليل واضح على أن فتواه الأولى بحياة الخضر كانت في أول أمره ولا سيما وقد احتج لها بحديث الشافعي وهو موضوع كما هو مبين في " سلسلة الأحاديث الضعيفة " برقم (٥٢٠٤) فيه القاسم بن عبد الله العمري قال أحمد: " كان يكذب ويضع الحديث ".

ومن ذلك أنه كان يفتي بنجاسة الزيت ونحوه إذا وقعت فيه نجاسة مثل الفأرة الميتة، كما هو مذهب الشافعي وغيره، اعتماداً منه على حديث أبي داود: «إن كان جامدا فألقوها وما حولها وكلوا سمنكم، وإن كان مائعا فلا تقربوه». فلما تبين له أن قوله فيه: «وإن كان مائعا فلا تقربوه» ضعيف رجع عنه إلى القول: بعدم التفريق بين المائع والجامد، وأن العبرة في كل ذلك إنما هو التغير، فقال في فتوى له:

" وهذا هو الذي تبين لنا ولغيرنا ونحن جازمون بأن هذه الزيادة ليست من كلام النبي ﷺ، فلذلك رجعنا عن الإفتاء بها بعد أن كنا نفتي بها أولاً، فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل " " مجموع الفتاوى" (٢١/ ٥١٥ - ٥١٦)[1].

ونحوه رجوعه عن بعض أحكام المناسك التي كان قلد فيها من قبله من العلماء كما قال في "منسكه " (المجموع ٢٦/ ٩٨).

ولا غرابة في أن يكون لمثله أكثر من قول واحد في بعض المسائل، وأن يخطئ في بعض آخر؛ فإن ذلك من الأمور الطبيعية التي لا يخلو منها أحد من العلماء بعد رسول الله ﷺ، فإن من المعلوم أن أحدهم كلما طال به الزمن في طلب العلم، وتقدم به في ذلك العمر، كلما ازداد به معرفةً ونضجاً، وهذا هو السبب في كثرة الأقوال التي تروى في المسألة الواحدة عن بعض الأئمة المتبوعين، وبخاصة منهم الإمامين أحمد وأبا حنيفة، وتميز الإمام الشافعي من

(١) وانظر " المسائل الماردينية " لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق زهير الشاويش (ص ٢٧) طبع المكتب الإسلامي.[منه].

بينهم بمذهبه القديم والجديد، وهذا أبو الحسن الأشعري - إمام الأشاعرة في العقيدة - نشأ في الاعتزال أربعين عاماً يناظر عليه، ثم رجع عن ذلك وصرح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " المجموع " (٤/ ٧٢).

وقد صرح بهذه الحقيقة الإمام أبو حنيفة رحمه الله حين نهى أبا يوسف عن تقليده فقال له: "ويحك يا يعقوب، لا تكتب كل ما تسمع مني، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غداً، وأرى الرأي غداً وأتركه بعد غد".

ولذلك تتابعت أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم في النهي عن تقليدهم، وجرى في ذلك على سننهم كل من جاء بعدهم من العلماء المحققين من أمثال ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، وجريت أنا على هذا الذي خططوه لنا في كل ما تبين من العلم كما تراه موضحاً في مقدمة "صفة صلاة النبي ﷺ".

وهذا هو السبب الذي يحملني على أن لا أحابي في ذات الله أباً، أو أداري في دين الله أحداً، فترانا هنا نرد على شيخ الإسلام ابن تيمية قوله بفناء النار، ولا نداريه مع عظمته في نفوسنا، وجلالته في قلوبنا فضلاً عن أننا لا نقلده في ديننا، خلافاً لما عليه عامة المقلدة الذين يحملهم إجلالهم لإمامهم على تقليده، ونبذ قول كل من خالف، حتى ولو كان المخالف هو النبي محمداً ص، بديل أن يتخذوه وحده قدوةً ولا يشركوا معه في ذلك أحداً كما هو الواجب[1] بل إنهم ليصرحون بخلاف ذلك كما قال أحدهم اليوم في كتيب له:

---

(١) انظر كلام الحافظ ابن رجب الحنبلي في " صفة الصلاة " (ص ٣٢ - ٣٣) الطبعة العاشرة - نشر المكتب الإسلامي. [منه].

" أفلا يحق لنا أن نعتبر من واقع غيرنا (يعني السلفيين) فنثبت عند أقوال الإمام الذي يسر الله تعالى لنا الاقتداء به منذ أول نشأتنا "[1].

ونحن نقول بقول رب العالمين في القرآن الكريم: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير]؟ فأين أنت يا هذا من قوله تبارك وتعالى: [لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾؟ وغير ذلك من النصوص التي توجب على كل مسلم اتباعه ﷺ دون سواه ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ولكن ﴿من لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾.

وإذا كان هذا موقف المقلدة من رسول الله ﷺ، فماذا يكون موقفهم من المحبين له، المخلصين في الاقتداء به، لا سيما إذا كان من العلماء العاملين المعروفين بالرد على كل من خالف شرعة رب العالمين؛ كابن عربي وابن الفارض القائلين بوحدة الوجود، وأن الخالق هو عين المخلوق، وعلى غيرهم من علماء الكلام والمتصوفة والمقلدة، وسائر الهالكين من الأنام، ألا وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فإننا نرى المقلدة في كل عصر ومصر يعادونه أشد العداء، لا سيما إذا عثروا له على قول خالف فيه العلماء كمسألتنا هذه، فهناك تراهم يصولون ويجولون، ومن عرضه ينالون، وفي دينه يطعنون، بل وبالكفر والضلال يصرحون، كما يفعل الكوثري والحبشي وغيرهما اليوم، وهم - مع الأسف -كثيرون، ولكنهم غثاء كغثاء السيل؛ لأنهم بالقرآن لا يعملون، بل هم عنه يعدلون، إلى تحكيم أهوائهم، وإلا فأين هم من قوله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن

---

(١) انظر مقدمتي للطبعة الثالثة لكتاب "الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات" للشيخ نعمان الآلوسي بتحقيقي ونشر المكتب الإسلامي .[منه].

لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

فهل من العدل في شيء أن يتخذوا شيخ الإسلام رحمه الله غرضاً للتكفير والتضليل لقوله هذا ونحوه من الأقاويل، ولا ينبسون ببنت شفة في حق ابن عربي مثلاً الذي ملأ الدنيا بالكفريات والأضاليل، وهلك بسببه الألوف المؤلفة من خاصة المسلمين، فضلاً عن عامتهم المهابيل، فضلُّوا جميعا عن سواء السبيل، مع البون الشاسع والفرق اللامع بين الرجلين؛ فإن عربي ليس له ذكر ولا أثر في العلوم الإسلامية، كالتفسير والحديث والفقه كما لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه، الذي شهد بفضله وغزارة علمه القريب والبعيد، والحبيب والبغيض فهم، جميعاً يغترفون من بحر علومه بأوفى نصيب، فهو بحق كما قال السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى:

" رحم الله شيخ الإسلام وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، فوالله إنه ما وصل إلينا من علم أحد منهم ما وصل إلينا من علمه: في بيان حقيقة هذا الدين، وحقيقة عقائده، وموافقة العقل السليم وعلومه للنقل الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بل لا نعرف أحداً منهم أوتي مثل ما أوتي من الحجج بين علوم النقل وعلوم العقل بأنواعها، مع الاستدلال والتحقيق دون محاكاة أو تقليد"(١).

وما لنا نذهب بعيداً، فهناك بعض الأئمة المتقدمين ممن يقلدهم اليوم جماهير المسلمين، ممن ذهب إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، مع مخالفة ذلك لأدلة الكتاب والسنة الصريحة وأقوال سلف هذه الأمة، مما هو معروف ومبسوط في

---

(١) من مقدمة " مجموعة الفتاوى " .[منه].

محله، فلماذا مع ذلك يعتذر عنه بعض المقلدين وجمهورهم له يقلدون، وعن ابن تيمية يزورن، بل وله يعادون، والحكم واحد فهلاّ ساقوهما مساقاً واحداً، واعتذروا عنهما كليهما بجامع كونهما من أفاضل العلماء الأتقياء أم الأمر كما قال الشاعر:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ولست بالذي يتبع عثرات العلماء، وإنما هي الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون، فينصفون ابن تيمية ولا يظلمون، وإلا فإن من فضائل ابن تيمية التي حرمها المقلدة علماً وعملاً تحذيره عن تتبع زلات العلماء، وعن التكلم فيهم؛ لأن الله عفا عما أخطؤوا فيه، فقال في آخر رسالته في تحريم الشطرنج في " المجموع " (٣٢/ ٢٣٩) ما نصه:

" وليس لأحد أن يتبع زلات العلماء كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم له أهل؛ فإن الله تعالى عفا عن المؤمنين عما أخطؤوا كما قال تعالى: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قال الله: قد فعلت"(١). وأمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا، ولا نتبع من دونه أولياء، وأمرنا أن لا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق، ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان فنقول: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾(٢).

وهذا أمر واجب على المسلمين في كل ما كان يشبه هذا من الأمور، ونعظم

---

(١) رواه مسلم. [منه].

(٢) سورة الحشر الآية ١٠: [والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم]. [منه].

أمره تعالى بالطاعة لله ورسوله، ونرعى حقوق المسلمين لا سيما أهل العلم منهم كما أمر الله ورسوله، ومن عدل عن هذه الطريقة فقد عدل عن اتباع الحجة إلى اتباع الهوى في التقليد، وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فهو من الظالمين، ومن عظم حرمات الله وأحسن إلى عباد الله كان من أولياء الله المتقين ". ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾.

وإن مما يمنع توجيه الطعن في ابن تيمية لقوله بفناء النار علاوة على ما ذكرنا آنفاً؛ أن له قولاً آخر في المسألة، وهو عدم فنائها كما سبق بيانه بالنقل عنه، وإذا كنا لا نعلم أي القولين هو المتأخر فمن البدهي أن الطاعن لا بد له من الجزم بأنه هو الأول، ودون هذا خرط القتاد، وأما نحن فإن حسن الظن الذي أُمِرنا به يقتضينا بأن نقول: لعله القول الآخر؛ لأنه موافق للإجماع الذي نقله هو نفسه فضلاً عن غيره كما تقدم، وقد يؤيده هذا أن ابن القيم نقله أيضاً كما سبق في قصيدته " الكافية الشافية " فالظاهر أنه مات على ذلك؛ لأنها قرئت عليه في آخر حياته فقد ترجمه الحافظ ابن رجب الحنبلي في " طبقاته " وذكر في آخرها ما يشعرنا بذلك فقال: (٢/ ٤٤٨): " ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السنة وأشياء من تصانيفه وغيرها ".

أقول فإذا صح ظننا هذا فالحمد لله، وإلا فأسوأ ما يمكن أن يقال: إنه خطأ مغفور لهما بإذن الله تعالى؛ لأنه صدر عن اجتهاد صادق منهما، ومعلوم أن المجتهد مأجور ولو أخطأ، كما جاء في الحديث الصحيح: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» . متفق عليه وقد تقرر في الأصول أن الخطأ مغفور ولو في المسائل العلمية كما حققه شيخ

الإسلام ابن تيمية في كثير من كتبه وفتاويه[1].

هذا بالإضافة إلى ما لهما من الجهاد والبلاء الحسن في الدعوة إلى العمل بالكتاب والسنة والرد على المبتدعة والفرق الضالة، وتقديم الإسلام إلى المسلمين صافياً نقياً على منهج السلف الصالح، وإن ما نراه اليوم في العالم الإسلامي من نهضة فكرية وعلمية ودعوة سنية سلفية فهو ثمرة من ثمار جهادهما وصبرهما جزاهما اله تعالى عن الإسلام والمسلمين خيراً.

ولذلك رأينا المصنف رحمه الله تعالى مع أنه لم يقصِّر في الرد عليهما، فإنه لا يذكرهما إلا مقروناً بالإجلال والإكبار وبخاصة الشيخ ابن تيمية، فإنه وصفه في أول الكتاب بـ " العلامة شيخ الإسلام " أو يذكره بهذا اللقب كثيراً ووصفه في مكان آخر (ص ١٢٠): "بتبحره في العلوم، وسعة اطلاعه على أقوال السلف والخلف " وصدق من قال: " إنما يعرف الفضل لذوي الفضل أهل الفضل "[2].

أقول هذا؛ لأن كثيراً من المقلدة المتعصبة تقزز نفوسهم من إطلاق لقب " شيخ الإسلام " على ابن تيمية رحمه الله تعالى، حتى أن العلاء البخاري الحنفي المتعصب كفر من يلقبه به، وقد رد عليه أحسن الرد الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي الشافعي في كتابه القيم " الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية (شيخ الإسلام) كافر "، ذكر فيه نحو المائة من كبار العلماء المشهورين من مختلف المذاهب وكلهم يلقب ابن تيميه يلقبه: (شيخ الإسلام) . وقد قام بتحقيقه والتعليق عليها أخونا الأستاذ زهير الشاويش صاحب المكتب الإسلامي جزاه الله

---

(١) انظر " مجموع (الفتاوى " (١٩/ ٤٠٣ و٣٠/ ١٩ - ٣٦) .[منه].

(٢) وقد روى مرفوعا إلى النبي ص ولا يصح بل هو موضوع كما هو مبين عندي في " سلسلة الأحاديث الضعيفة " (٣٢٢٧) .[منه].

خير الجزاء على جهده القيم.

أقول هذا بياناً للحقيقة، وإلا فأنا أعلم أن هذا اللقب وغيره مما هو مستعمل اليوم لم يكن معروفاً عند السلف، فالخير كله في الاتباع، ولا سيما وقد صار مبتذلاً في العصور المتأخرة، بحيث أنهم يطلقونه نفاقاً ورياء على من لا علم عنده، بل هو ممن يصدق عليه المثل الشهير:"لا في العير ولا في النفير".

ولعل من ألطاف الله تعالى بالشيخين رحمهما الله تعالى أننا لم نر أحداً - فيما اطلعنا - تبعهما على ذلك القول بالفناء، فهذا شارح العقيدة الطحاوية مثلا فإنه مع كونه لا يكاد يخرج فيه عما ذهب إليه ابن تيمية رحمه الله تعالى، فإنه ههنا ذكر أدلة هذا القول، ثم ذكر أدلة القول الآخر وهي ملخصة من كلام ابن القيم، ولم يرجح شيئاً منهما، ذكر ذلك تحت قول الطحاوي المتقدم: " والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان ".

وأما العلامة السفاريني فقد رأيته تعرض للموضوع في كتابه " شرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية " ونقل فيه طرفاً من بحث ابن القيم، ولكنه صرح بمخالفته، فإنه ذكر بعض الآيات المستلزمة لدوام العذاب وحديث ذبح الموت المتقدم ثم قال (٢/ ٢٣٤ - ٢٣٥):

"فثبت بما ذكرنا من الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة خلود أهل الدارين خلوداً مؤبداً،كل بما فيه من نعيم وعذاب أليم، وعلى هذا إجماع أهل السنة والجماعة، فأجمعوا أن عذاب الكفار لا ينقطع كما أن نعيم أهل الجنة لا ينقطع، وقد ألف العلامة مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي رسالة سماها " توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين ".

وهذا ما ذهب إليه الشيخ نعمان الآلوسي فإنه تعرض للمسألة في كتابه " جلاء العينين في محاكمة الأحمدين " (ص ٤٢٠ - ٤٢٤) نقل فيه الأقوال السبعة في عذاب أهل النار وقال:

" وأما بداية النار ففيها قولان معروفان عن السلف والخلف والأصح عدم فنائها أيضا ".

ثم قال في قول ابن تيمية:

"واعلم أن الإمام ابن القيم قدس الله تعالى روحه انتصر لهذا القول انتصاراً عظيماً، ومال إليه ميلاً جسيماً، وذكر خمسة وعشرين دليلاً، ثم رجع القهقرى وقال: إن قيل: إلى أين انتهى قدمك في هذه المسألة العظيمة؟ قيل: إلى قوله تعالى ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١] فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة وأهل النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء قال: ثم يفعل لك بعد ذلك ما يشاء. ثم قال: وما ذكرناه في هذه المسألة من صواب فمن الله سبحانه وهو المنان، وما كان من خطأ فهو مني ومن الشيطان، والله ورسوله بريئان منه ".

قلت: وقوله[٢] ابن القيم: " ثم رجع القهقرى وقال . . . " نظر عندي؛ لأنه ليس صريحاً في ذلك، وغاية ما يمكن أن يؤخذ منه أنه لم يجزم بما دندن حوله من الانتصار للقول بفناء النار، ومناقشة أدلة المخالفين ورده عليها مما سترى الرد

---

(١) الأصل: كرم الله تعالى وجهه. والتصويب من " حادي الأرواح " (٢/ ٢٢٨) وقد ذكر ابن القيم نحو هذه الخاتمة وأطول في " شفاء العليل " (ص ٢٦٤). [منه].

(٢)كذا، ولعل صواب العبارة: و[في] قوله. كما هو ظاهر.

عليه فيها في الكتاب إن شاء الله تعالى، ولكن ذلك لا ينفي ميله إلى ترجيحه إياه، وإلا كانت دندنته ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا﴾ وهذا مما لا يليق أن يقال في مثله كما لا يخفى، ويؤيد هذا أن خاتمته للبحث في " شفاء العليل " التي أشرت إليها آنفا أقوى في الدلالة على ما ذكرت فإنه قال ما خلاصته (ص ٢٦٤): "وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه ذكر دخول أهل الجنة . . . والقول بأن النار وعذابها دائم بدوام الله خبر عن الله بما يفعله، فإن لم يكن مطابقا لخبره عن نفسه بذلك، وإلا كان قولا عليه بغير علم، والنصوص لا تفهم ذلك . والله أعلم ".

قلت: فقوله: " والنصوص لا تفهم ذلك " صريح منه بأنه لا يختار القول ببقاء النار، فهو إذن يميل إلى القول بفنائها، غير أنه لا يقطع بذلك لأنه يشعر أنه ليس لديه دليل قاطع فيه، وإنما هو فهمه واستنباطه، ولذلك ترك فيها مجالاً للأخذ والرد كما هو شأن العلماء المنصفين الذين لا يفرضون رأيهم على الآخرين، لا سيما في مثل هذا الفهم الذي أجمع العلماء على خلافه ومما يؤكد ذلك قوله في خاتمة بحثه في " الصواعق ":

". . . فتأمل هذا الوجه حق التأمل، وأعطه حقه من النظر، واجمع بين ذلك وبين معاني أسمائه وصفاته، وما دل عليه كلام الله وكلام رسوله، وما قاله الصحابة ومن بعدهم، ولا تبادر إلى القول بلا علم، ولا إلى الإنكار، فإن أسفر لك صبح الصواب، وإلا فرد الحكم إلى ما رده الله إليه بقوله ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ وتمسك بقول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وقد ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ووصف حالهما ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك ما يشاء".

ولكني ألاحظ في هذا النص أنه يأمر فيه من لم يتبين الصواب أن ينهي إلى

قوله تعالى: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ وقول علي المذكور وذلك ما انتهى هو إليه في خاتمة " الحادي ".

فهل يعني ذلك أن ابن القيم نفسه بعد تلك المناقشة الطويلة لم يتبين له الصواب فانتهى إلى ما أمر به من لم يتبين له الصواب، أم هو التردد في مثل هذه المسألة الخطيرة التي كان الأولى به أن يقف فيها حيث وقف العلماء، ولا يدخل نفسه في مضايق لا قبل للعقل البشري أن يدخلها؟

ويؤسفني والله جدا قوله المتقدم: " والنصوص لا تفهم ذلك " كيف يتجرأ على مثل هذا القول، والنصوص قاطعة في ذلك من الكتاب والسنة كما تقدم، فلا جرم أجمعت على مدلولها الأمة، فالحق والحق أقول: لقد أصيب ابن القيم في هذه المسألة مع الأسف الشديد بآفة التأويل التي ابتلي بها أهل البدع والأهواء في مقالتهم التي خرجوا بها عن نصوص الكتاب والسنة، فرد عليهم ذلك هو وشيخه ابن تيمية أحسن الرد في كتبهما الكثيرة المعروفة، فما باله وقع في مثل ما وقعوا من التأويل.

ولقد كان أوله[1] بتأويلهما قول عمر على انقطاعه: " لو لبث أهل النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه " . فاستدلا به على الفناء المزعوم، وهو صريح في الخروج من النار، وهما لا يقولان به، وهكذا تأولوا كثيرا من الآثار بالفناء وهي في الخروج كما ستراه مفصلا في الكتاب بإذن الله تعالى. ثم قال الشيخ نعمان الآلوسي في " محاكمة الأحمدين " ص (٤٢٤): " ونقل الوالد قدس الله تعالى روحه في " تفسيره " عن الفهامة ابن الجوزي: أنه ضعف

(١) كذا .

بعض الآثار الواردة في ذلك . " ثم ذكر خبر ابن عمرو الآتي (ص ٨١) ثم قال: وأول البعض أيضاً بعضها قال:

"وأنت تعلم أن خلود الكفار مما أجمع عليه المسلمون لا عبرة بالمخالف، والقواطع أكثر من أن تحصى، ولا يقاوم واحداً منها كثير من هذه الأخبار".

قلت: ولو كان العلم بالتمني لتمنيت أن يكون ما عزاه العلامة الشيخ جمال الدين القاسمي لابن القيم صحيحاً، ولكنها من أوهام العلماء فقد قال في تفسيره "محاسن التأويل" (٦/ ٢٥٠٣ - ٢٥٠٤):

"وقد بسط البحث وَجَوَّدَ الإمام ابن القيم في كتابه " حادي الأرواح " ومع كونه انتصر لهذا القول انتصاراً عظيماً وذكر له خمسة وعشرين دليلاً؛ لم يصححه حيث قال: وأما أبدية النار ففيها قولان معروفان عن السلف والخلف، والأصح عدم فنائها . أيضاً ." انتهى.

فقوله: " وأما أبدية النار . . . " إلخ . إنما هو من كلام الشيخ نعمان الآلوسي كما تقدم نقله عنه توهمه الشيخ القاسمي - على ما كان عليه من الوعي - أنه من كلام ابن القيم وبناء عليه قال: " لم يصححه ".

فهو وهم آخر نشأ من الوهم الأول، فسبحان من لا يسهو ولا يهم.

هذا - ثم إن ابن القيم - عفا الله عنا وعنه لم يقنع بميله إلى القول بفناء نار الكفار، وتخلصهم به من العذاب الأبدي في تلك الدار، حتى طمع لهم في رحمة الله أن ينزلهم منازل الأبرار، جنات تجري من تحتها الأنهار، ذلك ما يظهر لنا من بعض الأدلة التي ساقها تأييداً للقول بفناء النار، وهو مما نبه عليه المؤلف رحمه الله معقبا على قول ابن القيم: " ثم تفنى ويزول عذابها " فقال (ص ٦٤):

" يريد: ويدخل الله من كان فيها من الكفار الجنة، كما ستعرفه من الأدلة التي ذكرها ".

وأعاد هذا المعنى في مكان آخر (ص ١٢٠).

وإن مما لا شك فيه أن هذا الذي استظهرناه هو في الخطورة والإغراق كقوله بالفناء إن لم يكن أخطر منه؛ لأنه كالثمرة له، ولأنه لا قائل به مطلقاً من المسلمين بل هو من المعلوم من الدين بالضرورة للأدلة القاطعة بأن الجنة محرمة على الكفار كقوله تعالى: ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار﴾ (المائدة:٧٢) وقوله: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾(الأعراف:٤٠) وكقوله ﷺ الذي أمر الذي أمر بالمناداة به يوم حنين: «إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة» . أخرجه البخاري ومسلم (١٠/ ٧٤) عن أبي هريرة وله مثله عن عمر بلفظ «. . . إلا المؤمنون» وله شواهد فانظر «إرواء الغليل» (٩٦٣) إن شئت. ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ (النساء:٤٨).

فإننا نعلم بالضرورة أن من دخل الجنة فقد غفر الله له وعلى العكس.

ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بحث له في " المجموع " (١٤/ ٤٧٦ - ٤٧٧) " "ولا يدخل الجنة إلا أهل التوحيد وهم أهل ﴿لا إله إلا الله﴾ " . ثم قال: "ولكن لا يعذب الله أحدا حتى يبعث إليه رسولاً، وكما أنه لا يعذبه فلا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة مؤمنة، ولا يدخلها مشرك ولا مستكبر عن عبادة ربه".

قلت: ومثل هذا مما لا يخفى على ابن القيم، بل هو ممن صرح بذلك في غير ما موضع من كتبه، فهو يقول مثلاً في " الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي " . (ص ٨٩): "إن الله حرم الجنة على كل مشرك".

بل إنه لما حكى في " الحادي " (٢/ ١٦٩ - ١٧٠) قول من يقولك أن أهل النار يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها، ويخلفهم آخرون، أبطله بعدة آيات ساقها كلها صريحة في عدم خروج أهل النار منها، وكان آخرها آية الأعراف المتقدمة: ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾. قال عقبها: "وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة " وحينئذ كيف يصح ما سبق من استظهارنا أن ابن القيم يميل إلى القول بأن الكفار يدخلون الجنة بعد العذاب؟

والذي يدور في ذهني من الجواب على وجهين:

الأول: إما أن يقال: أن صريح كلامه ينافي ما وصل إليه باستنباطه فهو الذي ينبغي الاعتماد عليه ونسبته إليه وهو الأحب إلي.

والآخر: أن يجمع بين الصريح والمستنبط فيقال: الصريح يريد به دخول الكافر الجنة بعد خروجه من النار، فهذا هو المستحيل، وأما المستنبط فإنما يريد به دخول الجنة بعد فناء النار.

وهذا الجمع وإن بدا غريباً، فليس بأغرب من تفريقه بين انتهاء عذاب الكفار بخروجهم من النار، فهذا مستحيل أيضاً وفقاً لجميع العلماء، وبين انتهاء عذابهم بفناء النار فهذا أمر جائز، بل واقع عنده، ويجادل فيه، ويصول ويجول ويتأول النصوص الصريحة المخالفة له، مما لا نعرفه عنه وإنما عن أهل البدع والأهواء

الذين قضى حياته هو وشيخه في الرد عليهم، والكشف عن ضلالتهم، وبغير هذا الجمع لا يمكن أن يفهم كلامه في رده على مخالفيه، فانظر إلى قوله في " الحادي " (٢/ ١٨٥):

" وأما الطريق الثاني وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها، فإن في القرآن دليل واحد يدل على ذلك؟ نعم الذي دل عليه القرآن: أن الكفار خالدين في النار إلى الأبد وأنهم غير خارجين منها و. . . و. . . و. . . وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع في أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء . قال: "وأما كون الكفار لا يخرجون منها و﴿لا يفتر عنهم﴾ من عذابها ﴿ولا يقضى عليهم فيموتوا﴾ ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجميل في سم الخياط﴾ فلم يختلف في ذلك الصحابة والتابعون ولا أهل السنة

فهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة"[1].

فتأمل نقله اتفاق الصحابة ومن بعدهم على أنهم لا يدخلون الجنة كما في الآية الكريمة، فإنه لا يتفق مع ميله إلى أنهم يدخلون الجنة يوماً ما إلا يحمل[2] الدخول المنفي على دخول مقرون بخروجهم من النار، والدخول المثبت على دخولهم بعد فناء النار، كما ذكرنا، وهذا المعنى يكاد يكون صريحاً في سياق كلامه على هذه الطريق في كتابه " شفاء العليل "، فإنه قال بعد الآيات النافية المتقدمة بما فيها الآية النافية لدخولهم الجنة قال (ص ٢٦٠): "وهذه الطريق لا

(١) وقد لخص المؤلف رحمه الله هذا الكلام ورد عليه في مواطن منها (ص ١١٨). [منه].
(٢) كذا، ولعل صوابها: إلا [أن] يحمل .

تدل على ما ذكروه، وإنما يدل على أنها ما دامت باقية فهم فيها، فأين فيها ما يدل على عدم فنائها؟ "

قلت: فكأنه يريد أن يقول: وأين الدليل أيضا في الآية المذكورة على نفي دخولهم الجنة بعد فناء النار؟ فيا سبحان الله ما يفعل التأويل بأهله، وإلى حضيض سحيق يهوون به فيه، وإلا فقل لي بربك: كيف يمكن لابن القيم أن ينكر أبدية النار ببقاء أهلها فيها وعدم دخولهم الجنة مطلقاً لولا تشبثه بذاك التأويل البشع، وهو المعروف بمحاربته لعلماء الكلام من المعتزلة والأشاعرة لتأولهم كثيراً من آيات وأحاديث الصفات، كاستواء الله على عرشه، ونزوله إلى السماء، ومجيئه يوم القيامة، وغير ذلك من التأويل الذي هو أيسر من تأويله، فقد قال به كثير من المتأخرين خلافا للسلف، وأما تأويله فلم يقل به أحد منهم، لا من السلف، ولا من الخلف إلا تقليداً لشيخه، ولقد كان من الواجب عليه أن يلتزم بقول إمامه الذي قال ناصحاً لكل سلفي:

" إياك أن تتلكم في مسألة ليس لك فيها إمام ".

وكان في المحنة يقول: "كيف أقول ما لم يقل؟ "(١).

وإن مما يتنبه له الباحث المتأمل أن يرى موقفين متباينين أشد التباين لابن تيمية رحمه الله تعالى؛ فإنه في الوقت الذي مال إلى القول بفناء النار وانتصر له ابن القيم ذاك الانتصار الغريب المتكلف، نرى ابن القيم نفسه قد عقد في " الحادي " ستة أبواب في مسألة أخرى هي أهون من هذه بكثير من حيث موضوعها، ومن حيث اختلاف العلماء فيها ألا وهي: جنة آدم عليه السلام التي أهبط منها هل هي

(١) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (١٠/ ٣٢٠ - ٣٤١) . [منه].

جنة الخلد التي وعد بها المتقون أم غيرها؟ على قولين للعلماء أطال النفس فيها جداً (ص ٤٣ - ٨٠) وذكر حجة كل منهما، وما له وما عليه، وعلى الرغم من أن من القائلين بأنها ليست جنة الخلد أبا حنيفة وأصحابه، وابن عيينة، كما حكاه ابن القيم، ومال إليه هو في آخر الباب الرابع (ص ٦٨ - ٦٩): على الرغم من ذلك نرى شيخ الإسلام ابن تيمية يرده بكل صراحة وشدة يقول في بعض فتاويه: "والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد، ومن قال إنها في الأرض بأرض الهند أو بأرض جدة أو غير ذلك فهو من المتفلسفة والملحدين، أو من إخوانهم المبتدعين، فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة ".

فأقول: أليس كان الأحق بمثل هذا الرد الأشد من قال بفناء النار أيا كان القائل؛ لأنه لم يقل به أحد حتى ولا المعتزلة، ولأن أدلته وهمية لا حقيقة لها، كما سيفصل المؤلف القول في ذلك تفصيلاً، ويبين بطلانها تبياناً بحيث لا يدع شبهة إلا أطاح بها، ولا متأثراً بها إلا أعاده إلى الصراط المستقيم يمشي عليه سوياً. غير أن هناك شبهة أخرى أوردها ابن القيم رحمه الله لم أر المؤلف جزاه الله خيرا تعرض لها فلا بد لي أن أذكرها لأرد عليها بما يبدو لي، راجياً منه تعالى أن يلهمني الصواب ويعصمني من الخطأ . قال في "الحادي " (٢/ ٢٢١):

" لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بأن عذاب النار لا انتهاء له وأنه أبدي لا انقطاع له؛ لكان ذلك وعيداً منه سبحانه، والله تعالى لا يخلف وعده، وأما الوعيد فمذهب أهل السنة كلهم: أن إخلافه كرم وعفو، وتجاوز بمدح الرب تبارك وتعالى عليه، فإنه حق له إن شاء تركه وإن شاء استوفاه، والكريم لا يستوفي حقه، فيكف بأكرم الأكرمين، وقد صرح سبحانه في كتابه في غير موضع بأنه لا يخلف

وعده ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيده وقد روى أبو يعلى . . . . عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجزه، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو فيه بالخيار ".

وأقول وبالله المستعان:

أولاً: قد جاءت الأخبار كتاباً وسنةً بأبدية النار وعذابها كما تقدم فلا داعي للإعادة، وما تشبث به ابن القيم رحمه الله في خلاف ذلك مردود بل باطل، كما يأتي شرحه من المؤلف رحمه الله تعالى.

ثانياً: ما ذكره: أن مذهب أهل السنة كلهم جواز إخلاف الله لوعيده، لا أعلمه بهذا الإطلاق، وقد بحث شيخ الإسلام الخلاف المعروف بين المرجئة والمعتزلة في الوعد والوعيد في مناسبات شتى فلم يذكر هذا[1] بل صرح بخلافه في بعض المواطن، فإنه بعد أن ذكر حديث الشفاعة وغيره في دخول بعض الموحدين النار وخروجهم منها قال: (١٦/ ١٩٦):

" وفيه رد على من يقول: " يجوز أن لا يدخل الله من أهل التوحيد أحداً النار " كما يقوله طائفة من المرجئة والشيعة . . . ".

فإذا لم يجز هذا الإخلاف في حق الموحدين، فكيف يجوز الإخلاف الأكبر الذي هو في حق المشركين؟

ثالثاً: " ولم يقل في موضع واحد: لا يخلف وعيده ".

---

(١) انظر " فهرس مجموع الفتاوى " " أحكام عصاة الموحدين - الوعد والعيد " (١/ ١٣٧ - ١٣٨).[منه].

أقول: قد فاته - عفا الله عنا وعنه - قوله تعالى في (ق: ٢٧ - ٢٩) ﴿قال قرينة ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد . قال لا تختصموا لذي وقد قدمت إليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عقبه (١٤/ ٤٩٨): " وهذا يقتضي أنه صادق في وعيده أيضاً، وأن وعيده لا يبدل، وهذا مما احتج به القائلون بأن فساق الملة لا يخرجون من النار، وقد تكلمنا عليهم في غير هذا الموضع، لكن هذه[1] الآية يضعف جواب من يقول: أن إخلاف الوعيد جائز فإن قوله: ﴿ما يبدل القول لدي﴾ بعد قوله: ﴿وقد قدمت إليكم بالوعيد﴾ دليل على أن وعيده لا يبدل كما لا يبدل وعده".

رابعًا: حديث أنس المذكور إسناده ضعيف كما كنت بنيته في " الأحاديث الصحيحة " (٢٤٦٣) وعلى فرض ثبوته فهو بمعنى قوله تعالى: [إن الله لا يفغر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء] وما في معناها من الأحاديث، أي: أن الحديث في الموحدين وليس في المشركين، فهؤلاء مستثنون من المغفرة بهذه الآية وغيرها.

وإلى هذا أشار العلامة المرتضى اليماني بقوله في " إيثار الحق على الخلق " (ص ٣٨٩): "والحق أن الله لا يخلف الوعيد إلا أن يكون استثنى فيه " . وهذا مما يشعر به قول ابن تيمية نفسه في " مجموع الفتاوى " (٢٤/ ٣٧٥) فإنه قال: "وأحاديث الوعيد يذكر فيها السبب، وقد يتخلف موجبه لموانع تدفع ذلك إما بتوبة مقبولة، وإما بحسنات ماحية، وإما بمصائب مكفرة، وإما بشفاعة شفيع

(١) كذا، ولعل صوابها: بهذه.

مطاع، وإما بفضل الله ورحمته ومغفرته فإنه ﴿لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾.

فهذا منه رحمه الله كالتفصيل لكلام ابن القيم، وهو يقيده ويبين أن الإخلاف للوعيد إنما يكون لمانع، من تلك الموانع وليس منها الشرك بداهةً، فإن الله لا يغفره.

فتأمل في هذا يتبين لك خطأ ابن القيم في بعض مما يدعيه ويعزوه لأهل السنة دون قيد أو شرط، فيكون ذلك مثار شبهة عنده، تحمله على أن يتأول النصوص القاطعة الدلالة، فيخرج بذلك عما عليه أهل السنة والجماعة، فيقع في الخطأ من حيث لا يدري ولا يشعر.

وإن من العجيب حقا أن ينفرد بالاغترار بكلامه في هذه المسألة الخطيرة العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى؛ لما تعلم عنه من استقلاله في الفهم، وبعده عن الجمود والتقليد، فإنه مع ذلك تابعه عليه دون كل من وقفنا على كلامه من المحققين الذين وقفوا عليه ولم يتابعوه أمثال الآلوسي أباً وابناً وغيرهما ممن سبق ذكره، فقد نقل السيد رشيد كلام ابن القيم على طوله من " حادي الأرواح " في تفسير سورة (الأنعام) (ج ٨ ص ٦٩ - ٩٩) تحت " فصل في الخلاف في أبدية النار وعذابها " وختمه مفصحاً عن إعجابه به بقوله: "وإنما أوردناه بنصه على طوله لما تضمنه من الحقائق التي نوهنا بها، ولأمر آخر أهم وهو أننا نعلم أن أقوى شبهات الناس من جميع الأمم على الدين قول أهل كل دين من الأديان المشهورة أنهم هم الناجون وحدهم وأكثر البشر يعذبون عذاباً شديداً دائماً لا ينتهي أبداً، بل تمر ألوف الألوف المكررة من الأحقاب والقرون ولا يزداد إلا شدة وقوة وامتدادا، مع قولهم ولا سيما المسلمين منهم: إن الله تعالى

أرحم الراحمين، وإن رحمة الأم العطوف الرؤوم بولدها الوحيد ليست إلا جزاءً صغيراً من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وهذا البحث جدير بأن يزيل شبهة هؤلاء، فيرجع المستعدون منهم إلى دين الله تعالى مذعنين لأمره ونهيه، راجين رحمته خائفين عقابه الذي تقتضيه حكمته؛لأنهم لا يعلمون قدره "[١].

قلت: هذا الكلام خيال لا حقيقة له في الواقع، لأن الأصل في هذه المسألة وغيرها من المسائل الاعتقادية الغيبية إنما هو الإيمان بما جاءنا عن الرحمن الرحيم العليم الحكيم،كما قال في القرآن الكريم: ﴿هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب﴾.

وهو الإيمان بكل ما غاب عن عقلك، فمن لم يؤمن بما أخبر به تعالى من خلود الكافرين في النار أبد العابدين[٢]؛ لأن عقله لم يقبله فلن يؤمن بعقاب يبلغ مئات السنين أخبر به رب العالمين في مثل آية ﴿لابثين فيها أحقابا﴾، ولو على افتراض أن له أمد[٣] منتهياً " لا يعلمون قدره" ! إذ أن لبثهم هذه المدة الطويلة التي تزيد على مدة عمرهم الذي قضوه كافرين أضعافاً مضاعفة، فلو أراد أحد أن يقنعهم بها وأنها عدل من الله فلن يصل إلى نتيجة معهم أبداً، اللهم إلا من طريق الإيمان بالله ورسوله.

وإذا كان الأمر كذلك فمن العبث بل من الضلال؛ أن يحاول أحد إقناع

---

(١) وقد أشرنا إلى الصواب في التعليق على " مختصر تفسير المنار " (ج٢/ ٥٤١) مع أن السيد رشيد رضا - رحمه الله - لم يسترسل فيه، وهذا يدلك على فوائد مختصر المنار، وتعليقات الشيخ محمد كنعان، وقد قمت بمراجعته، وهو من مطبوعات . المكتب الإسلامي [منه].

(٢) كذا، وصوابها: الآبدين.

(٣) كذا، وصوابها: أمداً.

المشركين في أصل الدين ببعض ما جاء فيه من العقائد من طريق العقل المجرد عن الإيمان، فإن هذا مع كونه لا يثمر معهم إلا الخسران، فإنه ليس من سبيل المؤمنين، بل هو سبيل المتأثرين بالفلسفة وعلم الكلام، الذي حملهم إلى تأول آيات وأحاديث الصفات، وتفسيرها بما يتناسب مع عقولهم، وأهواء أمثالهم من ضعفاء الإيمان، وربما فعل ذلك بعضهم لإقناع الآخرين، وإن كان هو في قرارة نفسه لا يؤمن بذلك التأويل، فهل يمكن أن يكون كلام السيد رشيد رضا من هذا القبيل، بغية إرشاد من ضل عن سواء السبيل؟

فقد كنت لقيت رجلا فاضلاً في بعض أسفاري إلى المغرب منذ بعض سنين يظهر أنه سلفي العقيدة فزرته في داره، ودار البحث في الدعوة السلفية هناك، وإذا به يصرح بأنه لا يرى مانعاً في سبيل تقريب الناس إليها من تأويل آيات الصفات وأحاديثها لإقناع المخالفين.

فقلت له: عجباً كيف يمكن أن يكون هذا؟ إذ كيف تقدم إليهم معنى للنص أنت تؤمن بخلافه أولاً، ثم كيف تكون قد دعوته إلى مذهبك السلفي وقد قدمت إليه المعني الخلفي؟ إن أخشى ما أخشاه أن يكون هذا من باب قول من قال: "وداوني بالتي كانت هي الداء".

وختامًا أقول: لقد خرجت من دراستي لهذه الرسالة النافعة للأمير الصنعاني رحمه الله تعالى بالعبر الآتية:

الأولى: أنني ازددت إيماناً ويقيناً بالقول المأثور عن جمع من الأئمة: " ما منا من أحد إلا رد ورد عليه إلا النبي ﷺ"(١) . فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية زلت به

(١) انظر " صفة صلاة النبي ص " (ص ٢٦ - ٢٧ - الطبعة العاشرة) . [منه].

القدم فقال قولاً لم يسبق إليه ولا قام الدليل عليه ومن هنا قالوا: " زلة العالم زلة العالَم" فلو أننا كنا مبتلين بتقليده كما ابتلي كل مقلد بتقليد إمامه، لزللنا بزلته ولذلك قالوا: " الحق لا يعرف بالرجل، اعرف الحق تعرف الرجال ". فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

الثانية: بطلان الخرافة التي يطلقها اليوم كثير من الكتاب الإسلاميين المعاصرين وفيهم بعض من يُجِلُّون شيخ الإسلام ابن تيمية: أن الخلاف في الفروع وليس في الأصول.

وقد يسارع بعض الجاحدين لعلم شيخ الإسلام وفضله، الحاقدين عليه لرده على أهل الأهواء والمبتدعة المبغضين له لإخلاصه في الدعوة لاتباع الكتاب والسنة، فيقول: إنما الخلاف في الأصول من ابن تيمية وأمثاله المخالفين للجمهور، والمثال أمامك.

فأقول : كذبت والله؛ فإن الخلاف المذموم إنما يكون من المصرين عليه بعدما تبين لهم الحق كما في قوله تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا﴾. والشيخ رحمه الله لم يُعرف يوماً بالإصرار على الخطأ مهما كان نوعه، بدليل رجوعه عن كثير من آرائه التي كان عليها بعدما تبين له الحق، وقد ذكرنا فيما سبق نماذج منها، وأما خلافه في هذه المسألة فهي زلة منه بلا شك يغفرها الله له إن شاء الله تعالى، كفاه جهاده في سبيل الله إلى آخر رمق من حياته، حتى توفي في سجن دمشق مظلوماً بعيداً عن أهله وتلامذته وكتبه، ولغير ذلك من الأسباب التي سبق التحدث عنها.

والخلاف المذموم حقاً: إنما هو من أولئك المقلدين، الذين يصرون على التدين بالتقليد، والإعراض عن الاهتداء بهدي رسول الله ﷺ مباشرة، والإخلاص له في اتباعه وحده دون سواه، الذي هو من لوازم الشهادة له بأنه رسول الله ﷺ، وقد أمرنا بطاعته استقلالاً لا يشاركه في ذلك أحد من البشر في غير ما آية من آيات الله تبارك وتعالى، فأي خلاف شر من هذا الذي عليه المقلد هذا الذي يظل ﴿يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشرها بعذاب أليم﴾(الجاثية:٨) فالخلاف حقيقة واقعة – مع الأسف – أصولاً وفروعاً، فلا يجوز تجاهلها أو الرضا بها، وإنما يجب على أهل العلم أن يحاولوا في كل قطر ومصر تقليله قدر الاستطاعة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بشيء واحد وهو تحكيم الكتاب والسنة في كل خلاف كما هو صريح قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾.

الثالثة: لقد وجدت في هذه الدراسة مثلا جديدا يضاف إلى الأمثلة العديدة التي كنت ولا أزال أشير إليها في كتابي " سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها الشيء في الأمة " نصحاً وتحذيراً؛ لأن من آثارها السيئة أنها تصرف كثيراً من العلماء والفقهاء فضلاً عن غيرهم عن تبني الحكم الصحيح فيما هم فيه مختلفون من العقائد والأحكام، وقد تكون معارضته لنص أو نصوص في الكتاب والسنة الصحيحة، فقد وجدت أن الذي فتح لابن تيمية وابن القيم باب التورط في القول بفناء النار إنما هو بعض الآثار المروية عن بعض الصحابة والأحاديث المرفوعة جلها لا تصح أسانيدها...

"مقدمة تحقيق رفع الأستار"(ص٧-٤٩).

[١٧٢٥] باب فناء نار العصاة وبقاء نار الكفار

[قال الإمام]:

اعلم أن النار في الآخرة ناران: نار تفنى ونار تبقى أبداً لا تفنى، فالأولى هي نار العصاة المذنبين من المسلمين، والأخرى نار الكفار والمشركين، هذا خلاصة ما حرره ابن القيم في " الوابل الصيب " وهو الحق الذي لا ريب فيه، وبه تجتمع الأدلة، فلا تغتر بما ذكره الشارح هنا [أي شارح الطحاوية]، وابن القيم في " شفاء العليل " و" حادي الأرواح " مما قد ينافي هذا الذي لخصته؛ فإنهما لم يتبنيا ذلك، وليس فيه أي دليل صريح صحيح يدل على فناء نار الكافرين، والله تعالى كما قال في أهل الجنة: ﴿لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين﴾(الحجر: ٤٨) قال مثله في الكافرين: ﴿وما هم بخارجين من النار﴾(البقرة: ١٦٧) . وما روي عن عمر وغيره لا يصح إسناده كما بينته في تعليقي على " الشرح " [أي شرح الطحاوية] ثم في " الأحاديث الضعيفة " المجلد الثاني (٦٠٦ - ٦٠٧) .فتنبه.

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٨٥-٨٧).

[١٧٢٦] باب هل يقول ابن تيمية وابن القيم بفناء النار؟

سؤال: السؤال هو أننا نعلم أن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى يعني أَجَلّ من أن يسقطوا في مسألة يعني انتشرت لاسيما مسألة فناء النار، فهل صحيح هذه الدعوى صحت في كتبهم أم تراجع عنها أم كيف؟ أريد جواب في هذا الأمر؟

الشيخ: القول بفناء النار زلة من زلات ابن تيمية، وأظنك إذا كنت مقدراً لعلم ابن تيمية بل لشخصه وعلمه وصلاحه، أنك سوف لا تكفر به إذا ما قلنا لك بأنه

ليس بنبي معصوم، أليس كذلك؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: حسناً، قوله بفناء النار قد قال ذلك، وهذه زلة لا ينبغي أن يتابع بل ولا أن يقلد فيها، وظني أنه رجع عنها، ظني -انتبه!- وإنما جاءني هذا الظن من كلام لتلميذه ابن القيم الجوزية؛ لأني أظن من متابعتي لأقوال الشيخ وآرائه وأحكامه، ومتابعتي لهذه الأشياء من تلميذه أيضاً أن التلميذ أتبع كما يقال لشيخه من ظله، مفهوم إلى هنا؟ فقلما نجد ابن القيم يخالف ابن تيمية، وحق له ذلك؛ لأن ابن تيمية رجل يعني جمع من العلم والصواب ما لا يحيط به كثير من كبار العلماء.

فلما رأيت ابن القيم الجوزية ذكر في كتابه «الوابل الصيب في الكلم الطيب» أو «شرح الكلم الطيب» وهذا مشكوك فيه، يقول: النار ناران فنار تفنى ونار تبقى، النار التي تفنى هي نار الفساق من المؤمنين المسلمين، والنار التي لا تفنى هي نار الكفار، فإذاً ممكن أن يكون هذا الذي صرح به ابن القيم هو رأي ابن تيمية الذي انتهى إليه، لكن ما وقفنا على رأي ابن تيمية هذا الأخير من كلامه أو من قلمه إنما وجدنا بقلم تلميذه ابن القيم الجوزية رحمه الله.

وهذا له يعني أمثلة كثيرة وكثيرة جداً،... حديث: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»[1].

ابن تيمية في فتاواه «مجموعة الفتاوى» له كلام جيد بمناسبة هذا الحديث من جهة وله كلام غير جيد من جهة أخرى، الكلام الجيد هو يقول: أنه لم يكن من عادة السلف الصالح ولا من عادة الخلفاء الراشدين أن يقوم بعضهم للقادم قيام

(١) "الصحيحة" (١/ ٢٦٢٧).

إكرام وتعظيم، لم يكن هذا من عادتهم ولذلك فهو يقول: ينبغي على الخلف أن يقتدي بالسلف في كل شيء ومن ذلك هذه المسألة.

ثم يستثني وهذا من فقهه وحكمته يقول: لكن إذا كان المسلم يعيش في جو اعتاد الناس هذا القيام وفهمتم أي قيام أعني بهذا الكلام، رجل دخل شيخ مثلاً، لو دخل علينا الآن شيخ كبير لا شك أن بعضكم سيقوم له إكراماً وتعظيماً، وهذا موجود في أكثر البلاد الشامية.

فيقول ابن تيمية: السنة عدم القيام، لكن إذا كان المسلم في جو اعتادوا مثل هذا القيام وإذا لم يقم يخشى أن يقع في نفس الحاضرين أو الداخل شيء من البغض والحقد ضد هذا الجالس الذي لم يقم، هنا يرى ابن تيمية القيام، وهذا داخل في باب دفع المفسدة الكبرى بالصغرى، قاعدة هذه فقهية عظيمة، الخطأ أين؟ يقول: هو ليس هذا القيام هو المقصود بقوله عليه السلام: «من أحب أن يتمثل له الناس قياماً فليتبوأ مقعده من النار»، قال: لأن المقصود بهذا الحديث هو القيام للقاعد يعني الملك جالس والوزراء والحاشية كلهم قيام على طريقة ما جاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري لما أصيب عليه السلام في عضده ولم يستطع صلاة الظهر قائماً فصلى قاعداً، فصلى الناس خلفه قياماً فأشار إليهم أن اجلسوا، فجلسوا، بعد الصلاة قال لهم: «كدتم آنفاً أن تفعلوا فعل فارس بعظمائها يقومون على رؤوس ملوكهم»، الملك قاعد وهم قائمون.

قال ابن تيمية حديث: «من سره أن يتمثل الناس له قياماً»، إلى آخر الحديث قال: المقصود به أن يقوموا وهو جالس، هذا خطأ، والدليل على هذا الخطأ إذا تذكرتم معي القصة التي ذكرتها آنفاً دخل معاوية على رجلين عبد الله بن عامر

وعبد الله بن الزبير قام الأول ولم يقم الآخر فنهى القائم، معاوية ما كان جالساً قاعداً فعلى العكس تماماً، هو دخل وهم كانوا قاعدين فقام أحدهما فأنكر عليه بهذا الحديث.

فوجدت ابن القيم الجوزية يقول هذا الكلام نفسه يرد يعني ما قاله ابن تيمية نفسه، فأنا أظن الحالة هذه أن ابن تيمية كتب هذا الكتاب في الفتاوى لأن هذه الفتاوى ليست تأليفه، جمعها الجامع وقد أحسن بذلك من مختلف المخطوطات والرسائل وإلى آخره، فممكن أن يكون هذا الجواب من ابن تيمية أو هذا البيان من ابن تيمية كان في أول نشأته العلمية يعني.

لكن تلميذه ابن القيم صاحبه إلى آخر رمق من حياته بين أن هذا المعنى خطأ وليس هو ابن تيمية الذي وقع في هذا، سبقه إلى ذلك مثلاً غيره من الشراح للحديث، والذين يتكلمون على غريب الحديث منهم ابن الأثير مثلاً في النهاية، فسره وهو قاعد، هذا خلاف الحديث، فحملوا حديث معاوية على حديث جابر بينما لكل منهما محله يختلفان تماماً.

فيمكن إذاً كما هو المثال في هذا الحديث أن ابن تيمية فسر هذا التفسير الخطأ تلميذه ابن القيم فسره التفسير الصواب، أنا في غلبة ظني أنه أخذه من شيخه متى؟ بعد أن فسر الشيخ الحديث بخلاف التفسير الصواب، كذلك في مسألة فناء النار، فابن القيم يُفَصِّلُ ويبين أن النار التي تفنى هي نار المسلمين الفساق، أما نار الكفار فخالدين فيها أبداً كما جاء في كثير من الآيات الكريمة.

"الهدى والنور" (٥٩١/ ٣٨: ٠٢: ٠٠)

[١٧٢٧] باب تحقيق قول ابن القيم في فناء النار

سؤال: ذكر ابن القيم في "الوابل الصيب" فناء النار، فما قولكم؟

الشيخ: ابن القيم له قولان: الذي ينبغي الاعتماد عليه هو التفصيل الذي ذكره في الوابل الصيب، النار ناران: فنار للكفار ونار يعذب فيها فساق المسلمين، فالنار الأولى لا تفنى، والنار الأخرى هي التي تفنى، وما يوجد في بعض كتبه وكتب شيخه ابن تيمية مما ظاهر كلامهما القول بفناء النار مطلقًا ينبغي حمل ذلك على فناء النار التي يدخلها فساق المسلمين؛ لأنهم سينجون يومًا ما كما قال عليه الصلاة والسلام: «من قال: لا إله إلا الله نفعته يومًا من دهره» وبخاصة أنني قد وضعت لهذا الكتاب[1] مقدمة تبلغ نحو الخمسين صفحة، أكدت ما ذهب إليه الصنعاني رحمه الله من أن فناء نار الكفار هذا قول يخالف الكتاب والسنة، والظن بشيخ الإسلام بن تيمية ثم بتلميذه ابن قيم الجوزية ألا يقعا في مثل هذه المخالفة الصريحة فينبغي حمل النار التي قالا بفنائها على نار الفساق من هذه الأمة وليس على نار الكفار.

"فتاوى جدة" (٤ / ٠٠:٢٩:٥٤)

[١٧٢٨] باب هل ثبت القول بفناء النار عن شيخ الإسلام؟

سؤال: يا شيخ! هل القول بفناء النار ثبت عن شيخ الإسلام أم لم يثبت عنه؟

الشيخ: لا، ثبت عنه ولعله تراجع عنه كما فعل تلميذه ابن القيم الجوزية.

"لقاءات المدينة" (١ / ٠٠:٥٠:٠١)

---

(١) يريد كتاب " رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار"للصنعاني.

[١٧٢٩] باب حول قول ابن القيم في فناء النار

[قال الإمام]:

ابن القيم له كلام في الوابل الصيب من الكلم الطيب يقول: النار ناران نار تفنى ونار تبقى، النار التي تفنى هي لعصاة المسلمين، التي لا تفنى هي للكفار، وهذا يحل المشكلة.

مداخلة: يعني نقول: المقصود في كلام ابن القيم هو نار العصاة ليست نار الكفار؟

الشيخ: نعم، على أن هذا الكلام جزاك الله خيرًا يعني: وإن كان صريحًا في الشق الثاني أن نار الكفار لا تفنى فبالنسبة للشق الأول ما هو دقيق يعني؛ لأنه سيقال له: ما يدريك أنها تفنى؟ فيجوز أن تبقى لكن ليس مهم التحدث عن النار بالتفصيل أن هذه النار تفنى، المهم: الذين يدخلونها ما مصيرهم؟ فبعضهم يخرجون وبعضهم لا يخرجون، أما قضية النار الذي كان فيها أنها تفنى، هذا يحتاج لنص لكن نحن الذي يهمنا من كلامه قوله في نار المشركين: أنها لا تفنى، لأن هذا صريح القرآن: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾(الحج:٢٢) فإذًا هي لا تفنى و﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾(النساء:١٦٩) إلى آخر النصوص، وحديث ذبح الموت في صورة كبش، فبعد أن يذبح يناد مناد «يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت» هذه نصوص قاطعة تمنع القول بفناء النار وفناء أهلها.

أما أن يقال: أن نار المؤمنين تفنى فهذا ككلام يعني ... من الكلام، نار المشركين لا تفنى ونار المؤمنين تفنى، وإلا فالحق أن يقال: الذين يدخلونها فإن كانوا كفارًا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ

نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾(مريم: ٧١ – ٧٢) النار هي هي، لكن منهم من يدخلها ويبقى فيها، ومنهم من يدخلها ويخرج منها، والخروج هذا يتفاوت ما بين إنسان مثلًا يعذب يومًا أو بعض يوم، شهر أو أقل أو أكثر وهكذا.

"رحلة النور"(٣٠ب/ ١٣:٣٤:٠٠)

[١٧٣٠] باب هل يقول ابن القيم ومحمد رشيد رضا بفناء النار؟

السائل: باب هل يقول ابن القيم ومحمد رشيد رضا بفناء النار؟

الشيخ: أما محمد رشيد رضا فلا أعلم، أما ابن القيم فله قولان: أحدهما هذا، والآخر: هو الذي فصله في كتابه: "الوابل الصيب"، فقد ذكر أن النار ناران:

نار تفنى، ونار تبقى: فالنار التي تفنى هي نار المذنبين من المؤمنين، والنار التي تبقى ولا تفنى هي نار الكافرين، وهذا هو الحق.

"فتاوى جدة –الأثر–" (٢٨ / ٤٣:٢٣:٠١)

[١٧٣١] باب تحرير قول ابن القيم في فناء النار، وهل تفنى نار الموحدين؟

السؤال: ابن القيم في "الوابل الصيب" يقرر فناء نار عصاة الموحدين وبقاء نار المشركين، فهل له قولان في المسألة؟

الجواب: نعم، ذلك مما كنت فصلته في مقدمتي لكتاب "رفع الأستار عن بطلان قول من قال بفناء النار" هو في كتابه "حادي الأرواح" فهو هناك يبحث هذا البحث بصورة مفصلة، وشيخ الإسلام ابن تيمية كذلك وقد نشرنا بعض المصورات يقولان بفناء النار مطلقاً، لكن قول ابن القيم في الوابل الصيب هو كأنه

ارتداد من ذاك القول إلى ما هو صواب، فنار المشركين لا تفنى؛ لأن الله يقول: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾(الحج:٢٢) فنار المشركين وعذابهم فيها إلى أبد الآبدين ولا نهاية لذلك، وهذه كلمة لا ينبغي أن يغتر بها المسلمون الذين يقدرون علم الشيخ أو الشيخين ابن تيمية وابن القيم الجوزية، وبخاصة حينما وجدنا هذه الكلمة التي تدفع الإشكال أو الشبهة من أنه يفرق بين نار العصاة وبين نار المشركين فنار العصاة هي التي تفنى، أما نار المشركين فهي تبقى كما يبقى نعيم المؤمنين.

مداخلة: إذاً هذا القول الصواب إن نار الموحدين تفنى.

الشيخ: طبعاً؛ لا بد لأنه لا يخلد في النار موحد أبداً. نعم.

"الهدى والنور"(١٨٨/ ٢٩:٥٣:٠٠)

[١٧٣٢] باب بيان خطأ نسبة عمر رضي الله عنه للقول بفناء النار

عن عمر رضي الله عنه، أنه قال: «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج، لكان لهم على ذلك وقت يخرجون فيه».

[ضعفه الإمام وذكر تصحيح ابن القيم له مبينًا خطأه ثم قال]:

سامح الله ابن القيم وغفر له، فإنه بتصحيحه لمثل هذا الأثر عن عمر رضي الله عنه يفتح باباً كبيراً لبعض الفرق الضالة يلجؤون فيه إلى تأييد ضلالهم، كالقاديانية، فإن من خِلَالهم[١] القول بفناء النار، وانتهاء عذاب الكفار .

"تحقيق شرح العقيدة الطحاوية"(ص ٤٢٩).

(١) أي: خصالهم ومعتقداتهم .

[١٧٣٣] باب من الأدلة على بقاء النار

[قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية]:

ومن أدلة القائلين ببقائها [أي النار] وعدم فنائها: قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾. ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ . ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾. ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾. ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾. ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾. ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾. ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾، أي مقيماً لازماً .

وقد دلت السنة المستفيضة أنه يخرج من النار من قال: " لا إله إلا الله "، وأحاديث الشفاعة صريحة في خروج عصاة الموحدين من النار، وأن هذا حكم مختص بهم، فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم، ولم يختص الخروج بأهل الإيمان، وبقاء الجنة والنار ليس لذاتهما، بل بإبقاء الله لهما .

[فعلق الإمام قائلاً]:

قلت: وهذه الأدلة قاطعة في بقاء النار وأهلها فيها من الكفار، بخلاف أدلة القول الذي قبله [أي القول بفنائها]، فليس فيها شيء صريح، كما بسطه الإمام الصنعاني في "رفع الأستار"، فكن رجلاً يعرف الحق بدليله وليس بالرجال، فكل أحدٍ يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ .

"تحقيق شرح العقيدة الطحاوية"(ص ٤٣٠).

[١٧٣٤] باب خطأ الاستدلال على خلود النار بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِين﴾

[ساق الصنعاني في "رفع الأستار" بعض الأدلة من القرآن على خلود النار وأورد منها قوله تعالى "وما هم منها بمخرجين" فعلق الإمام قائلاً]:

حشر هذه الجملة هنا سهو من المؤلف تبعاً لابن القيم رحمهما الله تعالى؛ فإنها في أهل الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُون، ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِين، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِين، لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِين﴾(سورة الحجر:٤٥ - ٤٨) . وقد وقع هذا السهو من ابن القيم في كتابه " الصواعق المرسلة " أيضاً، ولم يتنبه له مختصره الشيخ محمد ابن الموصلي رحمه الله تعالى، وفي " شفاء العليل " أيضاً (ص ٢٥٨ و٢٥٩) على الرغم من وقوع ذلك منه في موضعين آخرين (ص ٢٢٥ و٢٢٨) من " المختصر " مطبعة الإمام بمصر .

"تحقيق رفع الأستار"(ص١١٨، ١٠٩-١١٠).

[١٧٣٥] باب أبدية النار بمن فيها من كفار

[قال رسول الله ﷺ]:

«أما أهل النار الذين هم أهلها (وفي رواية: الذين لا يريد الله عز وجل إخراجهم) فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم (يريد الله عز وجل إخراجهم) فأماتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به ثم قال]:

و في الحديث دليل صريح على خلود الكفار في النار، وعدم فنائها بمن فيها، خلافاً لقول بعضهم؛ لأنه لو فنيت بمن فيها لماتوا واستراحوا، وهذا خلاف الحديث ولم يتنبه لهذا ولا لغيره من نصوص الكتاب والسنة المؤيد له من ذهب من أفاضل علمائنا إلى القول بفنائها، وقد رده الإمام الصنعاني ردًّا علميّاً متيناً في كتابه " رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار ".

"الصحيحة"(٤/ ٦٧-٦٩).

[١٧٣٦] باب منه

[روي عن النبي ﷺ]:

«لو قيل لأهل النار: إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا سنة لفرحوا بها، ولوقيل لأهل الجنة: إنكم ماكثون في الجنة عدد كل حصاة في الدنيا سنة لحزنوا، ولكنهم خلقوا للأبد والأمد»

(موضوع).

[قال الإمام]:

والحديث يدل على أبدية الخلود في النار، والآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة تغني عنه من هذه الناحية.

"الضعيفة"(٢/ ٧٠-٧١).

[١٧٣٧] باب ضلال من ادعى انتهاء عذاب الكفار وأن مصيرهم إلى الجنة

[**روي عن النبي ﷺ أنه قال**]:

«ليأتين على جهنم يوم كأنها زرع هاج، وآخر تخفق أبوابها» .

(باطل).

[**قال الإمام**]:

[قال الزمخشري] في " تفسيره " (٢/ ٢٣٦): " وقد بلغني أن من الضُّلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار، وهذا والعياذ بالله من الخذلان المبين، ولئن صح هذا عن ابن عمرو فمعناه أنهم يخرجون من النار إلى برد الزمهرير، فذلك خلوجهنم وصفق أبوابها " . وهذا تأويل بعيد .

والأقرب ما سبق عن الحافظ، إلا أنني أرى أن الصواب عدم الاشتغال بالتأويل ما دام أن الحديث لم يصح . والله أعلم.

واعلم أن من أذناب هؤلاء الضلال في القول بانتهاء عذاب الكفار الطائفة القاديانية، بل هم قد زادوا في ذلك على إخوانهم الضلال، فذهبوا إلى أن مصير الكفار إلى الجنة ! نص على ذلك ابن دجالهم الأكبر محمود بشير بن غلام أحمد في كتاب " الدعوة الأحمدية ".

"الضعيفة"(٢/ ٧٢-٧٣)

[١٧٣٨] باب منه

[قال الإمام]:

ويؤسفني أن أقول: إن القاديانية في ضلالهم [أي بقولهم بانتهاء عذاب الكفار] يجدون متكئاً لهم في بعض ما ذهبوا إليه في بعض كتب أئمتنا من أهل السنة، فقد عقد العلامة ابن القيم في كتابه " الحادي " فصلاً خاصا في أبدية النار، أطال الكلام فيه جدًّا، وحكى في ذلك سبعة أقوال، أبطلها كلها سوى قولين منها:

الأول: أن النار لا يخرج منها أحد من الكفار، ولكن الله عز وجل ينفيها، ويزول عذابها.

والآخر: أنها لا تفنى، أن عذابها أبدي دائم . وقد ساق فيه أدلة الفريقين وحججهم من المنقول والمعقول، مع مناقشتها، وبيان ما لها وما عليها . والذي يتأمل في طريقة عرضه للأدلة ومناقشته إياها، يستشعر من ذلك أنه يميل إلى القول الأول، ولكنه لم يجزم بذلك، فراجع إن شئت الوقوف على كلامه مفصلا الكتاب المذكور (٢/ ١٦٧ - ٢٢٨ طبع الكردي).

ولكنني وجدته يصرح في بعض كتبه الأخرى بأن نار الكفار لا تفنى وهذا هو الظن به، فقال رحمه الله في " الوابل الصيب " (ص ٢٦) ما نصه: " وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله . فليس فيها إلا خبيث، ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب - كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض، وهاتان

الداران لا تفنيان . ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى، وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقى إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض ".

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار، لم نقف عليها، وإنما ذكرها الشيخ يوسف بن عبد الهادي في " فهرسته " (ق/ ٢٦/ ١) .

"الضعيفة"(٢/ ٧٤-٧٥).

[١٧٣٩] باب منه

[قال الإمام]:

و لهم [أي للقاديانية] عقائد ... كثيرة باطلة، خالفوا فيها إجماع الأمة يقينا منها: أن العذاب بالنسبة للكفار منقطع . .

"الصحيحة"(٤/ ٢٥٢).

(كتاب القضاء والقدر)

جماع أبواب عقيدة أهل السنة
في القضاء والقدر

[١٧٤٠] باب وجوب الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره

[قال رسول الله ﷺ]:

«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه» .

[ترجم له الإمام بما ترجمناه به].

"الصحيحة"(٥/ ٥٦٦).

[١٧٤١] باب درجات الإيمان بالقدر

[نقل الإمام كلاماً لشيخ الإسلام في ذلك مقرراً إياه فقال]:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «مجموع الفتاوى» (١/ ١٤٨ - ١٥٠) باختصار بعض الفقرات:

والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.

ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب قال: ما اكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، جفت الأقلام، وطويت الصحف كما قال وتعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى

اللهَّ يَسِير﴾(الحج: ٧٠).

وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملةً وتفصيلاً؛ فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات:

اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ونحو ذلك فهذا القدر منكوره غلاة القدرية قديماً ومنكروه اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشية الله سبحانه، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات.

ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد .

والعباد فاعلون حقيقةً والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلى والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيم ، وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُّ رَبُّ الْعَالَمِين﴾(التكوير: ٢٨، ٢٩) وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره ويخُرِجون عن أفعال الله وأحكامه

حِكَمَها ومصالحها.

قلت [الكلام للإمام]: ويشير بكلامه الأخير إلى الأشاعرة فإنهم هم الذين غلوا وأنكروا الحكمة على ما فصله ابن القيم في «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» . فراجعه فإنه هام جداً .

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٤٢-٤٥).

[١٧٤٢] باب الإيمان باللوح المحفوظ

[قال الإمام معلقًا على قول صاحب الطحاوية:- «ونؤمن باللوح»]:

قلت: وهو المذكور في قوله تعالى:﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيد، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ﴾(البروج:٢١، ٢٢) وهو من الغيب الذي يجب الإيمان به ولا يعرف حقيقته إلا الله.

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٤٧).

[١٧٤٣] باب إثبات المشيئة لله عز وجل

[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية:- وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم، فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن]:

يعني أن مشيئته تعالى وإرادته شاملة لكل ما يقع في هذا الكون من خير أو شر وهدى أو ضلال والآيات الدالة على ذلك كثيرة معروفة يمكن مراجعتها في الشرح وغيره . . . والمقصود بهذه الفقرة الرد على المعتزلة النافين لعموم مشيئته تعالى.

لكن يجب أن يعلم أنه لا يلزم من ذلك أن الله تعالى يحب كل ما يقع؛ فالحب غير الإرادة وإلا كان لا فرق عند الله تعالى بين الطائع والعاصي وهذا ما صرح به بعض كبار القائلين بوحدة الوجود من أن كلا من الطائع والعاصي مطيع لله في إرادته، ومذهب السلف والفقهاء وأكثر المثبتين للقدر من أهل السنة وغيرهم على التفريق بين الإرادة والمحبة وإلى ذلك أشار صاحب قصيدة «بدء الأمالي» بقوله: مريد الخير والشر القبيح ولكن ليس يرضى بالمحال.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: ثم قالت القدرية: هو لا يحب الكفر والفسوق والعصيان ولا يريد ذلك فيكون ما لم يشأ ويشاء ما لم يكن.

وقالت طائفة من (المثبتة): ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . وإذن قد أراد الكفر والفسوق والعصيان ولم يرده ديناً أو أراده من الكافر ولم يرده من المؤمن، فهو لذلك يحب الكفر والفسوق العصيان ولا يحبه دينا ويحبه من الكافر ولا يحبه من المؤمن؛ وكلا القولين خطأ مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها؛ فإنهم متفقون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا يكون شيء إلا بمشيئته ومجموعه على أنه لا يحب الفساد ولا يرضى لعباده الكفر وأن الكفار ﴿يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾(النساء: ١٠٨).

"التعليق على متن الطحاوية"(ص١٦-١٨).

[١٧٤٤] باب إثبات الحكمة لله عز وجل

[قال الإمام]:

ومن قول شيخ الإسلام في فصل له في إثبات حكمة أحكم الحاكمين وأن السلف من الصحابة والتابعين والأئمة المشهورين يقرون بها لله في خلقه وأمره قال: «لكن قد يعرف أحدهم الحكمة وقد لا يعرفها، ويقرون بما جعله من الأسباب، وما في خلقه وأمره من المصالح التي جعلها رحمة بعباده . . . وأن كل ما وقع من خلقه وأمره فعدل وحكمة، سواء عرف العبد ذلك أو لم يعرفه» . انظر (مجموع الفتاوى) (١٧/ ١٩٨ - ٢٠٥)

" تحقيق رفع الأستار" (ص١٣٦).

[١٧٤٥] باب اتفاق أهل السنة على أن الطاعات والمعاصي بإرادة الله تعالى

[قال الإمام]:

اتفق أهل السنة على أن كل شيء من الطاعات والمعاصي فبإرادة الله تبارك وتعالى، لا يقع شيء من ذلك رغماً عنه سبحانه وتعالى، لكنه يحب الطاعات ويكره المعاصي.

"الصحيحة"(٤/ ١٩٦).

"تحقيق رفع الأستار"(ص١٣٦).

[١٧٤٦] باب لماذا طوى الله تعالى علم القدر عن أنامه؟

[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية: «فإن الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون﴾(الأنبياء: ٢٣)]:

أي لكمال حكمته ورحمته وعدله لا لمجرد قهره وقدرته كما يقول جهم وأتباعه . كذا في «الشرح» وراجع فيه تحقيق أن مبنى العبودية والإيمان على التسليم وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع فإنه مهم جداً لولا ضيق المجال لنقلته برمته لنفاسته وعزته.

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٤٢).

أثر ضعف الإيمان

بتقدير الله للرزق في حياة المسلمين

[١٧٤٧] باب أثر ضعف الإيمان بتقدير الله للرزق في حياة المسلمين

سؤال: [نحن في]الزمان الذي أختلط فيه الحابل بالنابل، والتبس فيه طريق الحرام بالحلال لا التباساً شرعياً، وإنما التباساً عرفياً، فأصبح من العسير جداً أنه نأتي نقول لهذا والله خطأ. وخاصة الآن يعني: عندما قَلَّت الأعمال وضعفت ..، فمثلاً: يأتي واحد يسألك عن حكم العمل في البنك يقول لك بحثت بحثت ما وجدت عمل، واحد مثلاً يسألك عن حكم العمل في الشركة تعمل أو حسابات في البنوك.

وواحد يسألك عن التأمين، .. وهذه السيرة طبعاً يعني: خاصة الآن في كل الشركات والمدارس معظمها أنه العمل الرجال مع النساء، يعني: الرجل يعمل إلى جانب المرأة، وبخاصة في الشركات وبعض المؤسسات الاقتصادية والمالية، فهذه طبعاً دوائر الحكومة كما عندك قديم، لكن هذه الحقيقة طبعاً نحن نجيبهم على هذا، ونقولهم يعني: ما نعلم من هذا الحكم، لكن النقطة التي يوردوها لك: إنه والله يا أخي نحن الآن ما في عمل مثلاً،

ومتطلبات الحياة كثيرة، فماذا ترون يعني: بارك الله فيكم؟

الشيخ: أرى أن هذه لا تبرر ارتكاب ما نهى الله عنه، لكن المسألة في الحقيقة تدور بين من يعتقد أن هذه الأمور أو هذه الوظائف نهى الشارع الحكيم عنها، وبين من يجد من يفتيه بجوازها، ولذلك فالمسألة ليس من السهل أن نفتي الناس كل الناس بعدم جواز هذه الأمور؛ لأن كثيرين منهم قد أفتوا، وأبيح لهم وهذا أمر لا يخفى عليك، لكن نحن رأينا الشخصي لاشك أنه كل هذه الأمور ما دامت

تقوم على التعاون على المنكر، فهو منكر بنص القرآن الكريم: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾(المائدة:٢) هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: المجتمع اليوم كما تعلم، وكما تدندن في كثير من خطبك: ليس ملتزماً للأحكام الشرعية، ومن أهمها: تقوى الله تبارك وتعالى، هذه التقوى التي تستلزم الإتيان بما أمر الله، والانتهاء عما نهى الله، فطلب الرزق أصبح اليوم جماهير المسلمين لا يفكرون مطلقاً فيما هو حلال، وفيما هو حرام، وإنما نحن بحاجة وكما قلت حكايةً عنهم أنه متطلبات العصر كثيرة وكثيرة، ولذلك نحن بدنا نكفي أنفسنا وأهلينا وذريتنا ونحو ذلك، لكن الواقع أن المبدأ القرآني الذي كان ينبغي أن يكون مسطوراً مغروزاً في القلوب فالشيطان أوحى إليهم بأن يعلقوها على الجدر، ويجعلوها لافتات جميلة الخط: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(الطلاق:٢، ٣).

أما القلب فلا يشعر بأن هناك آية تنص على هذا الأمر الإلهي، فَهْم القضية الإلهية، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾(الطلاق:٢، ٣).

تجد هذه الظاهرة كما لا يخفى على الجميع منتشرة بين صدور جماهير المسلمين حتى المصلين منهم، وبصورة خاصة: الأغنياء منهم فما يسألك نعرف نحن أن الربا حرام، ووضع المال في البنك حرام، لكن أين نضع أموالنا؟ إذا وضعناها في بيوتنا كنا عرضةً في مالنا وفي ذواتنا للصوص والقتلة وسفاكي الدماء وو إلى آخره، هذا بلا شك كما لا يخفاك من تزيين الشيطان لعمل الإنسان المخالف لأوامر الرحمن.

ولذلك أنا أريد أن ندندن دائماً وأبداً مع هؤلاء المسلمين أن نربطهم مع تقوى

الله عز وجل، والخوف منه بكل تصرفاتهم وأن يتذكروا هذه الآية وما يتعلق بها من أحاديث تعتبر كالشرح لمضمون هذه الآية، فحين يقول قائلهم: وين نضع هذه الأموال؟ هو أبداً لا يتذكر: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَّ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾(الطلاق:٢) وأنا أقول: أمر مضحك كأن الواحد منكم يتصور بأنه سيرفع الراية على الجماهير أنه أنا مليونير، وهذه الملايين التي عندي واضعها في داري وفي المكان الفلاني، ولذلك هو سَيُغزى وسيقصد، يا أخي افعل الوسائل المشروعة وخبي مالك في مكان لا يطلع عليه إلا الله عز وجل، ثم أنت ومن قد تثق به من أهلك، فهذا السبب مشروع، لكن لا؛هو إذا فعل ذلك تعطلت أعماله التجارية، وضاقت عليه وسائل الكسب بينما البنك ييسر له ذلك، وهذا بلا شك أن البنك ييسر المعاملات، ولكن لا ينبغي للمسلم أن يتورط، وأن يتبنى كل وسيلة، ولو كانت ميسرة لبعض أعماله إذا كانت ماذا؟ محرمة شرعاً.

فعلى هذا يجب أن نروي بهذه المناسبة، قصة ذلك الرجل الذي كان يمشي في الصحراء، فسمع صوتاً من السحاب اسق أرض فلان فوصل إلى أرض فلان، وإذا فيها رجل يعمل بالمسحات والأمطار تنزل في أرضه فقط، فعجب من ذلك، ولما سلم عليه والرجل عرف أنه ليس من أهل تلك البلاد، فما يدريك فيَّ؟ قال: سمعت في السحاب اسق أرض فلان، فعرفت أنك أنت الذي سخر لك السحاب، سخر لك السماء، فلمَ؟ قال كما هو شأن المتقين الخائفين من رب العالمين: هو ما يدري، ولكن عندي هذه الأرض أزرعها ثم أحصدها، وأجعلها ثلاثاً: ثلث أعيده للأرض،وثلث أنفقه على نفسي وأهلي، والثلث الآخر: أتصدق على الفقراء والمساكين قال له: بهذا[1].

(١) " صحيح الجامع" (٢٨٦٤)، " الصحيحة" (٣/ ١٩٤)

فهنا نجد أن تقوى الله سخرت له السماء، وذاك الآخر سخر الله له البحر حينما جاء الأجل بوفاء الدين، ولم يستطع الوفاء، فأخذ خشبة ودك فيها مائة دينار، وجاء إلى ساحل البحر وقال بكل بساطة وبكل دروشة وهو بلا شك نحن اليوم صحيح مسلمين لكن غلبت علينا المادة من جهة، وضعف الإيمان بالغيب من جهة أخرى، لا نكاد نصدق بمثل هذه القصة، وهي في صحيح البخاري ونعتبر أنه هذا الإنسان ما هو طبيعي عقله، وأنا أشهد أيضاً كذلك، بل هو نفسه يشهد بأنه حينما اتصل مع صاحبه الدائن له تجاهل ما فعل كما تعلمون، تجاهل لماذا؟ لأنه إنسان عاقل عقله معه، يأتي وقد حشا مائة دينار في شعفة خشبه وما ندري طريق الدك يمكن تجيء موجة تضربها ويروح الدنانير كله لقاع البحر، رمى الخشبة وقال: يا رب أنت كنت الكفيل وأنت كنت الشهيد ورماها، وربنا عز وجل قادر على كل شيء، أمر الأمواج أن تأخذ هذه الخشبة إلى البلدة التي فيها الدائن، وقد خرج لاستقبال المدينة في اليوم الموعود ما جاء الرجل، لكن الخشبة تتقاذفها الأمواج بين يديه فمد يده إليها، وإذا هي ليست خشبة كالخشبات، أخذها إلى الدار ولما كسرها انهارت بين يديه مائة دينار ذهب أحمر، استغرب الرجل وسرعان ما عاد إليه المدين هنا يظهر للمدين عارف حاله أنه عامل دروشة عامل عمل غير منطقي، فمد يده ودفع له مائة دينار؛ لأنه افترض أن المائة الدينار تلك ما راح توصل، عمل غير طبيعي هنا كما يقولون اليوم ما وراء الطبيعة.

في الحقيقة القصة تعطينا عبر عظيمة جداً إن الطيور على أشكالها تقع، كلاهما قلوبهم صافية سواءً الدائن أو المدين، كان باستطاعة الدائن أن يأكل المائة الدينار ولا رقيب ولا عتيد، ولم يقل له أعطيه لك بواسطة البريد المستعجل كلام فاضي هذا، من أين يشهد؟ لكن هو مضطر أن الله عز وجل يعرف قال: والله أنا

خرجت في اليوم الموعود لاستقبالك فلما تأخرت وجدت الخشبة تتلاعب بين يدي، فأخذتها كسرتها وإذا فيها مائة دينار قال: والله أنا فعلت هذا؛ لأنه لما جاء اليوم الموعود وعرفت أني لا أستطيع أن أفي بالوعد، فأخذت الخشبة ونقرتها ووضعت فيها مائة دينار، وجئت إلى ساحل البحر قلت: يا رب أنت كنت الكفيل وأنت الشهيد قال: قد وفى الله عنك بارك الله لك في مالك، ورد له المائة الدينار[1].

بهذه التقوى نحن اليوم لا نجدها في صدور المسلمين، ولذلك تكثر الشكاوى من أين أعيش؟ ولا يستطيع أن يدبر حاله في هذا العصر وهم يعلمون جميعاً أن الكثير منهم كما أشرت في سؤالك بارك الله فيك أنه في عنده شيء من المال، لكن كيف ينميه ويجدده؟

"الهدى والنور"(٢٣٣/ ٠٧: ٣٥: ٠٠)

(١) " الصحيحة" (٦/ ٢/ ٨٢٩).

جماع أبواب الإمساك عن التكلم في القدر

[١٧٤٨] باب معنى قول النبي ﷺ: «إذا ذكر القدر فأمسكوا»

[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية:- «وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة»]:

وهذا التعمق هو المراد - والله أعلم - بقوله ﷺ: «. . . وإذا ذكر القدر فأمسكوا» وهو حديث صحيح روي عن جمع من الصحابة وقد خرجته في «الصحيحة» (٣٤).

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٤٢).

[١٧٤٩] باب النهي عن التكلم في القدر

[قال رسول الله ﷺ]:

«إن أمر هذه الأمة لا يزال مقارباً أو مواماً حتى يتكلموا في الولدان والقدر».

[ترجم له الإمام بقوله]:

النهي عن التكلم في الولدان والقدر.

"الصحيحة"(٤/ ٢٤١).

جماع أبواب حكم الاحتجاج بالقدر

[١٧٥٠] باب الاحتجاج على المصائب بالقدر

[قال رسول الله ﷺ]:

- «إن موسى قال: يا رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة، فأراه الله آدم، فقال: أنت أبونا آدم؟ فقال له آدم: نعم، فقال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسماء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك، قال: نعم، قال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ فقال له آدم: ومن أنت؟ قال: أنا موسى، قال: أنت نبي بني إسرائيل الذي كلمك الله من وراء حجاب، لم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ قال: نعم، قال: أفما وجدت أن ذلك كان في كتاب الله قبل أن أخلق؟ قال: نعم، قال: فما تلومني في شيء سبق من الله تعالى فيه القضاء قبلي؟ قال رسول الله ﷺ عند ذلك: فحج آدم موسى، فحج آدم موسى» .

[قال الإمام]:

قوله: (فحج آدم موسى) أي غلبه بالحجة .

واعلم أن العلماء قد اختلفوا في توجيه ذلك، وأحسن ما وقفت عليه ما أفاده شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، إنما هو أن موسى لامه على ما فعل لأجل ما حصل لذريته من المصيبة بسبب أكله من الشجرة، لا لأجل حق الله في الذنب، فإن آدم كان قد تاب من الذنب، وموسى عليه السلام يعلم أن بعد التوبة والمغفرة لا يبقى ملام على الذنب، ولهذا قال: " فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ "، لم يقل: لماذا خالفت الأمر؟ والناس مأمورون عند المصائب التي تصيبهم بأفعال الناس أو بغير أفعالهم بالتسليم للقدر وشهود الربوبية ... فراجع

كلامه في ذلك فإنه مهم جداً في الرسالة المذكورة وفي " كتاب القدر " من " الفتاوى " المجلد الثامن وكلام غيره في " مرقاة المفاتيح " (١ / ١٢٣ - ١٢٤) .

"الصحيحة"(٤/ ٢٧٧-٢٧٨).

[١٧٥١] باب هل يجوز الاحتجاج بالقدر على المعاصي؟

السؤال: يا شيخ في حجاج آدم وموسى عليه السلام، قال آدم لموسى أخيراً: أفتلومني على أمر كتبه الله علي أو قدره علي...[فهل هذا غير] علم الله السابق..؟

الشيخ: ليس هناك غيره أبداً، القدر هو ما سجله الله في اللوح المحفوظ، فما كتبه الله عز وجل في اللوح المحفوظ مما هو موافق للعلم الإلهي، فهذا هو المقصود ولا يوجد شيء ثاني أبداً.

مداخلة: إذاً: آدم هنا احتج بالقدر يعني...

الشيخ: نعم.

مداخلة: هل يجوز الاحتجاج بالقدر؟

الشيخ: لا يجوز الاحتجاج بالقدر، لكن يجب أن تلاحظ بأن هناك فرقاً بين هذا الاحتجاج الذي حكاه نبينا ﷺ مما جرى بين آدم وموسى وبين احتجاج غير آدم مثل قول المشركين: ولو شاء الله ما عبدناه. الفرق واضح جداً وهو أن التحاجج الذي جاء في الحديث جرى في عالم غير عالم التكليف واضح؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: هذا أولاً.

وثانياً: المؤاخذة جرت بعد أن تاب آدم عليه السلام وأناب كما هو في صريح القرآن، بينما الاحتجاج بالقدر هو لتمرير وتسويغ المعصية بحجة أن الله هكذا كتب علينا، فشتان بين الأمرين.

مداخلة: يا شيخ اليوم الناس إذا حدث لإنسان شئ بدون فعله، يقول: هذا قضاء وقدر، ليس هناك تعبير آخر بدل هذا التعبير؟ يعني مثلاً إنسان عمل حادث بدون قصد نقول له: قضاء وقدر...

الشيخ: كله قضاء وقدر.

مداخلة: هو كله قضاء وقدر، لكن هل يوجد تعبير آخر نقوله؟

الشيخ: لا يوجد، لكن المهم أن المسلم إذا ارتكب فاحشة أن لا يحتج بالقدر، لكن كل شيء يقع فهو بقدر الله وقضائه ولا شك ولا ريب أبداً.

مداخلة: الذي يقع علينا غصباً عنا كما يقولون.

الشيخ: كله قدر، لكن بين قدر وقع على الإنسان ويؤاخذ به، وبين قدر يقع للإنسان ولا يؤاخذ به، كما نعلم جميعاً التفريق بين قتل العمد وقتل الخطأ، فقتل العمد يؤاخذ عليه الإنسان في الدنيا والآخرة، أما قتل الخطأ فلا يؤاخذ إلا في الدنيا دون الآخرة، وهكذا كل المعاصي إما أن تقع باختيار الإنسان فهو يؤاخذ وذلك مقدر عليه بلا شك، وإما أن يقع رغم أنفه وبدون اختياره فهو لا يؤاخذ على ذلك.

"الهدى والنور"(٢٢١/ ٤١: ٥٣: ٠٠)

[١٧٥٢] باب منه؟

سؤال: أمامي الآن كتيب عقيدة أهل السنة والجماعة لشيخنا محمد بن صالح بن عثيمين.

الشيخ: نعم.

مداخلة: هناك فقرة.. الكتاب جيد،صحيح؟!

الشيخ: أنا ما رأيته لكن هكذا نسمع.

مداخلة: نعم، هنا أمامي فقرة لا أفهمها: أقرأه لك إن شاء الله جيد؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: يقول الشيخ: ونرى أنه لا حجة للعاصي على معصيته بقدر الله تعالى؛ لأن العاصي يقدم على المعصية باختياره من غير أن يعلم أن الله تعالى قدرها عليه، إذ لا يعلم أحد قدر الله تعالى إلا بعد وقوع مقدوره: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾(لقمان:٣٤) فكيف يصح الاحتجاج بحجة لا يعلمها المحتج بها حين إقدامه عليها ... هذا الكلام لا أفهمه.

الشيخ: الكلام واضح.

مداخلة: كيف.

الشيخ: الآن عندما الواحد يريد أن يسرق، هل علم قبل أن يسرق بأن الله قدر عليه السرقة؟

مداخلة: لا طبعاً.

الشيخ: طيب! وعندما سرق عرف.

مداخلة: نعم.

الشيخ: فما فائدة هذا الاحتجاج؟!

مداخلة: لكن هذا لا ينفي أنه قدر الله.

الشيخ: لا ينفي، لكن نحن نضيف إلى كلام **الشيخ** عبارة قد تكون هي العبارة الموضحة والقاضية على الشبهة.

مداخلة: نعم.

الشيخ: لا شك أن عمل كل إنسان إما أن يكون فيه مختاراً وإما أن يكون فيه مجبوراً، وأنت لا تناقش في هذا التقسيم، أليس كذلك؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: يعني: الإنسان قد يفعل شيئاً باختياره، وقد يفعل الشيء نفسه رغم أنفه، واضح؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: طيب! يعني: من الأمثلة الواضحة قتل العمد وقتل الخطأ، طيب!

مداخلة: نعم.

الشيخ: فحينما يقتل القاتل عامداً متعمداً، أولاً: هو لا يدري أن هذا مسجلاً عليه أو لا؟ إلا بعد الوقوع، كذلك الذي يقتل خطأً لا يدري أن ذلك كان مسجلاً عليه إلا بعد الوقوع، فالذي يحتج بالقدر وهو عاصي، وهو القاتل العمد في مثالنا نقول له: ربنا عز وجل قدر عليك بمعنى أنه علم أنك ستقتل عامداً متعمداً وهذا

الذي علمه الله عز وجل كَتَبَهُ في اللوح المحفوظ وذلك هو القدر، هذا العلم الإلهي والكتابة الإلهية والقدر الإلهي هو كاشف لما سيقع بكل تفاصيله، وبحثنا الآن: القاتل عمداً، فالله عز وجل علم بأنه سيقتل باختياره؛ ولذلك يؤاخذه، والذي يقتل خطأً أيضاً كتب في اللوح أنه يقتل خطأً ولذلك فلا يؤاخذه، فالاحتجاج إذاً بالقدر باطل إلا إذا كان مكرهاً فحينئذ ما منه مانع.

لعله وضح لك الأمر؟

مداخلة: فهمت جداً فهمت جداً، يعني: الآن القدر قدر الله يعني: علمه لا يتناقض مع قدره.

الشيخ: أبداً هو كشاف للواقع قبل وقوعه.

"الهدى والنور" (٣٣٩/ ٣٩: ٥٣: ٠٠)

جماع أبواب

الكلام على إرادة الله تعالى الشرعية وإرادته الكونية

[١٧٥٣] باب بيان أقسام الإرادة الإلهية والقضاء الإلهي

سؤال: مرتين، وردت آية في القرآن: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(البقرة:١١٧) **مرتين**،ربنا سبحانه وتعالى أراد وقضى، الإرادة سابقة لقضاء الله وأمر الله أم الأمر سابق للإرادة؟ نعرف من الآية من سياق الآية أن الإرادة سابقة لقضاء الله وأمره، ربنا سبحانه وتعالى قضى على إبليس ألا يسجد لآدم..كان إبليس شيخ المسبحين، وكان في الجنة بإرادة الله، طبعاً بإرادة الله ربنا سبحانه وتعالى أراد لإبليس ألا يسجد في علمه، وعندما قضى له أن اسجد رفض السجود لم يطع أمر الله، لو أطاع إبليس أمر الله لخالف إرادة الله؟ ولو أطاع إرادة الله لخالف أمر الله؟

الشيخ: الله أكبر. إيه.

مداخلة: هل ربنا سبحانه وتعالى ظالم جل وتعالى عن ذلك لإبليس؟ أو كيف يعذب وهو أراد له ذلك؟

الشيخ: طيب. أنت حصرت الآن الكلام على إبليس.

مداخلة: نعم.

الشيخ: هل المسألة تختلف عن إبليس وأتباع إبليس أو مخصوصة بإبليس؟

مداخلة: هي يعني خلينا نقول: يعني وجه الشر على إطلاقه.

الشيخ: ما هوَّ هذا السؤال أنت قيدته، ولذلك قلت لك: خاص بإبليس أو هو بأتباع إبليس؟

مداخلة: إذا إحنا خصصنا نعرف العام.

الشيخ: آه.

مداخلة: إذا خصصنا نعرف العام.

الشيخ: تعرف العام. إذاً من حيث الفكر غير المنطق، الفكر أنه ما في فرق بين إبليس وأتباعه.

مداخلة: نعم.

الشيخ: وأنت مؤمن بهذا معي.

مداخلة: نعم.

الشيخ: لا، شايفك أنت تكتب.

مداخلة: لأن السؤال أيضاً لي وأنا يعني سُئلت.

الشيخ: معليش، بس ... يقولون عندنا في الشام: العين مغرفة الكلام.

مداخلة: نعم.

الشيخ: فإذا أنا ماشي وأنت تكتب معنى هذا انْصَرَفْتَ عني.

مداخلة: بارك الله فيك.

الشيخ: ولست أعني لا تسجِّل لا، خذ رخصة وسَجِّل.

مداخلة: بارك الله فيك.

الشيخ: كيف تفهم قولَهُ تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(الإسراء:٢٣)؟

مداخلة: إرادة الله السابقة لعلمه.

الشيخ: هذه الفلسفة تبعك اتركلي إياها الآن. ما معنى: قضى ربك؟

مداخلة: أمر.

الشيخ: أمر أمراً شرعياً أم كونياً؟

مداخلة: لعله شرعي.

الشيخ: ولعله ليس شرعيًّا؟

مداخلة: طبعاً شرعي.

في عندنا أثر عن ابن عمر نسيت القصة، بس قال له واحد من الجالسين قال له: لعل الأمر كذا قال له: اجعل لعل عند ذاك الكوكب.

مداخلة: نعم.

الشيخ: وأنت كذلك. طيب. إذاً نعيد السؤال.

مداخلة: نعم.

الشيخ: .. ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾(الإسراء:٢٣) هل هو معنى قضى: أراد إرادة شرعية أم كونية؟ قلت: أنت لعل، وأنا أظن أن هذه رمية ولذلك خائف منها، تكون رمية من غير رام، أما إذا كنت قاصدها فيسهل علينا ماذا؟ المضي فيما نحن في صدده.

مداخلة: نعم.

الشيخ:[بعد تدخل بعض الحضور] اسمع يا أخي الله يهديك. إلا إذا كنت أنت عاملين اتفاق أنتم اثنين عليَّ واحد من جهة وواحد من الجهة معليش، أما أنا

ما أحب أن واحد من هون وواحد من هون.

مداخلة:... يميز بين الشرعي.

الشيخ: يا أخي هذا مش وارد، نسمع منه. راح يبين للأخير، ثم نحن يا أخي نكون صريحين في الموضوع.

إذا أنا سألت هذا السؤال وبحلق عيونه وما عمره سمع هذا السؤال يقول: والله ما عندي علم، لازم هو يقول مش أنت تخليه براحته وتجاوب عنه،هيك ما تكون ساعدته...

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(الإسراء:٢٣) قضى ربك بمعنى ماذا؟ أمر.

مداخلة: نعم.

الشيخ: طيب. الأمر هنا كوني أم شرعي؟

مداخلة: شرعي.

الشيخ: شرعي. الأمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس:٨٢) شرعي أم كوني؟

مداخلة: كوني.

الشيخ: كوني، طيب. كفر إبليس وعدم سجوده لآدم عليه السلام هو الذي كان بأمر إلهي كوني أو شرعي؟

مداخلة: شرعي.

الشيخ: هنا وقف حمار الشيخ عند العقبة. كيف شرعي؟ إذاً كنا نقول: ما هو

الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية؟ وهذا في الحقيقة من دقائق علم التفسير التي يدندن حولها شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله.

إرادة الله في آياته تحمل معنيين: أحدهما معنى عام شامل لكل شيء والآخر معنى خاص ليس شاملاً لكل شيء.

الأول العام يشمل الخير والشر، يشمل الإيمان والكفر، كل شيء.

الثاني خاص بما يحبه الله، بما يرضاه، بما شرعه لعباده. فلما تساءلنا عن قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾(الإسراء:٢٣) كان الجواب قضى هنا بمعنى: أراد إرادة شرعية، أي: حكم كذا وكذا أن يعبد الله وحده وبالوالدين إحساناً، لكن كون الله حكم بشيء شيء، وكون هذا الحكم سيقوم به الناس كل الناس أو بعض الناس هذا شيء آخر.

وكواقع هذا القضاء، هذا الحكم الإلهي في الآية: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾(الإسراء:٢٣) مُشَاهَد ما يحتاج إلى شرح، منهم من حقق هذا الحكم الشرعي ومنهم من لم يحققه، فالناس إذاً تجاه هذه الآية كهم تماماً تجاه كل الآيات التشريعية قسمين، فمنهم من آمن ومنهم من كفر.

هؤلاء القسمين داخلين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس:٨٢) بمعنى: أن كفر الكافر لا يقع رغم إرادة الله بل هذا من إرادة الله فضلاً عن إيمان المؤمن لا يقع رغم إرادة الله بل كل ذلك بإرادة الله، فهذا معنى كون الإرادة في قوله: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس:٨٢) فهذه الإرادة تشمل كل شيء إطلاقاً وهي الإرادة الكونية وليست هي الإرادة الشرعية.

أما الإرادة الشرعية فهي خاصة بما شرعه الله ورضيه لعباده. أي نعم.

كيف تقول الآية ولا يريد لعباده الكفر.

مداخلة: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(الزمر:٧).

الشيخ: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(الزمر:٧) لا يرضى هو بمعنى: لا يريد، لكن لا يرضى أوضح وألصق بالإرادة الشرعية من كلمة «إرادة» المطلقة؛ لأنه وضح لنا أن الإرادة تنقسم إلى قسمين يدخل فيها الخير ويدخل فيها الشر، إذا دخل فيها الشر تكون إرادة كونية ما تكون إرادة شرعية.

فإذاً؛ إذا رجعنا لإبليس **والأبالسة كلهم هؤلاء عصوا الله عز وجل، ما أطاعوه من حيث إرادته الشرعية، لكن هم وقعوا وفعلوا ما فعلوا ضمن الإرادة ماذا؟ الكونية،** أي: ما عصوا الله رغم إرادة الله لأن الله عز وجل قادر أن يرغم أكثر الكفار أنه يؤمن وما ذلك على الله بعزيز، لكن سبقت مشيئة الله وحكمته أن يقرر ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٢٩).

إذاً ما في إشكال - يا أخي - بين الآية هذه والآية الأخرى التي فهمت منها التناقض، إنما استحضر في نفسك أن الإرادة والقضاء الإلهي يشمل نوعين من حيث ماذا؟ الإرادة الكونية، لكن من حيث الإرادة ومن حيث القضاء الشرعي فهو يشمل نوعاً واحداً. لعله زال الإشكال إن شاء الله.

"الهدى والنور"(٢٣٤/ ٤٨: ٣٨: ٠٠)

[١٧٥٤] باب هل هناك فرق بين الإرادة والمشيئة؟

سؤال: فضيلة الوالد حفظك الله: هل هناك فرق بين الإرادة والمشيئة؟

الشيخ: لا فرق في ذلك فهما لفظان يؤديان إلى صفة واحدة: إرادة الله ومشيئته في معنى واحد بخلاف رضى الله ومحبة الله، فرضى الله ومحبة الله أيضًا

بمعنى واحد ولكنهما يختلفان من ناحية عن الإرادة والمشيئة، فمشيئة الله وإرادته تشمل كل شيء يقع في هذا الكون من خير أو من شر، كما تقرؤون في كتابه تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس:٨٢) فقوله تعالى هذا يشمل كل شيء يقع في هذا الكون من كل أمر سواءً كان مشروعًا أو غير مشروع، لذلك قال أحد العلماء:

مريد الخير والشر القبيح ولكن ليس يرضى بالمحال.

إن مشيئة الله وإرادة الله لفظان مختلفان مترادفان في المعنى، كذلك قوله: رضا الله ومحبة الله أيضًا لفظان مختلفان مترادفان في المعنى، هذان لفظان يختلفان لفظًا ومعنًى عن اللفظين الأولين، فمحبة الله للشيء ورضى الله للشيء يدخل في عموم إرادته، وكذلك ما يكرهه كما ذكرنا آنفًا.

أما ما يكرهه ربنا تبارك وتعالى فلا يدخل فيما يحبه ولا فيما لا يرضاه كما قال تعالى: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(الزمر:٧) من هنا قال أحد العلماء:

مريد الخير والشر القبيح: جمع للإرادة الخير والشر كما ذكرنا، ولكن ليس يرضى بالمحال: الذي هو الشر، فالله عز وجل يحب الخير.. يحب الإيمان ويكره الكفر والطغيان، كل من الإيمان والكفر بمشيئة الله عز وجل وتقديره وإرادته.

"رحلة النور"(٣٣أ/ ٠٠:١٥:٠٠)

[١٧٥٥] باب الفرق بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية

[قال رسول الله ﷺ]:

«يقول الله لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: يا ابن آدم! كيف وجدت

مضجعك؟ يقول: شر مضجع، فيقال له: لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنت مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: كذبت قد أردت منك أهون من هذا، وأنت في صلب» وفي رواية: ظهر «آدم أن لا تشرك بي شيئا ولا أدخلك النار، فأبيت إلا الشرك، فيؤمر به إلى النار».

[قال الإمام]:

قوله: (قد أردت منك) أي أحببت منك، والإرادة في الشرع تطلق ويراد بها ما يعم الخير والشر والهدى والضلال كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾.وهذه الإرادة لا تتخلف . وتطلق أحياناً ويراد بها ما يرادف الحب والرضا، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾،و هذا المعنى هو المراد من قوله تعالى في هذا الحديث (أردت منك) أي أحببت والإرادة بهذا المعنى قد تتخلف، لأن الله تبارك وتعالى لا يجبر أحدا على طاعته وإن كان خلقهم من أجلها ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، وعليه فقد يريد الله تبارك وتعالى من عبده ما لا يحبه منه . ويحب منه ما لا يريده، وهذه الإرادة يسميها ابن القيم رحمه الله تعالى بالإرادة الكونية أخذاً من قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، ويسمى الإرادة الأخرى المرادفة للرضا بالإرادة الشرعية، وهذا التقسيم، من فهمه انحلت له كثير من مشكلات مسألة القضاء والقدر، ونجا من فتنة القول بالجبر أو الاعتزال وتفصيل ذلك في الكتاب الجليل " شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل " لابن القيم رحمه الله تعالى .

"الصحيحة"(١/ ١/ ٣٣٠-٣٣٤).

[١٧٥٦] باب منه

السائل: شيخنا أكرمكم الله، سؤالي عن الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية لو مع التمثيل إذا تكرمتم؟ بارك الله فيكم.

الشيخ: الإرادة الكونية مشتقة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس:٨٢)وهذا واضح جداً، لكن قد يكون غائباً عن بعض الأذهان، هل الشر يكون بإرادة الله أم لا؟ جوابك؟

الملقي: بإرادة الله أولاً.

الشيخ: طيب. فإذا كل شيء يكون في هذا الكون هو بإرادة الله -عز وجل-، سواءٌ كان خيراً أو كان شراً، فهذه الإرادة الشاملة للخير والشر هي الإرادة الكونية، أما الإرادة الشرعية فهي تتعلق فقط بأحد المكونين، ألا وهو الخير، ويجمع لك هذا قول أحد الفقهاء العلماء في قصيدة لها يقول فيها في الرب -تبارك وتعالى-:

مريد الخير والشر ولكن ليس يرضى بالمحال

هو يريد الخير والشر ولكن لا يرضى بالشر، وهذا صريح في القرآن الكريم: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(الزمر:٧)، مع أنه الكفر كائن من الأكوان، وذلك بإرادة الله، فهو يريد هذا الكفر وهذا الكافر إرادة كونية، لكن لا يريد ذلك إرادة شرعية، لعل في هذا بيان.

الملقي: جزاك الله خيراً.

الشيخ: وإياك.

"الهدى والنور" (٦٧٤/ ٣٠: ٤١: ٠٠)

[١٧٥٧] باب منه

سؤال: قرأت حديثاً يا شيخنا في تفسير الجلالين يقول: قال ﷺ: «﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾(الأنعام:١٥٩) إنما هم أهل البدع وأهل الأهواء والضلالة من هذه الأمة، يا عائشة إن لكل صاحب ذنب توبة غير أصحاب البدع ليس لهم توبة، يا عائشة إني بريئ منهم وهم منا براء»(١) فما مدى صحة هذا الحديث؟ وما معنى: غير أصحاب البدع والأهواء ليس لهم توبة؟ وجزاكم الله خيراً.

الشيخ: طبعاً هذا الحديث ضعيف سنداً ومتناً كما يقول علماء الحديث سنداً ومتناً.

أما السند فلأن فيه علة تمنع من الحكم عليه بالصحة طبعاً أنا الآن غير مستحضر لهذه العلة سوى أني أعرف أن الحديث لا يصح من حيث إسناده، أما أنه لا يصح من حيث متنه، فهذا واضح جداً؛ لأن صاحب البدعة مهما كانت بدعته فسوف لا تكون أشر عند الله عز وجل من شرك الكافر المشرك، فإذا كان الأمر كذلك وكان معلوماً عند كل مسلم قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(النساء:٤٨).

فهذا النص صريح بأن الله عز وجل من الممكن الجائز بالنسبة إليه تبارك وتعالى ليس فقط أن يقبل توبة المبتدع، بل وأن يغفر له بدعته، ولو لم يتب منها؛ لأن بدعته ليست شركاً، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(النساء:٤٨).

---

(١) انظر "كنزر العمال" (رقم ٤٣٦٦).

هذا جواب على افتراض أن البدعة ليست كالشرك، وإنما هي دون ذلك.

وإذا افترضنا أن البدعة التي أريد بهذا الحديث هي: نوع من أنواع الشرك حينئذ نستدل بقوله تبارك وتعالى في صفات الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(الفرقان:٦٨-٧٠).

لقد بدأ الله عز وجل بذكر المذنبين المجرمين في هذه الآية بالمشركين فقال: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ...﴾(الفرقان:٦٨) إلى آخر الآية.

ثم استثنى أي: بعد أن حكم لهؤلاء بالنار قال: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(الفرقان:٧٠).

إذاً: لنفترض أن هذا المبتدع بدعته بدعة شركية، فلماذا لا يتوب الله عليه إذا تاب؟ وقد قال تعالى في الآية السابقة: إلا من تاب.

فهذا دليل على بطلان هذا المتن بعد أن لم يثبت هذا المتن على طريقة المحدثين أي: من جهة السند، فإذاً: هذا الحديث لا يصح لا إسناداً ولا متناً، لكن يمكن أن يقال: لو افترضنا أن لهذا الحديث أصلاً يمكن أن يقال: بأن راويه الذي بسببه ضعف إسناد الحديث هذا كان من أصحاب الأوهام والأخطاء في رواية الحديث.

هناك حديث ثابت عن الرسول عليه السلام قد يتوهم كثير من الناس أنه هذا

الحديث هو بمعنى حديثك، ما هو الحديث؟ «أبى الله أن يجعل لصاحب بدعه توبة»[1].

هذا حديث صحيح: «أبى الله أن يجعل لصاحب بدعة توبة».

فربما فهم ذلك الراوي بسوء فهمه، أو سوء حفظه فروى هذه الجملة التي لها صحة بتلك الجملة أن الله لا يقبل توبة المبتدع لا، أبى الله أن يجعل لصاحب بدعة توبة لا تعني أنه لو تاب توبة نصوحاً لا يقبل الله توبته للسبب الذي ذكرته آنفاً.

إذاً: ما معنى: «أبى الله» هذا **إباء يسمى في لغة العلماء كوني إباء كوني وليس إباء شرعياً** بمعنى: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس:٨٢) طيب.

هذه الكفريات هذه الشركيات، وهذه المعاصي التي تقع في هذا الكون هي بإرادة الله أم لا؟ الجواب: تأملوا في الآية، إذا ما كان عندكم فكرة سابقة أن إرادة الله تشمل كل شيء، ولذلك جاء في عقيدة الإيمان بالله وملائكته في آخره وبالقدر خيره وشره إذاً: الخير والشر كلاهما بإرادة الله وتقديره، هذا هو الذي يعنونه بأنه هذه الإرادة كونية، فالحديث يعني: أبى الله أي: إرادة كونية أن يجعل لصاحب بدعة توبة، لكن ليس هذا إرادة شرعية أي: إذا تاب المشرك يقبل توبته؟ يقبل توبته بدليل ما سبق وغيرها، في إرادة يقابل الإرادة السابقة الإرادة الكونية إرادة شرعية.

فهناك فرق كبير جداً بين الإرادة الشرعية وبين الإرادة الكونية:

الإرادة الكونية تشمل الخير والشر، تشمل الهدى والضلال الإيمان والكفر،

---

(١) " البدع" لابن وضاح (رقم ١٤٣) بهذا اللفظ، وصحح الألباني حديث: «إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته» في "صحيح الترغيب والترهيب" (رقم ٥٤).

هذه ما اسمها؟ إرادة كونية يقابلها الإرادة الشرعية، الإرادة الشرعية خاصة بالخير خاصة بالإيمان، قال تعالى: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(الزمر:٧) هذه آية في القرآن صريحة، ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(الزمر:٧) هل يريد لعباده الكفر؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: هاه، أخطأ صاحبنا؛ لأننا نحن في صدد القول أنه الإرادة الكونية شاملة، الإرادة الكونية شاملة إبليس لما كفر مش رغم أنفه كما يقال رب العالمين حاشاه، إنما بإرادة الله عز وجل، لكن هذه إرادة كونية وليست شرعية؛ لأن الإرادة الشرعية لا تشمل الكفر.

الإرادة يمكن الآن أن نجعل لها قسمين نقسم الإرادة إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية.

الإرادة الكونية شاملة للخير والشر من إيمان وكفر ... إلى آخره.

الإرادة الشرعية لا تتعلق إلا بالإيمان والعمل الصالح، وهنا تفسر الإرادة الشرعية بالرضا.

أما الإرادة الكونية لا تفسر بالرضا، وقد ظهر لكم الفرق؟ إرادة كونية تشمل كل شيء سواءً كان خيراً أو شراً، كَفَرَ، وربنا قال: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(الزمر:٧).

أما الإرادة الشرعية فهي خاصة بما أمر الله به، لذلك قال أحد العلماء:

مريد الخير والشر القبيح ولكن ليس يرضى بالمحال

هو يريد الخير والشر إرادة كونية، ولكن ليس يرضى به بحال، لا يرضى؛ لأنه

قال: ﴿وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾(الزمر:٧).

حينئذ يشيب ابن آدم على ما شب عليه، هذه قاعدة الإنسان الذي يشب على الخير في الغالب يموت على الخير، يشب على الإيمان يموت على الإيمان، والعكس بالعكس تماماً، فلا يجوز أن يقال: لا يقبل التوبة من المبتدع لا، الله يقبل التوبة من عباده ويعفو عن كثير.

ولا يجوز أن نقول: لا يقبل التوبة من المشرك؛ لأنه صرح في القرآن الكريم أنه يقبل التوبة.

فالمبتدع أسوأ أحواله أن يكون مشركاً، أسوأ أحواله أن يكون مشركاً، فإذا تاب تاب الله عليه، لكن أنا أريد أن أبين الفرق بين هذا الحديث الضعيف، وبين الحديث الصحيح: «أبى الله أن يجعل لصاحب بدعة توبة».

هنا الجعل بمعنى: الإرادة الكونية، مش الإرادة الشرعية، فلو فرضنا أن مشركاً تاب، تاب الله عليه، لو فرضنا أن مبتدعاً تاب تاب الله عليه، إذاً: ما معنى: «أبى الله أن يجعل لصاحب بدعة توبة»؟ أي: المبتدع من أولئك الذين يقال لهم: ﴿زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾(التوبة:٣٧) ولذلك فهل يتوب الإنسان الذي مثله كمثل أولئك الذين قال الله عز وجل عنهم في القرآن: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾(الكهف:١٠٣، ١٠٤).

فإنسان كان مشركاً أو كان مبتدعاً يحسب أنه يحسن صنعاً هذا يتصور أن يتوب؟ لا يتصور أن يتوب.

من هنا يقول العلماء: ضرر البدعة على صاحبها أخطر من ضرر المعصية؛

لأن المعصية حينما يرتكبها العاصي يعرف أنه عاصي فيرجع أنه يوماً ما يتوب إلى الله من معصيته التي هو عارف بأنها معصية، لكن المبتدع الذي لسان حاله يقول: رب زدني؛ لأنه يتقرب ببدعته إلى الله عز وجل، فهذا لا يتصور أن يتوب إلى الله.

فإذاً: حديثنا: «أبى الله أن يجعل لصاحب بدعة توبة» هذا إرادة كونية، أما لو تصورنا وهذا ممكن أن يقع ولو بندرة كالمشرك الذي يعيش دهره الطويل مشركاً صعب جداً أن يتوب إلى الله؛ لأنه شاب على ما شب عليه، لكن نادراً ممكن أن يقع.

كذلك المبتدع ممكن أن يتوب إلى الله عز وجل، لكن هذا على طريقة نادرة جداً حينما يتبين له أنه كان عايشاً في الأوهام، أنه هو يعيش في طاعة الله في ظنه، وإذا هو يعيش في معصية الله من حيث أنه ابتدع في دين الله ما لم ينزل الله به سلطاناً.

إذاً: الآن استفدنا ضعف الحديث المسؤول عنه أولاً، وصحة الحديث الثاني غير المسئول عنه ثانياً، واستفدنا الفرق الجوهري بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.

وثالثاً وأخيراً: استنتجنا من الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية الفرق بين الحديث الضعيف، وبين الحديث الصحيح.

الحديث الضعيف حكم شرعي: «لا يقبل الله توبة مبتدع».

هذا باطل؛ لأنه قلنا لو كان بدعته شركاً فالله يقبل، أما البدعة المذكورة في الحديث الصحيح فهي: إرادة ليست شرعية، وإنما إرادة كونية.

فمن هنا ظهر الفرق واستفدنا من الجولة القصيرة هذه فوائد ثلاثة:

ضعف الحديث الأول، صحة الحديث الثاني، الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية.

ومن هنا: نفهم معنى قول ذلك العالم:

مريد الخير والشر القبيح   ولكن ليس يرضى بالمحال

وبهذا ينتهي الجواب.

مداخلة: جزاك الله خيراً.

ولذلك الإمام الشاطبي في كتاب "الاعتصام" يذكر قولاً يقول يستحيل على كل صاحب بدعة أن يتوب من بدعته.

الشيخ: هو هذا لذلك قلت لكم: العلماء يقولون: شر البدعة على صاحبها أشر من شر المعصية على صاحبها لماذا؟ العاصي يمكن أن يتوب؛ لأنه يعرف نفسه أنه عاصي.

المبتدع لسان حاله يقول: رب زدني؛ لأنه يتقرب إلى الله عز وجل، والله لا يقبل، فهذا التقرب كما تعلمون: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[١] هكذا.

مداخلة: كذلك حديث رسول الله ﷺ الذي هو المذكور في صحيح الترغيب والترهيب في كتاب التمسك بالسنة.

---

(١) " صحيح الجامع" (٥٩٧٠).

والحديث فيما معناه يقول ﷺ: «أبى الله أن يقبل من كل صاحب بدعة عمل حتى يدع بدعته»(١) ومن ذلك هذا.

الشيخ: هو هذا، نعم.

مداخلة: جزاكم الله خيراً.

الشيخ: أي نعم.

"الهدى والنور" (/ ٧٠٤/ ١٨: ١٨: ٠٠)

[١٧٥٨] باب هل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يُشَم منه رائحة الجبر؟ والكلام على الإرادة الشرعية والإرادة الكونية

[سئل الإمام]:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(الأنعام٢٥)، يَشُم البعض من هذه الآية رائحة الجبر، فما رأيكم في ذلك؟

[فأجاب]:

هذا الجعل هو جعلٌ كوني، ولفهم هذا لابد من شرح معنى الإرادة الإلهية، فالإرادة الإلهية تنقسم إلى قسمين: «**إرادة شرعية، وإرادة كونية**».

والإرادة الشرعية: هي كل ما شرعه الله عزوجل لعباده، وحضهم على القيام به من طاعات وعبادات على اختلاف أحكامها، من فرائض إلى مندوبات، فهذه

(١) " ضعيف الجامع" (رقم ٢٩)، " الضعيف " (٣/ ٦٨٣).

الطاعات والعبادات يريدها تبارك وتعالى ويحُبها .

وأما الإرادة الكونية: فهي قد تكون تارة مما لم يشرعها الله، ولكنه قدرها وهذه الإرادة إنما سُميت بالإرادة الكونية اشتقاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس٨٢)، فـ ﴿شَيْئًا﴾ اسم نكرة يشمل كل شيء، سواء أكان طاعة أو معصية، وإنما يكون ذلك بقوله تعالى: ﴿كُنْ﴾، أي بمشيئته وقضائه وقدره، فإذا عرفنا هذه الإرادة الكونية – وهي أنها تشمل كل شيء، سواء أكان طاعة أو كان معصية – فلا بد من الرجوع بنا إلى موضوع القضاء والقدر، لأن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، معناه أن هذا الذي قال له ﴿كُنْ﴾ جعله أمراً مُقدراً كائناً لابد منه، فكل شيء عند الله عزوجل بقدر، وهذا أيضاً يشمل الخير والشر، ولكن ما يتعلق منه بنا نحن الثقلين –الإنس والجن المكلفين المأمورين من الله عزوجل– أن ننظر فيما نقوم نحن به، إما أن يكون بمحض إرادتنا واختيارنا، وإما أن يكون رغماً عنا، وهذا القسم الثاني لا يتعلق به طاعة ولا معصية، ولا يكون عاقبة ذلك جنة ولا ناراً، وإنما القسم الأول هو الذي عليه تدور الأحكام الشرعية، وعلى ذلك يكون جزاء الإنسان الجنة أو النار، أي: ما يفعله الإنسان بإرادته، ويسعى إليه بكسبه واختياره هو الذي يحاسب عليه، إنْ كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

وكون الإنسان مختاراً في قسم كبير من أعماله، فهذه حقيقة لا يمكن المجادلة فيها شرعاً ولا عقلاً.

أما شرعاً: فنصوص الكتاب والسنة متواترة في أمر الإنسان بأن يفعل ما أمر به، وفي أن يترك ما نُهي عنه، وهذه النصوص أكثر من أن تذكر .

أما عقلاً: فواضح لكل إنسان متجرد عن الهوى والغرض بأنه حينما يتكلم،

حينما يمشي، حينما يأكل، حينما يشرب، حينما يفعل أي شيء، مما يدخل في اختياره، فهو مختار في ذلك غير مضطر إطلاقاً، وأنا شئتُ أنْ أتكلم الآن، فليس هناك أحد يجبرني على ذلك بطبيعة الحال، ولكنه مقدر، ومعنى كلامي هذا مع كونه مقدراً، أي أنه مقدر مع اختياري لهذا الذي أقوله وأتكلم به، ولكن باستطاعتي أن أصمت لأبين لمن كان في شك مما أقول أني مختار في هذا الكلام.

إذاً، فاختيار الإنسان -من حيث الواقع- أمر لا يقبل المناقشة والمجادلة، وإلا فالذي يجادل في مثل هذا إنما هو يسفسط ويشكك في البدهيات، وإذا وصل الإنسان إلى هذه المرحلة انقطع معه الكلام.

إذاً فأعمال الإنسان قسمان: اختيارية، واضطرارية.

والاضطرارية: ليس فيها كلام، لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية الواقعية، والشرع يتعلق بالأمور الاختيارية، فهذه هي الحقيقة، وإذا ركزناها في أذهاننا، استطعنا أن نفهم الآية السابقة ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ وهذا الجعل كوني، ويجب أن نتذكر الآية السابقة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أن الإرادة ههنا إرادة كونية، ولكن ليس رغما عن هذا الذي جعل الله على قلبه أكنة.

مثال من الناحية المادية: أن الإنسان حينما يُخلق إنما يُخلق ولحمه غض طري، ثم إذا كبر وكبر يقسو لحمه ويشتد عظمه ولكن الناس ليسوا كلهم سواءً، فهذا مثلاً إنسان منكب على نوع من الدراسة والعلم، فهذا ماذا يقوى فيه؟ يقوى عقله؟ ويقوى دماغه من الناحية التي هو ينشغل بها، ويَنصب بكل جهده عليها، ولكن من الناحية البدنية جسده لا يقوى، وعضلاته لا تنمو .

والعكس بالعكس تماماً: فهذا شخص منصب على الناحية المادية، فهو في كل يوم يتعاطى تمارين رياضية -كما يقولون اليوم- فهذا تشتد عضلاته، ويقوى جسده، ويصبح له صورة كما نرى ذلك أحياناً في الواقع، وأحياناً في الصور، فهؤلاء الأبطال مثلاً تصبح أجسادهم كلها عضلات، فهل هو خُلق هكذا، أم هو اكتسب هذه البنية القوية ذات العضلات الكثيرة؟ هذا شيء وصل إليه هو بكسبه واختياره.

ذلك هو مثل الإنسان الذي يضل في ضلاله وفي عناده، وفي كفره وجحوده، فيصل الران إلى هذه الأكنة التي يجعلها الله عزوجل على قلوبهم؟ لا بفرض من الله واضطرار من الله لهم، وإنما بسبب كسبهم واختيارهم، فهذا هو الجعل الكوني الذي يكسبه هؤلاء الكفار، فيصلون إلى هذه النقطة التي يتوهم الجُهال أنها فُرضت عليهم، والحقيقة أن ذلك لم يُفرض عليهم وإنما ذلك بما كسبت أيديهم، وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد .

"كيف يجب علينا أن نفسر القرآن"(ص٢٣-٢٨).

[١٧٥٩] باب التطهير كوني وشرعي، وبيان أن تطهيرَ أهل البيت شرعيٌّ

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«إن الله عز وجل خلق الخلق قسمين، فجعلني في خيرهما قسماً، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وأصحاب اليمين﴾، ﴿وأصحاب الشمال﴾؛ فأنا من أصحاب اليمين؛ وأنا خير أصحاب اليمين، ثم جعل القسمين أثلاثاً، فجعلني في خيرها ثلثاً، فذلك قوله: ﴿وأصحاب الميمنة﴾، ﴿والسابقون السابقون﴾؛ فأنا خير السابقين،

ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة، وذلك قوله: ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾، وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله عز وجل، ثم جعل القبائل بيوتاً؛ فجعلني في خيرها بيتاً، وذلك قوله: ﴿إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾، وأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب».

(موضوع بهذا التمام).

[قال الإمام]:

قلت: وآثار الوضع والغلو في المتن ظاهرة؛ لا سيما في الجملة الأخيرة منه:".. مطهرون من الذنوب" .

فإنه يشعر بأن التطهير في الآية تطهير كوني! وليس كذلك؛ بل هو تطهير شرعي؛ كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية - في رده على الرافضي - في كتابه العظيم: "منهاج السنة" .

"الضعيفة"(١١/ ٢/ ٨٥٥-٨٥٦).

جماع أبواب:

- إثبات قدرة العبد

- والكلام على استطاعة العبد وأقسامها

- والكلام على مسألة تكليف ما لا يطاق

[١٧٦٠] باب الجزاء يكون على ما للإنسان فيه كسب لا غيره

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«إن الله تعالى لا يعذب حسان الوجوه سود الحدق».

(موضوع).

[قال الإمام]:

لست أشك في بطلان هذا الحديث لأنه يتعارض مع ما وردفي الشريعة، من أن الجزاء إنما يكون على الكسب والعمل ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ لا على ما لا صنع ولا يد للإنسان فيه كالحسن أو القبح، وإلى هذا أشار ﷺ بقوله:«إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» رواه مسلم (٨/ ١١)، وغيره وهو مخرج في " غاية المرام " (٤١٥)، وراجع التعليق عليه في مقدمتي على " رياض الصالحين " للنووي (ص: ل .ن)، فإنه مهم جدّاً، ومثل هذا الحديث الموضوع في البطلان الحديث الآتي وهو: «عليكم بالوجوه الملاح والحدق السود فإن الله يستحي أن يعذب وجهاً مليحاً بالنار».

(موضوع) .

"الضعيفة"(١/ ٢٥٥-٢٥٦٩).

[١٧٦١] باب الجمع بين قول النبي ﷺ: «لن يُدخل أحدًا منكن عملُه الجنة» وبين قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[قال رسول الله ﷺ]:

" لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة [و لا ينجيه من النار]، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا - [و أشار بيده هكذا على رأسه:] - إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة، [مرتين أو ثلاثا] [فسددوا وقاربوا] [وأبشروا] [و اغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا] [واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل] " .

[قال الإمام]:

اعلم أن هذا الحديث قد يشكل على بعض الناس، ويتوهم أنه مخالف لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ونحوها من الآيات والأحاديث الدالة على أن دخول الجنة بالعمل، وقد أجيب بأجوبة أقربها إلى الصواب: أن الباء في قوله في الحديث: " بعمله "(١) هي باء الثمنية، والباء في الآية باء السببية، أي أن العمل الصالح سبب لابد منه لدخول الجنة، ولكنه ليس ثمناً لدخول الجنة، وما فيها من النعيم المقيم والدرجات.

---

(١) حديث الترجمة ليس فيه "بعمله" إلا أن هذا اللفظ قد ورد في بعض طرق الحديث التي أشار إليها الألباني -رحمه الله- في تخريه للحديث وإن لم يصرح بلفظه،فقد ورد هذا اللفظ في مسند أحمد وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل أحدكم الجنة بعمله» الحديث.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بعض فتاويه: " ولهذا قال بعضهم: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون سببا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب، فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافياً في حصول النبات، بل لابد من ريح مربية بإذن الله، ولابد من صرف الانتفاء عنه، فلابد من تمام الشروط وزوال الموانع، وكل ذلك بقضاء الله وقدره . وكذلك الولد لا يولد بمجرد إنزال الماء في الفرج، بل كم ممن أنزل ولم يولد له، بل لابد من أن الله شاء خلقه فتحبل المرأة وتربيه في الرحم وسائر ما سيتم به خلقه من الشروط وزوال الموانع.

وكذلك أمر الآخرة ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هي سبب، ولهذا قال النبي ﷺ: (فذكر الحديث)، وقد قال تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ . فهذه باء السبب، أي بسبب أعمالكم، والذي نفاه النبي ﷺ باء المقابلة، كما يقال: اشتريت هذا بهذا.

أي ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً في دخول الجنة، بل لابد من عفو الله وفضله ورحمته، فبعفوه يمحو السيئات، وبرحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعف الدرجات . وفي هذا الموضع ضل طائفتان من الناس:

١ - فريق آمنوا بالقدر، وظنوا أن ذلك كاف في حصول المقصود فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة . وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه.

٢ - وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر،

متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم، وكما يطلبه المماليك . وهؤلاء جهال ضلال: فإن الله لم يأمر العباد بما أمرهم به حاجةً إليه، ولا نهاهم عما نهاهم عنه بخلاً به، ولكن أمرهم بما فيه صلاحهم، ونهاهم عما فيه فسادهم . وهو سبحانه كما قال: "يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني". فالملك إذا أمر مملوكيه بأمر أمرهم لحاجته إليهم، وهم فعلوه بقوتهم التي لم يخلقها لهم فيطالبون بجزاء ذلك، والله تعالى غني عن العالمين، فإن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم، وإن أساءوا فلها . لهم ما كسبوا، وعليهم ما اكتسبوا، ﴿من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد﴾ " . انتهى كلام شيخ الإسلام رحمه الله منقولا من " مجموعة الفتاوى " (٨/ ٧٠ - ٧١) ومثله في " مفتاح دار السعادة " لتلميذه المحقق العلامة ابن قيم الجوزية (ص ٩ - ١٠) و"تجريد التوحيد المفيد " (ص ٣٦ - ٤٣) للمقريزي .

"الصحيحة"(٦/ ١/ ١٩٥، ١٩٨-٢٠٠).

[١٧٦٢] باب هل استطاعة العبد مقرونة بفعله أم سابقة له؟

[قال الإمام معلقا على قول صاحب الطحاوية: «والاستطاعة التي يجب بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات فهي قبل الفعل، وبها يتعلق الخطاب وهو كما قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾(البقرة: ٢٨٦)»]:

[قال الإمام]:

والأُولى قال بها الأشاعرة والأخرى قال بها المعتزلة، والصواب القول بهما معاً على التفصيل الذي ذكره المؤلف رحمه الله تعالى وقد بين ذلك شيخ الإسلام

ابن تيمية رحمه الله بياناً شافياً لا بأس من نقله بتمامه لأهميته؛ قال رحمة الله عليه في «مجموع الفتاوى» (٨/ ٣٧١ - ٣٧٦): قد تكلم الناس من أصحابنا وغيرهم في استطاعة العبد هل هي مع فعله أم قبله؟ وجعلوها قولين متناقضين؛ فقوم جعلوا الاستطاعة مع الفعل فقط وهذا هو الغالب على مثبتة القدر المتكلمين من أصحاب الأشعري ومن وافقهم من أصحابنا وغيرهم.

وقوم جعلوا الاستطاعة قبل الفعل وهو الغالب على النفاة من المعتزلة والشيعة، وجعل الأولون القدرة لا تصلح إلا لفعل واحد إذ هي مقارنة له لا تنفك عنه، وجعل الآخرون الاستطاعة لا تكون إلا صالحة للضدين ولا تقارن الفعل أبداً، والقدرية أكثر انحرافاً فإنهم يمنعون أن يكون مع الفعل قدرة بحال، فإن عندهم أن المؤثر لا بد أن يتقدم على الأثر لا يقارنه بحال سواء في ذلك القدرة والإرادة والأمر . والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضا وتقارنه أيضاً استطاعة أخرى لا تصلح لغيره، **فالاستطاعة نوعان: متقدمة صالحة للضدين، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له**؛ قال الله تعالى في الأولى: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾(آل عمران:٩٧) ولو كانت هذه الاستطاعة لا تكون إلا مع الفعل لما وجب الحج إلا على من حج، ولما عصى أحد بترك الحج، ولا كان الحج واجباً على أحد قبل الإحرام به، بل قبل فراغه وقال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾(التغابن: ١٦) فأمر بالتقوى بمقدار الاستطاعة ولو أراد الاستطاعة المقارنة لما وجب على أحد من التقوى إلا ما فعل فقط؛ إذ هو الذي قارنته تلك الاستطاعة وقال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾(البقرة: ٢٨٦) و(الوسع): الموسوع وهو الذي تسعه

وتطيقه فلو أريد به المقارن لما كلف أحد إلا الفعل الذي أتى به فقط دون ما تركه من الواجبات . . . ونظائر هذا متعددة فإن كل أمر علق في الكتاب والسنة وجوبه بالاستطاعة وعدمه بعدمها لم يرد به المقارنة وإلا لما كان الله قد أوجب الواجبات إلا على من فعلها وقد أسقطها عمن لم يفعلها فلا يأثم أحد بترك الواجب المذكور.

وأما الاستطاعة المقارنة الموجبة فمثل قوله تعالى: ﴿ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون﴾(هود: ٢٠) فهذه الاستطاعة هي المقارنة الموجبة إذ الأخرى لابد منها في التكليف؛

فالأولى: هي الشرعية التي هي مناط الأمر والنهي والثواب والعقاب، وعليها يتكلم الفقهاء وهي الغالبة في عرف الناس.

والثانية: هي الكونية التي هي مناط القضاء والقدر، وبها يتحقق وجود الفعل، فالأولى للكلمات الأمريات الشرعيات، والثانية للكلمات الخلقيات الكونيات كما قال: ﴿وصدقت بكلمات ربها وكتبه﴾(التحريم: ١٢).

وقد اختلف الناس في قدرة العبد على خلاف معلوم الحق أو مراده، والتحقيق أنه قد يكون قادراً بالقدرة الأولى الشرعية المتقدمة على الفعل فإن الله قادر أيضاً على خلاف المعلوم والمراد وإلا لم يكن قادراً إلا على ما فعله، وليس العبد قادراً على ذلك بالقدرة المقارنة للفعل فإنه لا يكون إلا ما علم الله كونه وأراد كونه فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكذلك قول الحواريين: ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾(المائدة: ١١٢) إنما استفهموا عن هذه القدرة . وكذلك ظن يونس ﴿أن لن نقدر عليه﴾(الأنبياء: ٨٧) أي فسر بالقدرة كما يقال للرجل هل تقدر أن تفعل كذا؟ أي هل تفعله؟ وهو مشهور في كلام الناس.

ولما اعتقدت القدرية أن الأولى (الاستطاعة قبل الفعل) كافية في حصول الفعل وأن العبد يحدث مشيئته جعله مستغنياً عن الله حين الفعل، كما أن الجبرية لما اعتقدت أن الثانية موجبة للفعل وهي من غيره رأوه مجبوراً على الفعل وكلاهما خطأ قبيح؛ فإن العبد له مشيئة وهي تابعة لمشيئة الله كما ذكر الله ذلك في عدة مواضع من كتابه .

فإذا كان الله قد جعل العبد مريداً مختاراً شائياً امتنع أن يقال: هو مجبور مقهور مع كونه قد جعله مريداً، وامتنع أن يكون هو الذي ابتدع لنفسه المشيئة فإذا قيل: هو مجبور على أن يختار، مضطر إلى أن يشاء، فهذا لا نظير له وليس هو المفهوم من الجبر بالاضطرار ولا يقدر على ذلك إلا الله .

ولهذا افترق القدرية والجبرية على طرفي نقيض وكلاهما مصيب فيما أثبته دون ما نفاه .

وابن الخطيب ونحوه من الجبرية يزعمون أن العلم بافتقار رجحان فعل العبد على تركه إلى مرجح من غير العبد ضروري؛ لأن الممكن المتساوي الطرفين لا يترجح أحد طرفيه على الآخر إلا بمرجح ما، وكلا القولين صحيح، ولكن دعوى استلزام أحدهما نفي الآخر ليس بصحيح؛ فإن العبد محدث لأفعاله كاسب لها وهذا الإحداث مفتقر إلى محدث فالعبد فاعل صانع محدث، وكونه فاعلاً صانعاً محدثاً بعد أن لم يكن لابد له من فاعل كما قال: ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾(التكوير: ٢٨) فإذا شاء الاستقامة صار مستقيماً ثم قال: ﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾(التكوير: ٢٩).

فما علم بالاضطرار وما دلت عليه الأدلة السمعية والعقلية كله حق، ولهذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله والعبد فقير إلى الله فقراً ذاتياً له في ذاته وصفاته

وأفعاله مع أن له ذاتاً وصفات وأفعالاً، فنفي أفعاله كنفي صفاته وذاته، وهو جحد للحق شبيه بغلو غالية الصوفية الذين يجعلونه هو الحق، وجعل شيء منه مستغنياً عن الله أو كائناً بدونه جحد للحق شبيه بغلو الذي قال: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ (النازعات:٢٤) وقال: إنه خلق نفسه وإنما الحق ما عليه أهل السنة والجماعة.

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٨٨-٩٥).

[١٧٦٣] باب لم يكلف الله العباد إلا ما يطيقون

[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية:«ولم يكلفهم الله تعالى إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم»]:

أي ولا يطيقون إلا ما أقدرهم عليه، وهذه الطاقة هي التي من نحو التوفيق لا التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامة الآلات ولكن في كلام المؤلف إشكالاً بينه الشيخ الشارح بقوله: فإن التكليف لا يستعمل بمعنى الإقدار وإنما يستعمل بمعنى الأمر والنهي وهو قد قال: «لا يكلفهم إلا ما يطيقون ولا يطيقون إلا ما كلفهم» . وظاهره أنه يرجع إلى معنى واحد ولا يصح ذلك؛ لأنهم يطيقون فوق ما كلفهم به لكنه سبحانه يريد بعباده اليسر والتخفيف كما قال تعالى: ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾(البقرة: ١٨٥)، وقال تعالى: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ (النساء: ٢٨) وقال تعالى: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج:٧٨).

فلو زاد فيما كلفنا به لأطقناه، ولكنه تفضل علينا ورحمنا وخفف عنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج، ويجاب عن هذا الإشكال بما تقدم: أن المراد الطاقة التي من نحو التوفيق لا من جهة التمكن وسلامة الآلات ففي العبارة قلق فتأمله».

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٩٥-٩٦).

جماع أبواب

الكلام على حُكْمِ نسبة الشر والظلم لله تعالى

[١٧٦٤] باب هل ينسب الشر لله تعالى؟

[علق الإمام على قول النبي ﷺ في دعاء الاستفتاح: "والشر ليس إليك" قائلاً]:

أي: لا ينسب الشر إلى الله تعالى؛ لأنه ليس في فعله تعالى شر؛ بل أفعاله عز وجل كلها خير؛ لأنها دائرة بين العدل والفضل والحكمة، وهو كله خير لا شر فيه، والشر إنما صار شراً لانقطاع نسبته وإضافته إليه تعالى. قال ابن القيم رحمه الله:

هو سبحانه خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته لا في خلقه وفعله، ولهذا تنزه سبحانه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير محله، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها؛ وذلك خير كله، والشر وضع الشيء في غير محله، فإذا وضع في محله لم يكن شراً، فعلم أن الشر ليس إليه ... (قال:) فإن قلت: فلم خلقه وهو شر؟ قلت: خلقه له، وفعله خير لا شر، فإن الخلق والفعل قائم به سبحانه، والشر يستحيل قيامه واتصافه به، وما كان في المخلوق من شر فلعدم إضافته ونسبته إليه والفعل والخلق يضاف إليه فكان خيراً.

وتمام هذا البحث الخطير وتحقيقه في كتابه "شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل"؛ فراجعه (ص ١٧٨ - ٢٠٦).

"أصل صفة الصلاة" (١/ ١٤٨ - ٢٤٩).

[١٧٦٥] باب منه

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قام إلى الصلاة وفي رواية: كان إذا افتتح الصلاة كبر ثم قال: «وجهت وجهي للذي فطر

السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت أنت، ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخير كله في يديك **والشر ليس إليك...**» رواه مسلم.

[قال الإمام]:

أي لا ينسب الشر إليه تعالى؛ لأنه ليس من فعله عز وجل، بل أفعاله كلها خير؛ لأنها دائرة بين العدل والفضل والحكمة. وتمام هذا البحث الهام، راجعة في كتاب: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل» لابن القيم رحمه الله تعالى.

" تحقيق مشكاة المصابيح "(١/ ٢٥٧).

[١٧٦٦] باب منه

[نقل الإمام كلاما في تفسير هذه العبارة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية مقرراً إياه؛ يقول ابن تيمية]:

"اعْلَمْ أَنَّ مذْهَبَ أَهل الحقِّ من المحدثين والفقهاء من الصحابة والتابعين ومَن بَعْدَهم من عُلماء المسلمين: أّن جميع الكائنات خَيْرها وشرها، نفْعَها وضرَّها، كُلُّها مِنَ الله تعالى وبإرادَته وتَقْديرِه، فلا بُدّ منْ تأويل الحديث، فَذَكَر العلماء فيه أَجْوبَةً:

أَحدها: – وهو أَشْهَرُها؛ قاله النَّضْر بن شُمَيْل والأئِمَّة بعْدَهُ – أَن معناه: والشر لا يُتَقَرّبُ {بِهِ} إِلَيْكَ.

والثاني: لا يَصْعَدُ إليْك، إنما يصْعدُ الكَلِمُ الطّيّبُ.

والثالث: لا يُضاف إِلَيْك أَدباً، فلا يُقال: يا خالِق الشرِّ، وإِن كان خالقه، كما لا يقال: يا خالِق الخنازير، وإِن كان خالِقها .

والرابع: ليس شراً بالنِّسبة إِلى حكْمَتكَ، فإنك لا تخْلُقُ شَيْئاً عبثاً".

"تحقيق الكلم الطيب" (ص ١٠٠).

[١٧٦٧] باب منه
والكلام على بطلان مذهبي القدرية والجبرية

سؤال: ما أدري يا شيخ كيف التوفيق يا شيخ بين حديث: «أركان الإيمان ستة: الإيمان بالقدر خيره وشره»، وبين قول الرسول ﷺ: «والشر ليس إليك»، كيف يفهم هذا الشر يا شيخ؟

الشيخ: نسبي، الشر بالنسبة إلينا لا بالنسبة لربنا؛ لأن أفعال الله عز وجل كلها خير، ويمكن تقريب المسألة بمثال مع التذكير بأن لله المثل الأعلى هذا أولاً، وثانياً: التذكير بمبدأ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)، فتقدير الله عز وجل هو خلق وتصرف منه عز وجل، يتوافق تماماً مع كل الصفات التي منها: القدرة والإرادة والعدالة والحكمة، فحينما نحن نرى شراً يقع، فهذا كما قال: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(الأنعام:٩٦).

فالمثال الذي أريد أن أقرب به هذه المسألة الإيمانية: إذا رأيت طبيباً يقطع

عضواً من مريضٍ ما فلا شك أنك تستنكر عمله إذا كنت لا تعرف أن هذا الطبيب أولاً ماهر في طبابته، وثانياً: عادل في تنفيذه لطبه، كذلك إذا رأيت حاكماً يضرب إنساناً أو يجلده، فستقول: بأن هذا شر، لكن إذا عرفت أنه يضربه بحق انقلب المفهوم السابق الذي كان في ذهنك وهو أنه شر إلى أنه ليس بشر، وهذا نحن بين بعضنا البعض فما بالك بالنسبة للخالق الذي لا يقاس به شيء إطلاقاً؟!

ولذلك فنحن نقول في موضوع القضاء والقدر: الأصل فيه الإيمان الصادق الصحيح، وحينما يجري نقاش بين المعتزلة والجبرية، حيث إن كلاً من الفريقين يقف بعيداً جداً عن الآخر، وكلاهما على طرفي نقيض؛ لأنهم يحكمون عقولهم دون أن يلاحظوا دون ما ذكرت آنفاً من أن الله عز وجل لا يضرب له الأمثال، وأنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، فالمعتزلة يلتقون مع الجبرية في رأي واحد، لكن الفرق بين الفريقين: أن المعتزلة حينما يعملون عقلهم في ذلك الرأي يجدونه لا يلتقي مع العدالة الإلهية، فيفرون منه، أما الجبرية فيستقرون عليه ويطمئنون إليه، ما هو؟

إذا قيل: بأن الإنسان مقدر عليه كل عمل يأتيه، سواء كان خيراً أو شراً، التقى الفريقان: أن هذا يعني أنه جبر للإنسان على أن يفعل الخير أو الشر، فالتقيا في هذا كلاهما، لكن المعتزلة فروا قالوا: لو كان الأمر كذلك لم يبق هناك حكمة لله عز وجل أولاً في أن يأمر بالخير وينهى عن الشر، وثانياً: أن يجزي على الخير خيراً وعلى الشر شراً، أن يجزي على الخير جنة وعلى الشر ناراً، يقول المعتزلة: التقدير مع التكليف لا يلتقيان، إذاً فروا إلى قولهم: لا قدر، الجبرية ظلوا على رأيهم: أن معنى كون لله عز وجل قدر على الإنسان الخير أو الشر أنه مجبور، وظلوا عليه.

فأخذ كلاً من الفريقين يرد الباطل الذي في كل منهما: الباطل في المعتزلة

إنكارهم للقدر، الباطل في الجبرية تشبثهم بالقدر وإثبات الجبر، وهو إيمان باطل؛ ولذلك الأمر كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يؤخذ الصواب من كل من الفريقين ويترك لهم الضلال، يؤخذ من الجبرية إيمانهم بالقدر؛ لأنه حق، ويترك لهم القول بالجبر؛ لأنه باطل، ويؤخذ من المعتزلة قولهم: أن الجبر باطل، وينكر عليهم إنكارهم للقضاء والقدر.

فالشاهد: فكل من الفريقين تمسك بحق ورد باطلاً؛ والسبب: أنهم أرادوا أن يعقدوا هذه الصفة الإلهية التقدير الإلهي: وكل شيء بقدر، ما قال عليه السلام: «كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس»[1]، أرادوا أن يفهموا التصرف الإلهي بعقولهم المحدودة فوقعوا في الضلال، أولئك أنكروا القدر؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يوفقوا بين الإيمان بالقدر وبين الإيمان بأن الإنسان مختار، وهؤلاء أنكروا اختيار الإنسان؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يوفقوا بين اختيار الإنسان وبين القدر الإلهي.

فلذلك القصد من هذا الكلام: أن المؤمن يستعمل عقله وفكره إلى حد، وبخاصة فيما يتعلق بالصفات الإلهية، ومن ذلك القدر، فهو لا يستطيع أن يحل مشكلة القدر أو بالمعنى الصحيح: عقيدة القدر، بحيث أنه يفهمه ويخضعه لعقله، لا بد من إجمال، ولا بد من التسليم.

فالاختيار الذي أنكره الجبرية هذا إنكار للأمور البدهية، وكما أقول أنا في مثل هذا البحث، أنا الآن أتكلم معكم: من الذي يشك بأني أتكلم مختاراً؟ وإذا عاند أحدهم وقال لي: أنت تتكلم غير مختار، أصمت، إذن أنا أتكلم باختياري

(١) "صحيح الجامع" (رقم ٨٦٦٠) " الصحيحة" (٢/ ٥٤٢).

وأصمت باختياري هذه مكابرة وجحد للحقائق البدهية، لماذا ينكرون هذه الحقائق البدهية؟

يا أخي مكتوب هذا مسجل، نعم مسجل ولا شك ولا ريب، ومسجل بعلم وعدل وحكمة.

وأنا أضرب مثلاً لقتل الخطأ وقتل العمد، فهذا القتل وذاك كلاهما مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ ولا شك، ولا يقبل تأويلاً ولا تحويلاً، ولكن كيف كتب؟ كيف قدر؟

حينما نقول: قتل العمد وقتل الخطأ بلا شك نذكر مع قتل الخطأ عدم وجود الإرادة البشرية، قتل ولكنه ما أراد القتل، أما قتل العمد كما يقولون اليوم في لغة القانون: قتل عن سابق عزم وتصميم وتخطيط، فأنا أضرب مثلاً لهذين النوعين من القتل: رجل خطط لقتل رجل **من ذويه** على رأس الجبل، ووضع الخطة الدقيقة للغدر به وقتله، فصعد الجبل في ليلة لا قمر فيها -كما يقال- فقتله، آخر صعد الجبل لأمر ما للنزهة، فزلت به القدم، وهناك شخص فصدمه فانقلب يتدحرج حتى وصل قتيلاً إلى سفح الجبل، ذاك قاتل وهذا قاتل، فمن الذي يقول هذا كهذا؟! كلاهما مقدر.

إذاً: يجب أن نفكر أن القدر الإلهي كما ألمحت في أول كلامي مقرون بالصفات الإلهية الأخرى، منها العلم ومنها الحكمة، فإذا انكشف الغطاء لنا وكنا من قبل لا نعلم شيئاً عن صفة هذين القتلين، لكن بعد أن وقعت الواقعة عرفنا أن الأول قتل عن سابق علم وتصميم وتخطيط، أما الآخر فزلت به القدم صدم شخصاً فانقلب هذا الشخص يتدحرج ميتاً، انكشف الأمر أن القتل الأول عمد

والقتل الآخر خطأ، فالآن تحليل الكتابة الإلهية: كتب الله عز وجل أن الأول سيتعمد ويخطط وسيعزم على قتل الرجل باختياره، فكتبه في اللوح المحفوظ قاتلاً عمداً، وادخر له عذاب جهنم، أما الآخر فقد كتب: بأنه سيقتل بغير قصد وبغير إرادة منه؛ ولذلك ما كتب عليه جهنم.

إذاً: الأمر الأول يمثل ما يستحق عليه العذاب، والآخر ما لا يستحق عليه العذاب.

"الهدى والنور" (٧٢٤/ ٣٩: ٠١: ٠٠)

[١٧٦٨] باب الإيمان بالقدر خيره وشره لا ينافي قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»

[قال الإمام معلقًا على قول صاحب الطحاوية:- «والإيمان هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله تعالى»]:

اعلم أنه لا ينافي هذا قوله ﷺ في دعاء الاستفتاح: «والخير كله بيديك والشر ليس إليك» رواه مسلم؛ لأن المعنى: فإنك لا تخلق شرًّا محضاً بل كل ما تخلقه فيه حكمة هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس فهذا الشر جزئي إضافي، فأما شر كلي أو شر مطلق فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، أفاده في «الشرح» وراجع التفصيل إن شئت في «شفاء العليل» لابن القيم رحمه الله تعالى، ومنه تعلم كذب من نسب إلى أن للشر خالقاً غير الله تعالى في مقال نشر مع الأسف في مجلة «الحضارة» (ص ٥٠ - ٥٢، العدد ٥ السنة ١٨).

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٧١-٧٢).

[١٧٦٩] باب خطأ من قال بأن الشر ليس من خلقه تعالى

[قال رسول الله ﷺ]:

«إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما [فليأخذ بناصيتها] [وليسم الله عز وجل] [وليدع بالبركة] وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه».

رواه البخاري.

[قال الإمام]:

في الحديث دليل على أن الله خالق الخير والشر خلافًا لمن يقول - من المعتزلة وغيرهم - بأن الشر ليس من خلقه تبارك وتعالى، وليس في كون الله خالقًا للشر ما ينافي كماله تعالى، بل هو من كماله تبارك وتعالى، وتفصيل ذلك في المطولات ومن أحسنها كتاب " شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل " لابن القيم فليراجعه من شاء .

"آداب الزفاف"(ص٩٣).

[١٧٧٠] باب هل ينسب الظلم إلى الله تعالى؟

[نقل الإمام كلام شارح الطحاوية على قول الماتن: «وكل شيء يجري بمشيئة الله تعالى وعلمه وقضائه وقدره، غلبت مشيئة المشيئات كلها، وغلب قضاؤه الحيل كلها، يفعل ما يشاء وهو غير ظالم أبد» مقرراً إياه فقال]:

قال الشارح (ص ٤٤٨): «الذي دل عليه القرآن من تنزيه الله نفسه عن ظلم العباد يقتضي قولاً وسطاً بين قولي القدرية والجبرية، فليس ما كان من بني آدم

ظلماً وقبيحاً يكون منه ظلماً وقبيحاً، كما تقوله القدرية والمعتزلة ونحوهم؛ فإن ذلك تمثيل لله بخلقه وقياس له عليهم، هو الرب الغني القادر وهم العباد الفقراء المقهورون، وليس الظلم عبارة عن الممتنع الذي لا يدخل تحت القدرة كما يقوله من يقوله من المتكلمين وغيرهم؛ يقولون: إنه يمتنع أن يكون في الممكن المقدور ظلم، بل كل ما كان ممكناً فهو منه -لو فعله- عدل؛ إذ الظلم لا يكون إلا من مأمور من غيره منهي، والله ليس كذلك! فإن قوله تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما﴾(طه: ١١٢) وقوله تعالى: ﴿ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد﴾(ق: ٧٦) وقوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾(الزخرف: ٧٦) وقوله تعالى: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا﴾(الكهف: ٤٩) وقوله تعالى: ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾(غافر: ١٧) يدل على نقيض هذا القول .

ومنه قوله الذي رواه عنه رسوله: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا» فهذا دل على شيئين: أحدهما أنه حرم على نفسه الظلم والممتنع لا يوصف بذلك . الثاني: أنه أخبر أنه حرمه على نفسه كما أخبر أنه كتب على نفسه الرحمة وهذا يبطل احتجاجهم بأن الظلم لا يكون إلا من مأمور منهي والله ليس كذلك، فيقال لهم: هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم، وإنما كتب على نفسه وحرم على نفسه ما هو قادر عليه لا ما هو ممتنع عليه».

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٩٧-٩٩).

جماع أبواب

جواب إشكالات حول الإيمان بالقضاء والقدر

[١٧٧١] باب صلة الرحم سبب في زيادة الرزق والعمر، وبيان أن ذلك لا ينافي قضاء الله وقدره

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». (صحيح مسلم).

[قال الإمام]:

هذا الحديث نص في أن صلة الرحم سبب للزيادة في الرزق وطول العمر، ولا ينافيه أن الرزق والعمر مقدران،، فإنهما مقدران بأسبابهما . ألا ترى أن دخول الجنة أو النار مقدر أيضاً، ومع ذلك فدخولهما مربوط بالسبب من الإيمان أو الكفر.

فكما أن قوله تعالى ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ وقوله تعالى في الحديث القدسي «هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي» لا ينافي الأخذ بأسباب النجاة ودخول الجنة، بل ذلك أمر لا بد منه كما قال تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾ وقال ﷺ في الحديث المعروف: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة» الحديث. فكذلك أقول: من كان طويل العمر عند الله، فسييسر للأخذ بأسباب طول العمر، والعكس بالعكس، فإذاً ليس معنى كون صلة الرحم سبباً لطول العمر أن ذلك يغير ما سبق في علم الله من العمر المحدود، كما أن كون الإيمان سبباً لدخول الجنة ليس معناه أنه يغير مما سبق في علم الله من السعادة أو الشقاوة، بل الحقيقة أن الكل سبق في علم الله، من السبب والمسبب، فمن سبق في علمه تعالى أنه من أهل الجنة فقد سبق في علمه أنه يأخذ بسببه وهو الإيمان، ومن سبق في علمه

تعالى أنه من أهل النار فقد سبق في علمه أيضاً أنه يأخذ بسببه وهو الكفر . فكذلك نقول: من سبق في علمه تعالى أنه طويل العمر فقد سبق في علمه أنه يأخذ بالسبب وهو هنا صلة الرحم والعكس بالعكس . فإذا قلنا طال عمره حقيقة بصلته للرحم كما لو قلنا: دخل الجنة بإيمانه ولا فرق . فتأمل هذا فإنه يريحك عن تكلف تأويل الحديث بما لا طائل تحته ولا مبرر له سوى البعد عن الفهم السليم لبحث القضاء والقدر، والتوفيق من الله عز وجل.

"مختصر صحيح مسلم"(ص ٤٦٥-٤٦٦).

[١٧٧٢] باب منه

[قال البخاري في الأدب المفرد]:

عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره، فليصل رحمه».

[قال الإمام]:

(صحيح)

[وعلق قائلاً]:

«ينسأ له في أثره» قال الترمذي: «يعني به: الزيادة في العمر» .

قلت: فالحديث على ظاهره، أي: أن الله جعل بحكمته صلة الرحم سبباً شرعياً لطول العمر وكذلك حسن الخلق وحسن الجوار كما في بعض الأحاديث الصحيحة، ولا ينافي ذلك ما هو معلوم من الدين بالضرورة أن العمر مقطوع به؛ لأن هذا بالنظر للخاتمة، تماماً كالسعادة والشقاوة، فهما مقطوعتان بالنسبة للأفراد

فشقي أو سعيد، فمن المقطوع به أن السعادة والشقاوة منوطتان بالأسباب شرعاً كما قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فمن كان من أهل السعادة فسيُيسر لعمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة».

ثم قرأ ﷺ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾(الأعلى:٥-١٠)، فكما أن الإيمان يزيد وينقص، وزيادته الطاعة ونقصانه المعصية، وأن ذلك لا ينافي ما كتب في اللوح المحفوظ، فكذلك العمر يزيد وينقص بالنظر إلى الأسباب فهو لا ينافي ما كتب في اللوح أيضاً، فتأمل هذا فإنه مهم جداً في حل مشاكل كثيرة؛ ولهذا جاء في الأحاديث المرفوعة، والآثار الموقوفة الدعاء بطول العمر، كما سيأتي في الكتاب برقم (٥٠٩/ ٦٥٣ و٨٥١/ ١١١٢).

"صحيح الأدب المفرد"(ص٤٠).

[١٧٧٣] باب منه

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه».

(رواه البخاري)

[قال الإمام]:

اعلم أن كلاًّ من البسط في الرزق والإطالة في العمر؛ إنما هو على ظاهره، من باب ربط المسبب بالسبب: كالإيمان ودخول الجنة، والكفر ودخول النار، وكل ذلك ينتهي إلى علم الله وقدره، كما قال ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»،

فكما أن دخول الجنة بالإيمان؛ فكذلك السعة في الرزق والإطالة في العمر، فكما أن الإيمان سبب لدخولها، ولا ينافي ما سبق في علم الله؛ فكذلك صلة الرحم سبب للبسط والإطالة، ولا تنافي ما سبق في علمه تعالى، فلا داعي لتأويل الحديث وحمله على المجاز.

"مختصر صحيح البخاري"(٢/ ٢١).

[١٧٧٤] باب منه

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«اشتروا الرقيق وشاركوهم في أرزاقهم يعني كسبهم، وإياكم والزنج، فإنهم قصيرة أعمارهم، قليلة أرزاقهم» .

(موضوع).

[قال الإمام]:

هذا حال إسناد الحديث، وأما متنه فإني أرى عليه لوائح الوضع ظاهرة، فإن قصر الأعمار وقلة الأرزاق لا علاقة لها بالأمم، بل بالأفراد، فمن أخذ منهم بأسباب طول العمر وكثرة الرزق التي جعلها الله تبارك وتعالى أسباباً طال عمره وكثرة رزقه، والعكس بالعكس، وسواء كانت هذه الأسباب طبيعية أو شرعية، أما الطبيعية فهي معروفة، وأما الشرعية فمثل قوله ﷺ: «من أحب أن ينسأ له في أجله، ويوسع له في رزقه، فليصل رحمه». رواه البخاري. وقوله: «حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويطيلان الأعمار».

رواه أحمد وغيره وهو مخرج في " الصحيحة " (٥١٩) .

والله تبارك وتعالى سهل لكل أمة لأخذ بأسباب الحياة من الرزق وطول العمر وغير ذلك ولم يخصها بقوم دون قوم، ولذلك نجد كثيراً من الأمم التي كانت متأخرة في مضمار الرقي أصبحت في مقدمة الأمم رقياً وثروةً كاليابان، وغيرها، فليس من المعقول أن يحكم الشارع الحكيم على أمة كالزنج بالفقر ويطبعهم بطابع قصر العمر، مع أنهم بشر مثلنا وهو يقول: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

وقصر العمر وقلة الرزق ليسا من التقوى في شيء كما يشير إلى ذلك الحديثان المذكوران، بل إنهما ليصرحان أن خلافهما وهما الغنى وطول العمر من ثمار التقوى، فإذن أي أمة أخذت بأسباب طول العمر وسعة الرزق لاسيما إذا كانت من النوع الشرعي فلا شك أن الله تبارك وتعالى يبارك لها في عمرها ورزقها، لا فرق في ذلك بين أمة وأمة، للآية السابقة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

وخلاصة القول: إن هذا الحديث موضوع متناً لعدم اتفاقه مع القواعد الشرعية العادلة التي لا تفرق بين أمة وأمة أو قوم وقوم. ولذلك ما كنت أو د للسيوطي أن يورده في " الجامع الصغير " وإن كان ليس في إسناده من هو معروف بالكذب أو الوضع، ما دام أن الحديث يحمل في طياته ما يشهد أنه موضوع والله أعلم.

"الضعيفة"(٢/ ١٥٥-١٥٦).

[١٧٧٥] باب منه

السؤال: بالنسبة لإطالة العمر..، هل يعني يطول عمر الإنسان إذا كان وصل الرحم...

الشيخ: ..سؤالك مفهوم لكن هو خطأ؛ لأنه ما دام الرسول ﷺ يقول: يطيل العمر، فلماذا معنى السؤال: هل يطيل العمر؟

مداخلة: ...

الشيخ: أنا قلت لك سلفاً فلا تستعجل علي، قلت قصدك مفهوم، لكن السؤال خطأ، لو قلت مثلاً: سمعنا من بعض الناس أو بعض العلماء وبعض المشايخ أنهم يفسرون طول العمر هنا بغير ما يدل عليه ظاهر الحديث، كان أليق وآدب بالنسبة لكلام الرسول ﷺ الصريح، لا سيما وهناك حديث آخر وهو منه أشهر وأصح، ألا وهو قوله عليه الصلاة والسلام: «من أحب أن ينسأ له في أجله، ويوسع له في رزقه؛ فليصل رحمه»، من عجائب التأويلات التي لا يكاد ينقضي عجبي صدور ذلك من بعض أهل العلم، تأويلهم لهذا الحديث والذي قبله؛ لأنهم يقولون: ليس المقصود إطالة العمر حقيقة، وإنما المقصود المباركة في عمر هذا الإنسان، ولماذا يتأولون هذا التأويل؟ يتأولون هذا التأويل بحجة هي قائمة على تأويلهم؛ ذلك لأنهم يقولون: لأن العمر محدود، والرزق مقسوم، وهذا مصرح في الأحاديث التي فيها أن الجنين قبل أن ينفخ فيه الروح ويأتي الملك ينفخ فيه الروح يسأل ربه عن سعادته وشقاوته، وأجله ورزقه، فيكتب، يقول: فإذاً العمر محدود، والرزق مقسوم، فكيف يقال: إن العمر يطول والرزق يتوسع، يوسع عليه، لذلك تأولوه بذلك التأويل.

وموضع تعجبي هو أنه لا يمكن لمسلم أن يقول فيه ما تأولوه به إلا ما يقوله فيما تأولوه.

أي: البركة نفسها هي أيضاً محدودة ومقسومة معلقة في اللوح المحفوظ لا تتغير ولا تتبدل، فما هي الفائدة من قولنا أن المقصود هو البركة في العمر، والبركة في الرزق، والبركة في الرزق والعمر هذه حقيقة، وكثيراً من الناس كما تعلمون يأتيهم الرزق الواسع ولكن ما بين عشية وضحاها يصبحوا صفر اليدين.

صحيح هذه قضية البركة، لكن نقول: لماذا تأويل طول العمر وسعة الرزق بالبركة، والبركة أيضاً محددة، أيضاً لم نستفد شيئًا من هذا التأويل فراراً من الإشكال الذي أوردوه على أنفسهم، أي في تأويلهم وهكذا يقال لهم: مكانك راوح... لا نتقدم إطلاقاً.

فما الجواب الصحيح؟

الجواب الصحيح هو ما جاء في الحديث صراحة، أي: الرزق يوسع على صاحبه بالخلق الحسن، والواصل لأقاربه، وعمره يطول، وكيف ذلك والعمر محدد؟

الجواب بسيط جداً لو كنتم تعلمون جواب السعادة والشقاوة، السعادة والشقاوة أليست محددة أيضاً؟

طبعاً، قد قيل للرسول ﷺ: «أعمالنا هذه عن سابق؟ عن قدر ماضٍ أم الأمر أنف؟ قال: لا، بل عن قدر ماض. قالوا له: ففيم العمل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ومن كان من أهل الجنة فسيعمل بعمل أهل الجنة، ومن كان من أهل النار فسيعمل بعمل أهل النار، وتلا قوله تبارك وتعالى:: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ (الليل: ٥- ١٠)»[1] ما معنى الحديث والآية؟

---

(١) "البخاري" (رقم ٤٦٦١) وكرره مراراً، ولفظه عن علي رضي الله عنه: كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة فقال: ﴿ما منكم إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعدة من النار﴾ فقالوا يا رسول الله أفلا نتكلم؟ فقال:اعملوا فكل ميسر، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقي ..﴾، وأخرجه "مسلم" (رقم ٦٩٠١).

معنى الحديث والآية أن السعادة والشقاوة كل منهما مرتبط في علم الله عز وجل، والذي سجل في اللوح المحفوظ العمل الصالح مع السعادة، والعمل الطالح مع الشقاوة.

إذا عرفنا أن السعادة مرتبطة بالعمل الصالح، والشقاوة مرتبطة أيضاً بالعمل الطالح، وعرفنا أن كلاً من العمل الصالح والعمل الطالح سببان محققان للسعادة أو الشقاوة، هذه حقيقة لا خلاف فيها بين المسلمين أبداً.

إذاً: إذا كان العمل الصالح هو سبب السعادة، والعمل الطالح سبب الشقاوة فصلة الرحم وحسن الخلق سبب في طول العمر والسعة في الرزق، أي: أن الحديثين السابقين ذكراً وهما: «حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويطيلان في الأعمار» والحديث الآخر: «من أحب أن ينسأ له في أجله ويوسع له في رزقه فليصل رحمه» يتحدثان في دائرة الأسباب، ما سبب السعادة؟ سبق، العمل الصالح. وما سبب الشقاوة؟ العمل الطالح. ...الحديثان يتحدثان عن سبب سعة الرزق وطيلة العمر، قال: حسن الجوار وصلة الأرحام.

فنحن لا ندري ما الذي كتب على الإنسان أسعادة أم شقاوة؟! لكن العمل هو الذي يدرينا، ولذلك جاء في الحديث الصحيح أن رجلاً سأل النبي ﷺ: «كيف بي أن أعلم أنني أنا مسلم أو مؤمن أو محسن؟ قال: سل جيرانك فإن أحسنوا الثناء عليك فأنت مسلم، وإن أساءوا الثناء عليك فأنت غير مسلم»[1] أو كما قال عليه السلام.

إذاً: الأعمال هي مرتبطة مع القدر الغائب عنا، ولذلك قال تعالى في الآية

(١) "صحيح الجامع" (رقم ٢٧٧) " الصحيحة" (٣/ ٣١٧).

السابقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ أي: الجنة. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل:٥-١٠]، وكما أن رجلاً لا أقول مسلماً، وكما أن رجلاً عاقلاً لا يستطيع أن يقول: أنا أترك أسباب الصحة، وأترك أسباب القوة والسعادة الدنيوية بحجة أنه إن كان الله مقدر لي الصحة والسعادة الدنيوية ستأتيني هذه السعادة ولو أنا ما اتخذت سبب من الأسباب، لا أحد يقول بهذا.

والآن تجد الناس الأشقياء الفاسدين سلوكاً وأخلاقاً يأخذون بأسباب السعادة الدنيوية والصحة البدنية؛ لأنهم يعلمون يقيناً أن هذه الصحة لا بد لها من اتخاذ الأسباب، كذلك يقال تماماً بالنسبة للسعادة الأخروية، إذا المسلم يريد أن يكون سعيداً فعلاً فعليه أن يضع نصب عينيه الآية السابقة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾[الليل:٥ - ١٠].

إذاً: الحديث الأول والثاني على ظاهرهما تماماً.

«من أحب أن ينسأ له في أجله ويوسع له في رزقه فليصل رحمه» أي: صلة الرحم سبب شرعي لسعة الرزق وطول العمر، لكن النتيجة مخبأة عنا وغير معلومة لدينا كالسعادة والشقاوة تماماً، لكن كما أن السعادة والشقاوة لها أسباب، كذلك طول العمر وسعة الرزق لها أسباب، لا فرق بين هذه الأسباب وبين تلك الأسباب، ويكفي في إثبات أثر السببية في السعادة الأخروية أن نتذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(النحل:٣٢) هذه الباء هنا سببية، يعني: بسبب عملكم الصالح وأعظم الأعمال الصالحة هي الإيمان كما جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سأله رجل قال: عن أفضل الأعمال؟ قال: الإيمان

بالله تبارك وتعالى.

العمل بالإيمان عمل قلبي ليس كما يظن بعض الناس أنه لا علاقة له بالعمل، لا الإيمان أولاً، لا بد من أن يتحرك القلب بالإيمان بالله ورسوله، ثم لا بد أن يقترن مع هذا الإيمان الذي وقر في القلب أن يظهر .. على البدن والجوارح، لذلك فقوله تبارك وتعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(النحل:٣٢)، نص قاطع صريح بأن دخول الجنة ليس بمجرد الأماني كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾(النساء:١٢٣)، من يعمل خيراً يجز به، من يعمل سوءاً يجز به، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾(الزلزلة:٨).

"الهدى والنور"(١١ب/ ٢٤:٠٧:٠٠)

[١٧٧٦] باب كيف الجمع بين الأحاديث المصرحة بأن هناك أسباباً شرعية لإطالة العمر، وبين قوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها﴾

[روي عن النبيﷺ أنه قال]:

«إن الله تعالى لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد، فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر» .

(منكر).

[قال الإمام]:

أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" من طريق الوليد بن عبد الملك ابن عبيد الله بن مسرح: حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة

بن ربعي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ذكرنا [زيادة العمر] عند رسول الله - ﷺ -؟ فقال: ... فذكره .

نقلته من "تفسير ابن كثير" (٧/ ٥٤)، ووقع فيه أخطاء كثيرة في رجال إسناده، صححتها من كتب الرجال، ويبدو لي أن في أول متنه سقطاً لعله قولهم: قوله تعالى: ﴿وما يعمر من معمر ... ﴾ الآية، أو نحوه .

ثم تحققت من ذلك كما يأتي.

وسكت عن إسناده ابن كثير، وهو إسناد ضعيف مظلم مسلسل بالمجهولين:

١ - أبو مشجعة هذا؛ لم يذكروا له راوياً غير ابن أخيه مسلمة بن عبد الله؛ وقال الحافظ: "مقبول"؛ يعني: عند المتابعة، وإلا؛ فهو لين الحديث .

٢- مسلمة بن عبد الله الجهني؛ قال دحيم:"لم يرو عنه أحد نعرفه غير الشعيثي" . وقال الحافظ أيضاً: "مقبول" .

٣- سليمان بن عطاء - وهو ابن قيس القرشي - متفق على تضعيفه، بل قال ابن حبان في "الضعفاء والمجروحين" (١/ ٣٢٩): "روى عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن عمه أبي مشجعة بن ربعي أشياء موضوعة لا تشبه حديث الثقات، فلست أدري؛ التخليط فيها منه أو من مسلمة ابن عبد الله؟!" .

وأما الوليد بن عبد الملك؛ فقال ابن أبي حاتم (٤/ ٢/ ١٠) عن أبيه:"صدوق" .

وذكر أنه روى عنه أبوه، وكذا أبو زرعة، ورواية هذا عنه توثيق منه له؛ كما هو معروف عنه.

فآفة الحديث ممن فوقه .

وقد أخرجه من طريقه أيضاً: ابن حبان، وابن عدي (ق ١٦٠/ ١)، والطبراني في "الأوسط" (١/ ١٩٠/ ٢ - مصورة الجامعة)؛ وفي روايتهم ما أشرت إليه من السقط في "تفسير ابن كثير" .

وهذا الحديث مما فات السيوطي؛ فلم يورده في "الجامع الكبير"، بل ولا في "الدر المنثور" في تفسير الآية: ﴿وما يعمر من معمر ... ﴾! وإنما أورد فيها الحديث الآتي بعده، ولم يورده أيضاً في آخر سورة (المنافقون) في قوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾ وهو بها أليق وألصق، وهي بمعنى الطرف الأول من الحديث .

وأما سائره؛ فمنكر لا شاهد له، بل هو مخالف لبعض الأحاديث الصحيحة المصرحة بأن هناك أسباباً شرعية لإطالة العمر؛ كقوله - ﷺ -:«من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره (وفي رواية: أجله)؛ فليصل رحمه»؛ أخرجه الشيخان من حديث أنس، وله شواهد خرجت بعضها في "صحيح أبي داود" (١٤٨٦) . وكقوله ﷺ:«حسن الخلق وحسن الجوار؛ يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار» . أخرجه أحمد بسند صحيح؛ كما تراه مبيناً في "الصحيحة" (٥١٩).

وقد يظن بعض الناس أن هذه الأحاديث تخالف الآية السابقة: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ... ﴾، وغيرها من الآيات والأحاديث التي في معناها!والحقيقة؛ أنه لا مخالفة؛ لأن الأحاديث المذكورة آنفاً إنما تتحدث عن مبدأ الأخذ بالأسباب، ولا تتحدث عما سبق في علم الله الأزلي من الآجال المحددة؛ فإن علم الله تعالى لا يتغير ولا يتبدل؛ تماماً كما هو الشأن في الأعمال الصالحة والطالحة، والسعادة والشقاوة، فالآيات والأحاديث التي تأمر بالإيمان

والعمل الصالح، وتنهى عن نقيضهما لا تكاد تحصى، وفي بعضها يقول الله تعالى: ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾، وقد ذكر العلماء المحققون أن الباء في هذه الآية؛ إنما هي باء السببية، فذلك كله لا ينافي ما سبق في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة، بل إنما هما أمران متلازمان: السعادة مع العمل الصالح، والشقاوة مع العمل الطالح . وهذا صريح في قوله ﷺ :«إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها» . أخرجه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في "تخريج السنة" (١٧٥-١٧٦) .

فانظر كيف أن نهاية الأمر كان مقروناً بالعمل دخول الجنة والنار . فكما أنه لا يقال: إن العمل ليس سبباً للدخول؛ فكذلك لا يقال: إن صلة الرحم وغيرها ليست سبباً لطول العمر بحجة أن العمر محدود؛ فإن الدخول أيضاً محدود: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ .

وما أحسن وأجمل جواب النبي ﷺ لما حدث أصحابه بقوله: «ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة» . فقالوا: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟! فقال ﷺ: «اعملوا؛ فكل ميسر لما خلق له: أما من كان من أهل السعادة؛ فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة؛ فييسر لعمل أهل الشقاوة» . ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى... ﴾ إلى قوله: ﴿فسنيسره للعسرى﴾ . أخرجه الشيخان .

وجملة القول: أن الله تبارك وتعالى جعل لكل شيء سبباً، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة، والعمل السيئ لدخول النار، فكذلك جعل بعض الأخلاق

الصالحة سبباً لطول العمر . فكما أنه لا منافاة بين العمل وما كتب لصاحبه عند ربه؛ فكذلك لا منافاة بين الأخلاق الصالحة وما كتب لصاحبها عند ربه، بل كل ميسر لما خلق له .

وأنت إذا تأملت هذا؛ نجوت من الاضطراب الذي خاض فيه كثير من العلماء؛ مما لا يكاد الباحث يخلص منه بنتيجة ظاهرة سوى قيل وقال، والأمر واضح على ما شرحنا والحمد لله، وإن شئت أن تقف على كلماتهم في ذلك؛ فراجع "روح المعاني" للعلامة الآلوسي (٧/ ١٦٩-١٧٠).

"الضعيفة"(١١/ ١/ ٥١٢-٥١٦).

[١٧٧٧] باب الحسنة سبب في زيادة الرزق وطول العمر وبيان أنه لا منافاة بين ذلك وبين قوله تعالى:﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«إن الرزق لا تنقصه المعصية ولا تزيده الحسنة، وترك الدعاء معصية» .

(موضوع).

[قال الإمام]:

ثم إن مما يدل على بطلان الحديث قوله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه»، رواه الشيخان وغيرهما، وهو مخرج في "صحيح أبي داود" (١٤٨٦) .

فهذا يدل على أن الحسنة سبب في زيادة الرزق كما أنها سبب في إطالة

العمر، ولا تعارض عند التحقيق بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ ولبسط هذا موضع آخر .

"الضعيفة"(١/ ٣٣٠-٣٣١).

[١٧٧٨] باب تأويل قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ وبيان علاقة ذلك بالقضاء والقدر

[قال الإمام]:

اعلم أن المفسرين اختلفوا اختلافاً كثيراً في تفسير آيتي (الرعد): ﴿لكل أجل كتاب. يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ على أقوال كثيرة، استوعبها الشوكاني في "الفتح"، وذكر بعضها ابن جرير، ثم ابن كثير، واختار هذا ما هو أقرب للسياق؛ فقال: "أي: لكل كتاب أجل، يعني: لكل كتاب أنزله الله من السماء مدة مضروبة عند الله، ومقدار معين، فلهذا: (يمحو الله ما يشاء): منها: (ويثبت)؛ يعني: حتى نسخت كلها بالقرآن الذي أنزله الله على رسوله صلوات الله وسلامه عليه" .

فالمحو والإثبات فيهما خاص بالأحكام في الكتب المتقدمة أو في الشريعة المحمدية، ينسخ منها ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

وهو يلتقي مع ما رواه ابن جرير (١٦/ ٤٨٥) وغيره بسند فيه ضعف عن ابن عباس: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾، قال:

من القرآن؛ يقول: يبدل الله ما يشاء فينسخه، ويثبت ما يشاء فلا يبدله . ﴿وعنده أم الكتاب﴾، يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب، الناسخ والمنسوخ،

وما يبدل، كل ذلك في كتاب .

وقد وجدت ما يقويه من رواية عكرمة عن ابن عباس، من وجهين عن عكرمة:

الأول: رواه يزيد النحوي عنه ابن عباس؛ في قوله: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾، وقال: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل ... ﴾ الآية، وقال: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾؛ فأول ما نسخ من القرآن القِبلة ... الحديث .

رواه النسائي أواخر "الطلاق"، وأبو داود مختصراً .

وإسناده حسن؛ كما هو مبين في "الإرواء" (٧/ ١٦١/ ٢٠٨٠) .

والآخر: رواه سليمان التيمي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ في قول الله عز وجل: ﴿يمحو الله ما يشاء﴾، قال: من أحد الكتابين؛ هما كتابان يمحو الله ما يشاء من أحدهما ويثبت . ﴿وعنده أم الكتاب﴾؛ أي: جملة الكتاب .

رواه ابن جرير (١٦/ ٤٨١،٤٨٠)، والحاكم (٢/ ٣٤٩) . وقال: "صحيح غريب" . ووافقه الذهبي .

قلت: وفي رواية لابن جرير (١٦/ ٤٩١) من طريق علي عن ابن عباس: ﴿وعنده أم الكتاب﴾، يقول: وجملة ذلك عنده في أم الكتاب؛ الناسخ والمنسوخ،، وما يبدل وما يثبت، كل ذلك في كتاب .

وفي سنده انقطاع وضعف.

ثم اعلم أنه - وإن كان المحو والإثبات في الآية خاصاً بالأحكام الشرعية؛

كما تقدم -؛ فليس في الشرع ما ينفيهما في غيرها، بل إن ظواهر بعض النصوص تدل على خلاف ذلك؛ كمثل قوله ﷺ: «لا يرد القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»؛ وهو حديث حسن مخرج في "الصحيحة" (١٥٤). وقوله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره (وفي بعض الطرق: في آجله)؛ فليصل رحمه». متفق عليه، وهو مخرج في المصدر السابق برقم (٢٧٦).

وقد صح عن ابن عباس أنه قال: لا ينفع الحذر من القدر، ولكن الله يمحو بالدعاء ما يشاء من القدر.

أخرجه الحاكم (٢/ ٣٥٠). وقال: "صحيح الإسناد". ووافقه الذهبي.

إذا عرفت ما تقدم؛ فاعلم أن المحو المذكور والزيادة في الرزق والعمر؛ إنما هو بالنسبة للقضاء أو القدر المعلق، وأما القضاء المبرم المطابق للعلم الإلهي؛ فلا محو ولا تغيير، كما كنت شرحت ذلك في تعليقي على "مختصر مسلم" للمنذري (ص ٤٧٠)؛ فراجعه فإنه هام!

ثم رأيت القرطبي قد أشار إلى ذلك في تفسيره "الجامع"، فقال (٥/ ٣٣٢): "والعقيدة: أنه لا تبديل لقضاء الله، وهذا المحو والإثبات مما سبق به القضاء، وقد تقدم أن من القضاء ما يكون واقعاً محتوماً - وهو الثابت -، ومنه ما يكون مصروفاً بأسباب - وهو الممحو - والله أعلم.

قال الغزنوي[1]: وعندي: أن ما في اللوح خرج عن الغيب؛ لإحاطة بعض

---

(١) قلت: الظاهر أنه عالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي، الملقب بـ (تاج الشريعة)، فقيه حنفي مفسر، له " تفسير التفسير "، أبدع فيه؛ كما قال غير واحد، توفي سنة (٥٨٢)؛ كما في "الأعلام". [منه].

الملائكة، فيحتمل التبديل؛ لأن إحاطة الخلق بجميع علم الله محال، وما في علمه من تقدير الأشياء لا يبدل" .

وإذا عرفت هذا؛ سهل عليك فهم كثير من النصوص المرفوعة والآثار الموقوفة، وقد تقدم بعضها، وتخلصت من الوقوع في تأويلها . والله الهادي .

ثم وقفت على كلام جيد لشيخ الإسلام ابن تيمية، يؤيد ما ذهبت إليه في "مجموع الفتاوى"(٨/ ٥١٦-٥١٨،٥٤٠،٥٤١) و(١٤/ ٤٨٨-٤٩٢)، فراجعه؛ فإنه مهم.

"الضعيفة"(١١/ ٢/ ٧٦٤-٧٦٨).

[١٧٧٩] باب هل آية ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ... ﴾ من آيات القدر؟

- سؤال: الطلبة في كلية المجتمع بيسألوا سؤالاً على النحو الذي تفضلت به، الآن كتب عليّ في اللوح المحفوظ أمور أنا الجاني فيها خيراً أو شراً، ...الآن أنا جوابي أريد أن أعرضه عليك، فإن كنت على صواب أخذت منك، وإن كنت على ضلال رجعت عنه.

أقول للطلبة بأن كل ما في اللوح المحفوظ أصلاً هو في علم الله، لكن أنا كإنسان لم أُخبر لأن أسير في هذا الطريق أو في هذا الطريق، إنما وضع لي العقل، العقل يقول لي هذا الطريق خير فسر به، ويؤدي بك إلى الخير، هذا الطريق هو الطريق الشر ويؤدي بك إلى النار، فابتعد عنه، فلو لو فرضنا جدلًا أن الله تعالى في علم الكتاب قد كتب عليّ أن أفعل شرًّا فعندما هممت بالشر اهتديت بعقلي أن هذا شر فتراجعت عنه وعملت خيراً واستندت إلى قوله تعالى ﴿يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ

وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، فما رأيك بهذا الجواب إذا سمحت لأني أنا قلق فيه؟

الشيخ: والله الجواب فيه شيء من الخطأ؛ لأنه لا نستطيع نتصور؛ نتقول أنه سبق في علم الله أنني أعمل شرًّا ثم أنا أحيد عنه، هذا مستحيل، نحن ننتهي إلى القدر، لكن انتهينا أن القدر ليس غصباً وليس رغماً وإنما هو كما شرحنا آنفاً، والآن نضرب مثلاً توضيحيّاً: مدير مدرسة -وأنت تتكلم عن الطلاب- كيس فطن، قائم بإشرافه الكامل على تلامذته، وعاش معهم بضع سنين، هو يستطيع أن يقول فلان التلميذ أو الطالب سينجح في آخر السنة، وفعلاً بينجح، لماذا؟ لأنه عرف من إشرافه عليهم وممارسته هو وإلى آخره إنه هذا كيس فطن مجتهد ما هو كسل ووإلى آخره، فبيعطي النتيجة قبل أن تظهر، وهذا إنسان عاجز بَشَر، وربنا عز وجل الذي علمه ذاتي وليس كسبيًّا كعلمنا نحن، فهو بسابق علمه كما شرحت آنفاً يعلم فلان حينما يأتيه الأمر بالإيمان يؤمن أم يكفر، وكَتَبَهُ مؤمناً إن سبق في علمه أنه سيؤمن، وكَتَبَهُ كافراً إن سبق في علمه أنه يكفر، ... الشيء الحقيقة كما جاء في بعض الأغاني وقلما تنطق بالحق المكتوب على الجبين لا بد ما تشوفه العين، هذا الكلام صحيح ولو في أغنية؛ لأنه مثل ما قلنا ذاك اليوم مش كل ما يقوله الصوفي نقول باطل، هو بيقول: لا إله إلا الله محمداً رسول الله، فهو حق، فإذاً كل شيء مسجل على الإنسان لا بد أن يقع كما هو مسجل، لكن نحن درسنا موضوع التسجيل أنه لن يرغم على هذا التسجيل صاحبه، وإنما سجل عليه مسبقاً ما سيفعله، كهذا التلميذ الذي حكم أستاذه بأنه سينجح، وبالمقابل فلان سيسقط؛ لأنه يلهو ليلاً نهاراً ليس سينجح فهو ساقط، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون، فهذا يجب أن يكون الجواب، مش على فرضية أنه كتب عليّ أن أعمل شرًّا فأنا حكمت عقلي أنه هذا شر ما لازم أعمله فرجعت عنه، لا بدك تفترض هالمناقشة هالمحاكمة

هالمحاكمة هالي أنت ذكرتها أخيراً هذه مكتوبة في اللوح المحفوظ، يعني مثلاً مكتوب في اللوح المحفوظ: زيد من الناس يخطر في باله أنه يروح يحيى الليلة ليلة حمراء خطر في باله هكذا، ناقش القضية أيش الفائدة أنا أروح أحيي هالليلة الحمراء أنفق قوتي صحتي مالي أضيع أهلي وأولادي إلى آخره، لا والله هذا ما راح أفعلها، وبقي في بيته، هذا كله مكتوب في اللوح المحفوظ، أما يكون مكتوب في اللوح المحفوظ شيء ويقع شيء هذا مستحيل، أما الآية فليس لها علاقة بموضوعنا مطلقا "يمحو الله ما يشاء" من الشرائع والأحكام يمحوا منها ما يشاء "وعنده أم الكتاب" أي اللوح المحفوظ اللي فيه المحكم والمنسوخ الذي قُرِّرَ بقاءه واستمرار حكمه والذي رُفِعَ، فهذا له علاقة بالشرائع وليس له علاقة بأعمال القضاء والقدر.

مداخلة: يصدق هذا على حديث: «إذا هم عبدي»؟

الشيخ: «إذا هم عبدي بسيئة فعملها فاكتبوها له سيئة، وإذا لم يعملها فلا تكتبوها شيء، وإذا هم عبدي بحسنة فعملها فاكتبوها عشر حسنات إلى مائة حسنة إلى سبعمائة إلى أضعاف -كثيرة والله- يضاعف لمن يشاء، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة واحدة»[1] هذا كله ما يجري في النفس ويتحدث به الإنسان كله مسجل لكن الأمر كما قال عليه السلام: «إنما الأعمال بالخواتيم»[2] فهمت هالمحاكمة الذي فرضتها أنت في نفس ذاك الإنسان شو النهاية بده يعمل الشر، عمله مكتوب في اللوح المحفوظ أنه بده يعمله، ما بده يعمله ما بيعمله؛ لأنه إنما الأعمال بالخواتيم.

" الهدى والنور" (٣٤/ ١٠: ٢١: ٠٠ طريق الإسلام)

---

(١) " صحيح الجامع" (رقم ٤٣٠٦).

(١) "ظلال الجنة " (رقم ٢١٦).

[١٧٨٠] باب هل الإيمان بالقدر يستلزم التواكل؟

عن سهل بن سعد - رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها».

(صحيح).

[قال الإمام]:

الرباط بكسر الراء وبالباء الموحدة الخفيفة: ملازمة المكان الذي بين الكفار والمسلمين لحراسة المسلمين منهم.

قلت: وليس من ذلك ملازمة الصوفية للربط، وانقطاعهم فيها للتعبد، وتركهم الاكتساب، اكتفاء منهم -زعموا- بكفالة مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، كيف وهو القائل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ ولذلك قال عمر رضي الله عنه: "لا يقعدن أحدكم في المسجد يقول: الله يرزقني، فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة".

وقوله: «خير من الدنيا وما عليها» أي: على الدنيا، وفائدة العدول عن قوله: (وما فيها) هو أن معنى الاستعلاء أعم من الظرفية وأقوى، فقصده زيادة لمبالغة، وبيان الحديث أن الدنيا فانية، والآخرة باقية، والدائم الباقي خير من المنقطع الكثير، والله أعلم .

"التعليق على الترغيب والترهيب" (٢/ ٥١٩ - ٥٢٠).

[١٧٨١] باب هل الإيمان بأن الله قد قدر الأرزاق يوجب التكاسل والتواكل؟

[سئل الإمام]:

فضيلة الشيخ، قرأت في كتاب صغير حديثاً يقول «خذ من القرآن ما شئت لما شئت» فهل هذا الحديث صحيح؟ أفيدونا جزاكم الله خيراً.

[فأجاب]: هذا الحديث: «خذ من القران ما شئت لما شئت» (١) حديث مشتهر على بعض الألسنة ولكنه -مع الأسف الشديد- من تلك الأحاديث التي لا أصل لها في السنة، ولذلك فلا يجوز روايته ونسبته إلى النبي ﷺ.

ثم هذا المعنى الواسع الشامل لا يصح ولا يثبت مطلقاً في شريعة الإسلام: «خذ من القران ما شئت لما شئت» فمثلاً إن أنا جلست في عقر داري، ولا أعمل في مهنتي وصنعتي، وأطلب الرزق من ربي أن ينزله علي من السماء لأني اخذ من القران لهذا! من يقول هذا؟!

هذا كلام باطل، ولعله من وضع أولئك الصوفية الكسالى الذين طُبعوا على الجلوس والسكن فيما يسمونها بالرباطات، ينزلون فيها وينتظرون رزق الله ممن يأتيهم به من الناس، علماً أن هذا ليس من طبيعة المسلم، لأن النبي ﷺ قد ربى المسلمين جميعاً على علو الهمة، وعلى عزة النفس، فقال عليه الصلاة والسلام «اليدُ العليا خير من اليد السفلى، فاليد العليا هي المنفقة، واليد السفلى هي السائلة» (٢).

ويُعجبني بهذه المناسبة مما كنت قرأته فيما يتعلق ببعض الزهاد من الصوفية

---

(١) الضعيفة (٥٥٧) .[منه].

(٢) البخاري (١٤٢٩) واللفظ له – مسلم (١٠٣٣).

- ولا أطيل في ذلك، فقصصهم كثيرة وعجيبة:-

زعموا أن أحدهم خرج سائحاً ضارباً في الأرض بغير زاد، فوصل الأمر إلى أنه كاد أن يموت جوعاً، فبدت له من بعيد قرية، فأتى إليها، وكان اليوم يوم الجمعة، وهو بزعمه خرج متوكلاً على الله، فلكيلا ينقض بزعمه توكله المزعوم، لم يظهر شخصه للجمهور الذي في المسجد، وإنما انطوى على نفسه تحت المنبر، لكيلا يشعر به أحد، لكنه كان يحدث نفسه لعل أحداً يحُس به، وهكذا خطب الخطيب خطبته، وهو لم يُصل مع الجماعة! فبعد أن انتهى الإمام من الخطبة والصلاة، وبدأ الناس يخرجون زرافات ووحداناً من أبواب المسجد، حتى شعر الرجل بأن المسجد كاد يخلو من الناس، وحينئذٍ تُقفل الأبواب، ويبقى وحيداً في المسجد من غير طعام ولا شراب، فلم يسعه إلا أن يتنحنح ليثبت وجوده للحاضرين، فالتفت بعض الناس، فوجدوه قد تحول كأنه عظم من الجوع والعطش، فأخذوه وأغاثوه.

وسألوه: من أنت يا رجل؟!

قال: أنا زاهد متوكل على الله .

قالوا: كيف تقول: متوكل على الله، وأنت كدت أن تموت؟! ولو كنت متوكلاً على الله لما سألت، ولما نبهت الناس إلى وجودك بالنحنحة، حتى تموت بذنبك؟!

هذا مثال إلى ما يؤدي به مثلُ هذا الحديث «خذ من القرآن ما شئت لما شئت». والخلاصة: أن هذا الحديث لا أصل له .

"كيف يجب علينا أن نفسر القرآن"(ص٥-٧).

[١٧٨٢] باب هل التواكل تسليم بالقضاء والقدر

سؤال: ... بالنسبة للزهد والتوكل، الفرق بينهما، مع الشرح، ...نحن نعرف أن الشخص إذا ذهب إلى الصحراء ثم مكث في الصحراء وقال: رب ارزقني، هذا تواكل، طيب ما الفرق؟

الشيخ: أنت تقول: الزهد والتواكل، أم التوكل؟

مداخلة: التواكل...

الشيخ: عفواً، أنت تلاحظ معي ما الفرق بين التوكل والتواكل؟

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: وهو؟

مداخلة: التوكل التوكل على الله يُعِدُّ الأسباب.

الشيخ: والتواكل؟

مداخلة: والتواكل لا يُعِدُّ الأسباب.

الشيخ: أجل؛ لماذا ذكرت التواكل مع الزهد معاً؟

مداخلة: لأن الزهد الإنسان أراد أن يزهد في الدنيا، هل يجب أن يعد الأسباب؟ ...

الشيخ: هنا يأتي التفصيل، لكن هذا لا يستلزم أنك تذكر التواكل مع الزهد أبداً.

التواكل أن يقعد الإنسان في بيته ويقول: الله يرزقني، فيأتي جواب عمر: لقد

علمتم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة. هذا التواكل، لكن إنسان عنده قوة إيمان بالله عز وجل، وعنده كم دينار أو فلس أو قرش.. إلخ، فإيمانه بالله عز وجل يحمله على أن يتصدق بهذه الأموال القليلة أو الكثيرة التي عنده، فهذا لا يلتقي أبداً مع التواكل، إنما هذا يلتقي مع التوكل على الله تبارك وتعالى، وإلا هل تظن بأن الرسول كان متواكلاً؟

مداخلة: لا.

الشيخ: فإذاً؟

مداخلة: متوكلاً.

الشيخ: ما فيه ارتباط بين الزهد الصحيح وبين التواكل إطلاقاً، لكن هنا شيء لابد للإنسان من أن يلاحظه، هذا الزهد الذي ذكرت نوعاً منه عن نبينا عليه الصلاة والسلام، هذا يختلف باختلاف الأشخاص، فليس كل إنسان يجوز له ليس يستحب له أن يخرج عن كل ماله كما فعل الرسول عليه السلام، ...وإنما هذا له أناس بلغ بهم إيمانهم وتوكلهم على الله مبلغاً لا تناله الناس أو البشرية كلها، فنحن نعلم مثلاً في الحديث الصحيح لما أبو بكر الصديق تصدق بما عنده فقال عليه السلام: «ماذا تركت لأهلك؟ قال: تركت لهم الله ورسوله»(١) فهذه أيضاً المنقبة والفضيلة اختص بها الرجل الأول بعد رسول الله ﷺ من أصحابه.

لكن انظر الآن ما يقابل هذا بالنسبة لقصة سعد بن أبي وقاص لما مرض في حجة الوداع، وخشي أن يكون وفاته هناك، فعاده الرسول عليه السلام وقال له بأنه

(١) "فضائل الصحابة " لأحمد (١/ ٣٦٠ح ٥٢٧).

أريد أن أوصي بمالي، قال: «لا، قال: في النصف؟ قال: لا، قال: فالثلث؟ قال: الثلث والثلث كثير، إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير لك من أن تدعهم عالة يتكففون أيدي الناس»(١)، فإذاً: هنا يعطينا هذا الحديث فرق بين إنسان معيل وعائلته ليسوا من قوة الإيمان والتوكل بحيث أنه إذا تصدق بكل ماله كما فعل أبو بكر الصديق يقولوا: ماذا فعل أبونا، تركنا فقراء فيما بعد، ولن يقولوا: جزى الله أبانا خيراً، فلنا الله من بعده، كما يروى أيضاً وإن كان هذه لا تروي بالأسانيد الحديثية عن قصة عمر بن عبد العزيز لما تولى الخلافة، كل المال الذي كان عند زوجته فاطمة أعاده إلى بيت مال المسلمين، لو أن فاطمة لم تكن كفاطمة بنت الرسول كانت وقعت الواقعة بين الزوجين، ولذلك باختصار الزهد ليس له حد أولاً، ثم يختلف باختلاف الأشخاص ثانياً، فإذا كان إنسان معيل وعنده عائلة، ويعلم بأنهم لم يؤتوا من الزهد نصيباً؛ فلا يجوز له أن يخرج عن كل ماله ويدعهم فقراء، وربما يصل بهم الأمر أن يقعوا فيما يشبه الكفر؛ لأن الرسول عليه السلام كما نعلم من الأحاديث الصحيحة استعاذ من الكفر والفقر؛ لأن الفقر يكون أحياناً سبباً يؤدي إلى الكفر، وإن كان الحديث الوارد في هذا المعنى: «كاد الفقر أن يكون كفراً»(٢) لا يصح إسناداً.

هذا ما يحضرني جواباً عن سؤال الزهد هذا.

السؤال: عمر بن عبد العزيز عندما أراد أن يموت ما أدري هل القصة هذه صحيحة أم لا، حينما قال له أحد وزرائه أو أحد الرجال: لم لا تترك لأبنائك بعض

---

(١) "صحيح سنن أبي داود" (رقم ٢٨٦٤)، وصحيح الترمذي (٩٧٥)، وصحيح النسائي (٣٦٢٦) وصحيح ابن ماجة (٢٧٠٨).

(٢) "ضعيف الجامع" (رقم ٤١٤٨)، "الضعيفة" (٩/ ٧٧).

المال؟ فقال: إن كان أبنائي صالحين فإن الله تبارك وتعالى يتولى الصالحين، وإن كان أبنائي غير صالحين فأنا لا أترك أموالي إلى غير صالحين. ترون هل هو تشبه بأبي بكر لم يترك شيئاً لأبنائه؟

الشيخ: تشبه بأبي بكر ولم يتشبه بمين، قلت: تشبه بأبي بكر ولم يتشبه؟

مداخلة: ولم يترك شيئاً من ماله.

الشيخ: أولاً: هل عمر هو حجتنا؟

مداخلة: لا، ...

الشيخ: هذا تصرف شخصي، وكما قلنا: واقعة عين أيضاً ليس لها عموم.

فنحن نقول: هذا تصرف من عمر أصاب أم أخطأ لسنا مكلفين فيه، نحن أتينا بحديث سعد بن أبي وقاص، وحديث سعد خلاف ما فعل عمر بن عبد العزيز تماماً، لكن ممكن عمر بن عبد العزيز بدا له شيء، فكان ذلك المنطلق منه بناء على هذا الذي بدا له، فهذا ما يهمنا نحن بالنسبة للأحكام الشرعية أبداً.

مداخلة: نستخلص أن الحكم الشرعي أن يترك الرجل الثلث.

الشيخ: أي نعم.

مداخلة: وهذا كثير.

الشيخ: أي نعم.

"الهدى والنور"(٢٧/ ٤٢: ١١: ٠٠)

[١٧٨٣] باب هل قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ يعني ترك أسباب التعلم؟

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«من زهد في الدنيا؛ علمه الله تعالى بلا تعلم، وهداه الله بلا هداية، وجعله بصيراً، وكشف عنه العمى».

(موضوع).

[قال الإمام]:

والحديث عندي موضوع؛ عليه لوائح الوضع بادية، وظني أنه من وضع بعض الصوفية؛ الذين يظنون أن لطلب العلم طريقاً غير طريق التلقي والطلب له من أهله الذين تلقوه خلفاً عن سلف، وهو طريق الخلوة والتقوى فقط بزعمهم! وربما استدل بعض جهالهم بمثل قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾!

ولم يدر المسكين أن الآية لا تعني ترك الأخذ بأسباب التعلم؛ قال الإمام القرطبي في "تفسيره" (٣/ ٤٠٦): "وعد من الله تعالى بأن من اتقاه علمه، أي: يجعل في قلبه نوراً يفهم به ما يلقى إليه، وقد يجعل الله في قلبه ابتداءً فرقاناً، أي: فيصلاً يفصل به بين الحق والباطل، ومنه قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾".

"الضعيفة"(١٠/ ١/ ١١٤).

[١٧٨٤] باب هل الدعاء قدح في الإيمان بالقدر؟

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها لنا وبارك لنا، في صاعها ومدها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة».

[قال الإمام]:

[الجحفة]: موضع بينه وبين مكة نحو ثلاث مراحل ... قال الخطابي وغيره: «كان ساكنو الجحفة يهوداً في ذلك الوقت، ففيه دليل للدعاء على الكفار بالأمراض والأسقام والهلاك. وفيه الدعاء للمسلمين بالصحة وطيب بلادهم والبركة فيها، وكشف الضر والشدائد عنهم، وهذا مذهب العلماء كافة.

قال القاضي عياض: وهذا خلاف قول بعض المتصوفة أن الدعاء قدح في التوكل والرضا، وأنه ينبغي تركه! وخلاف قول المعتزلة أنه لا فائدة في الدعاء مع سبق القدر. ومذهب العلماء كافة أن الدعاء عبادة مستقلة، ولا يستجاب منه إلا ما سبق به القدر، والله أعلم .

"التعليق على الترغيب والترهيب" (٢/ ٥١٣).

[١٧٨٥] باب هل فُضِّل آدم على الملائكة بأنه حر مختار؟

سؤال: [يقول بعضهم] إن الله أسجد الملائكة لآدم بما فضله الله عليهم بأنه حر مختار، فهل هذا القول صحيح؟

الشيخ: ليس بصحيح، ليس هناك تعليل لمثل هذا الأمر الإلهي للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام أنه كان ذلك لأن الله خلق آدم مختاراً بشراً مختاراً، ولا

يجوز للمسلم أن يعلل حكماً شرعياً تعليلاً عقلياً ليس له على ذلك برهان من الله ورسوله.

والعلماء يقسمون الأوامر والعبادات الشرعية أو الأحكام الشرعية إلى قسمين اثنين:

القسم الأول: أنها أمور تعبدية محضة، ويكنون عنها بقولهم: إنها غير معقولة المعنى، وكثير من الأحكام الدينية والعبادات الشرعية تعبدية غير معقولة المعنى.

والقسم الآخر: يعبرون عنه: بأنها معقولة المعنى.

والبحث في هذا يتحمل الطول والبسط والشرح، ولعلنا تكلمنا في بعض مجالسنا عن ذلك بشيء من البيان والتفصيل.

والآن أقول: أمر الله عز وجل الملائكة بأن يسجدوا لآدم، ليس عندنا علة منصوصة في الشرع لماذا، جواب: لماذا أمر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم؟ لكن لا شك أن السجود من شخص إلى آخر يدل على فضيلة المسجود له، فيمكن أن يقال: بأن الأمر للملائكة بالسجود لآدم هو لبيان أن هذا الإنسان الذي خلق بشراً من طين يستحق أن يقدر وأن يعظم بتطبيق الأمر الإلهي في السجود له، فإذاً: هذا أمر لا يختلف فيه اثنان، ولا ينتطح فيه عنزان كما يقال، أن السجود لشيء ما يدل على تعظيمه، هذا أمر لا خلاف فيه.

فبإمكاننا أن نعلل أمر الله للملائكة بالسجود: إنما هو تعظيم لآدم عليه السلام؛ لأنه أبو البشر، ولأن الملائكة لا تعرف هذا الجنس من البشر، وبخاصة أن الله عز وجل حكى عنهم حينما أمرهم بالسجود: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا

تَعْلَمُـونَ﴾(البقرة:٣٠)، ذكر المفسرون: بأن الله عز وجل كان خلق خلقاً آخر غير الإنس قبل خلق آدم وهم جن، ففسدوا في الأرض، فخشيت الملائكة أن يكون هذا الخلق الجديد من ذلك النوع القديم الذي أفسد في الأرض.

فالله عز وجل أمرهم ليسجدوا ليعرفوا أن هذا الإنسان الذي هو أبو البشر فيما سيأتي من الزمان يستحق مثل هذا التكريم الإلهي.

وقلت آنفاً: إن السجود لشيء ما يدل على التعظيم، وأن هذه حقيقة لا شك ولا ريب فيها، فبإمكاننا أن نعلل الأمر الإلهي بما لا شك فيه، أما أن نأتي بتعليل لا برهان لنا عليه أنه خلقه مختاراً، فهذا يحتاج إلى [دليل] وإن كان فعلاً البشر مختار؛ ولذلك قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٢٩)، ولكن هذا لا يعني أن الملائكة ليسوا مختارين، وإنما يعني: أن الملائكة مفطورون على طاعة الله عز وجل، كما قال تبارك وتعالى: ﴿لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(التحريم:٦).

فكون السجود للشيء يدل على إكرامه وتعظيمه، لدينا أشياء كثيرة وكثيرة جداً، منها: سجود إخوة ليوسف ويوسف لأبيه، كما جاء في سورة يوسف عليه السلام، ومنها: أن هذا السجود الذي بدئ بتشريعه في قصة الأمر من الله للملائكة بالسجود لآدم واستمر هذا الحكم يمشي حتى كان السجود يعتبر إكراماً في الشرائع السابقة، ومنها سجود إخوة يوسف عليه السلام، لكن هذا الإكرام الذي استمر إلى عهد الرسول عليه السلام نهى الرسول ﷺ عنه؛ لما فيه أولاً: من المبالغة في إكرام المسجود له، وثانياً: من باب سد الذريعة والإخلاص لله تعالى في عبادته.

وأنهي جواب هذا السؤال بحديث معاذ بن جبل حينما سافر من مدينة إلى الشام ورجع إلى المدينة، فأول ما وقع بصره على النبي ﷺ فأراد أن يسجد له، فنهاه ﷺ عن ذلك وقال له: «ما هذا؟» قال: يا رسول الله! إني أتيت الشام فرأيت النصارى يسجدون لقسيسهم وعظمائهم، فرأيتك أنت أحق بالسجود منهم، فقال عليه السلام: «لا يصلح السجود إلا لله، ولو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها؛ لعظم حقه عليها، ولكن لا ينبغي السجود إلا لله»(1).

فأيضاً السجود إكرام، لكن هذا الإكرام ختم أمره بخاتمة الشرائع ... وهي شريعة الإسلام.

خلاصة القول: أمر الله عز وجل للملائكة بالسجود كان إكراماً لهذا الجنس، ولم يكن لتلك العلة: أنه جعله مختاراً؛ لأن هذه العلة لا دليل عليها، لا في الكتاب، ولا في السنة، ولا في الاستنباط من أدلة الشريعة كما ذكرت آنفاً.

"الهدى والنور" (٧٢٩/ ٣٥: ١٢: ٠٠)

[١٧٨٦] باب الرد على من ضعف حديث موسى مع ملك الموت بدعوى أنه يفيد أن موسى يكره قدر الله عليه بالموت

[قال رسول الله]:

«جاء ملكُ الموتِ إلى (وفي طريق: إنَّ ملكَ الموتِ كان يأتي الناسَ عياناً، حتّى أتى) موسى عليه السلام، فقال له: أجب ربَّك، قال: فلطَم موسى عليه

(١) "صحيح الجامع" (رقم٥٢٣٩، ٥٢٩٤، ٥٢٩٥)، الصحيحة (٧/ ٢/ ١٠٩٧) و(٧/ ٢/ ١٤٣٥).

السلام، عينَ مَلكِ الموتِ ففَقأها، فرجعَ الملكُ إلى الله تعالى، فقالَ: [يا ربِّ!] إنَّك أرسلتني إلى عبدٍ لكَ لا يريدُ الموتَ، وقد فقأ عيني، [ولولا كرامتُه عليك لشققتُ عليه]. قال: فردَّ اللهُ إليه عينه، وقال: ارجع إلى عبدِي فقِل: الحياة تريدُ؟ فإن كنت تريدُ الحياةَ؛ فضع يدَك على متنِ ثورٍ، فما توارت يدُك من شعرة؛فإنّك تعيشُ بها سنةً، قال:[أي ربِّ!] ثمَّ مَه؟ قالَ: ثم تموتُ، قال: فالآن من قريبٍ، ربِّ! أمتني من الأرضِ المقدّسةِ رميةً بحجرٍ! [قال: فشمَّه شمّةً فقبض روحَه، قال: فجاء بعد ذلك إلى النّاسِ خفياً».

قال رسول الله ﷺ: «والله! لو أني عنده لأريتُكم قبره إلى جانب الطريق عند (وفي طريق: تحت) الكثيبِ الأحمرِ».

[قال الإمام]:

قلت: هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة المشهورة التي أخرجها الشيخان من طرق عن أبي هريرة- رضي الله عنه-، وتلقته الأمة بالقبول، وقد جمعت ألفاظها والزيادات التي وقعت فيها، وسقتها لك سياقاً واحداً كما ترى؛ لتأخذ القصة كاملة بجميع فوائدها المتفرقة في بطون مصادرها، الأمر الذي يساعدك على فهمها فهماً صحيحاً، لا إشكال فيه ولا شبهة، فتسلِّم لقول رسول الله ﷺ تسليماً.

واعلم أن هذا الحديث الصحيح جدّاً مما أنكره بعض ذوي القلوب المريضة من المبتدعة- فضلاً عن الزنادقة- قديماً وحديثاً، وقد رد عليهم العلماء- على مر العصور- بما يشفي ويكفي من كان راغباً السلامة في دينه وعقيدته؛كابن خزيمة، وابن حبان، والبيهقي، والبغوي، والنووي، والعسقلاني، وغيرهم.

وممن أنكره من المعاصرين: الشيخ الغزالي في كتابه "السنة.. " المذكور في الحديث الذي قبله، بل وطعن في الذين دافعوا عن الحديث " فقال (ص ٢٩): "وهو دفاع تافه لا يساغ "!

وهكذا؛ فالرجل ماضٍ في غيّه، والطعن في السنة والذابين عنها بمجرد عقله (الكبير!). ولست أدري- والله- كيف يعقل هذا الرجل- إذا افترضنا فيه الإيمان والعقل-! كيف يدخل في عقله أن يكون هؤلاء الأئمة الأجلة من محدِّثين وفقهاء - من الإمام البخاري إلى الإمام العسقلاني- على خطأ في تصحيحهم هذا الحديث، ويكون هو وحده- صاحب العقل الكبير!- مصيباً في تضعيفه إياه ورده عليهم؟!

ثم هو لا يكتفي بهذا! بل يخادع القراء ويدلس عليهم، ويوهمهم أنه مع الأئمة لا يخالفهم، فيقول بين يدي إنكاره لهذا الحديث وغيره كالذي قبله (ص٢٦):

"لا خلاف بين المسلمين في العمل بما صحت نسبته لرسول الله ﷺ وفق أصول الاستدلال التي وضعها الأئمة، وانتهت إليها الأمة، إنما ينشأ الخلاف حول صدق هذه النسبة أو بطلانها، وهو خلاف لا بد من حسمه، ولا بد من رفض الافتعال أو التكلف فيه، فإذا استجمع الخبر المروي شروط الصحة المقررة بين العلماء فلا معنى لرفضه،وإذا وقع خلاف محترم في توفر هذه الشروط أصبح في الأمر سعة "!

هذا كلامه، فهل تجاوب معه؟ كلا ثم كلا؛ فإن الحديث لا خلاف في صحته بين العلماء، وله ثلاثة طرق صحيحة كما تقدم، فكيف تملص من كلامه المذكور؟! لقد دلس على القراء وأوهم أن الحديث مختلف في صحته؛ فقال

(ص٢٧): "وقد جادل البعض في صحته "!

ويعني: أن الحديث صار من القسم الذي فيه سعة للخلاف! فنقول له: أولاً: هل الخلاف الذي توهمه "خلاف محترم " أم هو خلاف ساقط الاعتبار؟! لأن المخالف ليس من العلماء المحترمين!! ولذلك لم تتجرأ على تسميته! ولعله من الخوارج أو الشيعة الذين يطعنون في أصحاب النبي ﷺ، وبخاصة راوي هذا الحديث (أبي هريرة)- رضي الله عنه-.

وثانياً: يحتمل أن يكون المجادِل الذي أشرتَ إليه هو أنت، وحينئذٍ فبالأولى أن يكون خلافك ساقط الاعتبار، كما هو ظاهر كالشمس في رائعة النهار! ثم قال: "إن الحديث صحيح السند؛ لكن متنه يثير الريبة؛ **إذ يفيد أن موسى يكره الموت ولا يحب لقاء الله**... " إلى آخر هرائه!

فأقول: بمثل هذا الفهم المنكوس يرد هذا الرجل أحاديث النبي - ﷺ -!! ولا يكتفي بذلك، بل ويرد على العلماء كافة الذين فهموه وشرحوه شرحاً صحيحاً، وردوا على أمثاله من أهل الأهواء الذين يسيئون فهم الأحاديث ثم يردونها،وإنما هم في الواقع يردون جهلهم، وهي سالمة منه والحمد لله،وها هو المثال؛فإن الحديث صريح بخلاف ما نسب إلى موسى عليه السلام، ألا وهو قوله عليه السلام: "فالآن من قريب ". فتعامى الرجل عنه، وتشبث باللطم المذكور في أوله، ولم ينظر إلى نهاية القصة، فمثله كمثل من يَرُدُّ قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ بزعم أنه يخالف الآيات الآمرة بالصلاة، ولا ينظر إلى ما بعده: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

هذا من جهة.

ومن جهة أخرى؛ فإن الرجل بنى ردَّهُ للحديث على زعمه أن موسى عليه السلام كان عارفاً بملك الموت حين لطمه! وهذا من تمام جهله وإعراضه عن كلام العلماء الذي نقله (ص ٢٨): "أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد قتله، فدافعه عنه، فأدت المدافعة إلى فقءِ عينه ".

ومع أن هذا الكلام يدل عليه تمام القصة كما قدمتُ، ويؤكده قوله في أول الحديث: "أن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً"،أي: في صورة البشر، وفقءِ عينه وردها إليه مما يقوي ذلك.

أقول: مع هذا كله، استكبر الرجل ولم يرد على علماء الأمة إلا بقوله الذي لا يعجزعن مثله أيُّ مُبطِلٍ غريق في الضلال: "نقول نحن (!): هذا الدفاع كله خفيف الوزن، وهو دفاع تافه لا يساغ "! وإن من ضلال الرجل وجهله قوله (ص ٢٧): "ثم، هل الملائكة تعرض لهم العاهات التي تعرض للبشر من عَمَى أو عَوَر؟!ذاك بعيد"! فأقول: وهذا من الحجة عليك، الدالة على قلة فهمك؛ فإن هذا الذي استبعدتهُ مما جعل العلماء يقولون في دفاعهم:إن موسى لم يعلم أنه ملك، أفما آن لك أن تعقل؟!! ثم ختم ضلاله في هذا الحديث وطعنه فيه بقوله: "والعلة في المتن يبصرها المحققون (!) وتخفى على أصحاب الفكر السطحي "! فيا له من مغرور أهلكه العجب! لقد جعل! نفسه من المحققين، وعلماء الأمة من "أصحاب الفكر السطحي "! والحقيقة أنه هو العلة؛ لجهله وقلة فهمه " إن لم يكن فيه ما هو أكثر من ذلك مما أشار إليه الكفار وهم يعذَّبون في النار: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾؛ نسأل الله حسن الخاتمة والوفاة على سبيل المؤمنين.

وأرى من تمام الفائدة أن أنقل إلى القراء الكرام كلام إمامين من أئمة المسلمين وحفاظ الحديث، فيه بيان الحكمة من تحديثه ﷺ بهذا الحديث، قال

ابن حبان عقب الحديث:

"إن الله جل وعلا بعث رسول الله ﷺ معلماً لخِلقِهِ، فأنزله موضع الإبانة عن مراده، فبلَّغ ﷺ رسالته، وبيّن عن آياته بألفاظ مجملة ومفسرة، عقلها عنه أصحابه أو بعضهم، وهذا الخبر من الأخبار التي يدرك معناه من لم يحُرَمِ التوفيق لإصابة الحق، وذاك أن الله جل وعلا أرسل ملك الموت إلى موسى رسالة ابتلاء واختبار، وأمره أن يقول له: "أجب ربك ": أمر اختبار وابتلاء، لا أمراً يريد الله جل وعلا إمضاءه؛ كما أمر خليله صلى الله على نبينا وعليه بذبح ابنه أمر اختبار وابتلاء، دون الأمر الذي أراد الله جل وعلا إمضاءه، فلما عزم على ذبح ابنه ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾؛ فداه بالذِّبح العظيم.

وقد بعث الله جل وعلا الملائكة إلى رسله في صور لا يعرفونها؛ كدخول الملائكة على رسوله إبراهيم ولم يعرفهم؛ حتى أوجس منهم خيفة، وكمجيء جبريل إلى رسول الله ﷺ وسؤاله إياه عن الإيمان والإسلام، فلم يعرفه المصطفى حتى ولَّى.

فكان مجيء ملك الموت إلى موسى على غير الصورة التي كان يعرفه موسى عليه السلام عليها، وكان موسى غيوراً، فرأى في داره رجلاً لم يعرفه، فشال يده فلطمه، فأتت لطمته على فقء عينه التي في الصورة التي تصور بها،لا الصورة التي خلَقَهُ اللهُ عليها، ولما كان المصرح عن نبينا في خبر ابن عباس حيث قال: "أمَّني جبريلُ عند البيت مرتين... " فذكر الخبر، وقال في آخره: "هذا وقتك ووقت الأنبياء قبلك "[1]، كان في هذا الخبر البيانُ الواضح: أن بعض شرائعنا قد تتفق

(١) حديث حسن صحيح؛كما قال الترمذي،وصححه جمع،وهو مخرج في "الإرواء" (١/ ٢٦٨)، و"صحيح أبي داود"(٤١٧)،وعزاه بعضهم ل"صحيح ابن حبان"، فوهم! [منه].

ببعض شرائع من قبلنا مِن الأمم.

ولما كان من شريعتنا أن من فقأ عين الداخل دارهُ بغير إذنه، أو الناظر إلى بيته بغير أمره، من غير جناح على فاعله،ولا حرج على مرتكبه، للأخبار الواردة فيه، التي أمليناها في غير موضع من كتبنا[1]؛كان جائزاً اتفاق هذه الشريعة بشريعة موسى بإسقاط الحرج عمّن فقأ عين الداخل داره بغير إذنه، فكان استعمال موسى هذا الفعل مباحاً له، ولا حرج عليه في فعله.

فلما رجع ملك الموت إلى ربه، وأخبره بما كان من موسى فيه؛ أمره ثانياً بأمر آخر أمر اختبار وابتلاء كما ذكرنا قبل، إذ قال الله له: "قل له: إن شئت، فضع يدك على متن ثور، فلك بكل ما غطت يدك بكل شعرة سنة"، فلما علم موسى كليم الله صلى الله على نبينا وعليه أنه ملك الموت، وأنه جاء بالرسالة من عند الله، طابت نفسه بالموت ولم يستمهل، وقال: "فالآن ".

فلو كانت المرة الأولى عرفه موسى أنه ملك الموت، لاستعمل ما استعمل في المرة الأخرى عند تيقنه وعلمه به، ضدَّ قول من زعم: "أن أصحاب الحديث حمَّالة الحطب ورعاة الليل، يجمعون ما لا ينتفعون به، ويروون ما لا يؤجرون عليه، ويقولون بما يبطله الإسلام "، جهلاً منه لمعاني الأخبار، وترك التفقه في الآثار، معتمداً على رأيه المنكوس، وقياسه المعكوس ".

قلت: ما أشبه الليلة بالبارحة! فهذا الزاعم الطاعن في أصحاب الحديث هو سلف الغزالي في طعنه فيهم، وفي أحاديثهم الصحيحة، وما وصفه به ابن حبان من

---

(١) قلت:من ذلك كتابه "الصحيح"(٧/ ٥٩٧- ٥٩٨- الإحسان)من حديث أبي هريرة بألفاظ متقاربة،بعضها في"الصحيحين"،وهو مخرج في "الإرواء"(١٤٢٨و ٢٢٢٧).[منه].

الجهل بمعاني الآثار، يشبه تماماً جهل الغزالي بها، وكتابه المتقدم ذكره والنقل عنه مشحون بطعنه في الأحاديث الصحيحة التي لا خلاف عند أهل العلم في صحتها،وقد ختم الكتاب بإنكاره عدة أحاديث صحيحة في إثبات القدر؛ لأنه فهم منها- بفهمه المعكوس والمنكوس- أنها تفيد الجبر، وتنفي عن الإنسان الاختيار الذي به كُلِّفَ، وترتب عليه الثواب والعقاب، مشاركاً في هذا الفهم العامة الجهلة، ولكنه فرَّ من فهمه الخاطىء إلى ما هو مثله أو أسوأ منه، ألا وهو إنكاره القدر والأحاديث الدالة عليها، وألحق نفسه بالمعتزلة!! وقد قام بواجب الرد عليه كثير من العلماء والكتَّاب، وكشفوا للناس ما فيه من زيغ وضلال في الحديث والعقيدة والفقه، وكان أطولهم نفساً، وأكثرهم إفادة، وأهدأهم بالاً:الأخ الفاضل سلمان العودة في كتابه "حوار هادئ مع محمد الغزالي"،فنِعمَ الردُّ هو؛ لولا تساهل وتسامح لا يستحقه الغزالي تجاه طعناته العديدة مع أئمة الحديث والفقه، وإن كان الأخ الفاضل قد كشف القناع عنها بأدبه الناعم!

والحافظ الآخر الذي سبقت الإشارة إليه: هو الإمام البغوي؛ فإنه بعد أن ذكر أن الحديث: "متفق على صحته "؛ قال رحمه القه: "هذا الحديث يجب على المرء المسلم الإيمان به على ما جاء به من غير أن يعتبره بما جرى عليه عُرف البشرِ، -فيقع في الارتياب-؛ لأنه أمرٌ مصدره عن قدرة الله سبحانه وتعالى وحُكمه، وهو مجادلة بين ملك كريم، ونبي كليم، كلُّ واحد منهما مخصوص بصفة خرج بها عن حكم عوامِّ البشر، ومجاري عاداتهم في المعنى الذي خُصَّ به، فلا يعتبر حالهما بحال غيرهما، قد اصطفى الله سبحانه وتعالى موسى برسالاته وبكلامه، وأيده بالآيات الظاهرة، والمعجزات الباهرة، كاليد البيضاء، والعصا، وانفلاق البحر، وغيرهما مما نطق به القرآن، ودلّت عليه الآثار، وكل ذلك إكرام من الله عز وجل أكرمه بها، فلما دنت وفاته- وهو بشرٌ يكره الموت طبعاً،ويجد

ألمه حساً-؛ لطف له بأن لم يفاجئه به بغتة، ولم يأمر الملك الموكل به أن يأخذه به قهراً؛لكن أرسله إليه منذراً بالموت، وأمره بالتعرض له على سبيل الامتحان في صورة بشرٍ، فلما رآه موسى استنكر شأنه، واستوعر مكانه، فاحتجز منه دفعاً عن نفسه بما كان من صكه إياه، فأتى ذلك على عينه التي ركبت في الصورة البشرية التي جاءه فيها، دون الصورة الملكية التي هو مجبول عليها، وقد كان في طبع موسى - ﷺ - حمِيَّةٌ وحِدّةٌ على ما قص الله علينا من أمره في كتابه من وكزه القبطي، وإلقائه الألواح، وأخذه برأس أخيه يجره إليه.

وروي أنه كان إذا غضب اشتعلت قلنسوته ناراً، وقد جرت سنة الدين بدفع من قصدك بسوء، كما جاء في الحديث:"من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم حلّ لهم أن يفقأوا عينه"، -فلما نظر موسى إلى شخص في صورة بشر هجم عليه يُريد نفسه-، ويقصد هلاكه، وهو لا يثبته، -ولا يعرفه أنه رسول ربه-؛ دفعه عن نفسه، فكان فيه ذهاب عينه، فلما عاد الملك إلى ربه، ردّ الله إليه عينه، وأعاده رسولاً إليه؛ -ليعلم نبي الله عليه السلام- إذا رأى صحة عينه المفقوءة- أنه رسول الله بعثه لقبض روحه، فاستسلم حينئذٍ لأمره، وطاب نفساً بقضائه، وكلُّ ذلك رفق من الله عز وجل، ولطف منه في تسهيل ما لم يكن بد من لقائه، والانقياد لمورد قضائه، قال:وما أشبه معنى قوله:"ما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن؛ يكره الموت... " بترديده رسوله ملك الموت إلى نبيه موسى عليه السلام، فيما كرهه من نزول الموت به، وقد ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي في كتابه رداً على من طعن في هذا الحديث وأمثاله من أهل البدع والملحدين أبادهم الله، وكفى المسلمين شرهم ".

"الصحيحة"(٧/ ٢/ ٨٢٦-٨٣٥).

[١٧٨٧] باب كيف الجمع بين كون الحيوانات غير مكلفة وبين الاقتصاص للشاة الجماء من الشاة القرناء يوم القيامة

سؤال: يقول: بعث معي فضيلة الشيخ محمد أحمد بن عبد القادر الشنقيطي القرشي التيمي مر بكم؟ هذا شيخ شنقيطي كبير في السن في المسجد النبوي ندرس عليه أشياء في الحديث منها علل ابن رجب ونقرأ عليه في مسلم وفي غيره، بعث معي هنا رسالة قال: لابد أن تبلغها للشيخ وفيها أشياء استشكل..

الشيخ: عفواً أعد علي اسمه؟

مداخلة: اسمه الشيخ محمد أحمد مركب ابن عبد القادر الشنقيطي القرشي .

الشيخ: طيب، كم سنه؟

مداخلة: الآن تقريباً هو حدثني أنه يبلغ الثالثة والثمانين أو يقاربها، قال لي: أنا أكبر من الشيخ ابن باز بخمس سنين.

الشيخ: هاه، هو في الثالثة والثمانين؟

مداخلة: تقريباً.

الشيخ: هاه. عجيب أنا ما أذكره، كان في المدينة يوم كنت أنا هناك؟

مداخلة: هو يقول قديم أنا في المدينة بس ما حدد السنوات التي مكثها.

الشيخ: طيب، ماذا يقول؟

مداخلة: يقول: بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشيخ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

مداخلة: إنني ممن أخصك بالرأي والمعرفة وأبلغك السلام، ثم قال: إن الشيخ محمد أحمد يطلب منك أن تدعو له بحسن الخاتمة ويقول: الحديث الذي في مسلم: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء»(١)، فالمعلوم بالإجماع بأن البهائم لا تكليف عليها، فكيف يقاد لهذه من هذه، وأما قولكم: حتى يظهر عدل الله، أو ليظهر الله عدله، فهذا فيه بعد، وهل العدل لا يظهر إلا بذلك وليس هناك يظهر من مظاهر العدل إلا هذا؟ ...

الشيخ: اللي ننشره في المقال أيش هو..

مداخلة: هو يقول: أنكم أنتم تقولون أن هذا الحديث..

الشيخ: معليش، أين مذكور كلامي حول هذا الحديث؟

مداخلة: .. لعله اطلع عليه، لكن ما سطر المصدر.

الشيخ: ما ذكر لك؟

مداخلة: لا، هذه الورقة سلمها لي أحد الإخوان من إندونيسيا، قبل السفر(٢).

الشيخ: يرد عليّ كلام الشيخ الفاضل أنه يتساءل مستنكراً ما يظهر عدل الله إلا

---

(١)"صحيح مسلم" (رقم ٦٧٤٥)، "الصحيحة" (٤/ ١١٥).

(٢) يظهر لي أن الكلام المقصود هو ما في السلسلة الصحيحة "(٤/ ٦٠٨، ٦١٢ .٦١٤) حيث نقل الألباني كلاماً لعلي القاري مقرراً له تحت حديث: "يقتص الخلق بعضهم من بعض، حتى الجماء من القرناء .."، قال علي القاري: وجملة الأمر أن القضية دالة بطريق المبالغة على كمال العدالة بين كافة المكلفين، فإنه إذا كان هذا حال الحيوانات الخارجة عن التكليف، فكيف بذري العقول من الوضيع والشريف، والقوي والضعيف".

بإجراء العدل بين القرناء الجماء، نحن ما قلنا هكذا ولا أحد يقول، لكن هذا من مظاهر ذلك، فأي إشكال في ذلك؟ ثم كون الحيوانات غير مكلفة، نعم هي غير مكلفة، لكن أليس هذا ظالم وهو حيوان على ذلك الحيوان الآخر وهو مظلوم، فما المانع من الناحية العقلية وبخاصة بعدما جاء نص في الشريعة المحمدية أن الله عز وجل يقتص من القرناء للجماء، ما المانع أن يكون الأمر لإظهار.. مش لإظهار العدل الإلهي كمثال للعدل الإلهي، فهذا لا يفيد الحصر الذي هو يدندن حوله فيقول: ألا يظهر العدل الإلهي إلا.. ما أحد يقول هكذا، ولذلك أنا أحببت أن نرجع إلى الكلام الذي هو يشير إلى انتقاده حتى ننظر ما قبله وما بعده، هو ما في شيء من هذا الكلام الذي ..أنا خرجت الحديث وما قلت شيئاً من ذلك الكلام.

هنا[1]: «إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة» أخرجه فلان وفلان ..، قلت بأسفل الصحيفة: والحديث صحيح؛ لأنه قد صح عن أبي هريرة مرفوعاً من طريقين، الأول: عن علاء بن عبد الرحمن عنه بلفظ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء» أخرجه مسلم والبخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، والطريق الأخرى: «يقتص الخلق بعضه من بعض حتى الجماء من القرناء وحتى الذرة من الذرة»، أخرجه أحمد، قلت: وإسناده صحيح على شرط مسلم، ثم وجدت له طريقاً ثالثاً.. إلى آخره، وفي الباب عن أبي ذر وغيره، فراجع إن شئت المجمع: «رأى رسول الله شاتين تنطحان، فقال: يا أبا ذر أتدري فيما تنتطحان؟ قلت: لا، قال: ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة»، قلت: وهذا إسناده صحيح رجاله ثقات، وأخرجه ابن أبي الدنيا: حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش بالبحث، هو

(١)يقرأ الشيخ من "السلسلة الصحيحة" (٤/ ١٦٢ رقم ١٥٨٨).

حديثي محض، فما تكلمت أنا، لكن الجواب عن الإشكال الذي ذكره الشيخ واضح جداً، هذا يعني مظهر من مظاهر عدل الله في خلقه حتى من القرناء يقتص منها للجمحاء، لكن ليس هذا لا يظهر إلا بهذه الصورة كما هو يقول لا.

"الهدى والنور" (٧٣٤/ ٥٣: ٣٦: ٠٠).

[١٧٨٨] باب هل يفهم من قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أنه قد يغفر للكفار؟

سؤال: بالنسبة لقول النبي ﷺ في حديث: «خمس صلوات كتبهن» ثم قال في آخره: «فأمره إلى الله» يعني قرنه بالمشيئة طبعاً، «إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[١].

قد يقول البعض بأن هذا مثل قول عيسى ابن مريم لربه عز وجل: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(المائدة:١١٨). فما الجواب على هذا الإشكال؟

الشيخ: تريد أن تقول أن هذا القول يقوله الذين يكفرون تاركي الصلاة؟[٢].

مداخلة: أنا جاء الإشكال علي؟

الشيخ: سامحك الله، لا تحد تطول علينا الطريق، قل لي أريد هذا أو لا أريد؟

مداخلة: لا.

(١) "صحيح الجامع" (رقم ٥٥٥٣) ولفظ الحديث: خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن وصلاتهن لوقتهن وأتم ركوعهن وخشوعهن كان له على الله عهد أن يغفر له ومن لم يفعل فليس له على الله عهد، إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

(٢) حدث هذا النقاش في سياقٍ بحث مسألة "حكم تارك الصلاة".

الشيخ: من الذي يقول هذا الكلام إذاً.

مداخلة: إشكال أتى علي.

الشيخ: في الإشكال الذي عندك ولسه ما فهمناك، الذي قائم في ذهنك أن هذا الكلام يقوله قائل هو من الذين يقولون بتكفير تارك الصلاة مطلقاً؟

الشيخ: معليش، في الإشكال الذي عندك ولم نفهمه من بعد، فالذي قائم في ذهنك أن هذا الكلام يقوله قائل هو من الذين يقولون بتكفير تارك الصلاة مطلقاً.

مداخلة: لا أعلم.

الشيخ: أو العكس.

مداخلة: لا أعلم.

الشيخ: سنرى ما وراء الأكمة.

ما هو الإشكال، هل هو الذي طرحته لا أكثر؟

طيب أوضح لنا الإشكال، ما هو الشبه بين الآية التي حكاها الله عن عيسى، وبين هذا الحديث الذي نطق به رسول الله ﷺ؟ ما الشبه بين الأمرين؟

مداخلة: إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم،.. الآية.

الشيخ: لا نستفيد منك أن تؤيد الآية والحديث.

مداخلة: الإشكال هنا المشيئة، أنه هناك قال بمشيئة الله عز وجل إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، وهناك قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾(المائدة:١١٨)، فقرنها يعني بما يشاء ربنا عز وجل.

الشيخ: طيب لو تركنا آية عيسى الآن جانباً الإشكال ألا يزال قائماً عندك؟

مداخلة: ما فهمت.

الشيخ: لو تركنا آية عيسى جانباً، هل الإشكال يطيح، أنا أظن لا؟ قل لي أنت: بلى.

مداخلة: السؤال مش واضح.

الشيخ: سؤال من؟

مداخلة: السؤال الآن أوضح.

الشيخ: سؤالي أنا، طيب ما هو الجواب ما دام هو واضح.

مداخلة: السؤال...

الشيخ:... ألا تتصور ليس في باله آية عيسى؟

مداخلة: ممكن.

الشيخ: افرض هو أنت، هل يطيح الإشكال؟

مداخلة: أنا أظن أنه يطيح.

الشيخ: أما أنا فأظن أنه لا يطيح، بالنسبة لإشكالك أنت لا يطيح، لماذا؟

لأنه سيرد الآن عليك سؤال، بغض النظر عن آية عيسى عليه السلام، أليس الله فعال لما يشاء.

مداخلة: بلا شك.

الشيخ: يدخل من يشاء، أو كما قال في صريح القرآن: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ

وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾(البقرة:٢٨٤)، هذا مش موجود في القرآن؟

مداخلة: نعم موجود.

الشيخ: هذا ألا يقوم مقام آية عيسى؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: فإذاً، سيظل إشكاله قائماً، ولو صرفت نظرك عن آية عيسى.

مداخلة: لكن هنا يختلف.

الشيخ: أكمل حديثي أنا..

إلا إذا وجدت أن في آية عيسى معنى لا يوجد في مثل آية﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ وآيات كثيرة بمعنى أن المشيئة بإذن الله عز وجل، فما هو الفرق إن كان عندك فرق بين هذه الآية التي أنا ذكرتك بها الآن، وبين آية عيسى عليه السلام.

مداخلة:الفرق...أن الله سبحانه وتعالى خاطبه خاطبه بقوله:﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ (المائدة:١١٦).. إلى آخر الآيات، يسأله هل قال لهم أن يتخذوه إلهاً..

مداخلة: يعني في متعين هنا، في قومه، الذين اتخذوه وأمه آلهة، هذا الفرق أظن هناك عامة تشمل المؤمنين والمسلمين الفاسقين وما إلى ذلك.

الشيخ: هذا هو، إذاً: هذا هو الفرق بين آية عيسى والآية الأخرى التي أتيت بها.

الآن من يذكر آية القائلين فيها..لريثما [تأتي] هذه الآية..ألفت النظر أن من الخطأ الاستدلال بشرائع من كانوا قبلنا، في الأمس القريب كنا نتكلم حول

الانتخابات، وأنها ليست شرعية، وتورط بعض الجماعات الإسلامية في الدخول في البرلمانات القائمة على الحكم بغير ما أنزل الله، فأحد الجالسين طرح إشكال يشبه إشكالك، فيقول هذا يوسف عليه السلام قال: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(يوسف:٥٥)، فإذاً هو كان حكاماً تحت سلطة حاكم وثني هو العزيز، فلماذا لا يجوز أن يدخل المسلمون البرلمانات هذه؟

أنا كان جوابي من ناحيتين أو أكثر:

الناحية الأولى: أن يوسف عليه السلام لم يدخل ولم يصل إلى ذاك المقام السامي بطريقة انتخابات غير مشروعة، وإنما الله عز وجل بحكمته البالغة ابتلاه بامرأة العزيز ووقع بينها وبينه ولا أقول بينه وبينها ما وقع، وكان من آثار ذلك أن ألقي في السجن، وكان من تفاصيل مكثه في السجن قصته مع الرجلين، أخيراً أحدهما قتل والآخر صار ساقياً للملك، وكما تعلمون رأى الملك تلك الرؤية، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ، قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلامِ بِعَالِمِينَ، وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ، يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ (يوسف:٤٣-٤٦)، نقل فتوى هذه إلى الملك أعجبه وقال: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(يوسف:٥٥)، فيوسف عليه السلام ما سلك طريقاً ليصل إلى هدف وإلى مكان رفيع، ولا خطر في باله هذا الشيء، وإنما ربنا عز وجل قدر عليه هذه الحوادث المتعددة الأشكال حتى استطاع الملك بنفسه وجعله وزيراً على دولته فأخذ يحكم بشريعته بوحي ربه وليس بشريعة الكافر، هذا من جانب.

أما نحن اليوم فنطرق أبواباً شركية، أبواباً وثنية كفرية، حاشا ليوسف عليه السلام أن تخطر في باله أن يطرقها فضلاً عن أن يطرقها عملياً، الانتخابات كما تعلمون تتناسب مع النظم الكافرة التي ليس فيها مؤمن وكافر، الناس كلهم سواء عندهم، وليس فيهم رجل وامرأة، فللمرأة من الحق مثل ما للرجل إلى آخره، وعلى هذا فالانتخابات حينما تفتح أبوابها يدخل ويرشح نفسه فيها المؤمن والكافر، والرجل والمرأة، والصالح والطالح، وبالنتيجة ما ينتخب إلا شرار الخلق عادة، نحن هذا يناسبنا أن نسلك هذا الطريق الكافر، ونحتج على ذلك بمثل قصة يوسف عليه السلام وشتان ما بينها وبين واقع حياتنا الانتخابية اليوم، هذا قلته ثم أضفت إلى ذلك أخيراً، هذه شريعة من قبلنا، والرسول ﷺ يقول: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة »[1].

فإذاً: ليس من العلم في شيء أن ينزع طالب العلم مستدلاً بآية تتعلق بشريعة من قبلنا، إذا عرفنا هذه الحقيقة نعود الآن لنقول:

نحن نحتج الآن بما قال عيسى عليه السلام، وبعد أن عرفنا منبع الشبهة عندك نقول: هل تعلم أنه كان في شرع عيسى عليه السلام مثل ما في شرعنا من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(النساء:٤٨)، بحيث أنه لا يجوز في شريعتنا أن نطلب من ربنا أن يغفر لكفار أمتنا، هل كان هذا موجوداً في شريعة عيسى فيما تعلم؟

إذاً: الشبهة تسقط من أصلها.

مداخلة: قد يقع هنا أصل وهو أننا نعلم أنه لا يدخل الجنة مشرك.

---

(١)"صحيح البخاري" (رقم ٤٢٧).

الشيخ: هذا في شرعنا.

مداخلة: ونص الآية..

الشيخ: هذا العلم من أين أخذته؟

مداخلة: من ديننا.

الشيخ: طيب، فهل كان هذا في دين من قبلنا.

مداخلة: سياق الآيات التي تتحدث عن الآخرة.

الشيخ: الآيات في ديننا، هذه ما فيها خلاف.

مداخلة: أقول هي تتحدث عن أمر سيحصل لكل الأمم.

الشيخ: أنا أسألك هل كانت الأمم تعلم هذا الحكم؟ بمعنى آخر، هل كل ما نعرفه في شرعنا كان معروفاً فيمن قبلنا.

مداخلة: لا.

الشيخ: أليس قد قال الله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾(البقرة:٢٨٦)، حمله إصراً وإغلالاً، ولذلك جاء هذا الإسلام ليضع الأغلال التي كانت موضوعة من قبل، فحتى الأحكام الثقيلة التي ربنا عز وجل خففها عن هذه الأمة، كانت قائمة معروفة من قبل، فضلاً عن الأخبار الغيبية أنه ليس بعيد... خطرت في بالهم، لأنهم لا يعلمون إلا ما أنزل على أنبيائهم، فكون هذه حقيقة علمية عندنا ليس يلزم منه أنه حقيقة علمية عندهم، فعلى كل حال خذها قاعدة، الأصول المقطوع بها لا تعطل لشبهة تعرض على

الإنسان لمجرد نص حتى لو كان في شرعنا نحن، لأن هذا من باب ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾(آل عمران:٧)، يعني دائماً الإنسان يأخذ بالأصول الواضحة ويترك المتشابهات من الآيات أو الأحاديث النبوية، شو طلع عندك الآية هذه؟

مداخلة:... شيخنا، تعلمنا من هذيك المرة، قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾(هود:١٠٦-١٠٧).

الشيخ: أيوه، هنا هذه الآية، وعلى كل حال من تمام الفائدة انظر كيف النص يختلف بالنسبة لأهل الجنة.

مداخلة: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾(هود:١٠٨).

الشيخ: فالآن هذا الاستثناء هل ينافي آية عيسى عليه السلام، ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(المائدة:١١٨)، فهنا بالنسبة للفريقين الذين سعدوا أهل الجنة والذين شقوا أهل النار، قال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ اختلف علماء التفسير كثيراً في هذه الآية، **لكن الظاهر والله أعلم أن ربط مصير الفريقين السعداء والأشقياء بمشيئة الله يلفت نظر عباد الله إلى أن كل ذلك ليس بحكم حاكم على الله، إنما هو بمشيئته وهو فعال لما يريد، فنستطيع أن نقول عيسى عليه السلام لما قال هذه الكلمة انطلق من هذا الملحظ، أنه أنت تفعل ما تشاء، حتى ولو كان يعني الذين أشركوا بالله عز وجل، فأنت فعال لما تريد. والله أعلم.**

"الهدى والنور" (٦٦٧/ ٠١: ٥٧: ٠٠) و(٦٦٨/ ٤٢: ٠٠: ٠٠)

جماع أبواب

مباحث لفظية في القضاء والقدر

[١٧٨٩] باب هل يصح قول القائل: الله على ما يشاء قدير؟

[قال رسول الله ﷺ]:

-«آخرُ مَن يدخلُ الجنةَ رجلٌ؛ فهو يمشي مرة، ويكبو مرةً، وتسفعُهُ النارُ مرةً، فإذا ما جاوزَها التفتَ إليها فقال: تباركَ الذي نجاني منكِ، لقدْ أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فتُرفعُ لهُ شجرةٌ، فيقولُ: أيْ ربِّ! أدنني من هذه الشجرة، فلأستظلَّ بظلِّها، وأشربَ من مائها، فيقولُ الله عزّ وجلّ: يا ابن أدم! لعلِّي إن أعطيتُكَها سألتني غيرها؟ فيقولُ: لا يا ربِّ! ويعاهدُه أن لا يسألَه غيرها، وربُّه يعذِرُه؛ لأنَّه يرى ما لا صبْرَ لَهُ عليه، فيدنيهِ منها، فيستَظلُّ بظلِّها، ويشربُ من مائها.

ثم ترفعُ له شجرةً هي أحسن من الأولى، فيقولُ: أيْ ربِّ! أدنني من هذه لأشربَ من مائها، وأستظلَّ بظلِّها، لا أسألُكَ غيرها، فيقولُ: يا ابن آدم! ألم تعاهدْني أن لا تسألنِي غيرها؟ فيقول: لعلِّي إن أدنيتُك منها تسألُني غيرها؟ فيعاهدهُ أن لا يسألَه غيرَها، وربُّه يعذرُه؛ لأنَّه يرى ما لا صَبْرَ له عليه، فيدنيهِ منها، فيستظلُّ بظلِّها، ويشربُ من مائها.

ثم ترفعُ له شجرةٌ عند باب الجنة هي أحسن من الأولَيَيْنِ، فيقولُ: أيْ ربِّ! أدنني من هذه لأستظلَّ بظلِّها، وأشربَ من مائها، لا أسألُكَ غيرها! فيقولُ: يا ابن آدمَ! ألمْ تعاهدني أن لا تسألَني غيرها؟ قال: بلى يا ربِّ! هذه لا أسألُك غيرها، وربُّه يعذرُه؛ لأنه يرى ما لا صَبْرَ له عليها، فيدنيه منها .

فيسمعُ أصوات أهل الجنة فيقولُ: أيْ ربِّ! أدخِلنِيها، فيقول: أيِ ابنَ أدمَ! ما يَصْرِيني منكَ؟ أيرضيك أن أعطيكَ الدنيا ومثلَها معَها؟ قال: يا ربِّ! أتستهزئ مني وأنت ربُّ العالمين؟.

فضحكَ ابنُ مسعودٍ، فقالَ: ألا تسألوني ممَ أضحكُ؟ فقالوا: ممَ تضحكُ؟ قال: من ضَحِكِ ربِّ العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنتَ ربُّ العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئُ منكَ، ولكنِّي على ما أشاء قادر.- وفي رواية: قدير-».

[قال الإمام]:

(فائدة): قوله: "ولكني على ما أشاء قادر- أو قدير- ": فيه دليل على جواز استعمال هذه الكلمة: "إن الله تعالى على ما يشاء قدير"، وقد كنت توقفت عنها حين علقت على قول الطحاوي في "العقيدة" (ص ٢٠): "ذلك بأنه على كل شيء قدير" كلمة للشيخ ابن مانع- رحمه الله- أن ذلك ليس بصواب، وأن الصواب ما في الكتاب والسنة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير﴾لعموم مشيئة الله وقدرته.. إلخ كلامه.

ثم وقفت بعد ذلك على هذه الكلمة في هذا الحديث في "صحيح مسلم "، فخشيت- متأثراً بكلام الشيخ- أن تكون شاذة في الحديث؛ أو خطأ من بعض الرواة، فتريَّثت حتى يتسنى لي تخريجه والنظر في إسناده ورواته.

ثم كنت في ليلة من ليالي غرة شهر ذي الحجة في بعض مخيمات عمّان ألقي كلمة حول وجوب الرجوع إلى الكتاب والسنة على منهج السلف الصالح؛ ووجوب قرن ذلك بالعمل، وبعد الفراغ منها فتحنا باب الأسئلة، فسأل أحد إخواننا الحاضرين- ويبدو أنه على شيء من العلم والثقافة- عن هذه الكلمة، مشيراً إلى تعليقي المذكور على "العقيدة الطحاوية "، وذكر- جزاه الله خيراً- بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾(الشورى:٢٩)، فأجبته بأن الحديث بحاجة إلى تخريج وتحقيق، مشيراً إلى أنه من الممكن أن يكون أصل الكلمة: "وأنا على كل شيء قدير" أو نحوها، فبادرت إلى تخريج الحديث، فوجدت أن

الرواة عن حماد بن سلمة اتفقوا على اللفظ المتقدم.

ثم تابعت البحث والتحقيق فوجدت للحديث طريقاً أخرى عن ابن مسعود، يرويه يزيد بن عبد الرحمن أبو خالد الدالاني: ثنا المنهال بن عمرو عن أبي عُبيدة عن مسروق عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً مطولاً جداً؛ لكن بلفظ:

"ولكني على ذلك قادر".

أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٩/ ٤١٦ - ٤٢١)، والحاكم (٢/ ٣٧٦- ٣٧٧ و٤/ ٥٨٩- ٥٩٢) وقال في الموضع الأول:

"صحيح على شرط الشيخين "! ووافقه الذهبي!

وقال في الموضع الآخر: "رواة هذا الحديث- عن آخرهم- ثقات؛ غير أنهما لم يخرجا أبا خالد الدالاني في "الصحيحين "؛ لما ذكر من انحرافه عن السنة في ذكر الصحابة، فأمّا الأئمة المستقدمون؛ فكلهم شهدوا لأبي خالد بالصدق والإتقان، والحديث صحيح ولم يخرجاه، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة".

كذا قال! وما عرفت من شهد له بالإتقان، أما الصدق؛ فنعم، وفي حفظه ضعف كما يأتي، وأما الذهبي؛ فتعقبه هنا بقوله: "ما أنكره حديثاً على جودة إسناده، وأبو خالد شيعي منحرف"!

وأقول: لم أر من رماه بالتشيع، فلعله التبس عليه بغيره، ثم هو مختلف فيه، فقال الذهبي نفسه في "الكاشف ":

"وثقة أبو حاتم، وقال ابن عدي: في حديثه لين ".

وقال في " المغني ":

"مشهور، حسن الحديث، قال أحمد: لا بأس به، وقال ابن حبان: فاحِشُ الوهم، لا يجوز الاحتجاج به ".

ولذلك قال الحافظ في "التقريب ":

"صدوق يخطئ كثيراً، وكان يدلس ".

قلت: وجزم الهيثمي بتوثيقه؛ كما يأتي، وهو من تساهله، وإن كان مسبوقاً إليه، ولكن لا ينبغي غض النظر عن الجرح المفسر، الذي تضمنه كلام ابن حبان وغيره، فيتقى من حديثه ما يخشى أن يكون وهم فيه، أو ينتقى من حديثه ما سلم من خطئه، كما هو الواقع هنا؛ فقد توبع عليه، فقال زيد بن أبي أنيسة: عن المنهال بن عمرو به مطولاً أيضاً، وباللفظ المذكور في رواية الدالاني.

أخرجه عبد الله بن أحمد في "السنة" (٢/ ٥٢٠- ٥٢٤- دار ابن القيم)، والطبراني أيضاً عنه وعن حافظين آخرين ثلاثتهم، والبيهقي في "البعث " (٢٣٩/ ٤٧٩)، كلهم عن إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحرَّاني: ثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة به.

قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم؛ غير إسماعيل ابن عُبَيد الحراني، وهو ثقة كما قال الذهبي في "الكاشف "، والحافظ في " التقريب"؛ وزاد: " يغرب ".

وقال المنذري في "الترغيب " (٤/ ١٩٨ و٢٤٨):

"رواه ابن أبي الدنيا والطبراني من طرق أحدها صحيح، والحاكم وقال: صحيح الإسناد".

وقـــال ابـــن القـــيم في "حـــادي الأرواح إلى بـــلاد الأفـــراح " (٢/ ٩٤- طبعة الكردي):

"هذا حديث كبير حسن.. ".

وأما الهيثمي فقال (١٠/ ٣٤٣):

"رواه كله الطبراني من طرق رجال أحدها رجال الصحيح؛ غير أبي خالد الدالاني؛ وهو ثقة"!

كذا قال: وفيه شيئان:

أحدهما: جزمه بتوثيق الدالاني، وقد عرفت ما فيه.

والآخر: أنه فاته أن الطريق الأخرى من رواية الحرانيين أصح من طريق الدالاني كما تبين لك مما ذكرنا، وهي التي جزم بصحتها المنذري، وحسنها ابن القيم، ولا أدري لمِ َلمَ ْيصححها؟ على أنه أخرجها الطبراني أيضاً عقب روايته عن الدالاني.

وقد خالفهم في إسناد الطريقين: أبو طيبة فقال: عن كُرْز بن وبرة عن نُعَيْمٍ ابن أبي هند عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود به مطولاً بلفظ:

"يقوم الناس لرب العالمين أربعين سنة، شاخصة أبصارهم ". الحديث، وفيه اللفظ الثاني الذي في طريق الدالاني والحراني.

أخرجه السهمي في "تاريخ جرجان " (٣٥٠- ٣٥٤) بطوله، والطبراني (٩٧٦٤) عقب حديث ابن أبي أنيسة، ولم يسق منه إلا طرفاً من أوله، وكذا ابن عدي في "الكامل " (٥/ ٢٥٨) في ترجمة أبي طيبة- واسمه عيسى بن سليمان

الجرجاني- وقال الطبراني عقبه:

"ثم ذكر نحو حديث زيد بن أبي أنيسة".

قلت: وأبو طيبة هذا قال ابن عدي- وقد ساق له هذا الحديث مع أحاديث أخرى-: "وهذه الأحاديث كلها غير محفوظة، وأبو طيبة رجل صالح، ولا أظن أنه كان يتعمد الكذب، ولكن لعله كان يُشَبهُ عليه فيغلط ".

قلت: وذكره ابن حبان في "الثقات " (٧/ ٢٣٤) وقال: "يخطئ ".

ومن الظاهر أنه هو الذي خالف في هذا الإسناد، فأسقط- من بين ابن مسعود وأبي عبيدة- مسروقاً؛ فإن رجاله ثقات غير كرز بن وبرة، وقد روى عنه جمع من الثقات، وقد ذكره ابن حبان فيهم، وقد تناقض فيه تناقضاً عجيباً، فأورده في "التابعين " (٥/ ٣٣٨) بروايته عن أنس! وما إخاله يصح، ثم ذكره (٩/ ٢٧) فيمن روى عن "أتباع التابعين "؛ بروايته عن الثوري[1]! ولعل الصواب أن يذكر في "أتباع التابعين "؛ لأنه روى عن نعيم بن أبي هند كما في هذه الرواية، وكما في "الجرح"، وقال (٣/ ٢/ ١٧٠):

"روى عنه الثوري وابن شبرمة وعبيد الله الوَصَّافي وفُضَيل بن غزوان وورقاء ابن عمر".

فإن هؤلاء أكثرهم من أتباع التابعين، غير ابن شبرمة- واسمه- عبد الله؛ فإنه تابعي كنعيم بن أبي هند، وعبيد الله الوصافي- وهو ابن الوليد-؛ فإنه من الرواة عن التابعين، فمن المحتمل أن يكون كُرْز هذا من صغار التابعين، وكان مشهوراً بالعبادة، بل وبالمبالغة فيها، وحكوا عنه في ذلك عجائب، له ترجمة واسعة في

(١) كذا وقع فيه، والصواب أن الثوري روى عنه؛ كما يأتي عن "الجرح والتعديل ". [منه].

"تاريخ جرجان " (ص ٣٣٦- ٣٤٤)، و"الحلية " (٥/ ٧٩- ٨٣)، و"سير أعلام النبلاء" (٦/ ٨٤- ٨٦)، ولقد عجبت منه- والله! وهو المحدث السلفي- كيف سكت عن بعض تلك المبالغات؟! مثل ختمه للقرآن في اليوم والليلة ثلاث مرات، وهو يعلم أنه خلاف السنة، لقوله ﷺ :

«لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ».

بل إنه سكت عما هو أدهى وأمرُّ، وهو أنه سأل ربَّه أن يعطيه الاسم الأعظم، فسأل أن يقوى على الختم المذكور! وهذا من الاعتداء في الدعاء المنهي عنه أيضاً في قوله ﷺ:

«سيكون قوم يعتدون في الدعاء».

وهو مخرج في "صحيح أبي داود" (١٣٣٠).

وجملة القول؛ أن هذه الجملة قد اختلف في ضبطها عن ابن مسعود رضي الله عنه على اللفظين السابقين:

الأول: "ولكني على ما أشاء قادر".

والآخر: "ولكني على ذلك قادر".

واللفظ الأول أصح إسناداً كما هو ظاهر.

لكن الآخر- مع صحة إسناده- مطابق لنص الآية تمام المطابقة: (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير). لأن المعنى: إذا يشاء ذلك الجمع، قال العلامة الآلوسي في "روح المعاني":

"و (إذا) متعلقة بما قبلها لا بـ (قدير)؛ لأن المقيّد بالمشيئة جمعُه تعالى، لا

قدرته سبحانه ".

قلت: وعلى ضوء تفسيره للآية، نقول: إن اسم الإشارة في الحديث: "ذلك " يعود إلى ما أعطى الله عز وجل عبده من النعم الكثيرة التي لا يستحقها؛ فضلاً منه تعالى عليه، فلما قال ما قال مستكثراً ذلك عليه؛ قال تعالى: "ولكني على ذلك قادر"، فإذا فُسِّرَ بهذا اللفظ الأول أيضاً ولم يوقف عند ما فيه من مفهوم المخالفة، المشعر بأنه تعالى غير قادر على ما لا يشاء؛ على حد قوله تعالى: ﴿لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ونحوه من المفاهيم التي قامت الأدلة القاطعة على أنها غير مرادة، إذا فسر هذا اللفظ الأول بهذا الذي دل عليه اللفظ الثاني؛ استقام المعنى، ولم يبق أي إشكال إن شاء الله تعالى.

هذا ما عندي من علم، فإن أصبت؛ فمن الله، وإن أخطأت، فمني، وأستغفره تعالى من كل ذنب لي، ومن كان عنده فضل علم؛ فليتفضل به شاكرين له.

"الصحيحة"(٧/ ١/ ٣٤٥-٣٥٣).

[١٧٩٠] باب منه

[قال رسول الله ﷺ]:

«آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين . فترفع له شجرة، فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله عز وجل: يا ابن آدم! لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا يا رب، ويعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها . ثم ترفع

له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها . فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ - فيقول -: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها ويشرب من مائها . ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي رب أدنني من هذه لأستظل بظلها وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها . فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي رب أدخلنيها! فيقول: يا ابن آدم! ما يصريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب! أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ - فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مم أضحك؟ فقالوا: مم تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ - فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر . (و في رواية: قدير).

[قال الإمام]:

(تنبيه): دل قوله تعالى في آخر الحديث: " ولكني على ما أشاء قادر أو قدير " على خطأ ما جاء في التعليق على " العقيدة الطحاوية " (ص ٢٠) نقلا عن بعض الأفاضل: "يجيء في كلام بعض الناس: وهو على ما يشاء قدير، وليس بصواب.." . فأقول: بل هو عين الصواب بعد ثبوت ذلك في هذا الحديث، لاسيما ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾(الشورى: ٢٩) وذلك لا ينافي عموم مشيئته وقدرته تعالى كما توهم المشار إليه، والله أعلم.

"الصحيحة"(٦/ ١/ ١٩٣-١٩٥).

[١٧٩١] باب حكم قول أحدهم: صدفة

سؤال: قول أحدهم: صدفة.

الشيخ: هذه الكلمة في حد ذاتها ما فيها إشكال مثل كلمة الحظ، فالمتكلم بها هو ونيته، فإن كان يقصد صدفة بمعنى لا قدر فهو كفر، وإن كان يقصد لفظة حظ بمعنى لا قدر كذلك، أما إذا كان يقصد أنه هذا كله بأمر الله وتقديره فما في شيء.

"الهدى والنور" (٢١٦/ ٢٥: ١٩: ٠٠)

[١٧٩٢] باب متى تجوز قولة: لو؟

سؤال: طيب! ما جاء عن النهي عن اللو يا شيخ، وقول النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»(١) إلى آخره.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: كيف نوفق؟

الشيخ: قد كنت قرأت توفيقًا بين النهي عن أن يقول أحدنا لو فإن لو تفتح باب ماذا؟

مداخلة: عمل.

الشيخ: نعم، وبين ما جاء في مثل هذا الحديث، لكن الحقيقة أنني الآن لا أستحضر الجواب، فلا بد أنكم تستحضرون ذلك فأفيدوا السامعين.

.. ونصف العلم لا أدري، فأنا إذًا في امتناعي من الجواب صرت نصف

---

(١) تمامة: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت، ولولا أن معي الهدي لأحلت". أخرجه البخاري (رقم ١٥٦٨).

عالم، فلا يضيق صدر أحدنا إذا كان لا يعلم الجواب أن يقول: لا أعلم.

مداخلة: ما يقال في هذا بأن النبي ﷺ قال ذلك؛ لأنه يشرع لأمته، فقال: هو حتى يدلهم على الأمر الأفضل أو الواجب كما يقول بعض أهل العلم.

الشيخ: لكن هذا ليس هو جواب الإشكال الذي طرحته؛ لأن بإمكان النبي ﷺ أن يأتي بعبارة ليس فيها: لو، لكن سبحان الله ذهب عن ذهني لأن مثل هذه القضية ليست قضية عملية يقرأها الإنسان، ثم مع الزمن والشيخوخة والطعن يصبح الأمر نسيًا منسيًا.

مداخلة: يا شيخ كأنك ذكرت في "حجة النبي ﷺ" ما إذا كان في التحسر لا تجوز، أما إذا كانت في تمني الخير كأن يقول: لو كان لي مال ...

الشيخ: ارفع صوتك.

مداخلة: الذي أستحضر الذي ذكرتموه في حجة النبي ﷺ، أنه إذا كانت للتحسر فلا تجوز، أما إذا كانت لتمني الخير، كأن يقول مثلًا قائل: لو كان لي مثل مال فلان لتصدقت جاز هذا.

الشيخ: صحيح هذا هو، هذه البضاعة المنشودة.

"رحلة النور"(٣٢أ/ ٠٨:٢٧:٠٠)

[١٧٩٣] باب حكم مقولة: فلانة مكتوبة لفلان

سؤال: في العام الماضي جاء بعض المشايخ [تكلموا] ... في الثقافة الإسلامية على القضاء والقدر، ... ومشكلة الزواج، نسمع من العامة إنه فلانة مكتوبة لفلان، فلما سُئِلْتُ طبعاً، قلت: القضاء والقدر نؤمن به، ولا نستطيع أن

نتعداه، ولكن الزواج أمر يدخله العقل، أمر يدخله العقل، الاستدلال اللي استدلت به أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «تنكح المرأة لأربع» وفي نهاية الحديث يقول: «فعليك بذات الدين تربت يداك» فالرسول عليه السلام دعانا إلى الودود الولود، إذاً لو آمنا بنظرية الناس بأن الزواج أو الزوجة هي مكتوبة، إذاً عليّ أنا في أول يعني جهة أذهب دون أن أسأل عن الدين والأخلاق، وكذا أقول هذه كتبت لي وآخذ بها، فأين مجال العقل في الزواج، وأين مجال القضاء والقدر في الزواج؟

الشيخ: كلام الناس يا أخي ما يخرج عما قلناه آنفاً وهم مع ذلك لا يعنون أن فلانة هي مكتوبة إليّ؛ لأنه قلنا إنما الأعمال بالخواتيم، هو فلانة بيزعم مكتوبة له، بيسعى وراءها بيخطبها، فقد يستجيب أهلها وقد لا يستجيبون، يا أستاذ يجب أن تستحضر قوله عليه السلام: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[(١)] "كل شيء بقدر" يعني: أنا زوجتي، أنت زوجتك، هذا كله مقدر، لكن لا تنسى قولك القدر غيب، فما أحد يستطيع أن يقول: فلانة هي زوجتي، لكن فلانة لو كان الله مقدر تكون زوجتي ما أحد يستطيع أنه يمنعها عني، بدها تصير زوجتي، بدها تصير زوجتي شاء أو أبى، فقول العامة يمشي مع هذا الكلام ... العام كل شيء بقدر، لكن متى يقال فلانة كانت زوجته في الغيب لما صارت زوجته، أما قبل ذلك لا يمكن أن يقال، ولا هم يقولون هذا يعني ما يقصدون هذا.

مداخلة: كيف التوفيق العقلي يعني الله تعالى أمرني أو النبي ﷺ أمرني أن أفتش عن ذات الدين؟

---

(١) "صحيح الجامع" (رقم ٤٥٣١).

الشيخ: لا هذا من الأخذ الأسباب اللي مضى الكلام فيه، هذا من الأخذ بالأسباب التي أُمِرْنا بها، وقد قلت لك: فرق بين السعادة والشقاوة، الأسباب فيها مربوطة بمسبباتها حتماً بخلاف الأمور الدنيوية فقد تثمر وقد لا تثمر، فأنت مثلاً بلغك خبر امرأة صلاحها ودينها وجمالها وغناها وكل شيء فيها من أحسن ما يكون، فتسعى حثيثاً لخطبتها، لكن في النهاية لا سمح الله أو سمح الله وانتهى إن شاء الله ترجع بخفي حنين، ليه؟ لأن مو فرض إنك أتيت بالسبب لتكون سعيداً في الدنيا، هذا السبب مش قاطع، لا تنسى ذلك: من كان يريد العاجلة عجلنا له، فهذه عاجلة، أما السعادة الأبدية هذه ما تتخلف عن أسبابها أبداً، المهم الكلمة التي حكيتها عن العامة فهي كلمة حق، ولا يراد بها الكشف عن الغيب، إنه فلانه ستكون زوجة فلان، هذا ما أحد يقوله الحمد لله.

" الهدى والنور (٣٤/ ٣٩: ٢٨: ٠٠ طريق الإسلام)

[١٧٩٤] باب حكم قولهم الزواج قسمة ونصيب

سؤال: هل الزواج قسمة ونصيب أي: أنه يكون بمجرد الولادة الفتاة أو الرجل مكتوبة لهذا الزوج أو الزوجة؟ أو هي اختيار يعني؟

الشيخ: سامحك الله، ما هو الفرق بين هذا السؤال وبين سؤال واحد غني وآخر فقير، وواحد جميل وواحد قبيح، ... إلى آخر الأمثلة، بلا شك إنه المقدر على الإنسان هو أمر واقع ما له من دافع، لكن هو مكلف بسعيه، ثم هو لا يسأل عن عاقبة الأمر إذا ما وقع على خلاف اختياره، فهذا خطب امرأة كان حريصاً أن يخطبها وهي صالحة، وإذا بها مع الزمن تنكشف أنها طالحة طبعاً نصيب، لكن كل شيء بقدر كما قال عليه السلام: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس» لكن

هذا لا يعني أن الإنسان في حدود قدرته وطاقته ما هو مكلف أن يسعى لاختيار الخير، لا هذا شيء آخر، فعلى الإنسان أن يسعى ثم البقية على الله تبارك وتعالى، فالجواب طبعاً هو نصيب، لكن ما نريد أن نفهم من أنه نصيب؟ إذاً: الإنسان - مثلما بيقولوا الجماعة - يتوكل على الله وبس، لا؛ يتخذ الأسباب ثم يتوكل على رب الأرباب.

مداخلة: ... يا شيخ معنى هذا أنه الكلام المشهور بأنه نصيبك بإيدك؟

الشيخ: كيف؟

مداخلة: لما نقول مثلاً: والله هذه زوجتي ...، هذا نصيبي.

الشيخ: أيش شو بيقولوا؟

مداخلة: نصيبك بأيدك.

الشيخ: لا باطل هذا الكلام.

"الهدى والنور" (١٣٤/ ٤٦: ١٨: ٠٠)

[١٧٩٥] باب هل تجوز نسبة الشيء إلى سببه الذي جعله الله سببًا له؟

مداخلة: ما تقولون في هذا البيت من حيث العقيدة:

دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفساً إذا حكم القضاء

الشيخ: هذا من يقول بالمجاز وكان مسلمًا، فيستساغ منه على التأويل، كقولهم:

أنبت البقلَ الربيعُ

أما من كان يساء الظن به فلا يتكلم به، ومن كان [ممن] يعلمون أن المؤمن إنما ينسب كل تصرف في الكون إلى الله، ولكن ذلك لا يمنع من نسبة الشيء إلى السبب الذي جعله الله عز وجل سببًا كمن يقول: أشبعني هذا الخبز، وأرواني هذا الماء، فليس في هذا شيء ولكن ينبغي أن يلاحظ المكان الذي يقال فيه مثل هذا الكلام، فإذا كان [بين ناس لا يفهمون] فلا ينبغي أن ينطق به، ويكفي في هذا قوله عليه الصلاة والسلام: «إياك وما يعتذر منه»[1] فإذا تكلمت بمثل هذا الكلام الذي يحتاج إلى شيء من التأويل بين ناس لا يفهمون عليك ما تقول يأتي قول الرسول المذكور: «إياك وما يعتذر منه» أما إذا كان يعيش بين أناس من العرب لا يزالون على التوحيد وعلى الفهم لأصل لغتهم فما أحد يشك بأن هذه العبارة من باب المجاز المستعمل في اللغة وليس في الكتاب أو السنة، على ما هو مشروح في كتب ابن تيمية رحمه الله.

"رحلة النور"(٣١أ/ ٠٤:٣٣:٠٠).

[١٧٩٦] باب منه

سؤال: طيب! في «لولا»، يقول: الضابط في «لولا»؟، فقد قال النبي ﷺ: «ولولا البهائم لم يمطروا »[2] وقال عن عمه أبا طالب: «ولولاي لكان في الدرك الأسفل من النار»[3].

(١) "صحيح الجامع" (رقم ٢٦٧١)، " الصحيحة" (١/ ٦٢٢)

(٢) "صحيح الجامع" (رقم ٥٢٠٤، ٧٩٧٨)، "الصحيحة" (١/ ١٦٧).

(١) "البخاري" (رقم ٣٦٧٠)، ومسلم (رقم ٥٣١).

الشيخ: ما فهمت السؤال

مداخلة: ضابط لولا؛ ما يجوز منها وما لا يجوز قول النبي ﷺ: «ولولا البهائم لم يمطروا» وقوله عن عمه أبا طالب: «ولولاي لكان في الدرك الأسفل من النار».

الشيخ: هذا في اعتقادي يختلف عن ذاك

مداخلة: كأن يقول إنسان: لولا كذا لكان كذا، ألا يجب عليه أن يقول: لولا الله ثم ..

الشيخ: لا، هذا يرجع إلى الموضوع السابق: أنبت الربيع البقلة، وأشبعه الطعام ونحو ذلك، هذا أسلوب في العربية معروف، نعم، شرحنا هذا آنفًا.

"رحلة النور"(٣٢أ/ ٢٧:٢٩:٠٠)

جماع أبواب

الكلام على مخالفي أهل السنة في أبواب القضاء والقدر وبيان أسباب وقوعهم فيما وقعوا فيه والرد عليهم

[١٧٩٧] باب تعريف القدرية

[قال الإمام]:

(القدرية) هم المنكرون للقدر، من المعتزلة قديماً، وأشباههم حديثاً!

"تحقيق الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام"(ص ٦٤)

[١٧٩٨] باب عرض المذاهب في القدر مع بيان كيفية محاججة الجبرية

[قال الإمام]:

في مذاهب إسلامية قديمة، بل فرق إسلامية منهم من يقول: إن الإنسان مجبور ولا يملك شيء من الحرية والاختيار، ومنهم من يقول: لا، هو مختار ويخلق أفعال نفسه وهؤلاء المعتزلة وتلك الجبرية، منهم من يقول: أن الإنسان في أمور مختار فيها وفي أمور مسير فيها، والآن الفكرة الشائعة عند عامة الناس فكرة هي الجبر بعينه حيث يقولون: الإنسان مسير ليس مخير.

لما يتناقش سني وهو الذي يقول: أن الإنسان مخير في التكاليف الشرعية مع جبري، يدخلوا طبعاً في نقاشات حول آيات حول أحاديث إلى آخره، يقول أحد علماء السنين يقول: فإذا ما تجاوب معك هذا الجبري بكل هذه المناقشات والأدلة: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٢٩) يعني: نص القرآن: أن الإنسان عنده مشيئة، لم يتجاوب معك اصفعه هنا الشاهد، هذا يصيح يقول: لماذا؟ قل له: مجبور.

"الهدى والنور" (١٣٧/ ٢١: ٤٦: ٠٠)

[١٧٩٩] باب بيان نشأة مذهب المعتزلة وضلال قول الجبرية والقدرية

سؤال: بالنسبة لو تعطينا نبذة عن فرقة المعتزلة، من هم الذين اتفق عليهم من قبل معتزلة؟

الشيخ: من هم أيش؟

مداخلة: من الذين أسسوا فرقة المعتزلة، هل هم من السلف الصالح؟

الشيخ: لا: حاشاهم، هو من هؤلاء الرؤوس واصل بن عطاء، منهم الجهم بن صفوان...

مداخلة: الجهم بن صفوان على العكس.

الشيخ:المهم، عطني بالكم أنا بدي أرجع لكم شيء هو من الحقائق.

مداخلة: زين العابدين، أبو محمد النفس الزكية.

الشيخ: شو بهم هادول؟

مداخلة: هل هم هادول المعتزلة الأصلية؟

الشيخ: راح أقول لك يا أخي لا يجوز أن نقول إن مذهب المعتزلة أسسه فلان بعينه، مذهب الجبرية أسسه فلان بعينه، لا هي مذاهب، يأتي رجل برأي نفترض أن هذا الرأي موافق للسنة، فيتبعه الناس ويؤيدونه وينصرونه، لا يقال هو دعا إلى هذا المذهب، وإنما هو رأي تبناه وكان صواباً، ثم تبعه العلماء وطلاب العلم والناس جميعاً، وهذا يعود إلى ما ذكرناه آنفاً بالنسبة للأئمة الأربعة.

على العكس تماماً الآن لا يمكن أن يقال: أسس مذهب المعتزلة هو شخص

واحد، أول من دعا مثلاً إلى القول بخلق القرآن هو شخص معروف حتى شو اسمه؟

مداخلة: الجهم.

الشيخ: الجهم وقتل وذبح، لكن هذا.

مداخلة: الجعد بن درهم.

مداخلة: نعم شيخنا.

الشيخ: هذا ضحي به.

مداخلة: خالد القسري.

الشيخ: أي نعم، فهذا أول من دعا إلي إيه؟ إلى أن كلام الله مخلوق، لكن هذا الرأي تبنته المعتزلة، لكن المعتزلة ما صاروا معتزلة لأنه تبنوا هذا الرأي، لا تبنوا آراء أخرى كثيرة، وكثيرة جداً، منها مثلاً: أنهم يقولون: الإنسان يخلق أفعال نفسه، منها مثلاً: أنهم يقولون إن الله عز وجل لا يراه المؤمنون يوم القيامة خلافاً للآية الكريمة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(القيامة:٢٣).

القصد هذه المذاهب تتشكل وتتأسس على مضي الزمن، فلا يصح أن يقال أن المذهب الحنفي مثلاً هو أسسه أبو حنيفة، لا. أبو حنيفة كان له أصحاب أبو يوسف، محمد بن الحسن، زفر الخ.

كذلك المذاهب الأخرى، السؤال حينئذ يكون خطأ، وإن كان لا يترتب من ورائه يعني فائدة تذكر، وإنما الفائدة أن تعرف إنه مذهب المعتزلة صواب فنتبعه، أم ضلال فنجتنبه، هذا هو الصواب الصحيح من السؤال، والجواب يكون: المعتزلة هم بلا شك طائفة من المسلمين ولكنهم انحرفوا عن العقيدة الصحيحة السلفية في كثير من الجوانب، ومنها ما ذكرت آنفاً، وهم حينما قالوا: إن الإنسان

يخلق أفعال نفسه أرادوا بذلك الرد على طائفة من الطوائف الأخرى وهم الجبرية، الجبرية يقولون: إن الإنسان مجبور على الخير والشر، وهذا ضلال، قابل هذا الضلال المعتزلة بضلال آخر: لا: الإنسان يخلق أفعال نفسه.

والصواب طبعاً: هو عقيدة أهل السنة الذين يرون أن الإنسان ليس مجبوراً في كل شيء، هو مختار في كثير من أعماله، مجبور في كثير من أفعاله، ولكن حيث وجد الاختيار وجد التكليف، وحيثما وجد الإجبار رفع عنه التكليف، لماذا؟ لوجود علة المؤاخذة أو لفقدانها، حيث يوجد الاختيار فهو علة المؤاخذة، وحيث يوجد الإجبار فلا مؤاخذة.

المعتزلة يقولون: الإنسان يخلق أفعال نفسه، هو كذب وافتراء على الله؛ لأن الله هو الخالق ولا شريك له، الجبرية عكس هؤلاء يقولون: كما قال شاعرهم يصف ربهم:

ألقاه في اليم مكتوفاً ثم قال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

هكذا نحن معشر المسلمين اللي بنصلي وبنصوم غصباً عنا؟ لا والله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٢٩).

مداخلة: ... لو سمحت والله مسألة مرتبطة في هذا الموضوع وهو أن المعتزلة جابوا آيات قرآنية، والجبرية جابوا آيات قرآنية، يعني يلتبس فيها الأمر، المعتزلة مثلاً قالوا: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(المدثر:٣٨)، الجبرية قالوا: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾(الصافات:٩٦).

الشيخ: وما تعملون، نعم.

مداخلة: يعني ظاهر الآيات يؤيد رأي كل جهة يعني.

الشيخ: يعني يؤيد التناقض؟

مداخلة: بدنا نحن توضيح لهذا الشيء.

الشيخ: ها هذا ليس مجاله بارك الله فيك، بس لازم أنت تحضر في بالك، لازم تحط في بالك قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾(النساء:٨٢). فوجود هذا الاختلاف في مذهبين رأساً يجب أن تحكم بأنه مستحيل أن يكون في الشرع الإسلامي خاصة في القرآن الكريم، لكن أرى أنني لا بد أن أجيب جواباً مختصراً جداً.

شو الآية اللي قلتها أنت: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(المدثر:٣٨).

مداخلة: يعني ظاهرها: التخيير.

الشيخ: معليش، ونحن قلنا آنفاً شو عقيدة أهل السنة؟

مداخلة: الاختيار، في اختيار وجبر.

الشيخ: طيب، أنت الآن هل تعتقد معنا أنه في اختيار وفي جبر، ولا ما تعتقد؟

مداخلة: بالتأكيد.

الشيخ: طيب، إذن فنحن لسنا معتزلة نحن عم بنقول بقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(المدثر:٣٨)، صدق الله، لكن الآن يأتي: هل هذا الإنسان الذي اكتسب خيراً فسيجزى خيراً، أو اكتسب شراً فسيجزى شراً، هل هو فعل هذا [جبراً]... ولّا ربنا عز وجل خلقه بشراً سوياً، ومكنه وقدره، وخلق فيه قدرة يتمكن بها من التصرف بما يريد من خير أو شر؟

كما قال تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾(الواقعة:٥٩)، لا، هو الخالق،

فإذاً إذا رجعنا إلى ملاحظة أن هذا الإنسان الذي له هذا الكسب الاختياري أن الله عز وجل هو الذي خلقه في هذه الصورة، وقدره على أن يفعل خيراً إن شاء، أو شراً إن شاء، كيف يقال: إن الإنسان يخلق فعله، سواء كان خيراً أو شراً بنفسه؟

هذا تحدي للخالق الأكبر، وهذا هو الكفر، ولذلك جاء في بعض الأحاديث: «القدرية مجوس هذه الأمة»[1]، القدرية مجوس هذه الأمة، لماذا؟ لأن المجوس يقولون: في خالقَين؛ خالق للخير وخالق للشر، وهؤلاء يقولون شر من قول المجوس: إن كل إنسان يخلق أفعاله بنفسه، فإذن إذا آمنا بالآية والآيات الأخرى التي في معناها: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(المدثر:٣٨). لا يلزمنا أن نقول: إن الإنسان يخلق أفعاله خلقاً؛ لأن شو معنى الخلق؟ هو الإيجاد من العدم، فهل نحن نوجد شيئاً من العدم؟

مداخلة: لا.

الشيخ: لا. فإذاً قولهم بأن الإنسان يخلق أفعاله بنفسه هذا من أبطل الباطل، كما أن طريقة الجبرية أيضاً هم مثل المعتزلة مبطلون حين يقولون: إن الإنسان مجبور، والأمثلة نشاهدها في كل ساعة من حياتنا، بل بكل حركة من حركاتنا.

أنا الآن أتكلم معكم، هل يستطيع أحد أن يقول: أنا مجبور؟

هلَّا بقى نتحدى؛ أنت مجبور على الكلام، هه... [وسكت **الشيخ**] بلحظه الآن بيخرسني ما حد جبرني، إذن أنا مختار، لكن هذه الخيرة لو شاء الله لا سمح الله بلحظة الآن بيخرسني.

شو بيطلع بيدي، كيف يقول بقى المعتزلة: اخلق الكلام، لا، فكل شيء

(١)"صحيح الجامع" (رقم ٤٤٤٢).

بقضاء وقدر، كما قال عليه السلام: «حتى العجز والكيس».

وهذا بحث طويل جداً، ونحن تكلمنا عنه مراراً وتكراراً، لكني أقول: كلمة قضاء الله وقدره عقيدة إسلامية، وإن عجز مسلم ما أن يجمع في ذهنه بين اعتقاده: إن الإنسان والله مخير؛ لأنه لو كان مسيراً مثل ما بيقولوا الجهلة ما يقال له:

افعل أو لا تفعل، مثل ما قال هاداك الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفاً ثم قال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

لو وصف إنسان رجلاً بهذا الوصف الذي وصف هذا الشاعر به لنسبه إلى الظلم، إنسان لو وصف ملكاً أو رئيساً بهذا الوصف لوصفه ظالماً، ما بعده ظلم، فما باله وهو يصف رب العالمين: خلقه وألقاه في اليم مكتوفاً ثم قال له: إياك إياك أن تبتل بالماء، حاشا لله، وإنما قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٢٩)، وقال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(البلد:١٠)، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾(الشمس:١٠)، إلى آخره.

إذن كل من المذهبين: المعتزلة والجبرية باطل والحق بينهما.

الإنسان فيما كان مخيراً فيه هو مأجور أو مأزور، وفيما وقع منه رغم أنفه فهو غير مسؤول.

"الهدى والنور" (٥٢٩/ ١٨: ١١: ٠٠)

[١٨٠٠] باب بيان معتقد الجبرية والرد عليهم

سؤال: نرجو من فضيلتكم إيضاح معتقد الجبرية وكيفية الرد عليهم بشبهة أن الله قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض بزمن بعيد، فكيف يقال بأن الإنسان مخير في أعماله كالطاعة والنسيان؟

الشيخ: المسألة في الحقيقة سهلة عند من أحاط معرفةً بتقادير الله عز وجل السابقة للحوادث، فإذا نحن درسنا أي حادثة من الحوادث وقعت فلا نشك أن هذا الواقع هو الذي سبق في اللوح المحفوظ وسجل قبل أن يقع، لنضرب على ذلك بعض الأمثلة: القاتل العمد والقاتل الخطأ، والمجتهد المصيب والمجتهد المخطئ، فلان قتل عامدًا، ترى! في اللوح المحفوظ ما الذي كتب؟ أنه سيقتل عامدًا، والآخر قتل خطأً، ترى! ما الذي كان مكتوبًا في اللوح المحفوظ؟ يقتل عامدًا أم يقتل خطأً؟ لا شك أن القدر الإلهي سابق للحوادث وهو بعلمه تبارك وتعالى الأزلي السابق يكتشف هذه الحوادث وسجلها في اللوح المحفوظ قبل وقوعها، فهي كما وقعت سجلت، وحينئذٍ نقول: القاتل العمد قتل باختياره أم باضطراره، وعلى العكس القاتل الخطأ قتل أيضًا باختياره أم رغم أنفه؟ سيأتي الجواب: القاتل الأول قتل باختياره، والقاتل الثاني قتل رغم أنفه ليس باختياره، فهل نحن لأنه ربنا تبارك وتعالى بالقدر الذي سبق أن سجل المخلوقات كلها؛ لأننا علمنا هذه الحقيقة، هل معرفتنا بهذه الحقيقة تضطرنا نحن أن نغير علمنا بهذا الواقع، قلنا: أن أحد القاتلين قتل باختياره، فهل نقول: إنه قتل رغم أنفه؛ لأننا اعتقدنا أنه سبق في كتاب الله عز وجل أنه سيقتل؟ كان جوابنا: سبق في كتاب الله أنه سيقتل باختياره، فإذًا الاختيار ثابت في القدر كالاضطرار تمامًا، ولذلك كان كنتيجة بدهية جدًا أن الله عز وجل يعذب القاتل العمد ولا يعذب القاتل الخطأ؛ لأن القاتل العمد قتل باختياره، فالاختيار لا يمكن إنكاره لمجرد اعتقاد أن هذا القتل سجل في اللوح المحفوظ، لكن ينبغي أن نتذكر أن الذي سجل في اللوح المحفوظ سيقع بكل دقة.

وقد قلنا أن الذي وقع وقع باختياره، فهذا مطابق القدر الإلهي أو مخالف؟

كان مطابق للقدر الإلهي، ولهذا فالذين يقولون بالجبر هم يخالفون القدر الإلهي، ويريدون أن يسووا بين ما كان مكتوبًا في اللوح المحفوظ وفي القدر الإلهي بالاختيار أو بالاضطرار، من أجل هذا فرق الشرع والقانون والعقل بين من كان مختارًا في شيء، وبين من كان غير مختار، فمناط التكليف إنما هو بوجود الاختيار، فإذا انتفى الاختيار انتفى التكليف، فالقول بالجبر ينفي القدر، بينما هم يريدون من إثبات الجبر بأنه ثبت في القدر، القدر قسمان: مسجل بالاختيار أنه سيفعل كذا ومسجل بالاضطرار أنه سيفعل كذا، فإذًا يعود قولهم بالجبر مستميلين إلى القضاء والقدر تعود الحجة عليهم على خلاف ما يزعمون.

وهناك نكتة لبعض الظرفاء: إذا قال لك الجبري: كل شيء يفعله الإنسان فإنما هو مضطر؛ لأنه مكتوب في اللوح المحفوظ وأنه لا بد أن يقع، قل له: فهل المضطر مؤاخذ ومكلف؟ سيقول لك: لا، فما عليك بعد أن يقول هذه الدلالة إلا أن تصفعه صفعة في خده مثلًا، فهو سيقول: أخ لماذا ضربتني؟ قل له: مضطر، مضطر كلام من أسخف ما يكون والإنسان خلقه الله عز وجل في أحسن تقويم.

أنا أقول مثلًا: أين الاضطرار؟ أنا الآن أتكلم معكم يا ترى! مختارًا أو مجبورًا؟ إذا قلت: مجبورًا هه.. [سكت الشيخ] هه مجبور عن السكوت هه سأتكلم معكم، أين الاضطرار المزعوم، فالله عز وجل أحكم الحاكمين خلق الإنسان ومكنه من عمل الخير كما مكنه من عمل الشر، ولذلك قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٢٩) فالمشيئة البشرية تحمل الخير والشر ..

[صوت مختلط لا يفهم]

.. ربنا عز وجل قد فرق بين من كفر اختيارًا وبين من كفر اضطرارًا: ﴿إِلَّا مَنْ

أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَـئِنٌّ بِـالإِيمَانِ﴾(النحل:١٠٦) ولقد روى بعض علماء التفسير كابن حجر وكابن جرير الطبري وغيره أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه حيث عذبه المشركون كما عذبوا بلالًا، ثم يظهر أنهم شعروا منهم شيئًا من الضعف والارتخاء فعرضوا عليه أن يكفر بمحمد ﷺ وأن يقول فيه: إنه كذاب.. إنه ساحر.. إنه شاعر، قالوا له: إن قلت هذا أطلقنا سراحك،..فقال هذه الكلمات فأطلقوه، فجاء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فبعد هذه الراحة التي وجدها عاد إليه رشده فأنبته نفسه كيف أنا قلت فيمن هداني الله بسببه: إنه كذاب.. إنه ساحر.. إنه شاعر، فشكا الأمر إلى النبي ﷺ لعله ترتاح نفسه مما بدر منه من الخطأ، فقال له عليه الصلاة والسلام: «كيف تجد قلبك؟» أي: هذه الكلمات التي هي الكفر بعينه هل أنت مطمئن إليها، ومنكر صدقي ونبوتي وإلى آخره؟ قال: أجد قلبي مطمئن بالإيمان، فقال عليه الصلاة والسلام: «فإن عادوا فعد»[1].

فالآن: مَن مِن العقلاء ممن أوتي ذرة من عقل ولب يسوي بين كفر عمار بن ياسر وكفر أبي لهب وأبي جهل، هل يستويان مثلًا؟ الجواب: لا، لكنهما كل من الكفرين مسجل في اللوح المحفوظ، لأن الله قال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨) لكن هذا المسجل هو الذي وقع، فلماذا هؤلاء الجبريون يتخذون إذًا الكتابة السابقة دليلًا على أن المقصود مجبور عليه صاحبه، والمكتوب فيه تفصيل تارةً قد يكتب مجبوراً، وتارًة قد يكتب مختارًا، فالقدر نفسه مطابق الواقع له، فما كان جبرًا فلا مؤاخذة كما في قصة عمار بن ياسر، وما كان اختيارًا كما في قصة أبي لهب وأبي جهل وأمثاله من الكفرة، فبهذا يمكن الرد على هؤلاء الجبرية، ويكفي أن تعرفوا خطورة مذهبهم وسخافة عقولهم ما قاله الشاعر

(١) "مستدرك الحاكم" (٢/ ٣٨٩) "السنن الكبرى" للبيهقي (٨/ ٢٠٨).

في حقهم ممثلًا لهم كيف اعتقدوا في ربهم الظن الذي يترفع عنه أظلم الناس حيث وصفوا ربهم بقولهم كما قال الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفًا ثم قال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

هل يغلله بالأغلال ثم يرميه في البحر ويقول له: إياك يصيبك رشاش الماء، أظلم الناس ما يفعل هذا، أما هم فقد وصفوا ربهم بما لا يليق بأظلم الناس وأفجر الناس:

ألقاه في اليم مكتوفًا ثم قال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

أما الله عز وجل فقد صرح بأنه لا يظلم الناس شيئًا، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وفي الحديث القدسي، قال الله تبارك وتعالى: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي! لو اجتمع أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم على صعيد واحد فسألني كل واحد مسألته فأعطيته إياها ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي! – وهنا الشاهد – إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»(1).

---

(1) "صحيح مسلم" (رقم ٦٧٣٧).

هل هذا الحديث من أوله إلى آخره يدل على أن الإنسان لا يملك التصرف.. لا يملك أن يكون صالحًا، ولا يملك أن يكون طالحًا، فإذا كان طالحًا فعذبه رب العالمين وهو يقول: أنا حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا، أي: الظلم الذي تعرفونه بينكم ظلمًا هو عندي ظلم فنزهوني ولا تنسبوا إلي الظلم، فإذا رجعنا إلى ذلك البيت الذي وصف عقيدة الجبرية:

ألقاه في اليم مكتوفًا ثم قال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

هذا في عرف البشر عدل أو ظلم؟ هو ظلم، إذًا: ربنا عز وجل يعلم الناس أنه أنزه من أن يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون، نعم.

"رحلة النور"(٤١ أ/ ٠٠:٠٦:٣٤)

[١٨٠١] باب الرد على الجبرية الذين يستدلون بقوله ﷺ: «كل ميسر لما خلق له» على ضلالهم

[قال الإمام معلقاً على قول صاحب الطحاوية:- «وكذلك [أي يعلم الله] أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه وكل ميسر لما خلق له»]:

هو قطعة من حديث علي المروي في «الصحيحين» وقد خرجته في «تخريج السنة» برقم (١٧١). وقد صح أن بعض الصحابة لما سمعوا هذا الحديث منه ﷺ قالوا: إذا نجتهد، وفي رواية: فالآن نجد الآن نجد الآن نجد . انظر «السنة» . (١٦١ - ١٦٧) **ففيه رد صريح على الجبرية المتواكلة الذين يفهمون من الحديث خلاف فهم الصحابة فتأمل.**

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٤٠).

[١٨٠٢] باب القدر وحديث القبضتين حق
ورد بعض ما قد يستدل به الجبرية

[قال رسول الله ﷺ]:

عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال في القبضتين: «هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه».

[وقال ﷺ]: «إن الله عز وجل قبض قبضة فقال: في الجنة برحمتي، وقبض قبضة فقال: في النار ولا أبالي».

[وقال ﷺ]: «إن الله عز وجل خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر».

[وقال ﷺ]: «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى، فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي وقال للذي في كتفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي».

-**[وقال ﷺ]**: «إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة بيمينه فقال: هذه لهذه ولا أبالي وقبض قبضة أخرى، يعني: بيده الأخرى، فقال: هذه لهذه ولا أبالي».

[ترجم الإمام لهذه الأحاديث بما ترجمناها به ثم قال]:

(كثير) من الناس يتوهمون أن هذه الأحاديث - ونحوها أحاديث كثيرة - تفيد أن الإنسان مجبور على أعماله الاختيارية، ما دام أنه حكم عليه منذ القديم

وقبل أن يخلق بالجنة أو النار، وقد يتوهم آخرون أن الأمر فوضى أو حظ فمن وقع في القبضة اليمنى كان من أهل السعادة، ومن كان من القبضة الأخرى كان من أهل الشقاوة، فيجب أن يعلم هؤلاء جميعا أن الله ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ لا في ذاته ولا في صفاته، فإذا قبض قبضة فهي بعلمه وعدله وحكمته، فهو تعالى قبض باليمنى على من علم أنه سيطيعه حين يؤمر بطاعته، وقبض بالأخرى على من سبق في علمه تعالى أنه سيعصيه حين يؤمر بطاعته، ويستحيل على عدل الله تعالى أن يقبض باليمنى على من هو مستحق أن يكون من أهل القبضة الأخرى، والعكس بالعكس، كيف والله عز وجل يقول: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

ثم إن كلا من القبضتين ليس فيها إجبار لأصحابهما أن يكونوا من أهل الجنة أو من أهل النار، بل هو حكم من الله تبارك وتعالى عليهم بما سيصدر منهم من إيمان يستلزم الجنة، أو كفر يقتضي النار والعياذ بالله تعالى منها، وكل من الإيمان أو الكفر أمران اختياريان، لا يكره الله تبارك وتعالى أحدا من خلقه على واحد منهما ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، وهذا مشاهد معلوم بالضرورة، ولولا ذلك لكان الثواب والعقاب عبثا، والله منزه عن ذلك .

و من المؤسف حقا أن نسمع من كثير من الناس حتى من بعض المشايخ التصريح بأن الإنسان مجبور لا إرادة له! وبذلك يلزمون أنفسهم القول بأن الله يجوز له أن يظلم الناس! مع تصريحه تعالى بأنه لا يظلمهم مثقال ذرة، وإعلانه بأنه قادر على الظلم ولكنه نزه نفسه عنه كما في الحديث القدسي المشهور:

" يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ... " وإذا جوبهوا بهذه الحقيقة، بادروا إلى الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾، مصرين بذلك على أن

الله تعالى قد يظلم ولكنه لا يسأل عن ذلك! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وفاتهم أن الآية حجة عليهم لأن المراد بها - كما حققه العلامة ابن القيم وغيره - أن الله تعالى لحكمته وعدله في حكمه ليس لأحد أن يسأله عما يفعل، لأن كل أحكامه تعالى عدل واضح فلا داعي للسؤال .

وللشيخ يوسف الدجوي رسالة مفيدة في تفسير هذه الآية لعله أخذ مادتها من ابن القيم فلتراجع .

هذه كلمة سريعة حول الأحاديث المتقدمة حاولنا فيها إزالة شبهة بعض الناس حولها فإن وفقت لذلك فبها ونعمت، وإلا فإني أحيل القارىء إلي المطولات في هذا البحث الخطير، مثل كتاب ابن القيم السابق، وكتب شيخه ابن تيمية الشاملة لمواضيع هامة هذه أحدها.

"الصحيحة"(١/ ١/ ١١٢-١١٧).

[١٨٠٣] باب ما قد يُسْتَدَلُّ به على عقيدة الجبر وبيان بطلانه

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«إذا سمعتم بجبل زال عن مكانه فصدقوا، وإذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به، وإنه يصير إلى ما جبل عليه» .

(ضعيف) .

[قال الإمام]:

وهذا الحديث يستشم منه رائحة الجبر وأن المسلم لا يملك تحسين خلقه لأنه لا يملك تغييره!، وحينئذ فما معنى الأحاديث الثابتة في الحض على تحسين

الخلق كقوله ﷺ: «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه» رواه أبو داود (٢/ ٢٨٨) وغيره في حديث، وسنده صحيح، فهذا يدل على أن حديث الباب منكر، والله أعلم .

"الضعيفة"(١/ ٢٦٠-٢٦١).

[١٨٠٤] باب رد شبهةٍ للجبرية

[سئل الإمام عن مقولة لبعض الناس أنه بما أننا نقول بأن الله هو الذي خلق القلوب ثم صنفها فلا ذنب للإنسان فيما يفعل أو يعتقد].

الشيخ: أولاً: هذا الرجل مسلم أم كافر؟

مداخلة: مسلم.

الشيخ: مسلم. طيب: ... هو ماذا يقول؟

مداخلة: يقول: نحن لا ذنب لنا ...

الشيخ: وفيه مسلم اليوم يقول هذا؟

مداخلة: ... يعني: لا يعتقد هذا، وإنما هو مذبذب كما تقول.

الشيخ: هذا إقناعه إذا قال بالجبر اصفعه على وجهه صفعة تكون ماكنة وقوية، إذا قال: لماذا؟ قل: مجبور.

مداخلة: هل يجوز ضرب [الوجه]؟

الشيخ: ما فيه يجوز أو ما يجوز بالنسبة للمجبور.

مداخلة: نكمل الشيء هذا، فيقول: أن الله تبارك وتعالى هو الذي خلق

القلوب.

الشيخ: خلق القلوب بما فيها من إيمان وكفر؟

مداخلة: هذا كلامه.

الشيخ: ودليله؟

مداخلة: أنه هو الذي خلق كل شيء.

الشيخ: هو خلق كل شيء صحيح، لكن لم يخلق الإنسان مجبوراً على الإيمان والكفر، وإلا حينئذٍ هو يكفر بالقرآن، ما معنى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٢٩)؟!

"الهدى والنور" (٢٧/ ٠٦: ٤١: ٠٠)

[١٨٠٥] باب هل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ يُشَم منه رائحة الجبر؟ والكلام على الإرادة الشرعية والإرادة الكونية

[سئل الإمام]:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(الأنعام٢٥)، يَشُم البعض من هذه الآية رائحة الجبر، فما رأيكم في ذلك؟ [فأجاب]: هذا الجعل هو جعلٌ كوني، ولفهم هذا لابد من شرح معنى الإرادة الإلهية، فالإرادة الإلهية تنقسم إلى قسمين: "إرادة شرعية، وإرادة كونية".

والإرادة الشرعية: هي كل ما شرعه الله عز وجل لعباده، وحضهم على القيام

به من طاعات وعبادات على اختلاف أحكامها، من فرائض إلى مندوبات، فهذه الطاعات والعبادات يريدها تبارك وتعالى ويحُبها .

وأما الإرادة الكونية: فهي قد تكون تارة مما لم يشرعها الله، ولكنه قدرها وهذه الإرادة إنما سُميت بالإرادة الكونية اشتقاقاً من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾(يس٨٢)، فـ (شَيْئًا) اسم نكرة يشمل كل شيء، سواء أكان طاعة أو معصية، وإنما يكون ذلك بقوله تعالى (كُنْ)، أي بمشيئته وقضائه وقدره، فإذا عرفنا هذه الإرادة الكونية – وهي أنها تشمل كل شيء، سواء أكان طاعة أو كان معصية – فلا بد من الرجوع بنا إلى موضوع القضاء والقدر، لأن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، معناه أن هذا الذي قال له (كُنْ) جعله أمراً مُقدراً كائناً لابد منه، فكل شيء عند الله عز وجل بقدر، وهذا أيضاً يشمل الخير والشر، ولكن ما يتعلق منه بنا نحن الثقلين –الإنس والجن المكلفين المأمورين من الله عزوجل– أن ننظر فيما نقوم نحن به، إما أن يكون بمحض إرادتنا واختيارنا، وإما أن يكون رغماً عنا، وهذا القسم الثاني لا يتعلق به طاعة ولا معصية، ولا يكون عاقبة ذلك جنة ولا ناراً، وإنما القسم الأول هو الذي عليه تدور الأحكام الشرعية، وعلى ذلك يكون جزاء الإنسان الجنة أو النار، أي: ما يفعله الإنسان بإرادته، ويسعى إليه بكسبه واختياره هو الذي يحاسب عليه، إنْ كان خيراً فخير، وإن كان شراً فشر.

وكون الإنسان مختاراً في قسم كبير من أعماله، فهذه حقيقة لا يمكن المجادلة فيها شرعاً ولا عقلاً.

أما شرعاً: فنصوص الكتاب والسنة متواترة في أمر الإنسان بأن يفعل ما أمر به، وفي أن يترك ما نُهي عنه، وهذه النصوص أكثر من أن تذكر .

أما عقلاً: فواضح لكل إنسان متجرد عن الهوى والغرض بأنه حينما يتكلم، حينما يمشي، حينما يأكل، حينما يشرب، حينما يفعل أي شيء، مما يدخل في اختياره، فهو مختار في ذلك غير مضطر إطلاقاً، وأنا شئتُ أنْ أتكلم الآن، فليس هناك أحد يجبرني على ذلك بطبيعة الحال، ولكنه مقدر، ومعنى كلامي هذا مع كونه مقدراً، أي أنه مقدر مع اختياري لهذا الذي أقوله وأتكلم به، ولكن باستطاعتي أن أصمت لأبين لمن كان في شك مما أقول أني مختار في هذا الكلام.

إذاً، فاختيار الإنسان -من حيث الواقع- أمر لا يقبل المناقشة والمجادلة، وإلا فالذي يجادل في مثل هذا إنما هو يسفسط ويشكك في البدهيات، وإذا وصل الإنسان إلى هذه المرحلة انقطع معه الكلام.

إذاً فأعمال الإنسان قسمان: اختيارية، واضطرارية .

والاضطرارية: ليس فيها كلام، لا من الناحية الشرعية ولا من الناحية الواقعية، والشرع يتعلق بالأمور الاختيارية، فهذه هي الحقيقة، وإذا ركزناها في أذهاننا، استطعنا أن نفهم الآية السابقة ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ وهذا الجعل كوني، ويجب أن نتذكر الآية السابقة ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أن الإرادة ههنا إرادة كونية، ولكن ليس رغماً عن هذا الذي جعل الله على قلبه أكنة.

مثال من الناحية المادية: أن الإنسان حينما يُخلق إنما يُخلق ولحمه غض طري، ثم إذا كبر وكبر يقسو لحمه ويشتد عظمه ولكن الناس ليسوا كلهم سواءً، فهذا مثلاً إنسان منكب على نوع من الدراسة والعلم، فهذا ماذا يقوى فيه؟ يقوى

عقله؟ ويقوى دماغه من الناحية التي هو ينشغل بها، ويَنصب بكل جهده عليها، ولكن من الناحية البدنية جسده لا يقوى، وعضلاته لا تنمو .

والعكس بالعكس تماماً: فهذا شخص منصب على الناحية المادية، فهو في كل يوم يتعاطى تمارين رياضية -كما يقولون اليوم- فهذا تشتد عضلاته، ويقوى جسده، ويصبح له صورة كما نرى ذلك أحياناً في الواقع، وأحياناً في الصور، فهؤلاء الأبطال مثلاً تصبح أجسادهم كلها عضلات، فهل هو خُلق هكذا، أم هو اكتسب هذه البنية القوية ذات العضلات الكثيرة؟ هذا شيء وصل إليه هو بكسبه واختياره.

ذلك هو مثل الإنسان الذي يضل في ضلاله وفي عناده، وفي كفره وجحوده، فيصل الران إلى هذه الأكنة التي يجعلها الله عزوجل على قلوبهم؟ لا بفرض من الله واضطرار من الله لهم، وإنما بسبب كسبهم واختيارهم، فهذا هو الجعل الكوني الذي يكسبه هؤلاء الكفار، فيصلون إلى هذه النقطة التي يتوهم الجُهال أنها فُرضت عليهم، والحقيقة أن ذلك لم يُفرض عليهم وإنما ذلك بما كسبت أيديهم، وأن الله ليس بظلامٍ للعبيد .

"كيف يجب علينا أن نفسر القرآن"(ص٢٣-٢٨).

[١٨٠٦] باب الكلام على بطلان مذهبي القدرية والجبرية

سؤال: ما أدري يا شيخ كيف التوفيق يا شيخ بين حديث: «أركان الإيمان ستة: الإيمان بالقدر خيره وشره»، وبين قول الرسول ﷺ: «والشر ليس إليك»، كيف يفهم هذا الشر يا شيخ؟

الشيخ: نسبي، الشر بالنسبة إلينا لا بالنسبة لربنا؛ لأن أفعال الله عز وجل كلها

خير، ويمكن تقريب المسألة بمثال مع التذكير بأن لله المثل الأعلى هذا أولاً، وثانياً: التذكير بمبدأ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ (الشورى:١١)، فتقدير الله عز وجل هو خلق وتصرف منه عز وجل، يتوافق تماماً مع كل الصفات التي منها: القدرة والإرادة والعدالة والحكمة، فحينما نحن نرى شراً يقع، فهذا كما قال: ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾(الأنعام:٩٦).

فالمثال الذي أريد أن أقرب به هذه المسألة الإيمانية: إذا رأيت طبيباً يقطع عضواً من مريضٍ ما فلا شك أنك تستنكر عمله إذا كنت لا تعرف أن هذا الطبيب أولاً ماهر في طبابته، وثانياً: عادل في تنفيذه لطبه، كذلك إذا رأيت حاكماً يضرب إنساناً أو يجلده، فستقول: بأن هذا شر، لكن إذا عرفت أنه يضربه بحق انقلب المفهوم السابق الذي كان في ذهنك وهو أنه شر إلى أنه ليس بشر، وهذا نحن بين بعضنا البعض فما بالك بالنسبة للخالق الذي لا يقاس به شيء إطلاقاً؟!

ولذلك فنحن نقول في موضوع القضاء والقدر: الأصل فيه الإيمان الصادق الصحيح، وحينما يجري نقاش بين المعتزلة والجبرية، حيث إن كلاً من الفريقين يقف بعيداً جداً عن الآخر، وكلاهما على طرفي نقيض؛ لأنهم يحكمون عقولهم دون أن يلاحظوا ما ذكرت آنفاً من أن الله عز وجل لا يضرب له الأمثال، وأنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء، فالمعتزلة يلتقون مع الجبرية في رأي واحد، لكن الفرق بين الفريقين: أن المعتزلة حينما يعملون عقلهم في ذلك الرأي يجدونه لا يلتقي مع العدالة الإلهية، فيفرون منه، أما الجبرية فيستقرون عليه ويطمئنون إليه، ما هو؟

إذا قيل: بأن الإنسان مقدر عليه كل عمل يأتيه، سواء كان خيراً أو شراً، التقى الفريقان: أن هذا يعني أنه جبر للإنسان على أن يفعل الخير أو الشر، فالتقيا في هذا كلاهما، لكن المعتزلة فروا قالوا: لو كان الأمر كذلك لم يبق هناك حكمة لله عز

وجل أولاً في أن يأمر بالخير وينهى عن الشر، وثانياً: أن يجزي على الخير خيراً وعلى الشر شراً، أن يجزي على الخير جنة وعلى الشر ناراً، يقول المعتزلة: التقدير مع التكليف لا يلتقيان، إذاً فروا إلى قولهم: لا قدر، الجبرية ظلوا على رأيهم: أن معنى كون لله عز وجل قدر على الإنسان الخير أو الشر أنه مجبور، وظلوا عليه.

فأخذ كلٌّ من الفريقين يرد الباطل الذي في كل منهما: الباطل في المعتزلة إنكارهم للقدر، الباطل في الجبرية تشبثهم بالقدر وإثبات الجبر، وهو إيمان باطل؛ ولذلك الأمر كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: يؤخذ الصواب من كل من الفريقين ويترك لهم الضلال، يؤخذ من الجبرية إيمانهم بالقدر؛ لأنه حق، ويترك لهم القول بالجبر؛ لأنه باطل، ويؤخذ من المعتزلة قولهم: أن الجبر باطل، وينكر عليهم إنكارهم للقضاء والقدر.

فالشاهد: فكل من الفريقين تمسك بحق ورد باطلاً؛ والسبب: أنهم أرادوا أن يعقدوا هذه الصفة الإلهية التقدير الإلهي: وكل شيء بقدر، ما قال عليه السلام: «كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس»، أرادوا أن يفهموا التصرف الإلهي بعقولهم المحدودة فوقعوا في الضلال، أولئك أنكروا القدر؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يوفقوا بين الإيمان بالقدر وبين الإيمان بأن الإنسان مختار، وهؤلاء أنكروا اختيار الإنسان؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يوفقوا بين اختيار الإنسان وبين القدر الإلهي.

فلذلك القصد من هذا الكلام: أن المؤمن يستعمل عقله وفكره إلى حد، وبخاصة فيما يتعلق بالصفات الإلهية، ومن ذلك القدر، فهو لا يستطيع أن يحل مشكلة القدر أو بالمعنى الصحيح: عقيدة القدر، بحيث أنه يفهمه ويخضعه لعقله، لا بد من إجمال، ولا بد من التسليم.

فالاختيار الذي أنكره الجبرية هذا إنكار للأمور البدهية، وكما أقول أنا في مثل هذا البحث، أنا الآن أتكلم معكم: من الذي يشك بأني أتكلم مختاراً؟ وإذا عاند أحدهم وقال لي: أنت تتكلم غير مختار، أصمت، إذن أنا أتكلم باختياري وأصمت باختياري هذه مكابرة وجحد للحقائق البدهية، لماذا ينكرون هذه الحقائق البدهية؟

يا أخي مكتوب هذا مسجل، نعم مسجل ولا شك ولا ريب، ومسجل بعلم وعدل وحكمة.

وأنا أضرب مثلاً لقتل الخطأ وقتل العمد، فهذا القتل وذاك كلاهما مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ ولا شك، ولا يقبل تأويلاً ولا تحويلاً، ولكن كيف كتب؟ كيف قدر؟

حينما نقول: قتل العمد وقتل الخطأ بلا شك نذكر مع قتل الخطأ عدم وجود الإرادة البشرية، قتل ولكنه ما أراد القتل، أما قتل العمد كما يقولون اليوم في لغة القانون: قتل عن سابق عزم وتصميم وتخطيط، فأنا أضرب مثلاً لهذين النوعين من القتل: رجل خطط لقتل رجل من ذويه على رأس الجبل، ووضع الخطة الدقيقة للغدر به وقتله، فصعد الجبل في ليلة لا قمر فيها -كما يقال- فقتله، آخر صعد الجبل لأمر ما للنزهة، فزلت به القدم، وهناك شخص فصدمه فانقلب يتدحرج حتى وصل قتيلاً إلى سفح الجبل، ذاك قاتل وهذا قاتل، فمن الذي يقول هذا كهذا؟! كلاهما مقدر.

إذاً: يجب أن نفكر أن القدر الإلهي كما ألمحت في أول كلامي مقرون بالصفات الإلهية الأخرى، منها العلم ومنها الحكمة، فإذا انكشف الغطاء لنا وكنا

من قبل لا نعلم شيئاً عن صفة هذين القتلين، لكن بعد أن وقعت الواقعة عرفنا أن الأول قتل عن سابق علم وتصميم وتخطيط، أما الآخر فزلت به القدم صدم شخصاً فانقلب هذا الشخص يتدحرج ميتاً، انكشف الأمر أن القتل الأول عمد والقتل الآخر خطأ، فالآن تحليل الكتابة الإلهية: كتب الله عز وجل أن الأول سيتعمد ويخطط وسيعزم على قتل الرجل باختياره، فكتبه في اللوح المحفوظ قاتلاً عمداً، وادخر له عذاب جهنم، أما الآخر فقد كتب: بأنه سيقتل بغير قصد وبغير إرادة منه؛ ولذلك ما كتب عليه جهنم.

إذاً: الأمر الأول يمثل ما يستحق عليه العذاب، والآخر ما لا يستحق عليه العذاب.

"الهدى والنور" (٧٢٤/ ٣٩: ٠١: ٠٠)

[١٨٠٧] باب بيان بعض أسباب إنكار المعتزلة للقدر

سؤال: يقول السائل: ما هو حكم الشرع في العمل لاستئناف الحياة الإسلامية، مع معرفة السبيل الأمثل لتحقيق ذلك؟ علماً: أن هناك أحاديث يفهمها البعض على أنها تعني القعود عن هذا العمل وهي: أحاديث المهدي، فما هو رأيكم في ذلك جزاكم الله خيراً؟

الجواب: لقد كتبنا أكثر من مرة حول أحاديث المهدي عليه السلام، ومواقف علماء العصر وهذا الزمان، فإنهم مختلفون في ذلك أشد الاختلاف.

أما العلماء الذين لا يزالون يتمسكون بما قام عليه الدليل من الكتاب والسنة الصحيحة؛ فهم لا يزالون يعتقدون والحمد لله بأن خروج المهدي حق لا ريب فيه، ولكن لابد بهذه المناسبة من التذكير أن هناك شخصاً آخر لابد من خروجه،

وسيلتقي مع المهدي وهو عيسى عليه الصلاة والسلام، فإن عيسى عليه السلام أحاديثه أقوى من أحاديث المهدي، وإن كان كل من أحاديث الرجلين يلتقيان في الصحة إلا أن أحاديث عيسى عليه السلام أصح من أحاديث المهدي كما لا يخفى ذلك على أهل العلم من الحديث؛ لأنه من المتفق بين أهل الحديث أن أحاديث عيسى متواترة، بلغت علم اليقين، أحاديث المهدي عليه الصلاة والسلام، يوجد هناك خلاف بين بعض العلماء هل بلغت هذه المرتبة أم لا؟ وأنا لا يهمني الوصول إلى هذه المرتبة، وإن أكنت أميل إليها أي: إن أحاديث المهدي أيضاً وصلت إلى هذه المرتبة، ولكن يكفي المسلم أن يعلم أن أحاديث المهدي صحيحة، وأن علماء المسلمين توارثوا خلفاً عن سلف الاعتقاد بخروج المهدي، وبنزول عيسى عليهما السلام.

إذاً: قلت هذا لأن السؤال ذكر المهدي، وكان الأولى أن يذكر عيسى؛ لأن أحاديث عيسى أقوى، فلذلك هذا السؤال فتح لي باب التطرق لأحاديث عيسى عليه الصلاة والسلام.

قلنا: إن هذه العقيدة حق لا عوج فيها.

بعض العلماء في العصر الحاضر ممن لا يهتمون بدراسات العلماء السابقين سواءً ما كان منها متعلق بتصحيح الأحاديث، أو ما كان منها متعلق بتصحيح العقائد المبنية على الأحاديث، فكثير من علماء العصر الحاضر ينكرون خروج المهدي بل غلا بعضهم فأنكروا أيضاً: نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

لا أريد الخوض بتفصيل في هذه المسألة إلا بمقدار ما نود من تقديمه جواباً عن هذا السؤال.

كثير من المعاصرين الذين يدعون الإصلاح، وجدوا عامة المسلمين يتكؤون في العمل الإسلامي، وبعبارة أوضح: في ترك العمل للإسلام يقولون: ما في فائدة للعمل إلا حينما يخرج المهدي أو ينزل عيسى عليه السلام، هكذا يعتقد كثير من الناس أي: وصلوا إلى مرتبة اليأس التي لا يجوز للمسلم أن يقع فيها؛ لأنه ﴿وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِّ إِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِّ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ في القرآن الكريم.

فلما وجد بعض المصلحين هذا اليأس مسيطراً على جماهير المسلمين، وجدوا أن سبب هذا اليأس هو إيمانهم بنزول عيسى وخروج المهدي، فظنوا أن الإصلاح يكون بإنكار هاتين العقيدتين الصحيحتين بأن يقول للناس: يا جماعة اعملوا فعقيدة نزول عيسى عليه السلام ما هي ثابتة بالطريق اليقين وهم مخطئون أشد الخطأ اعملوا فإن خروج المهدي هذا عقيدة شيعية وهي غير صحيحة، كذلك هم في ذلك مخطئون، فقلنا مراراً وتكراراً وكتبنا شيئاً من هذا المعنى في بعض المؤلفات قلنا: لا يكون الإصلاح على هذا المنوال، وعلى هذا المنهاج في إنكار الأحاديث الصحيحة وما بني عليها من عقيدة؛ لأن هذا المنهج الاستمرار عليه سيؤدي بأصحابه إلى الاعتزال الماضي قديماً، ذلك؛ لأن **المعتزلة أنكروا ما هو أخطر من عقيدة عيسى عليه السلام، والمهدي ما الذي أنكروه؟ أنكروا القدر،** فقالوا: لا قدر مع أن القدر ثابت في الكتاب والسنة، وهي عقيدة كما تعلمون جميعاً: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره قالت المعتزلة: لا قدر فنحن إذا درسنا ما الذي حمل المعتزلة وهم بطبيعة الحال ليسوا كفاراً ليسوا مرتدين عن دين الإسلام كل ما نستطيع أن نقول عنهم: إنهم مسلمون ضالون؛ لأنهم أنكروا حقائق شرعية منها: إنكارهم للقدر الإلهي **لكننا إذا درسنا السر في**

إنكارهم للقدر الإلهي وجدناه كإنكار بعض المعاصرين اليوم لعقيدة خروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام كيف؟ وجدوا أن كثيراً من المسلمين فهموا من عقيدة القدر أنها تعني الجبر، وأن الإنسان ليس مخيراً في طاعته لله، أو في معصيته إياه، وهم بلا شك وجدوا نصوصاً في الكتاب والسنة وذلك مقتضى العقل الصحيح السليم: أنه لا يجتمع في الإنسان جبر وتكليف ضدان لا يجتمعان.

فالمعتزلة نظروا فقالوا: إذاً: إذا كان معنى القدر الجبر، فلا يمكن أن ربنا عز وجل يجبر الإنسان على معاصيه، وبعدين ماذا؟ يعذبه، إذاً: هذه العقيدة عقيدة باطلة.

نحن نلتقي مع المعتزلة في قولهم: بأن الجبر عقيدة باطلة كما نلتقي مع أولئك المصلحين بأن الاتكال على خروج المهدي ونزول عيسى، وعدم العمل للإسلام أيضاً: عقيدة باطلة، ولكننا لا نلتقي لا مع هؤلاء، ولا مع أولئك المعتزلة فيما أنكروا من عقائد صحيحة ثبتت بعضها بالكتاب والسنة، وبعضها بالأحاديث الصحيحة المتواترة.

فالمعتزلة تأولوا الآيات التي تنص على القدر كما تأولوا الأحاديث، بل وأنكروا بعضها حينما لا يسعهم تأويلها، فوقعوا في القدر وهو إنكار القدر الإلهي الذي ثبت في القرآن وفي السنة كما ذكرنا.

فنقول نحن للمعتزلة كما نقول لهؤلاء المصلحين اليوم: ما هكذا يا سعد تورد الإبل، ما هكذا يا جماعة يكون الإصلاح لا يكون الإصلاح بإنكار حقائق شرعية، وإنما يكون الإصلاح بتفهيم المسلمين الفهم الصحيح بتلك النصوص سواءً ما كان منها قائماً على إثبات القدر، أو ما كان منها قائماً على إثبات نزول

عيسى وخروج المهدي عليهما السلام.

فنقول: إن النبي ﷺ مكث في قومه ثلاث وعشرين سنة، وهو يدعوهم ليلاً نهاراً حتى استطاع أن يضع النواة للخلافة الإسلامية بالمدينة المنورة.

فنحن علينا معشر المسلمين ألا ننتظر ما بُشِّرنا بمجيئه من المهدي أو عيسى علينا أن نعمل؛ لأن الواقع الآن نشعر نحن تماماً: أن هناك جماعات من المسلمين متفرقون في العالم الإسلامي هم ينتظرون قائداً يأخذ بأيديهم ويجاهد بهم أعداء الإسلام في كل زمان، وفي كل مكان، فهم ينقصهم هذا الإنسان المصلح القائد، لكن تصوروا معي الآن: إذا جاء هذا المبشر به، وهو: المهدي أو عيسى، وأخذ يصلح بين المسلمين كما يفعل اليوم المصلحون المتفرقون في العالم الإسلامي، فكم سيظل في عملية الإصلاح هذه؟ ستنقضي حياته إلا إن كان له حياة تشبه حياة نوح عليه السلام، وهذا لم نبشَّر به، ستنقضي حياته في إصلاح المسلمين تفهيمهم الإسلام الصحيح، وحملهم على العمل بالإسلام [.... انقطاع].

نقول مثلاً: نحن نعلم يقيناً: أن من آفة العالم الإسلامي هو: الانكباب على الدنيا.

ومن آثار هذا الإنكباب: استحباب ما حرم الله عز وجل من الربا بأدنى الحيل فضلاً عن غير ذلك من المحرمات، أبمثل هؤلاء الناس يمكن إذا خرج المهدي أو نزل عيسى عليه السلام أن يجاهد به الكفار أو بهم الكفار؟ الجواب: لا؛ إذاً: على المسلمين كافة في كل بلاد الإسلام أن يعملوا بفهم الإسلام أولاً فهماً صحيحاً، وأن يطبقوه في ذوات أنفسهم وفي أهليهم وذراريهم ثانياً، حتى إذا جاء المهدي أو نزل عيسى وجد القوم ليسوا بحاجة إلى إصلاح ما أفسده هذا الزمن الطويل.

" الهدى والنور" (٢١٨/ ٣٥: ٤٦: ٠٠)

[١٨٠٨] باب بيان سبب خطأ الجبرية والقدرية في أبواب القضاء والقدر باب

[قال الإمام]:

عقيدة الجبر ... نشأت عند الجبرية من غلوهم في الإيمان بالقضاء والقدر، وفهمها أو فهمهم لهذه العقيدة فهماً خاطئاً، فاستلزموا من هذه العقيدة الجبر، فقالوا بلازمه في زعمهم أنه كما جاء في بعض أشعارهم:

ألقاه في اليم مكتوفاً ثم قال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

فهذا يصور عقيدة الجبرية، **فمن أين جاءت الجبرية؟ من الإيمان بالقضاء والقدر مع الفهم الخاطئ، فعالج هذا الخطأ الفريق الآخر وهو: المعتزلة قالوا: لا سبيل لنا إلى إبطال الجبر إلا بما اتكئوا عليه من الإيمان وهو القدر؛ إذاً: لا قدر،** كلاهما على طرفين نقيض، وكلاهما على مذهب أبي نواس: وداوني بالتي كانت هي الداء، وأنا أرى أن كثيراً من العقائد يساء فهمها فتعالَج على هذا المذهب المنحرف عن الحق، وقد يقع في مثل هذا كثير من كبار العلماء المشهورين، يدفعهم في ذلك إساءة العامة وربما بعض الخاصة فهم العقيدة الصحيحة فيضربون سوء الفهم بضرب العقيدة الصحيحة.

لاشك أنكم تعلمون أن من العقائد الصحيحة التي توارثها الخلف عن السلف: الإيمان بنزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، ويقترن معه الإيمان بخروج المهدي، نعم.

نعود إلى أصل المسألة عن القدر، فكيف عالجت المعتزلة الجبر معالجة سيئة وذلك لما لم يستطيعوا أن يفهموا القدر الإلهي فهماً لا يستوجب الجبر، بل

هم شاركوا الجبريين في فهمهم للقدر؛ بأنه يستلزم الجبر، والجبر باطل وما لزم منه باطل فهو باطل، وإذاً: لم يجدوا وسيلة أعني بطبيعة الحال المعتزلة بمحاربة الجبر إلا بنفس عقيدة القدر، وهم لاشك ما يستطيعون وإن كانوا ضلالاً فهم مؤمنون بكتاب الله عز وجل، لا يستطيعون أن ينكروا القدر كلفظ مذكور في القرآن الكريم في غير ما آية لا يستطيعون أن ينكروا ذلك وإلا خرجوا من الدين، لكنهم وهكذا شأن كل الفرق الضالة الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة أنهم يؤمنون بألفاظ الكتاب، ولا يؤمنون بمعانيها، فما [أنكروا] القدر، ولكنهم تأولوا القدر بما يساوي العلم كما يفعلون في كثير من الآيات المتعلقة بالصفات الإلهية، فهم مثلاً: ينكرون أن يكون الله تبارك وتعالى له صفة السمع والبصر، وهم يعلمون مثل قول رب العالمين آية التنزيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾(الشورى:١١) فهم لا يستطيعون أن ينكروا هاتين الصفتين أنه سميع وبصير إلا بالطريقة ذاتها التي أنكروا فيها القدر ألا وهو: التأويل بل هو التعطيل فقالوا: السميع البصير يعني: العليم.

فكذلك أولوا القدر بمعنى ماذا؟ العلم. مع أنه كما لا يخفاكم العلم صفة ذاتية، أما التقدير الإلهي فصفة فعل، نعم من صفات الأفعال، فهم خلطوا بين هذه الصفة الذاتية وبين الصفة العملية لماذا هذا الخلط؟ ليضربوا الجبر، ولكن أصابهم كما يقول المثل في بعض البلاد: كانوا تحت المطر صاروا تحت المزراب...

والشاعر العربي القديم - كما تعلمون - يقول:

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل

أي: [يحب] الجمع بين الصفات الإلهية كلها والمشتقة من كتاب الله

وأحاديث رسول الله ولا يجوز ضرب بعضها ببعض، أو إنكار بعضها على حساب البعض.

ما أحسن ما قال ابن القيم رحمه الله في هذه المناسبة:

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحاب ليس بالتمويه
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأي فقيه
كلا ولا جحد الصفات ونفيها	حذراً من التعطيل والتشبيه

وهذا هو الموقف العادل لا تعطيل ولا تشبيه، وإنما هو الإيمان على ما أراد الله عز وجل بهذه الآية وأحاديث الرسول عليه السلام التي تثبت الصفات الإلهية.

فالشاهد: أعود إلى ما كنت انتهيت إليه أن كثيراً من العلماء حينما يريدون أن يعالجوا بعض الانحرافات التي أصابت الجماهير قديماً وحديثاً: إنما يعالجون بانحراف مثله أو بأخطر منه، وضربت على ذلك مثلاً عقيدة نزول عيسى عليه السلام.

أنا أذكر جيداً أنني حينما نشأت في طلب العلم أني انتفعت بالسيد رشيد رضا وبمجلته المنار خاصة انتفاعاً كثيراً، بل أعتقد أنه لم يكن المفتاح الذي فُتِح لي به طريقة السلف إلا هذه المجلة، أي نعم.

لكن وجدت في كثير فيما بعد من مقالاته: أنه انحرف في قليل أو كثير مما جاءت به السنة، والسبب في ذلك: أنه كان ابتلي بمن يسمون بالقاديانية تعرفونهم؟

مداخلة: هؤلاء القاديانية؟

الشيخ: نعم القاديانية الذين يسمون أنفسهم بالأحمديين.

مداخلة: غلام أحمد...

الشيخ: الغلام غلام أحمد القادياني.

مداخلة: نعم.

الشيخ: فهم معروفون عند أهل السنة بالقاديانية وهم: يفرون من هذه النسبة إلى النسبة الأحمدية فهم يقولون: نحن أحمديون،ولهم هدف خبيث بالفرار من تلك النسبة إلى هذه، لأن النسبة الأولى إنما هي نسبة إلى البلدة التي خرج منها نبيهم الكذاب هذا الغلام أحمد القادياني وهي قاديان.

وينتسبون إلى أحمد لأن غلام أحمد القادياني ليس اسمه أحمد وإنما هو غلام، غلام أحمد وهذا أسلوب في اللغة الهندية تفسيره: خادم أحمد، فهو ليس أحمد وإنما هو خادم أحمد.

والمقصود بأحمد هو: نبينا عليه الصلاة والسلام، والأعاجم لهم مثل هذه النسبات افتخاراً بانتسابهم للرسول عليه السلام.

فغلام أحمد هكذا عرف الرجل ولكنه لما ادعى المهدوية، ثم ادعى النبوة فحمل على نفسه بعض النصوص الشرعية من الكتاب والسنة جرها جراً على نفسه مثل: قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(الصف:٦) من هذا أحمد؟! هو محمد لا، هو أحمدهم هذا، وبناءً على ذلك حتى يصح له جر هذه الآية وحملها على ذاته غَيَّرَ اسمه في مؤلفاته، أنا هذا درسته شخصياً؛ لأني ابتليت بمجادلة القاديانية بدمشق سنين طويلة.

فهو كان يكتب اسمه في مؤلفاته ميرزا غلام أحمد أي: خادم أحمد بن

عبد الله بن عبد المطلب، فحذف ميرزا غلام أحمد فقال: أحمد؛ لكي يضلل الناس أن هذه الآية تعنيني أنا وأنا اسمي أحمد، أما محمد النبي المبعوث رحمة للعالمين اسمه: محمد وليس اسمه أحمد، هكذا أوهم المضللين به، أي نعم.

ولذلك فهو إتماماً لإضلال شيخهم لهم يبينون للعالم بأنهم أحمديون ليسوا منتسبين لأحمد بن عبد الله هذا ابن عبد المطلب، وإنما لأحمد بس هذا الكذاب.

هؤلاء كالمعتزلة، بل وأشد إغراقاً في الضلال؛ لأنهم ينكرون ما هو معلوم من الدين بالضرورة، يؤمنون بكل الكتاب ولكن لفظاً وليس معنىً، ولا يخفى على أهل العلم أن اللفظ في كل الكلام فضلاً عن الكلام الإلهي ليس مقصوداً بذاته، وإنما هو وسيلة للمعاني، وكما يقال: الألفاظ قوالب المعاني، فما الفائدة إذا آمن مؤمنٌ ما، بآية ما ثم لف ودار عليها واستخرج لها من ضلاله معنى لا صلة لهذا المعنى باللفظ القرآني، هكذا كل الفرق الضالة شأنهم مع القرآن الذين لم يعلنوا الخروج عن الإسلام، وإنما لا يزالون يدعون أنهم مسلمون ونؤمن بالقرآن.

القاديانيون هكذا مثالهم يؤمنون بألفاظ القرآن في كثير من نصوصه، ولكنهم يحرفون الكلم من بعد مواضعه كما حكى ربنا ذلك في القرآن الكريم عن اليهود.

هم يعتقدون مثلاً: بأن باب النبوة مفتوح بعد محمد عليه الصلاة والسلام على رغم مثل قوله تبارك وتعالى في القرآن: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾(الأحزاب:٤٠).

هم لا ينكرون أنه خاتم النبيين، لكنهم ينكرون كما أنكرت المعتزلة القدر، وأنكروا الصفات الإلهية ونحو ذلك، فهم يقولون: خاتم النبيين ليس معنى

آخرهم، وإنما خاتم النبيين كالخاتم في الأصبع، فهو زينتهم، هذا موقفهم من القرآن، ما موقفهم من الأحاديث المتواترة، في أنه لا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام؟ ما استطاعوا تأويله حرفوه كما حرفوا القرآن، وما لم يستطيعوا نسفوه نسفاً فقالوا: هذا مخالف للقرآن.

من أشهر الأحاديث التي تثبت أن لا نبي بعده عليه السلام حديث: مخاطبة الرسول ﷺ لعلي حينما سافر إلى تبوك غازياً، وترك علياً في المدينة، وبكى علي فأنسه عليه السلام بقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»[1].

قالوا: هذا حديث صحيح، لكن ما فهمتموه جيداً، «لا نبي بعدي» أي: معي، أما بعده يعني: بعده في نبي، هذا، وهذا مثال آخر يعني كيف يحرفون الكلم من بعد مواضعه.

مداخلة: يستدلون أن هارون كان مع موسى.

الشيخ: نعم.

مداخلة: لهم ذكاء مع ضلالهم يعني.

الشيخ: إيه ذكاء، لكنه ذكاء بدون عقل ما يفيد شيئاً أبداً.

مداخلة: ذكاء يجعلهم ضلالاً.

الشيخ: ولذلك حكى ربنا عز وجل في القرآن الكريم عن الكفار المشركين: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(الملك:١٠).

---

(١) "صحيح البخاري" (رقم ٤١٥٤)، ومسلم (رقم ٦٣٧٠).

لذلك الذكاء شيء والعقل شيء: أنا جعلت الاستطراد طويل جداً، يعني: كنت أتكلم عن السيد رشيد رضا، وأنني استفدت منه، لكن رأيت منه بعض الانحرافات منها: بسبب رده على القاديانية، والقاديانيون يدعون من دعاويهم الباطلة أن ميرزا غلام أحمد القادياني هو عيسى المبشر به في الحديث، وهذا أيضاً من تآويلهم الباطلة، «لينزلن فيكم عيسى ابن مريم حكماً عدلاً»[1] نعم ليس المقصود عيسى، وإنما المضاف محذوف تقديره مثيل عيسى، لف ودوران من هو هذا المثيل؟ ميرزا غلام أحمد القادياني، فالسيد رشيد رضا رحمه الله كأنه شعر أنه ما استطاع أن يقيم الحجة عليهم حجة دامغة قاهرة إلا بالتشكيك في أحاديث نزول عيسى عليه السلام من أجل ماذا؟ يقلص الجمهور المتأثر بالقاديانية لا عيسى ولا مهدي.

لذلك قلنا بالنسبة إليه مع فضله وعلمه:

أوردها سعد وسعد مشتمل   ما هكذا يا سعد تورد الإبل

وأنا كتبت في بعض ما كتبت من المؤلفات والكتب: أن السبيل في كل هذه الأمثلة وسواها ليس هو التأويل الذي هو أخو التعطيل، وإنما هو فهم النصوص فهماً جيداً من المسلمين حتى لا يقعوا في انحراف سلبي أو إيجابي.

نعود إلى مسألة القدر وهي مشكلة المشاكل في الواقع من يوم وجدت المعتزلة إلى اليوم.

المعتزلة يقولون: إذا قلنا: إن الله عز وجل قدر على الإنسان الإيمان والكفر،

---

(١) "صحيح البخاري" (رقم ٣٢٦٤).

والخير والشر فهذا معناه أنه مجبور لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً! إذاً: ما المخرج عندهم؟ لا قدر إذاً: ماذا نقول في الآيات التي أثبتت القدر؟ نؤولها بالمعنى الذي سمعته: العلم، لكن ما استفادوا شيئاً من هذا الإنكار؛ لأنه لا فرق بين كل المؤمنين الذين يؤمنون بالعلم الإلهي، وبين أكثر المؤمنين الذين يؤمنون أيضاً بالقدر الإلهي من حيث المشكلة التي أوردها المعتزلة لا فرق بين العقيدتين: عقيدة الإيمان بالعلم الإلهي الأزلي والإيمان بالقدر الإلهي لا فرق من حيث المشكلة، ما هي المشكلة؟ قالوا: إذا قلنا إن الله قَدَّرَ وكتب الإيمان والكفر والخير والشر لزمنا الجبر.

كذلك نقول نحن: لاشك ولا ريب عند كل المؤمنين بالقدر الإلهي أنه وفق العلم الإلهي، كذلك الكتابة الإلهية على مراحلها المتعددة كما شرح ذلك الإمام ابن القيم في كتابه العظيم المسمى ماذا؟ الحكمة والتعليل.

مداخلة: شفاء الغليل.

الشيخ: شفاء الغليل[(١)]، نعم أحسنت.

فهناك مراحل للكتابة كل هذه الكتابة، الكتابة الأولى والأخيرة التي والولد في بطن أمه بطبيعة الحال على وفق ماذا؟ العلم الإلهي.

فإذاً: الإشكال الذي أوردوه لا يزال قائماً بمعنى: حذفنا الآن من أذهاننا ما حذفوه هم من عقائدهم وهو: القدر الإلهي طوينا عنه صفحة مؤقتاً.

كذلك الكتابة الإلهية، وأن نتفق معهم هناك على العلم أو هم يتفقون معنا،

---

(١) كذا، والصواب «شفاء العليل»، بالعين المهملة.

طيب. سبق في العلم الإلهي أن فلاناً سيكفر هل يمكن أن يتغير العلم الإلهي؟! طبعاً لا.

مداخلة: لا يتغير.

الشيخ: طيب. الكتابة الإلهية تتغير؟! لا.

القدر الإلهي يتغير؟ لا. فما الذي استفدتموه من قولكم: لا قدر واضح؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: إذاً: يجب الإيمان بكل ما جاء من العلم والكتابة والقدر وتأويل ذلك بما يتفق مع الأدلة الأخرى.

فما استفادوا شيئاً من إنكارهم القدر بحجة أنه إذا كان القدر لا يتغير فإذاً: صار المكلف مجبوراً نقول لهم: هل العلم الإلهي يتغير؟ سيقولون: العلم الإلهي ما يتغير.

مداخلة: لا يتغير.

الشيخ: نعم. فسيكون من جوابهم: أنه لا يتغير، إذاً: هل سبق في العلم الإلهي أن فلاناً سعيد، فلاناً شقي؟! فمن قولهم: أنه أحاط بكل شيء علماً إذاً: لا يتغير فما جوابكم عن العلم الإلهي الذي لا يتغير فهو جوابنا عن القدر الإلهي الذي لا يتغير، هذا كما لا يخفاكم جواب جدلي.

مداخلة: إي والله جدلي.

الشيخ: لكنه حق، لكن عندي جواب آخر: ما سبق في العلم الإلهي أو في القدر الإلهي هو بلا شك يوافق ما سيقع لا يختلف قيد شعرة، وإذا كان الأمر

كذلك فنحن نرد على كل من الفريقين المعتزلة وخصومهم الجبرية، جواب يشمل الفريقين معاً، ثم نعود على الجبرية بتفصيل لا يحتاجه المعتزلة، إنهم معنا في أن العلم الإلهي يعرف الوقائع على حقائقها الجلية، ونحن نعلم من واقع المكلفين أن أعمالهم وحياتهم فيها ما هم مختارون ضرورة، وما هم مجبورون أيضاً.

نبدأ بعمل القلب، عمل القلب مجبورون فيه؛ لأنه من خلق الله الذي ليس للبشر فيه خيرة، ولذلك إذا شاء الله عز وجل عطل هذه الحركة بإماتة صاحبها.

كذلك نقول في كون زيد من الناس طويلاً وآخر قصير بليداً نحيلاً وو... إلى آخر ما هنالك.

هنا يصدق قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(القصص:٦٨).

لكن هناك أمور أخرى تتعلق بهذا الإنسان المجبور من هذه الزاوية، هناك أمور أخرى تصدر منه باختياره، فالآن أنا أتكلم، وأنتم تصغون وأحياناً تتكلمون أيضاً معنا، هل أنتم يا معشر المعتزلة الجبرية لهم خطاب آخر قلنا آنفاً، أنتم معشر المعتزلة تقولون أننا نحن الآن في هذا الكلام مختارون أم مجبرون؟ سيكون من قولهم: مختارون، طيب في الحال الأولى أو الأمثلة الأخرى: مختارون أم مجبورون؟ يعني: في كون حركات القلب، وهذا إنسان طويل وآخر قصير، وأبيض وأسمر وأسود إلى آخره، مختارون أم مجبورون؟ ما يستطيعون أن يقولوا مختارون.

إذاً: هذا الواقع بقسميه بصورتيه سبق في علم الله عز وجل، سبق في علم الله عز وجل.

العلم يشملهما الصورتين.

ننزل الآن إلى ما أنكرتم من القدر، القدر يشملهما أيضاً؛ لأننا قلنا أن القدر الإلهي وفق العلم الإلهي، فما في اختلاف بينهما من حيث أنه يكتشف الواقع على حقيقته يكتشفان الواقع على حقيقته قبل وقوعه، فمن هذه الحيثية القدر مطابق لماذا؟ للعلم الإلهي.

إذاً: أين الإشكال إذا كان ما قدره الله من القسم الأول فأنا لا أسأل عنه؛ لأني لا إرادة لي، كون واحد أسود فاحم قد يعير الأبيض بسواد بشرته مثلاً، لكن لا يعير؛ لأنه هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه.

لكن أنا إذا انحرفت أو شتمت أعير لماذا؟ لأنه من القسم الآخر.

مداخلة: في إرادة يعني؟

الشيخ: نعم في إرادة، فإذاً: ما هو الإشكال في إنكاركم القدر، والقدر يكتشف الواقع بقسميه؟!

نحن آنفاً ضربنا القسم الأول؛ لأنه واضح لا جدل فيه إطلاقاً وهو مفهوم لدى الجميع.

الآن نضرب مثلاً في أعمالنا نحن التي تصدر من جوارحنا: إنسان رمى عصفوراً فأصاب إنساناً فقتله هذا.

مداخلة: قتل خطأ.

الشيخ: قتل خطأ، لكن بفعل ماذا؟ بإنسان.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: ليس فعل الإله مباشرة كما هو القسم الأول.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: هذا مقدر أم، عفواً لا أقول للمعتزلة مقدر؛ سبق في العلم الإلهي هذا أنه عمل وَلَّا لا؟

مداخلة: سبق.

الشيخ: ولذلك كان من العدل الإلهي أنه لن يؤاخذه في الآخرة؛ لأنه قتله خطأً.

طيب. كذلك نحن نقول: نحن المؤمنين بالقدر الإلهي القدر الإلهي سجل عليه هذا الخطأ، هذا القتل خطأً، ولذلك ما يؤاخذني لكن إنسان آخر فنقول: إنسان آخر، وفي ليلة لا قمر فيها ترصد خصماً له، وتهيأ لقتله فرماه بالبندقية أو طعنه بخنجره، هل يستوي هذا وذاك؟

مداخلة: لا.

الشيخ: لا يستويان مثلاً.

مداخلة: هذا متعمد.

الشيخ: نعم هذا متعمد، وكما يقولون في القضاء اليوم عن سابق ماذا؟ تصميم وإصرار.

الشيخ: كلاهما الصورتان سبقتا في العلم الإلهي بلا شك، لأنه أحاط بكل شيء علماً، فما المانع يا معتزلة أن يكون هذا العلم الإلهي سجل في اللوح المحفوظ فكان قدراً، فالقدر إذاً: يحيط بالواقع على حقيقته إن كان جبراً لا

مؤاخذة، وإن كان اختياراً فهنا مؤاخذة، فلماذا تخشون من القول بالقدر؟ واضح هذا الجواب، هذا الجواب ملزم بالإيمان بالقدر.

كذلك الجواب الأول، لكن ذاك جواب جدلي وهذا مؤكد لذاك الجواب، على هذا يجب أن تعالج كل العقائد الإسلامية الصحيحة منها: قضية نزول عيسى عليه السلام أشكل الأمر على السيد رشيد رضا رحمه الله ومنه استقينا نحن هذا المنهج السلفي والحديثي، وأشكل على كثير من علماء الأزهر كشلتوت وأمثاله، أنكروا عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان لماذا؟ قالوا: لأن كثيراً من الناس ادعوا العيسوية، وهذا غلام أحمد القادياني كثير منهم ادعوا المهدوية وجاركم هناك في السودان المهدوي هذا معروف، وفي التاريخ الإسلامي كثير ممن ادعى ماذا؟ العيسوية وادعى المهدوية، إذاً: سداً لباب هذه الدعوات الباطلة ... نضيع [على] الناس ... عقيدة نزول عيسى عليه السلام وخروج المهدي، هذا خطأ، ونعالج الخطأ بخطأ مثله وشر منه، فأنا قلت في بعض ما كتبت رداً على أمثال هؤلاء أنا أخشى ما أخشى أن يأتي يوم يعالج فيه بعضهم الإلهية فينكرها؛ لأن الفراعنة ما انتهوا بعد، فبعضهم يدعي الإلوهية، فلنريح الناس من هذه الدعوة وهي أبطل الباطل ما في إلوهية وانتهت المشكلة هل هذا يصلح مع الردود الصحيحة؟

نحن نقول أخيراً: نزول عيسى عقيدة صحيحة آمن بها السلف وتبعهم الخلف على هدى من ربهم، لكن ليس في الأحاديث ولا في أحاديث المهدي عليهما السلام أن على المسلمين ألا يعملوا لإسلامهم ولعزة دينهم حتى ينزل عيسى ويخرج المهدي، ما يوجد في هذه الأحاديث كلها ما يشعر بهذا الفهم الخاطئ الذي وقع فيه بعض المسلمين، ولذلك أنكر بعض المصريين هذه

الأحاديث من أجل يزيحوا العثر بزعمهم من طريق عامة المسلمين فما في فائدة لا ينزل عيسى ويخرج المهدي، هذا فهمه خطأ كما فهم الجبريون من القدر ووراهم المعتزلة ثم أنكروا الجبر، وأنكروا معه القدر.

ما دام لا يوجد في الأحاديث الصحيحة التي نزلت في عيسى عليه السلام، وفي خروج المهدي ما يشعرنا بالتواكل على مجيئهما إذاً: يجب علينا أن نعمل؛ لأن عيسى إن نزل وجد الأرض مهيئة لقائد يقودهم، وإذا نزل عيسى عليه السلام والمسلمون كما هم اليوم – أنا أقول هذا الكلام مؤمن به – سوف لا يستطيع عيسى أن يجمع المسلمين في لحظة، في يوم وليلة يجمع المسلمين الصالحين منهم بطبيعة الحال حول قيادته؛ لأنه سوف لا يكون في اعتقادي أحلم وأقدر على جمع قلوب الناس حوله من نبينا محمد ﷺ وهو لبث في قومه عشرين سنة، وحتى استطاع أن أوجد هذه النواة التي غذاها الله عز وجل بِقَوَّتِهِ وعلمه ثم امتدت ظِلالها كما تعلمون من التاريخ الإسلامي.

فإذاً: عيسى عليه السلام يجب ألا نتصور أنه ينزل إلى الأرض إلا وقد هيئت له لقبوله، إذاً: ينبغي أن نفهم أحاديث النزول والخروج؛ على أنها تحض المسلمين على العمل لإعادة الإسلام إلى مجده الغابر، لا أن ينتظروا عيسى والمهدي ليعيد لهم المجد الغابر، إذا آمنا هكذا فما المشكلة من أحاديث عيسى عليه السلام وخروج المهدي؟ لا إشكال أبداً دائماً المشاكل تأتي من سوء فهم النصوص، وهذه الحقيقة نقطة مهمة جداً في العالم الإسلامي من حيث إنهم أساءوا فهم بعض النصوص فأساؤوا فهم نصوص أخرى.

ونسأل الله عز وجل أن يوفقنا جميعاً وإياكم للفهم الصحيح عن الله ورسوله.

مداخلة: يا شيخ... ابن خلدون يتكلم عن أحاديث المهدي ما رأيكم في أحاديث المهدي يقول: إنها ضعيفة كلها.

الشيخ: أولاً: لا يخفاكم أن ابن خلدون هو مؤرخ وحكيم في التاريخ وليس عالماً بالحديث، وما أردت أن أقول ليس متخصصاً في الحديث، بل هو ليس عالماً في الحديث.

مداخلة: يعني: أبعد من هذا.

الشيخ: هو هكذا، ثم من قرأ كتابته في تاريخه أو في مقدمة تاريخه حول أحاديث المهدي يجد هناك في بعض الأحاديث اعترافاً بالصحة لهذا البعض، ولذلك فيخطئ كثيراً من الكتاب الذين كتبوا في هذه القضية ومنهم: شيخ قطر إذا سمعتم به.

مداخلة: القرضاوي

الشيخ: لا المحمود هذا.

مداخلة: الشيخ الكبير.

الشيخ: يخطئ كثيراً كهذا الشيخ حين يعزوا إلى ابن خلدون أنه ضعف كل أحاديث المهدي، فهذا خطأ ليس فقط على الحديث النبوي، بل وخطأ آخر على ابن خلدون المؤرخ.

ثم علم الحديث في الواقع فيه دقائق هي التي صرفت كثيراً من العلماء عن الاشتغال بالحديث؛ لأنه يتطلب جهداً ودأباً قد لا يستطيعه أكثر النفوس، ولو كانوا من أهل العلم والفضل.

أضرب لك مثلاً بين عالم يكتب بحثاً علمياً وكاتب يكتب مقالة أدبية كم

الفرق بينهما؟

مداخلة: الفرق شاسع.

الشيخ: شاسع جداً الذي يكتب مقالة أدبية، الأفكار المخزونة في ماذا؟ مخه وفكره يسير قلمه لا يحتاج أن يراجع هذه الكتب التي يسميها بعض الناس ظلماً الكتب الصفراء ...، لا يحتاج.

بينما الذي يريد أن يكتب ويحرر مقالة علمية خاصة في آخر الزمان الذين علمهم كأمثالنا في سطورهم وليس في صدورهم هؤلاء بحاجة أن يراجعوا على الأقل يتثبتوا، أما ذاك الكاتب ما يحتاج إلى مراجعة أبداً، يكتب يشحبر -يقولوا عندنا في الشام- يعني بالقلم الأسود.

النسبة التي ذكرتها بين الكاتب العالم، والكاتب الأديب هي النسبة بين العالم المحدث المتخصص في الحديث والعالم يحتاج إلى صبر ومراجعة كثيرة وكثيرة جداً لماذا؟ لأن كثيراً من الأحاديث هي من القسم الذي يسميه علماء الحديث صحيح لغيره، حسن لغيره.

صحيح لغيره وحسن لغيره، أحد العلماء كالترمذي مثلاً إذا قال في حديث ما حديث حسن، وهذا من الغرائب واللطائف التي لا يتنبه لها أكثر العلماء بل وكثير من المحدثين إذا قال الترمذي في حديث: حسن، يعني: إسناده ضعيف أسمعتم بهذا؟ إذا قال في حديثٍ ما: حديث حسن يعني: أن إسناده ضعيف.

مداخلة: لم يصل إلى درجة الصحة يعني ....

الشيخ: إذا قال الترمذي في حديث ما حديث حسن يعني: إسناد الحديث الذي حسنه الترمذي إسناده ضعيف كيف هذا؟ هذا اصطلاح، على خلاف ما إذا

قال في حديث آخر: حديث حسن غريب، فإنما يعني حديث حسن إسناده، كلمة غريب حددت المراد من كلمة قوله: حسن.

أما إذا عَرَّى هذه الكلمة حسن عن لفظة غريب، فهو يعني حسنٌ متنه ضعيفٌ إسناده لماذا جاء هذا التحسين؟ من علمه أن لهذا المتن شواهد، وطرق أخرى ارتقت به من الضعف الذي جاءه من هذا الاسناد.

إذاً: من أجل ذلك قال علماء الحديث: إذا وقف طالب العلم على حديث إسناده ضعيف، فهل يجوز له أن يقول حديث ضعيف؟ قالوا وقالوا؛ قالوا: لا يجوز لأنه قد يكون له إسناد آخر إما أن يكون هذا الإسناد الآخر حسناً لذاته، أو صحيحاً لذاته أو على الأقل يجعل هذا الحديث الضعيف إسناده حسناً أو صحيحاً لغيره، ولذلك فلا يستقل بالقول بأنه هذا حديث ضعيف وإنما يقول: حديث إسناده ضعيف، ثم استثنوا فقالوا: اللهم إلا رجل عالم متمكن في علم الحديث محيط ما شاء الله بطرق الحديث، ثم لم يجد لهذا الحديث إلا هذا الإسناد فلمثله فقط أن يقول هذا حديث ضعيف.

"الهدى والنور" (١٩٨/ ٠٩: ٢١: ٠٠)

[١٨٠٩] باب ذكر بعض أهل الضلال ممن أنكر الحكمة والتعليل عن أفعال الله تعالى

[قال الإمام]:

الأشاعرة... غلوا وأنكروا الحكمة على ما فصله ابن القيم في «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» . فراجعه فإنه هام جداً .

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٤٥).

[١٨١٠] باب الرد على من قال أن لله تعذيب الطائع وإثابة العاصي

عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا...» الحديث.

(صحيح).

[قال الإمام]:

قال الراغب: [الظلم] هو لغة: وضع الشيء في غير موضعه المختص به بنقص أو زيادة، أو عدول عن وقته أو مكانه، قلت: ففيه رد على الذين يفسرونه بأنه التصرف في ملك الغير! وبناء عليه يقولون بأن لله تعذيب الطائع، وإثابة العاصي! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، راجع للرد عليهم كتاب ابن القيم: «شفاء العليل في القضاء والقدر والحكمة والتعليل» .

"التعليق على الترغيب والترهيب" (٢/ ٨٥٨).

[١٨١١] باب خطأ من قال بأن الشر ليس من خلقه تعالى

[قال رسول الله ﷺ]:

«إذا تزوج أحدكم امرأة أو اشترى خادما [فليأخذ بناصيتها] [وليسم الله عز وجل] [وليدع بالبركة] وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه».

رواه البخاري.

[قال الإمام]:

في الحديث دليل على أن الله خالق الخير والشر خلافًا لمن يقول - من المعتزلة وغيرهم - بأن الشر ليس من خلقه تبارك وتعالى، وليس في كون الله خالقًا للشر ما ينافي كماله تعالى، بل هو من كماله تبارك وتعالى، وتفصيل ذلك في المطولات ومن أحسنها كتاب " شفاء العليل في القضاء والقدر والتعليل " لابن القيم فليراجعه من شاء .

"آداب الزفاف"(ص٩٣).

جماع أبواب

الكلام على حكم منكري القدر أو بعض مراتبه

[١٨١٢] باب الجبرية والقدرية؛ هل تخرجهم مقالتهم من الإسلام؟

سؤال: يقول السائل: ذكرتم .. أن المعتزلة لا يكفرون، فكيف ذلك وهم يقولون بخلق القرآن وغيره من الأمور العقدية المخالفة، فما هو الضابط في قضية الكفر؟

الجواب: نعم، هذا سؤال مهم.

الحقيقة أن هناك شيئاً وسطاً، لا يلزم من وقوع الإنسان في الكفر أن يقع الكفر عليه، ليس كل من وقع في الكفر وقع الكفر عليه، لكن إذا أردنا أن نقول: إنه كفر وارتد عن الدين فلا بد من إقامة الحجة عليه حتى تتجلى له الحقيقة وتزول عنه الشبهة التي كانت هي السبب في انحرافه عن الحق الذي جاء به الشرع وخالفه فوقع في الضلال المبين.

هذا الجواب يشمل كل الفرق الإسلامية التي لا تزال مسلمة معنا، لا تنكر شيئاً من الأحكام المتعلقة بالإسلام، يعني الأحكام العملية.

فما دام مسلماً لا ينكر ما هو ثابت من الدين بالضرورة – كما يقول الفقهاء – فهو مسلم ولو ضل سواء السبيل في بعض الأفكار أو في بعض العقائد، فمن أنكر – كما قلنا عن المعتزلة وغيرهم من الجبرية وأمثالهم من المبتدعة قديماً وحديثاً، حديثاً اليوم جبرية ما شئت من المسلمين جبرية، يقول لك: ما في فائدة، الإنسان مجبور، وكلمة سائرة على الألسنة يمكن كلكم يشترك في معرفتها، الإنسان مسير وإلا مخير؟ ويش يقولون؟ مسير، أيش هو معنى مسير؟

مداخلة: مجبور.

الشيخ: يعني مجبور. فإذاً أمة يغلب عليها هذه العقيدة أن الإنسان مسير ما هو مخير مش ممكن أنها تنهض، بدها علاج بدها تصحيح المفهوم. هل نكفر هؤلاء؟ نقول: لا. لماذا؟ لأنهم يعيشون في جو جاهلي الحقيقة.

نرجع للمعتزلة الموجودين اليوم، كثير منهم بيقول لك: أن الإنسان مش معقول أن الله يكتب عليه أنه شقي وبعدين أيش يعذبه، فأنكروا الكتاب الإلهي السابق، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾(القمر:٥٣) يعني: مسجل.

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨) الكتاب هنا ليس كما تسمعون أحياناً من بعض الكتاب المعاصرين يعني القرآن، ويريدون[أن] يتفاخروا على سائر الأديان بباطل، والمسلمون ليسوا بحاجة إلى مثل هذا الافتخار بالباطل حين يقولون: أن القرآن كل شيء مذكور فيه.

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨) الكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، الكتاب في هذه الآية هو اللوح المحفوظ وليس القرآن الكريم.

القرآن الكريم بشهادة أهل السنة والجماعة ليس فيه كل شيء مما يتعلق بإصلاح عبادة الإنسان وسلوكه، وإنما تمام ذلك في سنة نبيه، كما قال عليه السلام في الحديث الصحيح: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»[(١)].

فإذا كانت السنة متممة للقرآن فكيف يقال: إن القرآن فيه كل شيء من الاختراعات والابتكارات وعلم الفلك والجغرافيا وو، هذه مبالغة ليس الإسلام

(١) "صحيح الجامع" (رقم ٥٢٤٨).

بحاجة إليها أبداً.

﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(الأنعام:٣٨) أي: اللوح المحفوظ، فالناس اليوم ينكرون هذه الكتابة ويتوهمون شيئاً آخر وهو الذي وقع فيه المعتزلة: أن القدر الإلهي هو العلم الإلهي، بينما القدر ليس هو العلم الإلهي كالكتابة، القدر مشتق من التقدير من تفصيل كل شيء ووضعه في مكان لائق به، فالقدر الإلهي هو فعل الإله عز وجل، لكن حسب العلم الإلهي الأزلي.

كذلك الكتابة، كتب كل شيء في اللوح المحفوظ كما جاء في الحديث الصحيح: «لما خلق الله القلم، أو أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب، قال: ما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة»(١) هذه عقيدة المسلمين كافة، إلا المعتزلة يقولون: لا قدر، لا كتابة. إذاً: ليس فقط إلا العلم الإلهي.

الحقيقة أنهم حينما يؤمنون بالعلم الإلهي من جهة يجعلهم في دائرة الإسلام، لكن من جهة يخرجون عن الإيمان - كما قلنا آنفاً - بعض الخروج بإنكارهم التقدير الإلهي والتسطير الإلهي والكتابة الإلهية.

لكن من عجائب عقولهم: أنهم ما استفادوا شيئاً من تعطيل هذه النصوص التي قصدوا بهذا التعطيل تخليص جماهير الجبريين من الجبر، ما استفادوا شيئاً، لماذا؟ لأن الذي قدره الله وفق علمه ولأن الذي كتبه الله هو وفق علمه، فإذاً بزعمهم الجبر لا يزال ملازماً لهذا الإنسان المخلوق.

إذا رفعنا الآن من أذهاننا كما يريد المعتزلة لا كتابة ولا قدر، طيب. ألم يسبق في علم الله أن فلاناً من أهل النار؟ مثلاً: أن إبليس هو في أسفل الدرك من النار؟

---

(١) "صحيح الجامع" (رقم ٢٠١٧).

نعم، سبق في علم الله.

طيب. هل يستطيع ألا يفعل ذلك؟ نفس الشبهة هم يوردونها على أهل السنة حينما يقولون بالقدر ويقولون بالكتابة، الشبهة واردة عليهم أيضاً، لأن الكتابة لا تزيد على أكثر مما في العلم الإلهي.

بلا تشبيه، إنسان منا عنده فكرة أجى كتبها، الكتابة هذه ما زادت على ما في فكره وفي عقله فهي تبقى هذا الفكر، فما أدت بشيء جديد إلا لماذا يكتب أحدنا الآن؟ ليبين للناس الحقيقة التي في مخه.

بلا تشبيه، ربنا عز وجل أراد أن يبين ما سبق في علمه فقدر كل شيء وكتب كل شيء، وذلك لتأكيد أن الله عز وجل على كل شيء قدير.

إذاً: الجواب لإبطال شبهة الجبر ليس هو بإنكار الكتابة والقدر وإنما بأن نلاحظ شيئاً واحداً وهو: أن ندرس طبيعة هذا الإنسان الذي خلقه ربنا عز وجل في أحسن تقويم، هل هو فعل المجبور؟ أو بالتعبير العامي: هل هو ميسر ما هو مخير؟

الجواب: لا يصح أن نقول كما يقولون، الإنسان مسير ما هو مخير، ولا يصح العكس أيضاً أن نقول: الإنسان مخير ما هو مسير، وإنما نقول: إنه تارة يكون مسيراً أي: مجبوراً، وتارة يكون مخيراً مختاراً، فلا نطلق لا سلباً ولا إيجاباً، لا نقول كما تقول العامة: مسير ما هو مخير، ولا العكس نكاية في العامة نقول: لا، هو مخير ما هو مسير، لأن الواقع يشهد أن الإنسان تارة مسير وتارة مخير.

بدليل حينما يكون الإنسان في أي شيء ما صدر منه، لوحظ في ذلك أنه كان مجبوراً، كان مسيراً من الغير وهو رب العالمين ولم يكن مخيراً هل عليه مسئولية

عند الله تبارك وتعالى؟ لا مسئولية. لماذا؟ لأنه ثابت كتاباً وسنة وعقلاً: أن المسئولية والجبر لا يجتمعان، كما قال الجبري المقيت واصفاً ربه عز وجل بما لا يصح أن نصف به جباراً ظالماً مبيراً، قال في الله واصفاً علاقة العبد مع ربه:

ألقاه في اليم مكتوفاً ثم قال له   إياك إياك أن تبتل بالماء

هكذا الإنسان مع رب الأنام؟ حاشا لله عز وجل.

قال بصريح القرآن: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾(الكهف:٢٩).

قال الرسول: «من أراد الحج فليتعجل، ومن أراد أن يضحي ودخل عليه عشر ذي الحجة فلا يأخذن من شعره وظفره» إلى غير ذلك من النصوص.

إذاً: الإنسان له إرادة، له اختيار، فإذا سلبت منه هذه الإرادة رفع عنه التكليف، وإذا ثبتت هذه الإرادة وهذا الاختيار ترتب من ورائه التكليف.

فإذاً: الإنسان تارة يكون مسيراً وتارة يكون مخيراً، الذي يقتل إنساناً خطأً هذا مسير، رمى عصفور، رمى غزال، رمى أرنب راحت الرصاصة وأصابت أيش؟ وراء الأكمة مُزارع يعمل في الأرض هذا قتل خطأ، لا يقول لهذا الإنسان رب العالمين: لماذا قتلت فلاناً؟ لأنه غير مختار.

وعلى العكس من ذلك الذي يُبَيِّتُ قتل زيد من الناس ويتخذ الأسباب ويعزم على قتله ويقتله كما يقولون اليوم في لغة المحامين: عن سابق إصرار وترصد. نعم.

هذا يستوي مع ذاك؟ لا يستويان مثلاً، هذا سيقول رب العالمين: لم قتلت فلاناً؟ ولم عزمت على قتله؟ وسيحاسبه حساباً عسيراً جداً.

فكل نصوص الشريعة فضلاً عن العقل الفطري السليم يحكمان معاً على أن الإنسان تارة يكون مختاراً وتارة مجبوراً، فلما يقول لك الجبري: لا قدر، كيف لا قدر يا أخي؟ هذا أرغم وقتل إنساناً خطأً هذا هو القدر، لكن أين الذي قتل الإنسان بإرادته وبسابق ترصد؟ هذا أيضاً بقدر، لكن الذي أردت بهذه الأمثلة أن أقول: كتب الله على فلان هكذا في اللوح المحفوظ بوفق العلم الإلهي، كتب الله على إبليس أنه سيكون في أسفل سافلين، في الدرك الأسفل من النار، لماذا؟ لأنه يؤمر بالسجود وهو مستطيع فيستكبر على أمر ربه ويقول ناسباً إلى الله الظلم: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾(الإسراء:٦١).

إذاً هو لا يسجد وباستطاعته أن يسجد، فإذاً كُتب من أهل النار بل أشقى أهل النار، لكن على العكس، نرجع الآن لموضوع المعتزلة؛

الذي مات في القطب الشمالي أو القطب الجنوبي ولم يطرق سمعه شيء اسمه دين الإسلام، أو إنسان اسمه محمد بن عبد الله نبي الإسلام ما طرق سمعه فعاش يعبد الأصنام التي كان يعبدها أهل الجاهلية الأولى هل هذا يقال له يوم القيامة: لم كفرت؟ لا. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾(الإسراء:١٥).

وهذا باب واسع جداً، ولذلك فلا أريد أن أذهب بعيداً عن السؤال. فالمعتزلة وكل الفرق الضالة إذا ضلوا سواء السبيل وظلوا مع المسلمين يقومون بالواجبات الدينية فهم ضالون ولا شك، ولكن لا نخرجهم من دائرة الإسلام إلا بعد إقامة الحجة عليهم، فإذا أقيمت الحجة عليهم فهناك أمران اثنان:

أمر يتعلق برب العالمين، ونحن ما ندري ما سيكون عاقبة أمره عند الله.

وأمر يتعلق بحاكم المسلمين، حاكم المسلمين هنا يظهر أهمية الحكم الإسلامي، يؤتى بهذا الإنسان إليه ويؤتى ببعض علماء المسلمين ويقيمون الحجة عليه، فإذا أصر على ضلاله بعد أن تبينت له حجة الله عليه قتلوه ردةً، لأنه كفر فعلاً وأقيمت الحجة عليه.

أما إنسان لم يتاح له مثل هذه الفرصة أن تقام عليه الحجة فنحن نكتفي وبخاصة بالنسبة للماضين معتزلة وخوارج ومرجئة وجبرية و.. و.. إلى آخره، نقول: أمرهم إلى الله، فمن يعلم الله عز وجل بأنه كابر وجحد فحسبه جهنم، ومن يعلم الله عز وجل بأنه ما جحد شيئاً وهو يؤمن بحقيقة الأمر فهذا لا يحاسب حساب الكفار، يجوز أن يحاسب لأنه مقصر، ما سلك الطريق الذي يوصله لمعرفة الحق فحينئذ ربنا عز وجل هو حسيبه.

أما نحن فلا نخرج مسلماً من دائرة الإسلام مهما كان ضالاً إلا بعد إقامة الحجة. هذا آخر الجواب.

"الهدى والنور" (٢١٩/ ٣٦: ١٠: ٠٠)

[١٨١٣] باب حكم من أنكر القضاء والقدر

[روي عن النبي ﷺ أنه قال]:

«من أنكر خروج المهدي فقد كفر بما أنزل على محمد، ومن أنكر نزول عيسى بن مريم فقد كفر، ومن أنكر خروج الدجال فقد كفر، ومن لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر، فإن جبريل عليه السلام أخبرني بأن الله تعالى يقول: من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فليتخذ ربا غيري».

(باطل).

[قال الأمام]:

واعلم أن الإيمان بكل ما ذكر في هذا الحديث من خروج المهدي، ونزول عيسى، وبالقدر خيره وشره، كل ذلك واجب الإيمان به، لثبوته في الكتاب والسنة، ولكن ليس هناك نص في أن " من أنكر ذلك فقد كفر "، ومن أجل هذا أوردت الحديث وبينت وضعه، وهو ظاهر الوضع، وكأنه من وضع بعض المحدثين أوغيره من الجهلة، وضعه ليقيم به الحجة على منكري ذلك من ذوي الأهواء والمعتزلة، ولن تقوم الحجة على أحد بالكذب على رسول الله ﷺ والافتراء على الله تعالى، فقاتل الله الوضاعين ما أجرأهم على الله عز وجل.

والتكفير ليس بالأمر السهل، نعم من أنكر ما ثبت من الدين بالضرورة بعدما قامت الحجة عليه، فهو الكافر الذي يتحقق فيه حقيقة معنى كفر، وأما من أنكر شيئاً لعدم ثبوته عنده، أولشبهة من حيث المعنى، فهو ضال، وليس بكافر مرتد عن الدين شأنه في ذلك شأن من ينكر أي حديث صحيح عند أهل العلم، والله أعلم.

"الضعيفة"(٣/ ٢٠١-٢٠٢).

[١٨١٤] باب حكم من أنكر قدرة الله عز وجل لعارضٍ

سؤال: هل الرجل الذي أوصى أبناءه إذا مات أن يذروه في التراب، أن يذروه في الريح يحرقوه ويذروه حتى لا يستطيع الله أن يجمعه ثم جمعه، فكيف وأن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء؟

الشيخ: نعم. نحن ذكرنا هذا أكثر من مرة أن الآية التي ذكرت في ختام سؤالك هي القاعدة وهي الأصل: ﴿إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(النساء:٤٨) كما أن الآية: ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾(البقرة:٨٦)

المشركون لا يخفف عنهم العذاب، لكن هناك قاعدة في علم الأصول أن كثيراً من العمومات يدخلها التخصيص وإن كان الأصل البقاء مع النص العام حتى يأتي المخصص، فإذا جاء المخصص لا يتردد الإنسان في قبوله سلفاً لا يتردد، ولو أنه لم يظهر له وجه التوفيق بين العام والخاص يكفي أن ذاك نص عام وهذا نص خاص.

أما ما هي الحكمة وما هي فلسفة الموضوع وتوجيهه هذا بحث ثاني، قد يستطيعه بعض الناس وقد لا يستطيعه، لكن المشي مع القواعد يريح عقل الإنسان ونفسه، هذا عام وهذا خاص: ﴿إِنَّ اللهَّ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(النساء:١١٦).

﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ﴾(البقرة:٨٦) ممكن يدخل تخصيص من الناحية العقلية؟ ممكن، لكن من الناحية الشرعية ننتظر الشرع، إن جاء ما يدل على التخفيف قبلناه وإلا نحن مع النص العام ونرفض كل رأي يخالف النص العام إلا إذا كان مقروناً بالدليل.

... نحن ننظر ما هو موقفنا نحن أهل الحديث، بالنسبة للحديث الصحيح أن الرسول سئل أن عمك أبو طالب كان يدافع عنك، كان وكان إلى آخره: هل نفعه ذلك شيء؟ قال: لقد خفف عنه العذاب وهو أخف أهل النار عذاباً، وإنه ليغلي دماغه من شدة العذاب في نعليه.

المهم خفف عنه العذاب، وربنا يقول ما يخفف عنهم العذاب، إذاً هذا نص عام وهذا نص خاص ما في مانع، نقبله ما دام صح، ولهذه القاعدة والجهل بها يضل كثير من الناس قديماً وحديثاً.

الخوارج مثلاً الذين ضلوا في كثير من الأمور الاعتقادية والفروع الشرعية، لماذا؟ لأنهم استندوا إلى نصوص عامة، ورفضوا النصوص الخاصة،..وقواعد أهل العلم هو الجمع بين النص العام والنص الخاص.

الآن ما نحن في صدده [ننظره] من زاوية عامة شوية وهي: الذين أشركوا وكفروا وبغوا واعتدوا وما بلغتهم الدعوة، ما حكمهم عند الله؟ هل هم في النار؟ هل هذا ذنبهم مغفور؟ الجواب: نعم، هؤلاء لا يشملهم العذاب الذي هو جزاء الكافرين المخلدين في النار، وإنما لهم معاملة أخرى في عرصات يوم القيامة، يؤمرون بطاعة الرسول هناك، فمن أطاع دخل الجنة، ومن عصا دخل النار.

هؤلاء الذين دخلوا الجنة داخلين في عموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(النساء:١١٦) .

إذاً: ما جاز لنا أن نأخذ هذا العموم على شموله وإطلاقه، وأنا سأدخل في موضوع الإجابة عن السؤال من باب ممكن الجميع يدركوه يعني، حتى ما ندرك شيئاً ربما لا يدركه بعض الناس.

فإذاً إذا وصلنا إلى هذه الحقيقة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾(النساء:١١٦) شو صار في هذه الآية؟ بقيت على عمومها وَلاَّ دخلها شيء من التخصيص؟ دخلها شيء من التخصيص، لا يغفر أن يشرك به إلا إذا كان الشرك به دون بلوغ ماذا؟ دعوة، إذاً: الآية ليست على الإطلاق والشمول الذي يتبادر إلى الأذهان.

إذا كان هذا واضحاً وظاهراً وهو كذلك بإذن الله، ننتقل الآن إلى قصة هذا الرجل الذي أوصى أولاده بتلك الوصية والتي أعتقد أنها أغرب وصية علمناها في الدنيا، أنه إذا مات أنه يحرقوه، ولماذا؟ قال: «لأني مذنب مع ربي، ولئن قدر

الله علي ليعذبني عذاباً شديداً» فهو الآن بين عقيدتين متناقضتين أشد التناقض، هو يعتقد بأنه عاصي ومذنب وهو كذلك، ويعتقد أن الله عز وجل إذا عذبه فهو عادل، لكن هو يريد أن يخلص من هذا العذاب فوقع في الضلال، فأوصى أنهم يحرقوه بالنار وأن يجعلوا نصف رماده في الريح ونصف رماده في البحر، لماذا؟ ليضل على ربه زعم، ونسي قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾(يس:٧٨).

هذا الرجل أنا أتصور الآن أنه كان في ساعة شدة، فيها غاب عقله ووعيه عن الحقيقة التي يؤمن بها كل من يعتقد أنه عاص مع ربه وأن ربه عز وجل إذا عذبه عادل به، وهو لخوفه من ربه غلب عليه هذا الضلال، والدليل أنه ربنا لما أحياه وقال لذراته المنتشرة في الريح الهائج والبحر المائج: كوني فلاناً فكان بشراً سوياً، قال له: «أي فلان! ما حملك على ذلك؟ قال: خشيتك».

فهو مؤمن بالله، لكن يعني خفت منك أي: الخوف [اشتد] به فأوحى إليه بأن يأتي بهذه الوصية الجائرة، فعلم الله ما في قلبه فقال له: قد غفرت لك.

فإذاً هذا النوع من الكفر ليس من الكفر المستمكن في النفس، وإنما هو الكفر العارض لحالة نفسية واضحة جداً في هذه الحادثة، فلا إشكال والحمد لله في هذا الحديث الصحيح.

أما الذين يتسرعون ويتفهمون نصوص الشرعية بألفاظها العامة دون أن يدققوا النظر في معانيها الخاصة فهم يضربون نصوص الشريعة بعضها في بعض، بيقولك هذا الحديث غير صحيح ولو رواه البخاري ومسلم، نحن نعرف بعض إخواننا كانت عندهم هذه الجرأة أنه هذا الحديث ما هو صحيح ولو رواه البخاري

ومسلم...

الشاهد: يجب دائماً وأبداً إذا جاءنا حديث صحيح أن نتريث ونتثبت، هذا حديث صحيح؟ إي نعم حديث صحيح على الرأس والعين.

كيف التوفيق بين الحديث والآية؟ [الجواب] ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(الأنبياء:٧) .

قد لا توفقون لأهل الذكر، إما لأنكم حرمتم منهم، أو أنتم حرمتم أنفسكم منهم، ممكن هذا وممكن هذا حتى ما نظلم الناس، حينئذ نقف نؤمن أن هذه الآية وهذا الحديث صحيح، التوفيق بينهما الله أعلم به، لكن نحن ما نتسرع فنضرب الحديث بالآية أو العكس لا سمح الله نضرب الآية بالحديث، ليس هذا هو سبيل المؤمنين، ورب العالمين يقول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(النساء:١١٥).

"الهدى والنور" (٢٣٤/ ٣٨: ٥٨: ٠٠) وتتمته(٢٣٥/ ٣٨: ٠٠: ٠٠)

[١٨١٥] باب حكم اعتقاد أن بعض الصالحين يطلعون على ما في اللوح المحفوظ

[قال الإمام]:

واعتقاد أن بعض الصالحين يطلعون على ما فيه [أي اللوح] كفر بالآيات والأحاديث المصرحة بأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

"التعليق على متن الطحاوية"(ص٤٧).

فهرس المحتويات